شؤون فلسطينية

٢٠ أيار (مايو) ١٩٩٠

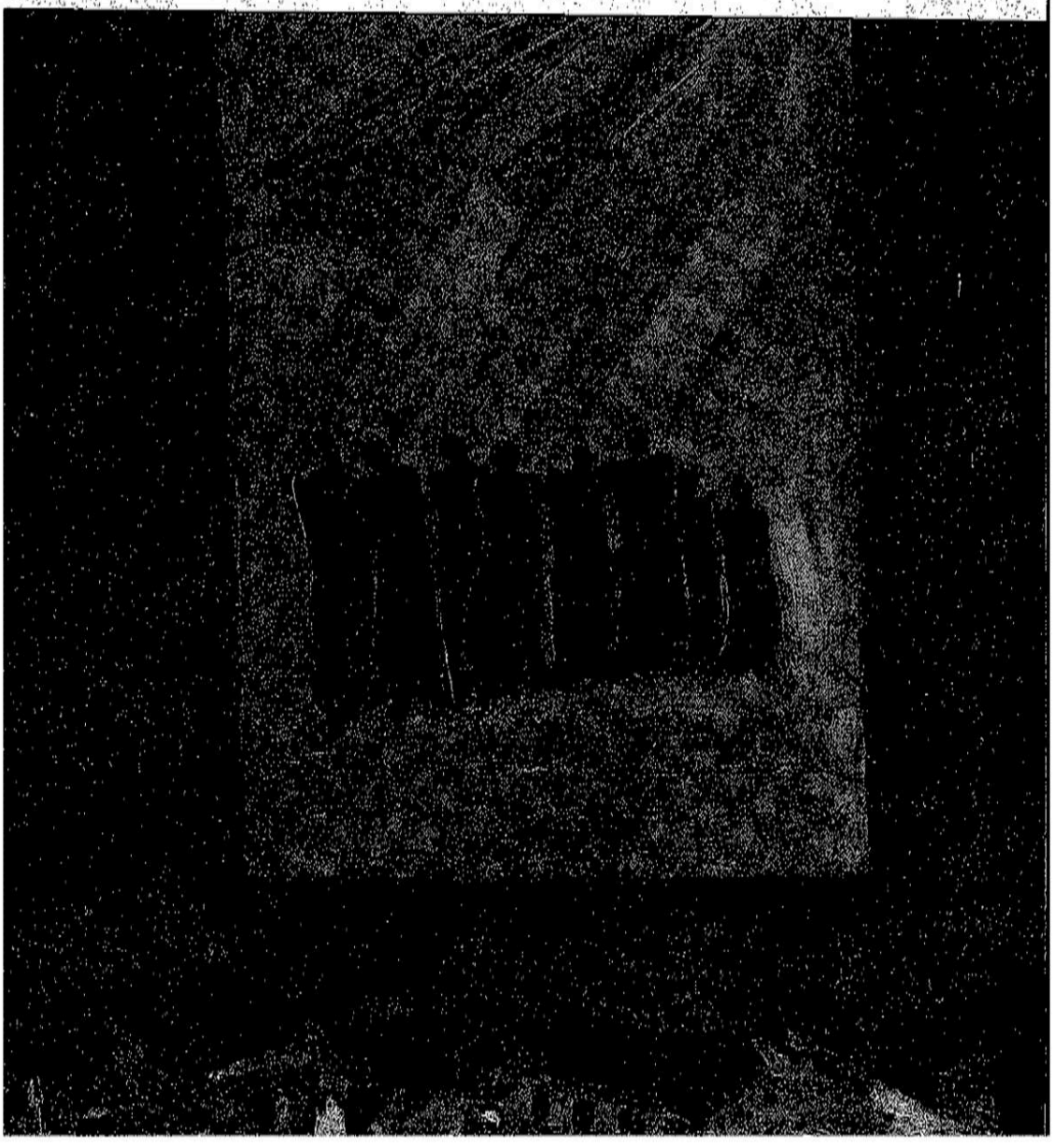

شؤون فلسطينية

٢٠٦ أيار (مايو) ١٩٩٠

شهريّة فكريّة لمعالجة أحداث القضيّة الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدُر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينيّة

المحتويات

٣ الردع الاستراتيجي العربي في مواجهة اسرائيل ..... صبري جريس
١٢ الانتفاضة ومفهوم المقاومة المدنية ..... محمد خالد الأزهري
٣٥ فلسطين قضية مصرية ..... جلال السيد
٦٩ التقارب الصيني ـ الاسرائيلي ..... علاء سالم
٨٣ ظاهرة حانوخ ليفين ..... رياض بيدس

تقارير

٩٧ في ذكرى «يوم الارض»؛ مهرجانات وصدامات ..... صلاح عبدالله
١٠٤ الشؤون العسكرية الاسرائيلية؛
اطلاق القمر «أفق ـ ٢» ..... محمد عبدالرحمن
١٠٨ تطورات المحيط الاستراتيجي ..... د. يزيد صايغ

مراجعات

١١٢ الكيانية الفلسطينية والهاجس العروبي ..... د. نبيل حيدري
١١٧ الاسلاميون والتنافس المستحيل ..... ربعي المدهون

شهريات

١٢٢ المقاومة الفلسطينية ـ سياسياً:
نشاط مركّز، عربياً ودولياً ..... سميح شبيب
١٢٦ المقاومة الفلسطينية ـ عربياً:
فلسطين تطالب بعقد قمّة طارئة ..... أحمد شاهين
١٣١ المقاومة الفلسطينية ـ دولياً:
لعبة دبلوماسية جديدة ..... ن. ح.
١٣٦ المقاومة الفلسطينية ـ عسكرياً:
تنويع مهام «القوات الضاربة» ..... ي. ص.
اسرائيليات:
١٤٠ حملة اسرائيلية ـ غربية ضد العراق ..... مها بسطامي

١٥١ **مسار وابعاد الازمة الحكومية** ..... هاني العبدالله
١٦١ المناطق المحتلة:
لاهوت فلسطيني ضد التهويد ..... ربعي المدهون

يوميات

١٦٦ **موجز الوقائع الفلسطينية**
من ١٦/٣/١٩٩٠ الى ١٥/٤/١٩٩٠

بيبليوغرافيا

١٨١ **القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي** ..... اعداد: ماجد الزبيدي

لوحة الغلاف من اختيار الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين للفنان **عماد عبدالوهاب**

الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها؛ ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين

ISSN 0258-4026

المدير العام : **صبري جريس** مدير التحرير : **محمود الخطيب**

المراسلات
Al-Abhath Publishing Co. Ltd
16 Artemidos Street, Strovolos
P. O. Box 5614
Nicosia, Cyprus
Tel 429396, Fax 312104, Telex 4706 PALCU CY, Cables: PLOCS

الاشتراك السنوي
[بريد سطحي] في الدول العربية واوروبا ـ للأفراد ٤٠ دولاراً، للمؤسسات والدوائر الحكومية ٥٠ دولاراً (يضاف ٣٠ دولاراً للبريد الجوي) □ في باقي دول العالم ـ للأفراد ٥٠ دولاراً، للمؤسسات والدوائر الحكومية ٦٠ دولاراً (يضاف ٥٠ دولاراً للبريد الجوي)

الردع الاستراتيجي العربي في مواجهة اسرائيل

صبري جريس

الخطاب الذي القاه الرئيس العراقي، صدام حسين، في أوائل نيسان (ابريل) الماضي، وأعلن فيه انه سيجعل النار «تأكل نصف اسرائيل» اذا حاولت الاعتداء على المنشآت العسكرية الصناعية العراقية أثار، ولا يزال يثير، اصداء واسعة، وردود فعل مختلفة في منطقة الشرق الاوسط، وخارجها. فقد فُهم من هذا الخطاب، وما تلاه من تصريحات لمسؤولين عراقيين آخرين، وكذلك من ردود الفعل والتعليقات العالمية، سواء رسمية كانت أم اعلامية، ان العراق بات يملك رادعاً استراتيجياً مستقلاً، لم يكن، حتى الآن، تحت تصرّف أية دولة من دول الشرق الاوسط، عدا اسرائيل التي تمتلك الاسلحة الذرية.

صحيح ان الرئيس العراقي قد كرر ان بغداد لا تمتلك، في الوقت الحاضر، اية اسلحة ذرية، ولكن، في ضوء امتلاكها السلاح الكيميائي المزدوج، او الثنائي، باتت تتمتع بالقدرة على ممارسة استراتيجية الردع والردع والمضاد، معتمدة على اسلحة لا تقل عن السلاح النووي بطاقتها التدميرية الفتاكة. فالمطلعون، من عسكريين وخبراء استراتيجيين، يصنّفون الاسلحة الكيميائية الثنائية في فئة ما يسمى بأسلحة الدمار الشامل، التي يقصد بها، تحديداً، الذخائر النووية والبيولوجية والكيميائية. وليس سراً، على كل حال، ان العراق يمتلك اسلحة كيميائية منذ بضع سنوات، وان قواته استخدمتها في حرب الخليج. لكن الشائع، عموماً، حتى الآن، كان ان هذه الذخائر تقتصر على اسلحة «بدائية»(!) مثل غاز الخردل وانواع «بسيطة» أخرى من غازات الاعصاب. أمّا الآن، فان الوضع يختلف؛ اذ ان الحديث لا يدور حول هذا النوع من الاسلحة فقط، بل حول وجود الذخائر الكيميائية الثنائية (مزدوجة التركيب)، وهي أحدث ما تمّ التوصل اليه في هذا المجال. وهذه الاسلحة هي نوع متقدم من غازات الاعصاب، ذات طاقة فتّاكة كبيرة، لا تسمح بتخزينها في وضع جاهز للاستخدام. لذلك تُجزّأ الى مادتين منفصلتين، وتكون كل منهما على حدة غير مؤذية اطلاقاً. ولا تدمج هاتان المادتان الّا بعد اطلاقهما، او قذفهما، وعندئذٍ يتحول هذا المزيج الكيميائي في الهواء، غازاً فتاكاً، ينتشر بسرعة، ويكون تأثيره على الكائنات الحية، من انسان وحيوان ونبات، مشابهاً، الى حد بعيد، لتأثير اي تفجير نووي. ويقال ان هذه الاسلحة موجودة حتى الآن، اضافة الى العراق، لدى الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي فقط؛ ويقال، أيضاً، ان العراق قد صنع هذا السلاح منذ سنة ١٩٨٧، ولم يستعمله في الحرب ضد ايران.

أمّا العامل الآخر الهامّ في هذا المجال، فهو ما يفترض من امتلاك العراق قدرة لا بأس بها

على ايصال هذه الذخائر؛ اذ لا فائدة من امتلاك سلاح دمار شامل، سواء أكان نووياً او كيميائياً، ما لم تتوفر القدرة الموازية على ايصال هذا السلاح الى هدفه المفترض. وفي هذا المجال، تبرز اهمية برنامج البناء الصاروخي العراقي الذي يتواصل تنفيذه منذ سنوات. وكان هذا البرنامج بدأ بصورة متواضعة خلال حرب الخليج، بواسطة صواريخ «سكاد» السوفياتية، التي يصل مداها الى ٣٠٠ كيلو متر؛ ثمّ تطور خلال المراحل الأخيرة من تلك الحرب بفضل صواريخ «الحسين» التي يبلغ مداها (٦٥٠ كيلومتراً؛ ومن بعدها صواريخ «العباس»، التي يبلغ مداها ٨٥٠ كيلومتراً. ويفترض ان يكون هذا البرنامج على وشك الاستكمال بواسطة صواريخ «العابد» الجديدة، التي يقدر مداها بحوالى ١٨٥٠ كيلومتراً. ويبدو، استناداً الى تقديرات مختلفة من مصادر عدة، ان العراق يمتلك بضع مئات من هذه الصواريخ، على اختلاف انواعها، قادرة على تغطية كل ارجاء المشرق (بما فيه اسرائيل) من الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط، وصولاً الى الحدود الايرانية، الشمالية والشرقية، حتى الطرف الجنوبي للخليج.

واضافة الى الصواريخ، هنالك، بالطبع، امكانية استعمال الطيران لايصال تلك القذائف الى اهدافها المفترضة.

*
* *

ان المعلومات والتحليلات التي اشرنا اليها، والتي يكاد معظم المصادر الاجنبية، والعربية، يجمع على صحتها، تشكّل، بدون شك، نقطة تحوّل هامّة للغاية في الخارطة السياسية ـ الاستراتيجية لمنطقة الشرق الاوسط والصراع العربي ـ الاسرائيلي، الى درجة يمكن معها القول اننا قد بدأنا الدخول في مرحلة جديدة من تاريخ المنطقة.

ولعله، اولاً، من المفيد الاشارة، في هذا الصدد، الى ان هذا الوضع الجديد، او الاعلان عنه بالشكل الذي تمّ فيه ذلك، لم يكن مفاجئاً، بالنسبة الى البعض على الاقل. فمنذ انتهاء الحرب الايرانية ـ العراقية، وخروج العراق منتصراً منها، راحت تطلق في اسرائيل تحليلات خجولة، ساهم فيها معلقون وباحثون ومحللون من ذوي الخلفيات والاتجاهات المختلفة، مفادها ان الطريقة التي ادار بها العراق حربه ضد ايران، ثمّ انتصاره فيها، جعل منه قوة باتت تشكل خطراً على اسرائيل. وتعززت مخاوف هؤلاء عندما لاحظوا ان العراق، حتى بعد انتهاء الحرب مع ايران، ثابر على دعم برنامج تصنيعه الحربي، واستمر في تنفيذه، بعزم وعلى نطاق واسع، وكأن الحرب لم تنته. ونتيجة لذلك، ذهب بعض اولئك الى القول انه اذا لم يكن العراق قد اصبح قوة اقليمية تستطيع مواجهة اسرائيل، عندما يدور الحديث عن الاسلحة الاستراتيجية، فانه يسير بخطى حثيثة على الطريق نحو تحقيق ذلك الهدف.

قد تبدو هذه التوقعات، لاول وهلة، طيبة الى درجة لا يمكن معها تصديقها، خاصة لابناء جيلي النكبة والهزيمة العربية. وقد يبدو، ايضاً، ان فيها الكثير من التفكير الرغائبي او التفاؤل. والحقيقة هي انه لا يمكن توجيه لوم كبير الى المتحفظين من هذه التحليلات، او المشككين في جدواها، في ضوء تجارب الماضي المريرة، وخيبات الأمل التي تلتها. فلا يزال العديد منا يذكر، مثلاً، اعلان الرئيس جمال عبد الناصر، في حينه، عن وجود صواريخ لدى مصر، اطلق عليها اسما «الظافر» و«القاهر»، يصل مداها حتى «جنوب بيروت». ولما جاءت ساعة الامتحان، سنة ١٩٦٧ مثلاً، اتضح انه لم يكن هنالك لا

«قاهر» ولا «ظافر»، ولا غيرهما أيضاً. كما اننا ما زلنا نعيش مع تبجح النظام السوري، مثلاً أيضاً، بأنه يسعى الى اقامة «توازن استراتيجي» مع العدو الصهيوني، حتى اتضح، بعد مرور عقد من الزمن، ان ذلك «التوازن» لم يتحقق فحسب، بل ان المواد الغذائية الاساسية اختفت من الاسواق السورية أيضاً. فالنظام الدمشقي، بدلاً من ان يسعى الى اقامة «التوازن»، انشأ في البلد حكماً استُغل لمصلحة الشلل الحاكمة والمتنفذة. وجرياً على هذا «التقليد» لا ضرورة لأن نستغرب كثيراً ان وجد هناك من قد يزعم ان تصريحات المسؤولين العراقيين حول الردع الاستراتيجي، وما تلاها من ردود فعل ومواقف، محلية وعالمية، ليست الا طبعة أخرى، جديدة، من تصريحات الرئيس عبدالناصر والنظام السوري.

الّا اننا نعتقد بأن هذه المزاعم ليست في محلها. فالوضع، هنا، يختلف بصورة ملحوظة؛ وهناك من المعطيات ما يؤيد ذلك بوضوح.

لقد خاض العراق حرباً ضروساً ضد ايران، استمرت لسنوات، وتمكن من حسمها والانتصار فيها اخيراً. وليس المهم، في هذه التجربة، الانتصار الذي حققه العراق فحسب، الذي كان أول انتصار تحققه الأمة العربية خلال هذا القرن على الاقل، بل ان الأكثر اهمية هي الطريقة التي تمّ بها ذلك، والعبرة الكامنة فيها. فقد وجد العراق نفسه، بعد فترة قصيرة من اندلاع القتال، يخوض حرباً «منسيّة»، ليس هنالك من هو معنيّ بايقافها. ثمّ ما لبثت دائرة المؤامرة ان اتسعت لينضم الى العدو الفارسي حلفاء «استراتيجيون» آخرون، نذكر منهم، على سبيل المثال، سوريا وليبيا واسرائيل، التي وقفت في الحرب الى جانب ايران، ومنها من راح يزودها حتى بالاسلحة. ووقوف العدو الصهيوني الى جانب الفرس ضد العرب ليس جديداً، على كل حال. فمنذ عهد الشاه، كانت اسرائيل تقيم علاقات حميمة مع ايران، والنظامان يتآمران سوية، وبشكل منتظم، ضد المصلحة العربية. صحيح ان الخميني، منذ قدومه الميمون، ناصب اسرائيل العداء، علناً، مؤكداً انه سيعمل على تحرير القدس، الّا انه لم يمر وقت طويل حتى اتضح له، كما يبدو، ان الطريقة المثلى لتحقيق ذلك هي بواسطة السلاح الاسرائيلي. ولذلك راح رسله يعقدون الصفقات، بواسطة بعض الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الاميركية، لشراء السلاح من اسرائيل او من طريقها. ومن قد يستهويه الالمام بتفاصيل هذا الموضوع بامكانه متابعة محاكمة / فضيحة ايران ـ الكونترا التي لا تزال، حتى الآن، موضع النظر لدى المحاكم الاميركية.

ولا غرابة، على كل حال، في هذا التحالف بين النظامين، الايراني والاسرائيلي. ولكن الغريب، والعجيب، والمريب، هو ان تجد دولاً، او بصورة اكثر دقة، حكاماً يسمون انفسهم عرباً يصل بهم الحد الى مساعدة عدو خارجي للأمة العربية، يشن حرباً على احد اقطارها ويحاول انتزاع اراض عربية، اي جزء من ارض الوطن. ويستطيع المرء ان يدرك، بالطبع، ان خلافات سياسية، او غيرها، يمكن ان تنشأ بين هذا النظام العربي، او ذاك، او حتى داخل النظام نفسه؛ وهو ما يمكن، على كل حال، فهمه وتبريره؛ ولكن، ما لا يمكن فهمه ولا تبريره، ولا يجوز كذلك نسيانه، هو اقدام بعضهم على مساعدة عدو خارجي للأمة، يهدف الى اقتطاع جزء من اراضيها، ممّا يشكل جناية خيانية من الدرجة الاولى. وهذا، بحد ذاته، ليس، على اي حال، الّا برهاناً على مدى الانحطاط الذي وصل اليه بعض من ابتُليت بهم هذه الأمة.

ولكن على الرغم من ذلك، وعلى الرغم، أيضاً، من وقوف بعض العرب على «الحياد»، صمد

العراق، وقاتل، وانتصر. ولم يتمّ ذلك، بالطبع، صدفة؛ بل جاء نتيجة جدّ، ومثابرة، وعقلانية، وتصميم، لم نعهد مثلها لدى انظمة عربية أخرى. فللوقوف ضد هذه الهجمة الايرانية الشرسة، جنّد العراق كل طاقاته، واقام شبكة من العلاقات العلنية، وغير العلنية، مع دول عربية (مصر والاردن، مثلاً)، وأخرى اجنبية، مكّنته، بطريقة او بأخرى، من تأمين ما يحتاج اليه من سلاح وعتاد، ثمّ راح يطور اسلحة بنفسه، ومنها، على سبيل المثال، الصواريخ التي فرضت عليه. ونقول «فرضت» لأن العراق، كما هو معلوم، لم يكن البادىء باستعمال الصواريخ خلال الحرب ضد ايران. بل ان بغداد وبعض المدن العراقية الأخرى بقيت تتعرض لهجمات بالصواريخ، من ايران، على الاحياء السكنية فيها خلال فترة غير قصيرة، الى ان قرّر العراق (او تمكّن) من الرد على الصواريخ بمثلها؛ ثمّ راح يطور صواريخه الخاصة به، قالباً الميزان، في هذا المجال، في غير صالح ايران. ولم يوقف النظام الايراني اطلاق الصواريخ على بغداد الّا بعد ان راحت العاصمة الايرانية، طهران، تتلقى «وجبات» من الصواريخ العراقية تعادل تلك التي سقطت على بغداد، او تزيد عليها.

ولم يكن هذا المجال هو الوحيد الذي اظهر العراق فيه كفاءة ونجاعة خلال الحرب؛ بل ان هنالك نواحي أخرى لا تقل اهمية عنه، وكذلك ـ وهذا هو الأكثر اهمية ـ لم نعهد مثلها سابقاً لدى الجيوش العربية. فخلال الحرب الايرانية ـ العراقية تمكّن العراق، في غير مرة، من صد هجمات ايرانية يمكن وصفها بأنها «مرعبة»؛ اذ كان يشارك فيها عشرات، بل مئات، الآلاف من الجنود الايرانيين الذين يهاجمون، في الوقت عينه، على امتداد عشرات الكيلومترات، على طول الحدود. وفي الحالات التي كان الجيش الايراني يحرز اختراقاً، هنا او هناك، ويحتل اراضي عراقية، كان الجيش العراقي، بعد فترة، طويلة او قصيرة، يعيد الكرّة ويطرد الايرانيين من على الاراضي التي احتلوها. والفرق بين هذا المستوى من الاداء ومستوى جيوش عربية أخرى واضح للغاية؛ اذ كدنا «نعتاد» على ان جيوشاً عربية، عندما تدخل في مواجهة، تهزم وتحطّم خلال أيام، واحياناً خلال ساعات. وبعد ذلك يعاد، بالطبع، بناء تلك الجيوش، ولكن من الناحية المادية فقط؛ بينما يبقى الخوف مسيطراً على قادتها الذين يبذلون كل ما في وسعهم لتجنّب مواجهة أخرى مع العدو، ويقرّون له، بالتالي، باختصار شديد، بالتفوق والسيطرة. وتكاد هذه المقارنة تنطبق على اداء الطيران العراقي أيضاً، الذي كان، خصوصاً عندما يشتد القتال، يقوم بعشرات الطلعات، ليلاً نهاراً، فوق الجبهة وفي عمق الاراضي الايرانية. ونذكر مرة، عندما تعرضت بغداد لقصف وحشي بالصواريخ الايرانية استمر متقطعاً، خلال ليلة بكاملها، كيف قدّم العراق، في اليوم التالي، جواباً «مقنعاً»، تمثل في غارات عنيفة شنها الطيران العراقي ـ حسب البلاغ الايراني ـ على ١٥ مدينة ايرانية، في انحاء ايران الواسعة كافة، وفي الوقت عينه، موجهاً ضربات قوية للمواقع الاستراتيجية، والانتاجية، يساهم تدميرها، على وجه العموم، في «تهدئة» خواطر الخصوم والاعداء؛ ودون التعرض، مثلاً، الى التجمّعات السكانية، كما يليق بمن يقاتل بشهامة. وفي هذا المجال، ايضاً، يبرز الاختلاف في الأداء، بالمقارنة مع اسلحة الطيران العربية الأخرى؛ اذ، هنا، أيضاً، كدنا «نعتاد» على ان الطيران العربي يقام ويدعم لكي تدمر طائراته، عندما تحين الساعة، وهي جاثمة على الارض (العام ١٩٦٧ مثلاً)، او لكي تسقط، وتسقط فقط، عندما تطير لتواجه طائرات العدو («المواجهات» التي حصلت بين سلاحي الطيران، السوري والاسرائيلي، خلال السبعينات والثمانينات، مثلاً).

ولا بد من الاشارة، في هذا الصدد، الى ان الموقف السياسي العراقي، خلال تلك الحرب، لم يكن يختلف كثيراً في عقلانيته، وبالتالي نجاعته، عن الموقف العسكري. فقد امتازت سياسة العراق، خلال فترة الحرب بأسرها، بالاعتدال والعقلانية. فالعراق لم يتوقف، خلال الحرب، عن الدعوة الى

ايقاف ذلك القتال، الذي لا فائدة منه، واجراء مفاوضات بين البلدين. وفي هذا الصدد، وجّه الرئيس العراقي النداء تلو الآخر الى الشعوب الايرانية، داعياً الى ايقاف اطلاق النار والبدء بالمفاوضات. كما ان العراق تجاوب، كما هو معلوم، مع المساعي الاقليمية والعالمية كافة، التي بذلتها هذه الجهة، او تلك، لانهاء الحرب. الاّ ان كل تلك المساعي لم تثمر، الاّ بعد ان تمكّن الجيش العراقي من تحطيم العمود الفقري للجيش الايراني، الذي فقد القدرة على ادارة الحرب. وعندها، فقط، اضطر الخميني الى الاعلان عن «تجرّع السم»، على حدّ تعبيره، والموافقة على ايقاف القتال.

ان الحرب الايرانية ـ العراقية هي، الآن، وراءنا؛ وليس هنالك ما يبرر الاعتقاد بأن حرباً مثلها ستنشب ثانية في المستقبل المنظور. الاّ ان ذلك كله لا ينبغي ان يحملنا على التقليل من اهمية الانتصار الذي حققه العراق في تلك الحرب، ومن ثمّ «النعمة» التي منّ الله بها على المنطقة عقب ذلك. وللوقوف على مدى ذلك يكفي، وببساطة، الافتراض ـ لا سمح الله ـ ان ايران هي التي انتصرت في الحرب؛ فلو حصل ذلك، لتمّ تفتيت المشرق العربي، او اجزاء كبيرة منه، الى «دول» طائفية مفككة؛ وراح النظام الايـراني المتخلف والمتعصب والمرَضي، القادم الينا من العصور الوسطى، يعيث في الارض ظلاماً وتأخراً، ويعيد المنطقة نحو قرنين الى وراء! فالنظام الايراني، الذي تجرأ على وصف نفسه بأنه «ثورة اسلامية» لم يتورّع، مثلاً، عن التسبب، باسم مفهومه الخاطىء والمشوه للاسلام، في قتل العشرات، بل مئات الآلاف من المسلمين، ابناء المسلمين. واستناداً الى مثل هذه الذهنية، يمكننا ان نتصور اية مآسٍ أخرى كانت ستحل بالمنطقة، لو تمكّن النظام الايراني منها.

ومثل هذه التحديات الوحشية والمتخلفة، بل لنقل مثل هذه الكوارث، تصح الاجابة عنها بالطريقة الصدّامية فقط، وبالاسلوب الذي تمّ فيه ذلك. صحيح ان العراق تكبد خسائر كبيرة، مادياً وبشرياً؛ الاّ انه لم تكن هنالك طريق أخرى.

*
* *

أثار اعلان العراق عن امتلاكه الاسلحة الكيميائية الاستراتيجية عواطف هوجاء من الانتقادات والتجريح والتشكيك، شاركت فيها دوائر عدة، اجنبية وعربية، رسمية وشعبية. واذا كانت هذه الحملة خفّت مؤخراً، فان في ما بان خلالها من مواقف، واعتبارات، وتبريرات، ما يلفت النظر ويلقي الاضواء على الحقبة الجديدة التي نشاهدها.

وأول هذه «المجموعات» من التعليقات هي تلك التي يمكن وصفها بأنها «تافهة»، تصدر عموماً عن حاقدين وانهزاميين، سواء عرباً كانوا ام اجانب. فمن هذه التعليقات، مثلاً، القول ان العراق يقوم بما يقوم به لدعم زعامته الاقليمية. وحقيقة، لا نرى في ذلك اي ضير. بل قد يكون هذا بالذات هو المطلوب. فخلال نصف القرن الأخير فقط، عرفت المنطقة، ونقصد المشرق العربي، اصنافاً عدة من «الزعامة»، من ملوك ورؤساء وقادة احزاب وتجمعات وتنظيمات وميليشيات، الخ، لم يبرز من بينهم، جميعاً، ولو شخص واحد قادر على اعطاء جواب ناجع على التحدي الصهيوني، وبالتالي الامبريالي، الذي القى بظلاله على المنطقة. لقد صدق عبدالناصر بقوله مرة ان هنالك دوراً في المنطقة يبحث عن بطل؛ وهو دور لم يشغله احد حتى الآن، على اي حال. واذا كان العراق ورئيسه هما من قدّر لهما ان يبدآ بلعب هذا الدور، فليكن ذلك.

ومن هذه التعليقات، أيضاً، ان العراق لم يقم بما قام به خدمة لباقي العرب عموماً، ولفلسطين خصوصاً. وليكن كذلك؛ وربما كان هذا صحيحاً؛ اذ يفترض، اساساً، ان يكون العرب عموماً، والفلسطينيون خصوصاً، اولى من غيرهم بالاهتمام بقضاياهم. الاّ ان ذلك كله لا يمنع، بالطبع، من وضع الانجازات العراقية في خدمة القضية العربية عامة، والفلسطينية خاصة.

ومن هذه التعليقات، كذلك، ان اسرائيل «لن تسمح» لاحد بالتفوق عليها، او بتشكيل تهديد لها؛ وهي اقوال «مألوفة» تعتبر استمراراً للنغمة الانهزامية الاحباطية التي قاسينا منها كثيراً. والحقيقة هي ان اسرائيل، ومن ورائها الامبرياليون الاميركيون «لا يسمحون» بعمل هذا، او ذاك، لمن «لا يسمح» لنفسه أساساً باغضابهم؛ اي ان لعبة «عدم السماح» تطبق على مصطكي الركب الذين لا يجرؤون، لاعتبارات مصلحية او حتى نفسية، على الدخول في مواجهة جذرية. الاّ ان الوضع يختلف تماماً عندما يكون هناك من «يسمح لنفسه»، دون ان يتكلف عناء «طلب الاذن»، بعمل ما يراه مناسباً، ويكون قادراً على تنفيذ ذلك، والالتزام به، وحمايته. ففي فيتنام، مثلاً، وفي كل تلك الحالات، على قلّتها، التي قرر العرب او الفلسطينيون معها التصدي للعدوان الاسرائيلي «يسمح» بأمور كثيرة.

غير ان الاخطر من كل هذه «الفتاوى» ـ وهذا هو بيت القصيد ـ هو ردود الفعل التي صدرت عن بعض الدول الغربية، وفي مقدمها الولايات المتحدة الاميركية، بـ «شجبها» التصريحات العراقية و«استنكارها»، وما تلا ذلك من حملات ظالمة غاشمة راحت تشن على العراق خاصة، والعرب عامة، بهدف تشويه سمعتهم والنيل منهم. والرياء الامبريالي الكامن وراء هذه الحملة واضح للغاية. فالدول الغربية، وفي مقدمها الولايات المتحدة الاميركية، تسمح لنفسها بأن تطور، بصورة منهجية ومستمرة، انواع اسلحة الدمار كافة، جزئياً كان ام شاملاً، وذرية كانت ام بيولوجية او غازية؛ بل انها حتى تتغاضى عن النشاط الاسرائيلي في هذا المجال، انْ لم تكن تؤيده وتدعمه سراً. وعندما يلجأ العرب الى الوسائل ذاتها، للدفاع عن انفسهم في وجه الابتزاز الاسرائيلي الدائم، والمستمر، تقوم القيامة. ولا ينبغي، على كل حال، ان يخدعنا هذا التباكي كثيراً، فالمسألة بسيطة وواضحة للغاية. ان «بلطجيي» العالم، اي الاميركيين وحلفائهم، و«بلطجيي» المنطقة، اي اسرائيل، باتوا يشعرون بالضيق؛ اذ ظهر هناك من راح يتحداهم، وبالتالي يحد من حريتهم في فرض سياساتهم على المنطقة. وتطرق الرئيس العراقي الى هذه الناحية بوضوح، بقوله، في احدى خطبه، ان «اللاعبين الكبار» هم الذين «يلعبون الآن مباشرة ضد العراق، كونه قادراً على حماية نفسه، وعلى الدفاع عن الأمة العربية، اذا تعرضت للعدوان».

لقد خفّت الحملة على العراق، على كل حال، تدريجياً، خصوصاً بعد تصريحات زعمائه بأنهم لا يخططون، ولا ينوون الاعتداء على احد، بل ان ما يهدفون اليه هو منع الاعتداء على بلدهم، ومن ثمّ الرد عليه بحزم، اذا وقع. بل وجد هناك، حتى في اجهزة الاعلام غير الصديقة، من ابدى «تفهماً» لموقف العراق، باعتبار انه يتعرض، فعلاً، لتهديد من اسرائيل، التي لم تنكر يوماً ان لديها اسلحة نووية، كما لم ينكر ذلك احد نيابة عنها؛ وبالتالي، فهو على حق عندما يتخذ اجراءات للدفاع عن نفسه. الاّ ان ذلك كله ليس مدعاة للطمأنينة، باعتبار ان المعركة قد انتهت، بينما لا تزال، في الحقيقة، في بدايتها.

اننا ندرك، بالطبع، ان اسرائيل ليست ايران؛ بمعنى ان الكيان الصهيوني ذو مستوى

تكنولوجي اعلى، من جهة، ويحصل على مساعدات جمّة، في هذا الصدد، من الامبرياليين الاميركيين، من جهة أخرى، واذا لم يحصل عليها، فانه «يلطشها». ولا حاجة، على كل حال، الى التخمين كثيراً في هذه الناحية. فمنذ فترة غير قصيرة تدور مشاورات مستمرة بين اميركا واسرائيل حول منح الأخيرة المعدات والاجهزة والتكنولوجيا الضرورية لتحييد «الخطر» العراقي. واذا لم يكن هنالك ما يبرر التقليل من جدية مثل هذه الاجراءات، او ما شابهها، فانها لا ينبغي، أيضاً، من ناحية ثانية، ان «تخيف» كثيراً، بمعنى انها قد تكون قادرة على تأمين حماية مطلقة للكيان الصهيوني، وبالتالي السماح له بالاستمرار في عربدته. فالمراقبون كافّة، أياً كانت اتجاهاتهم او انتماءاتهم، يكادون يجمعون على انه ليس هنالك ما يضمن أمناً مطلقاً في مثل هذه الحالات. اي انه مهما اتخذت اسرائيل من اجراءات في هذا المجال، تبقى هنالك امكانية ما لأن «يفلت» صاروخ عراقي ويخترق الحصار، او ان يستطيع طيار مقدام الوصول بطائرته الى الهدف؛ اي ان الردع الاستراتيجي الذي قام سيبقى قائماً، أياً كانت الاجراءات الوقائية المضادة التي قد يتمّ اتخاذها. ويفترض، كذلك، ان العراق، مع اتخاذه قراره بخوض معركة الردع والردع الاستراتيجي، لن يبقى ساكناً، مكتفياً باحراز ما أحرزه، بل ان يلجأ الى تطوير المزيد من مقوّمات هذا الردع، وصقلها، وجعلها أكثر فاعلية.

ولعل هذه المعطيات الجديدة هي سبب هذه «العقلانية» اللطيفة التي هبطت مؤخراً على زعماء اسرائيل فجأة. اذ يلاحظ ان هؤلاء، عندما يتطرقون الى المواقف العراقية، يبادرون بالقول ان العراق سيتعرض لضربات كبيرة، اذا «اعتدى» على اسرائيل، ويكتفون بذلك. والفرق بين هذه اللهجة «الظريفة» وبين العربدة السابقة، على غرار ان اسرائيل «لن تسمح» بكذا وكذا، واضح للغاية. وليس الوضع الجديد، بحد ذاته، هو الباعث الى هذا التغيير، بل ما يرافقه، أيضاً، من «مصداقية»، اذا صح التعبير. فلسبب، او لآخر، «يثق» الاسرائيليون بالمصداقية العراقية؛ وهم على قناعة بأن القيادات العسكرية والسياسية في العراق لن تتردد كثيراً في استعمال الاسلحة الكيميائية وغيرها ضد اسرائيل، ان دعت الحاجة الى ذلك. وهذه مصداقية لا تحظى بها جهات عربية أخرى على كل حال، وتشكل، بحد ذاتها، جزءاً من عملية الردع.

وتجدر الاشارة، في هذا الصدد، الى ان لهذه «المصداقية»، أيضاً، حساسية بالغة تغذيها دائماً. فالمعروف ان نسبة كبيرة من السكان في اسرائيل لا تزال تعيش في منطقة قليلة المساحة نسبياً، في تل ـ ابيب الكبرى وضواحيها. وأية ضربة لهذه المنطقة تلحق بالكيان الصهيوني اضراراً بالغة لا يمكن تعويضها؛ بل ان بضع ضربات الى هناك قد تكون بداية نهاية المملكة الثالثة. صحيح ان الحديث عن «غاز» و«يهود» سوية يثير ذكريات اليمة وصوراً بشعة، بل يكاد يعتبر عملاً «غير حضاري»، باعتبار انه يعيد الى الاذهان مآسي الحرب العالمية الثانية. ولكن ما باليد حيلة. لقد عربد الصهيونيون كثيراً، وهدّدوا وابتزوا واعتدوا، وخلفّوا وراءهم سجلاً حافلاً من الجرائم. فاسرائيل، كما هو معلوم، هي اول من ادخل الاسلحة الذرية الى المنطقة، ولم توقّع كذلك على اتفاقيات منع تلك الاسلحة، او الحد من انتشارها، وذلك لكي تكون قادرة على تحدي العرب بأجمعهم، في سياسة لا يمكن وصفها بالذكاء على المدى الطويل؛ اذ بالامكان تحدي امة، كالأمة العربية، تملك طاقات ضخمة، بشرياً ومادياً، خلال فترة من الزمن، قد تطول او تقصر، ولكن ليس من المعقول ان يستمر مثل هذا التحدي، على ما ينطوي عليه من اذلال، قائماً الى الأبد. ففي النهاية، لا بد ان يظهر من قد يستجيب له ويكيل الصاع صاعين. ونقول هذا لاعتقادنا بأن عوامل الردع الاستراتيجي لاسرائيل لن تتوقف عند الذخائر الكيميائية

بل ستتجاوزها، ان عاجلاً او آجلاً، نحو انتاج اسلحة ذرية عربية ايضاً. وكلما تمّ ذلك مبكراً، كان أحسن وأكثر فائدة.

*
* *

ان هذا الوضع الجديد الذي بتنا نعيشه، باحداثه الهامّة والمعطيات التي تشكله، يجعل من العام ١٩٩٠ سنة أخرى، مفصلية، شبيهة بالسنوات ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ و ١٩٨٢، من حيث تأثيرها في تاريخ المنطقة الحديث.

ولا يجوز التقليل من أهمية ما حدث ولا وضعه جانباً؛ ولا الاكتفاء بتوصيفه والتحدث عنه؛ بل العكس من ذلك، ينبغي دعمه وتطويره والافادة منه. فلأول مرة في تاريخ الصراع العربي ـ الاسرائيلي تظهر قوة عربية تستطيع القول «لا» لاسرائيل، ولديها من القوة ما تدعم بها «لاءها». والمعنى العملي لذلك لا ينطوي على تحجيم نفوذ اسرائيل فقط، بل نفوذ من هم وراءها من امبرياليي الغرب، الذين طالما استغلوا هذا القط الاسرائيلي المسمّن لتهديد العرب، وفرض سياسات معيّنة عليهم تصب، في النهاية في مصلحة «اللاعبين الكبار». وهذا الاحتواء للخطر الاسرائيلي لا يخدم مصلحة العراق فحسب، بل مصلحة عرب المشرق عامة، من حيث انه يمكّنهم من انتهاج سياسات استقلالية تخدم مصلحتهم، دون الخوف من ردود فعل الطامعين.

نظرياً، تبدو الطريق ممهدة الى انتهاج مثل هذه السياسات العربية الجديدة، او على الاقل تعديل القديم منها. الاّ ان المسألة لا تقف عند الأسس النظرية فقط، بل تتعداها الى نواح عملية للغاية، تصطدم بالمشاكل المختلفة، داخلياً وخارجياً. ولعل المشاكل التي قد تنجم عن الاوضاع والاعتبارات الداخلية تفوق تلك التي يمكن وصفها بأنها خارجية. فالمنطقة، ونقصد المشرق العربي، تعج بـ «المعتدلين»، من الـ «قادة» او الـ «زعماء»، الخ، الذين ذهبوا بعيداً في «اعتدالهم» وطوّروا تدريجياً نفسية، بل حتى اسلوب معيشة ونمط تفكير، باتوا معه غير قادرين، ذهنياً او نفسياً، حتى على سماع اي حديث عن ضرورة مواجهة التحديات التي تواجه «رعيتهم»؛ وبالتالي راحوا «يتعاطون» الانهزامية، فيعيشون في كنفها، ويبشرون بها. وتكاد تشعر بلسان حال هؤلاء يقول «اللهم حسن الختام»؛ فهم قانعون بما لديهم، همّهم الامتناع عن اغضاب اسرائيل وسادتها. والى جانب هؤلاء تجد طوابير من «المفكرين» و «الكتبة» ممن «يتجلون» وهم يصفون قدرة اسرائيل على البطش، والاضرار التي يمكن ان تلحقها بالعرب، فيثيرون بذلك الرعب والاحباط، دون ان يكلفوا انفسهم، بالمقابل، عناء التفكير في ما ينبغي عمله لاحتواء الخطر، او اقتراح الخطط لذلك، وانْ كانت نظرية. وينبغي ان لا نستغرب، والحال هذا، اذا تحالف هؤلاء الانهزاميون تحت شعارات «الواقعية» و «الاعتدال» وراحوا يفتّون من عضد العراق، او من يؤمن باسلوبه، داعين الى «الحكمة» و «التروّي»، وكذلك، مثلاً، الى نزع السلاح من منطقة الشرق الاوسط، في عالم لا ينزع احد فيه سلاحه، الاّ بعد ان يكون قد استبدله، او استعاض عنه، بسلاح اكثر فتكاً.

غير انه على الرغم من كل هذه العوائق، نرى ان الريح تهب في الاتجاه المعاكس، او، على الاقل، لا يمكن الاّ ان تهب كذلك. فقد بات واضحاً للعيان ان الاعتدال، الذي يخفي ضعفاً، وبالتالي انهزامية، اصبح عديم الجدوى. فالاخطار والتحديات التي يواجهها العرب، على

الصعيدين، الاقليمي والعالمي، تزداد شراسة وحدة؛ ولا بد، في نهاية الأمر، من التعامل معها بحزم، واستناداً الى القوة.

فعلى الصعيد الاقليمي، اولاً، قدّم الفلسطينيون والعرب، خلال العقد المنصرم على الأقل، تنازلات كثيرة ومشاريع سلام مختلفة، دون جدوى. ويبدو ان هذه المشاريع ستبقى كذلك، اي دون جدوى، ما لم يتم دعمها بالقوة. وفي مثل هذا الوضع يتبادر الى الذهن اقتراح «بسيط» وعملي للغاية، وهو العمل جدياً لاعادة احياء الجبهة الشرقية، التي يمكن ان تضمّ، بداية، كلاً من العراق والاردن والفلسطينيين. ان كل واحد من هذه الاطراف الثلاثة شعر جيداً، ولا يزال يشعر، بالخطر الاسرائيلي الذي يتهدده، وسيبقى يتهدده ما لم يتم احتواؤه، ومن ثمّ ازالته. لقد كانت الجبهة الشرقية حلماً دائماً لدى بعض الاستراتيجيين العرب، حالت دون تحقيقه موانع عدة، لا مجال للتطرق اليها هنا. ولكن، الآن، يبدو ان الوقت قد حان لذلك، واصبح المشروع قابلاً للتحقيق. فمع احتواء الابتزاز النووي الاسرائيلي، تعود القوى التقليدية لتحتل حيزاً هاماً. وفي هذا المجال، العرب هم الأكثر عدة وعدداً، او يستطيعون ان يصبحوا كذلك دون عناء كبير. ولا حاجة الى التذكير بأن جبهة شرقية نشطة ليست، بالنسبة الى الصهيونيين، مما يمر عليه مرور الكرام، او لا يكترث به. وقد لا يمر وقت طويل على اقامتها، وما ان يتّم ذلك، حتى تبدأ اسرائيل باعادة حساباتها وتتجه نحو «عقلانية» شبيهة بتلك التي يتميز بها بعض العرب.

وعلى الصعيد العالمي، ثانياً، تبدو التحديات الموجهة ضد العرب اكثر عمقاً. ففي العقد الأخير من القرن العشرين تشهد مناطق واسعة من الكرة الارضية اعادة رسم خرائطها السياسية، والاقتصادية. فالمعسكر الشرقي يتفكك، ويبدو انه سيختفي بصفته تلك، فيما يلهث معظم دوله، ان لم يكن كلها، للالتحاق بالغرب، او التشبّه به، او مراعاته. واوروبا تتجه نحو الوحدة الاقتصادية ـ السياسية، محاولة ايجاد دور اكبر لها في العالم. وهذه التطورات تجعل النفوذ الغربي عموماً، والاميركي خصوصاً، الأكثر طغياناً؛ وهو نفوذ ليس في مصلحة العرب عموماً، والذين، بدورهم، يفترض ان لا يسمحوا لانفسهم بالبقاء تحت رحمته.

وفي مثل هذه الاوضاع، وعلى هذه الارضية، يبدو التطور التكنولوجي العسكري، الذي يفترض ان يجرّ تطوراً اقتصادياً مدنياً ايضاً، والذي يقوده العراق نيابة عن العرب، هو الاسلوب الامثل لمواجهة تلك التحديات.

الانتفاضة ومفهوم المقاومة المدنية

محمد خالد الأزهري

الاصل في أي حركة تحرر هو الرفض؛ رفض الاستعمار والاستغلال والاستبداد والتبعية وأشكال القهر كافة. وحينما يصل الشعب، أي شعب، الى هذه القناعة يبدأ بالبحث في وسائل الحركة النضالية. ولكل حركة نضالية بيئتها المحيطة ومناخها؛ ومن هنا تتعدد الوسائل النضالية المتاحة. ومن يقدّر له متابعة مسار حركة التحرر الفلسطينية سوف يتوقف مطولاً عند الاساليب والوسائل الكفاحية التي سلكتها هذه الحركة عبر تاريخها الذي زاد على القرن. فمن سمات الحركة هذه انها ثابتة على رفضها للاستعمار، على اختلاف العباءات التي تدثّر بها، وانها كانت، دوماً، قادرة على اعادة التكوين واستخدام كل الوسائل المتاحة للتعبير عن ارادة الاستقلال. وفي هذا السياق، استطاعت الحركة هذه ان تسلك دروباً سبق لحركات تحرر أخرى سلوكها، واستطاعت ابداع وسائلها الكفاحية الخاصة بها، لكي تصبح، بذلك، نسيج وحدها ونموذجاً غير مسبوق.

موضوع هذا البحث هو النموذج النضالي للانتفاضة الفلسطينية الكبرى، في ضوء مفهوم المقاومة المدنية. في هذا الاطار، يعرض البحث لمفهوم المقاومة المدنية، ويعرّف بعض المصطلحات المرتبطة به، ويحاول استخلاص شروط هذا الاسلوب النضالي، وأدواته، أو اسلحته، ويتناول، في عجالة، الجدل الفكري بين مؤيدي المقاومة المدنية ومعارضيها، ويقدّم لمحات تاريخية عن التطبيق الفلسطيني للنضال المدني. وفي نقطة أخيرة، يجتهد البحث في اختبار مدى جدوى المقاومة المدنية لمواجهة نموذج الاحتلال الاسرائيلي في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بشكل خاص.

مفهوم المقاومة المدنية

في سياق انتهاج حركة التحرر الفلسطينية المعاصرة للعنف، واعتباره، لفترة طويلة، الاسلوب الوحيد لمواجهة الاستعمار الصهيوني، استحوذت المفاهيم المرتبطة بالعنف، كحرب التحرير الشعبية والعنف الثوري والكفاح المسلّح وحرب العصابات، على الاهتمام، على صعيدي الفكر والحركة. ولم تحظ المفاهيم المرتبطة باللاعنف سوى بالقليل من العناية، إنْ كان ثمة انشغال بها على الاطلاق. هذا على الرغم من ان تحديد المفاهيم المرتبطة بالتجارب النضالية هامّة بوجه عام، وذلك من الناحيتين، النظرية والعملية. نظرياً، يعني هذا التحديد استجلاء المقصود على وجه الدقّة عند استخدام مصطلح بعينه، في وضع بعينه، الامر الذي يزيل الخلط والغموض من ذهن المتابعين، وبخاصة من غير المتخصصين. وعملياً، يساهم التحديد في التعرّف على الاختلافات النسبية بين تجربة نضالية تاريخية وأخرى، وكذلك التعرّف على التطوّر التاريخي لتجربة نضالية معيّنة، والعناصر الحاكمة لهذا التطور بين مرحلة وأخرى. وعلى سبيل التوضيح الموجز، نشير، من الناحية النظرية، الى كيف انه كما

يتضمّن مفهوم المقاومة بالعنف سلسلة طويلة من الافعال، تتدرج من استخدام الصفعة واللكمة، مروراً بكل أنواع الاسلحة التقليدية، وانتهاء بأسلحة الدمار الشامل، فان مفهوم المقاومة المدنية، أو المقاومة باللاعنف، يتضمّن انماطاً فرعية كثيرة، تتدرج، بدورها، من مجرد النظر الى الخصم شذراً، كتعبير عن الاحتقار، أو تعليق شارة معيّنة في مكان ظاهر على الملابس، مروراً برفع الاعلام والشعارات والقاء الخطب في الجموع، وانتهاء بحالة العصيان المدني الشامل.

ومن الناحية العملية، تنمّ متابعة الخبرات التاريخية لتجارب المقاومة المدنية عن ان هذا النمط يستخدم في أكثر من سياق، فبعض أشكاله يقع في اطار العمل على تحقيق مطالب محدودة (كاضراب عمّال احد المصانع بهدف تحسين أجورهم، أو خفض ساعات العمل)، وبعضها يقع في اطار الرغبة في اجراء تغيير شامل للنظام الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، داخل دولة معيّنة (كالثورة الايرانية التي أسقطت نظام الشاه)، وبعضها يقع بغرض تحقيق تغيير في جانب محدّد دون التغيير الشامل (كسعي جماعات الحقوق المدنية للسود في المجتمع الاميركي وازالة التفرقة العنصرية). وقد تتبنّى قيادة شعبية ذات مواصفات خاصة المقاومة المدنية، بمختلف أشكالها، كمبدأ لمقاومة الاستعمار، وتحقيق الخلاص والاستقلال والتحرر الوطني. ولعلّ أشهر أمثلة هذا النموذج، في النصف الاول من القرن العشرين، قيادة المهاتما غاندي، الذي أثرى هذا المبدأ، من حيث النظرية والتطبيق في الهند.

المقاطعة

يقصد بها الامتناع عن التعامل اجتماعياً، أو اقتصادياً، أو سياسياً، مع جماعة، أو سلطة، لابراز السخط وعدم الرضى وتحقيق مطالب معيّنة. ويشار اليها، احياناً، بـ «عدم التعاون». وفي المجال السياسي، تعدّ المقاطعة احد أسلحة العصيان المدني. وقد برز المظهر السياسي للمقاطعة منذ أواخر القرن التاسع عشر، إبّان حركة تحرير ايرلندا ضد السيطرة الانكليزية. وبدأت بامتناع الفلاحين عن التعامل مع وكيل احد اللوردات الانكليز من اصحاب الاقطاعات الزراعية في ايرلندا. ومنذ ذلك التاريخ، عرفت المقاطعة في اللغات الاوروبية باسم boycott وهو اسم ذلك الوكيل الانكليزي[1]. والمقاطعة قد تكون ضد دولة بأكملها؛ كما قد تتمّ على نطاق أضيق بكثير. ومن التجارب العربية المبكرة لاستخدام المقاطعة ضد القوى الاستعمارية، القرار الذي اتخذته لجنة الوفد المصرية، التي أسست، فيما بعد، حزب الوفد المصري المعروف. وقد جاء في القرار: «يجب على كل مصري ان يقطع العلاقات الاجتماعية مع الانكليز. والغرض منه ان يشعر الانكليز بعزلتهم عن جميع عناصر الأمة. وعلى المصريين ان يسحبوا ودائعهم من المصارف الانكليزية. وعلى التاجر المصري ان يحتّم على عملائه في الخارج ان لا يشحنوا بضائعهم [في] سفن انكليزية. ويجب تفضيل المصنوعات الوطنية، ومقاطعة التجار الانكليز تماماً. وعلى الأهالي تجاهل وجود الموظفين الانكليز، وان يرفعوا أعمالهم الى الموظفين المصريين»[2]. وتعدّ المقاطعة الفلسطينية للتعامل مع السلطة البريطانية إبّان ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ من أبرز الامثلة على تجربة المقاومة الفلسطينية الممتدة للاستعمار الغربي ـ الصهيوني. كذلك، فان الحركة الصهيونية أقدمت على شكل من المقاطعة للتعامل مع الجانب العربي الفلسطيني، وذلك في سياق مسعاها الرامي الى تطبيق ما عرف بمبدأ «العمل العبري»، منذ مطلع الثلاثينات.

تستخدم المقاطعة، أيضاً، في مستويات التعامل الداخلي في المجتمع، كوسيلة لضرب المحتكرين لسلعة معيّنة، وذلك بالامتناع عن استخدامها، أو عن شرائها. وعلى المستوى الدولي، تعدّ

المقاطعة احدى وسائل فرض العزلة والتضييق على بعض النظم المعتدية، أو التي تنتهج سياسات معيّنة لا ترضى عنها المجموعة الدولية، أو بعض الدول. ومن ذلك، مقاطعة معظم دول العالم لنظام جنوب افريقيا العنصري. وقد نص على هذا النمط من المقاطعة كأسلوب لمعاقبة بعض الدول في كل من عهد عصبة الامم وميثاق الامم المتحدة. ولعل أشهر قرارات المقاطعة الدولية، وأطولها عمراً، قرار الجامعة العربية، منذ أكثر من أربعة عقود، بمقاطعة التعامل الاقتصادي مع اسرائيل.

العصيان المدني

يطلق على العصيان المدني، احياناً، وبخاصة في الادبيات الغربية، «المقاومة السلبية». وهو مفهوم يشير، من الناحية الوصفية، الى «أي فعل، أو اجراء عملي، يتمّ بقصد تحدي قوانين، أو سياسات، أو حالة قائمة (كالاحتلال الاجنبي)، يتمّ فرضها بواسطة سلطة حاكمة، أو قوة قاهرة. والعصيان قد يكون ايجابياً، أو سلبياً. فعندما يتمّ القيام بأعمال لا ترغب فيها السلطة الجائرة يكون ايجابياً؛ وعندما يتمّ الامتناع عن إتيان أعمال ترغب السلطة فيها، يكون سلبياً. غير انه في مختلف الحالات، يعتبر العصيان، من وجهة نظر السلطة، عملاً غير قانوني، أو غير مشروع؛ كما ان القائمين به يتصرفون، دوماً، وفي اعتبارهم ان تصرّفهم يتناقض وتطلعات السلطة المفروضة عليهم؛ ومع ذلك، فانه يمثّل نضالاً مشروعاً من وجهة نظرهم. ومن ضرورات الشروع في العصيان الاعلان عن الاهداف المتوخّاة منه[٣]. وفي معظم الحالات يندرج نمط العصيان في اطار رغبة جماعية، قد تكون رغبة شعب بأكمله، في مواجهة مواقف محددة يرى هؤلاء ان السبل القانونية غير مجدية في مواجهتها[٤]. لذا، فانه لكي نكون بصدد عصيان مدني، يجب ان تتمّ الحركة من قبل جماعة كبيرة، أو شعب بأسره، ولأهداف محدّدة، معلنة، تخدم الصالح العام لهذه الجماعة، أو لهذا الشعب. هذا مع ملاحظة ان الاهداف المطلوب تحقيقها غالباً ما لا يتمّ الاعلان عنها دفعة واحدة، وانما يتمّ ذلك بشكل متدرج، وفق خطوات محسوبة. ومن الشروط الواجب توفّرها في هذه الاهداف ان تكون من النوع الذي يشير نظام القيَم العامة والاخلاق المتعارف عليها على أوسع نطاق، بما في ذلك القيَم والاخلاق، أو المثل التي يعلن الخصم عن تبنّيها. بعبارة أخرى، فان الاهداف النهائية للحركة ينبغي ان تكون مقبولة، ومتماشية، لما يعلن الخصم عن انه متمسّك به من مبادىء وقيَم، بغض النظر عن كون هذا الخصم ملعوناً من قبل الجماعة، أو الشعب، او انه لا يتمسك، في الواقع الفعلي، بما يعلنه من تصوّرات خلقية وانسانية[٥]. ومثال ذلك ان معظم القوى الاستعمارية أعلن عن تمسّكه بحق تقرير المصير للشعوب، وبالديمقراطية، والحرية، والعدالة، الخ؛ وهو سلاح يرتد على القوى الاستعمارية حين تعلن حركة العصيان في بلد محتل عن انطلاقها من هذه المبادىء والحقوق. فاذا كان الخصم من النوع الذي تناقض مبادئه المعلنة القيَم العامّة، فان على حركة العصيان ان لا تتناقض، في اهدافها، مع ما هو مقبول لدى المجتمع المراقب في الخارج. ان هذا الالتزام بالقيَم الانسانية، والقوانين، والاعراف، الدولية هو الذي يجذب، في النهاية، التعاطف الانساني والدولي العام مع اهداف الحركة؛ ومن ثمّ تأييدها ومساندتها. ومن الناحية التاريخية، فقد استقرت القواعد الفلسفية للعصيان المدني عميقاً في الفكر الغربي. حدث ذلك بالتسلسل على يد مفكرين سياسيين، مثل شيشرون وتوماس الاكويني وجون لوك وتوماس جيفرسون، وتجسّد، أيضاً، في كتابات بعض كبار الادباء، مثل ليو تولستوي الذي كان لفكره تأثير بالغ في منهج غاندي أكثر من ساهم في تشكيل المفهوم في هذا القرن[٦].

اللاعنف

يشير مفهوم اللاعنف، عموماً، الى «استبدال الحرب المسلّحة بالحركة السلمية، على

المستويات الفردية، والجماعية، والدولية». وينقسم مؤيدو هذا المبدأ الى ثلاث مجموعات: تضمّ المجموعة الاولى أولئك الذين يعارضون الحروب عموماً، مع تأييدهم للحروب الثورية، بما فيها حروب التحرير؛ وتضمّ المجموعة الثانية أولئك الذين يدينون الحروب العدوانية، ولكنهم يساندون الحروب الدفاعية الهادفة الى حماية الوطن والأمة ضد أي هجوم خارجي، بمعنى انهم يفرّقون بين الحرب العدوانية والحرب العادلة؛ وتضمّ المجموعة الثالثة من يعارضون كل أنواع الحروب، بغض النظر عن الاسباب التي قد تتذرّع بها الاطراف المتحاربة.

وقد وسّع البعض نطاق هذا المبدأ لكي يشمل، عندهم، امكانية استخدامه لتحقيق العدالة الاجتماعية، والقضاء على الظلم والتمييز العنصري بكل أشكاله. ويمكن العثور على جذور اللاعنف، من الناحية الفلسفية، في الديانات المختلفة التي حضّت على قداسة الحياة الانسانية، واعتبرت احترام هذه الحياة من احترام خالقها. كذلك، فقد أكد الفكر الرومانسي الانساني، الذي توسّع في القرن التاسع عشر، ضرورة احترام الذات الانسانية، وعدم اهدارها. وعارض الفكر الماركسي الاشتراكي مبدأ الحرب، معتبراً انها تندلع بارادة النظم الرأسمالية، ولا تخدم سوى مصالحها.

على صعيد الحركة، بدأت الجماعات المنادية باللاعنف بالانتشار منذ القرن التاسع عشر، وبخاصة في الولايات المتحدة الاميركية، في أعقاب الحرب الاهلية. وفي العام ١٨٩٢، قام السير وليام كريمر الانكليزي، وفردريك باسي الفرنسي، بتأسيس اتحاد برلماني اتخذ له مكتباً في سويسرا، وأعلنا ان من اهدافه العمل على منع الحروب. وسعى الاتحاد، بالفعل، الى عقد معاهدات دولية من شأنها تحقيق هذا الهدف وتسوية جميع الخلافات سلمياً. والواقع، ان القوى الاوروبية لم تقتنع باللاعنف وبالافكار اللصيقة به؛ لكن سعة الدمار الذي نجم عن الحرب العالمية الاولى أعطت دفعة لهذا المبدأ، وتكثّفت الجهود الداعية اليه. وقد جاء انشاء عصبة الامم المتحدة منسجماً مع هذا الاتجاه. وكانت حركة المهاتما غاندي وأفكاره، بين العامين ١٩٢٠ و١٩٤٨، من أكثر الظواهر التي أعطت دفعة قوية له. ثمّ جاء شيوع خطر أسلحة الدمار الشامل، بعد الحرب العالمية الثانية، لكي يعزز اتجاهات اللاعنف، بحيث أُنشئت روابط وجمعيات في مختلف انحاء العالم، كان همّها، ولا يزال، الدعوة الى التخفيف من الميول العسكرية ومنع العنف[٧].

وفي ما يتعلق بمضمون اللاعنف، رأى جين شارب، وهو من كبار المنظّرين المعاصرين للمبدأ، انه «أسلوب سياسي ينبغي ان يفهم ويقوم وفقاً لمنطقه الخاص. ويجب ان لا يتمّ تعتيمه بمقارنته بظواهر أخرى قد تختلط به، ولكنها ليست منه في شيء. ومن هذه الظواهر المعتقدات الدينية التي تحثّ على نبذ العنف ونشر مبادىء الصداقة والتعاون وما شابه. فما يدعو مجموعة من الناس الى اختيار الكفاح اللاعنيف هو الايمان بأن هذا النمط من النضال يزيد في فرص نجاحهم في الصراع ضد الخصم لا أكثر. اللاعنف، مبدأ كفاحي للتحرر أو التخلّص من قوة قاهرة، كالاحتلال الاجنبي والنظم الجائرة والقوانين المجحفة. بهذا المعنى السياسي، فان اللاعنف هو أسلوب، أو مبدأ، تستخدم فيه ادوات اجتماعية، ونفسية، وفكرية، واقتصادية، وسياسية، لممارسة الضغوط وفرض العقوبات دون اللجوء الى أدوات عنيفة. ويندرج تحت هذا الاسلوب ما يقرب من مئتي أداة؛ ويطلق على هذه الادوات، أيضاً، أسلحة اللاعنف...»[٨]. وحصر شارب هذه الاسلحة في ثلاثة مستويات، هي:

(أ) الاحتجاج اللاعنيف والاقناع: ويتضمّن هذا المستوى العديد من الأفعال الرمزية

لاظهار المعارضة للخصم، أو لاقناعه. ومن ذلك ارسال الخطابات، واعلان بيانات الرفض، ورفع الالتماسات والعرائض، وتعليق الاعلام، وكتابة المقالات، وتكوين جماعات الضغط، وارسال الوفود، واقامة الصلوات، وعرض المسرحيات والاعمال الفنية، والمسيرات، والحداد الرسمي، والاحتجاجات الجماعية، والحلقات المدرسية، والاضراب عن العمل.

(ب) عدم التعاون الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي: يحاور هذا المستوى حول مفهوم المقاطعة بالمعنى المشار اليه في موضع سابق. ويعني «الانقطاع عن الاستمرار في علاقات معيّنة قائمة وتحدي هذه العلاقات». وقسم شارب عدم التعاون الى ثلاث مجموعات رئيسة تشمل الكثير من الافعال المحددة. أولها، المقاطعة الاجتماعية، التي تشمل الاضرابات الطلابية والانقطاع عن العمل ورفض اقامة علاقات اجتماعية من أي نوع مع الخصم؛ وثانيها، المقاطعة الاقتصادية التي تأخذ شكلين أساسيين، هما المقاطعة الاقتصادية والاضرابات، وكلاهما يدور حول فكرة رفض، أو ارجاء، الاستمرار في علاقات اقتصادية معيّنة مع الخصم؛ وثالثها، المقاطعة السياسية التي تهدف الى رفض أشكال المشاركة والحركة السياسية في ظل الظروف القائمة. وثمة ثمانية وثلاثون فعلاً محدداً تستطيع الجماهير، من خلالها، التعبير عن هذا الجانب، منها سحب التأييد للحكم القائم، ومقاطعة الاجهزة التشريعية أو الانتخابات، ومقاطعة الاحزاب والمنظمات الحكومية، وعصيان القوانين غير الشرعية، وعدم التعاون مع القضاء، ونحو ذلك.

(ج) التدخل اللاعنيف: ويعني التدخل المباشر لتدمير، أو لاعاقة، علاقات، أو أوضاع، قائمة، أو لارساء انماط جديدة من السلوك. وتأخذ ادوات هذا المستوى أشكالاً مختلفة نفسية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، واحياناً جسدية. ويشمل التدخل اللاعنيف واحداً وأربعين فعلاً محدداً، مثل الصيام، والاعتصام، والاحتلال اللاعنيف للارض أو المنشآت، واقامة المؤسسات الاجتماعية البديلة، واقامة الاسواق البديلة، وانشاء المؤسسات الاقتصادية الخاصة، وتخطي النظم الادارية. التدخل اللاعنيف، والحال هذا، يقوم على أخذ زمام المبادرة من الخصم لاحداث التغيير، وليس فقط مجرّد التعبير عن الاحتجاج على سياسات الخصم وتصرفاته.

وشرح شارب الآلية التي يطرح اللاعنف بواسطتها تأثيره، فرأى ان الكفاح اللاعنيف يتمّ بحشد القوى الاجتماعية في مواجهة الخصم، الذي عادة ما تكون له قدرات متفوّقة، مادياً. وقد يكون هذا الخصم جهاز سلطة الاحتلال في الحالات الاستعمارية، أو جهاز الدولة في نظام دكتاتوري، ويستخدم الخصم الجهاز ضد المحتلة أرضهم، أو المحكومين عموماً. لكن استمرار قوة الخصم تعتمد، أساساً، على اذعان المحكومين وتعاونهم، من خلال اطاعة الأوامر، وتنفيذ القوانين واللوائح، وممارسة أعمالهم المعتادة في ظل ظروف الاحتلال أو القهر غير المعتادة. فاذا رفض المحكومون تنفيذ رغبات الخصم، وقرروا عدم التعاون، أو العصيان، فسوف يكون لزاماً عليه استخدام أكثر الوسائل إكراهية وفرض العقوبات. ولكي تكون العقوبات فعّالة لا بد من ان يتراجع المحكومون؛ فاذا لم يتمّ هذا التراجع وشحذ هؤلاء ارادتهم في مواجهتها، تصبح قوة الحكام غير ذات جدوى، ويصبح نظامهم مهدّداً تماماً. بعبارات أخرى، تستند فعالية العقوبات التي يفرضها الخصم الى خوف المحكومين. فاذا ما قلّ هذا الخوف، أو انتهى، وبرز بدلاً منه الاستعداد لتحمّل المعاناة، كثمن للتحرير والتغيير، يصبح عدم التعاون الشامل ممكناً، كما تكون القوة الحقيقية في جانب المحكومين.

لا شك في ان ملاحظة التعريفات السابقة لأنماط المقاومة المدنية المذكورة تشي بالاسباب

التي تدعو الى تشابكها في الذهن. فهي، جميعاً، تدور في فلك فكرة أساسية هي الابتعاد من العنف. لكن الذين عركوا بعض هذه الانماط، أو مارسوها عملياً، تحدثوا عن فوارق معيّنة فيما بينها. فغاندي، وهو من أهمّ آباء نمط المقاومة باللاعنف، اعتبر ان المقاطعة لا تعني العصيان المدني؛ فالمقاطعة عنده تعني رفض التعامل مع الخصم ـ وهو في هذه الحالة المستعمر وكل رموزه ـ وهذا الرفض يستطيع ان يقوم به كل عناصر الشعب وطبقاته وشرائحه، وليس الخاصة من أبناء الشعب الذين يظلون على صلة بالقوانين التي يفرضها الخصم. امّا العصيان المدني، فينطوي، أساساً، على خرق القوانين من قبل عامة الشعب وخاصته، على السواء. بعبارة أخرى، يعدّ نمط المقاطعة أضيق نطاقاً، وخطوة على الطريق، مقارنة بنمط العصيان المدني الشامل. لذلك، يلاحظ ان غاندي قد أعلن، في آب (اغسطس) ١٩٢٠، حملة المقاطعة الشاملة ضد المستعمرين البريطانيين، طالباً من أبناء الشعب الهندي رفض التعامل الاجتماعي، والاقتصادي، مع المحتلين البريطانيين، دون ان يدعو، في ذلك الحين، الى عدم دفع الضرائب[٩]. وظلت حملته تراوح في حدود المقاطعة وعدم التعاون حتى تاريخ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٠، وأعلن ان ذلك اليوم هو يوم استقلال الهند[١٠]. كذلك، يوجه بعض المصادر النظر الى ضرورة التمييز النسبي بين نمط العصيان المدني ونمط اللاعنف. فالعصيان لا ينفي اللجوء الى قدر من العنف، وقد يتزامن العصيان مع العنف المسلّح ويتواكب معه؛ أمّا اللاعنف، فانه ينفي اللجوء الى أي قدر من العنف[١١]. ويبدو ان اصحاب هذا الرأي محقون تماماً؛ فثمة تجارب للمقاومة ترافق فيها استخدام العصيان المدني مع قدر كبير من العنف، أو الكفاح المسلّح، مثل ثورة فلسطين الكبرى (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩)، ونموذج المقاومة النرويجية للاحتلال النازي، في اثناء الحرب العالمية الثانية[١٢]. وفي الوقت عينه، كان غاندي حريصاً على ان لا تشوب حركته شائبة عنف، حتى انه أعلن تعليق حملة المقاطعة التي بدأها في العام ١٩٢٠ بعد عامين، اثر وقوع حوادث عنف؛ واعتبر ان الاجواء لم تتهيّأ، بعد، لأفكاره حول اللاعنف المطلق[١٣].

على أي حال، فان الفروق النسبية بين هذه المفاهيم ليست بالدرجة التي تحفّز على تناولها بمعزل عن بعضها البعض، سواء من حيث الفكر او من حيث الحركة. ويبدو ان الوعي بهذه الملاحظة هو الذي قاد البعض الى استخدام مفهوم «المقاومة المدنية»، كمفهوم جامع عام يدل على الخصائص المشتركة بين المفاهيم المشار اليها وما يشابهها في حال مقاومة الاحتلال الاجنبي، ثمّ تقسيمها الى مجموعتين فرعيتين؛ تضمّ الاولى الانماط الدنيا للمقاومة المدنية، ومنها رفض قرارات وأوامر سلطة الاحتلال ورفع العرائض والشكاوى واللجوء الى القضاء وتعليق الاعلام والشعارات وتوزيع المنشورات والتعبير بالفنون المكتوبة والمسموعة والمرئية واعلان الاحتجاجات؛ وتضمّ الثانية الانماط العليا للمقاومة المدنية، ومنها الاضرابات الاقتصادية والسياسية والتظاهر والاعتصامات ونحو ذلك من التعبيرات الجماهيرية[١٤].

ان هذا التصنيف غالباً ما يناسب التحليل الدراسي. والمتصور ان الواقع العملي لتجربة من تجارب المقاومة المدنية يشهد تواكب هذه الانماط جميعها. بيد ان الفارق يتضح ليس فقط على المستوى الدراسي، ولكن، أيضاً، عند ملاحظة اي تجربة في اطارها الفعلي، عندما يتمّ التصنيف بين نموذج للمقاومة المسلّحة العنيفة وآخر للمقاومة المدنية، أو عند انتقال احدى التجارب من نموذج الى آخر من هذين النموذجين. وهكذا، يمكن الحكم على الانتفاضة الفلسطينية، المتفاعلة منذ نهاية العام ١٩٨٧، على انها أقرب الى نموذج المقاومة المدنية. بينما يمكن القول ان المقاومة الفلسطينية قبل الانتفاضة، ومنذ العام ١٩٦٧ بخاصة، كانت أميل الى نموذج المقاومة المسلّحة العنيفة.

محدّدات المقاومة المدنية

المقصود بالمحدّدات، في هذا الموضع، مجموعة من الخصائص التي يساعد وجودها في مجتمع معيّن على خوض النضال المدني بشكل أكثر فعالية. فالمقاومة المدنية لدى دعاتها والمنادين بها لا تقل شأناً عن المقاومة المسلّحة، ذلك انها تحتاج الى مقوّمات ومتطلبات، مثلها في ذلك مثل أي معركة يتمّ خوضها بالكفاح المسلّح؛ كما انها ترمي الى تحقيق النتائج ذاتها التي يسعى العنف الى تحقيقها. ومن خلال متابعة مسار بعض التجارب التاريخية في هذا المجال، وبعض الادبيات الخاصة بها، يمكن القول ان من أهمّ محدّدات المقاومة المدنية ما يلي.

١ ـ الاوضاع البنيوية للمجتمع: ويقصد بها وجود مختلف المؤسسات التي تتركز فيها مواضع القوة الاجتماعية، كالأسرة والطبقات الاجتماعية والجماعات الثقافية والدينية والاقتصادية والمهنية والتعاونيات والمنظمات الطوعية والاحزاب السياسية والمدارس والجامعات وغيرها من البنى. ورأى شارب انه على الرغم من ان كثيراً من هذه البنى يكون راسخاً في المجتمع، الّا ان بعضها قد ينشأ في غمار تطوّر عملية المقاومة. وهامّ في هذا الشأن، ملاحظة مستوى القوة التنظيمية للبنى وأسلوب صنع القرار داخلها، وتماسكها الداخلي، ومستوى تدفّق الاتصال داخلها، من جهة، وبين بعضها البعض، من جهة أخرى، ودرجة انتشارها في المجتمع، واستقلالها المادي. وعموماً، فان المجتمع الذي توجد فيه بنى مؤسسية يملك القدرة على العمل المستمر المستقل، ويستطيع الولوج في حركة المقاومة بصورة أقوى بكثير من المجتمع الذي لا تتوفّر فيه هذه الخصائص[١٥]. المقاومة المدنية، ببساطة، تحتاج الى وجود المجتمع المدني المنظّم، من خلال أطر مؤسسية، الذي يمكنه العمل اجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً، بمعزل عن سلطة الاحتلال، لأطول مدة ممكنة.

٢ ـ الشجاعة والاستعداد للتضحية: ان سلوك المقاومة المدنية يحتاج الى قدر خرافي من الشجاعة ونزع أي خوف داخلي. ودون ذلك، فان الحركة سوف تتعرّض للفشل. قال غاندي: «ان الجبن يلازم الرجل المسلّح حتى أسنانه، بينما لا يتصور ان يشرع انسان في مواجهة الخصم المسلّح باللاعنف، الّا اذا بلغ درجة من الشجاعة لا يشوبها شيء من التردد»[١٦].

٣ ـ ضبط النفس: يعدّ ضبط النفس حاجة ضرورية للشروع في أنماط المقاومة المدنية. ذلك ان سلطات الاحتلال تسعى، دوماً، الى جرّ جماهير المقاومة نحو استخدام العنف الذي تجيد التعامل معه والرد عليه بأضعاف مضاعفة. وقد وصف غاندي احد معاركه مشيراً الى ما أثبته، وأتباعه، من كبح النفس والصبر على استفزاز سلطات الاحتلال البريطانية، فقال: «كنا نتقدم في سبيلنا، فتعترضنا بنادق الجنود، فلا نكترث؛ ويطلقون النار فيسقط من يسقط، ولكننا نتقدم دون ان نرفع يداً واحدة؛ ويطلقون النار، فيقع من يقع، ونحن نتقدم! وعندئذ يلقون السلاح خجلين، ونحن نتقدم دوماً، فيفسحون لنا في الطريق؛ وقد هزمنا قوتهم بصبرنا»[١٧].

٤ ـ القيادة ووحدة الحركة والاستمرارية: على الرغم من ان المقاومة المدنية قد تأتي بشكل عفوي، كتحوّل جنازة احد الشهداء الى تجمّع احتجاجي، أو تظاهرة كبرى، الّا ان الانتقال نحو التوسّع في أنماط هذا النموذج، وتوزيع أعباء النضال داخلياً، والاعتماد على الذات، وطرح المطالب، والتزام الانضباط العام بالحركة، وتجنب محاولات الخصم لاستثارة الجماهير نحو أنماط العنف، وذلك الى جانب الحفاظ على استمرارية هذه المظاهر لفترة طويلة، لأن النتائج لا تتحقق غالباً

بصورة سريعة؛ هذا كله بحاجة الى تخطيط وتدبير مسبقين، تسهر عليهما قيادة واعية بأبعاد المقاومة المدنية، وعلى صلة بمختلف تنظيمات المجتمع المدني، وتحظى بثقته.

٥ ـ العلنية: يقصد بها، في هذا الموضع، ان حركة المقاومة المدنية هي حركة ظاهرة تعمل جهاراً وتحت الضوء، سواء في أهدافها، أو في سلوكها، في مواجهة الخصم والاطراف الخارجية الاخرى. فلا يعقل ان تختفي مظاهر هذه الحركة، كالاضرابات العامة، او المسيرات، أو الشعارات المرفوعة، او التظاهر، وغيرها، وتنطبق حالة العلنية على الاهداف التي تتوخاها الحركة؛ بل تعتبر العلنية احد لوازم تحقيق الحركة لأهدافها. ان الحركة تهدف الى اعلام الخصم بحقيقة مواقفها منه، وتوجّه رسالة محدّدة الى الاطراف الخارجية حول هذه المواقف. وغالباً ما تحتاج الحركة الى الاتصال بالقوى الفاعلة في الخارج، كالتنظيمات الدولية والقوى الدولية المعنيّة، بما في ذلك القوى الداعمة للخصم، وبشكل خاص القوى التي تنشغل بالقضية التي تناضل الحركة من أجلها. أيضاً، تضع حركة المقاومة المدنية في اعتبارها الاتصال بجبهة الخصم الداخلية. فقد كان غاندي ورفاقه يخاطبون ضمير الشعب البريطاني، داعينه الى حثّ حكومته على الاستجابة لمطالب الهند المشروعة[١٨]. وفي هذا الشأن، فان الافكار التي تعرضها الحركة يجب ان تكون منسجمة في خطها العام وما تقبله الضمائر الحيّة، سواء بين القوى الخارجية، أو في جبهة الخصم نفسه احياناً.

وعلى غرار الجدل الفكري الممتد بين مؤيدي المقاومة المسلّحة العنيفة ومعارضيها، يمكن العثور على وجهات نظر متعارضة بين مؤيدين للمقاومة المدنية اللاعنيفة ومعارضين لها. وفي هذا الشأن، رأى مؤيدو المقاومة المدنية، في جانب، انها تقلل من خطر التصعيد نحو الحرب المدمّرة التي يصعب السيطرة عليها، والتي قد تطاول، بخطرها، المنتصر والمهزوم على السواء، وتزيل الخوف المصاحب عادة للحرب والعنف، وانها قد تمثّل عنصر ردع فعّال، اذا أدرك من يفكر بالعدوان انه سيواجَه بمقاطعة تجعل احتلاله غير مجد. ورأوا، كذلك، ان التجارب أثبتت قلّة الخسائر التي تسببها المقاومة المدنية اللاعنيفة، مقارنة بما تنطوي عليه المقاومة المسلّحة العنيفة من خسائر؛ كما انها تقلل الحاجة الى تخصيص موارد كبيرة للانفاق على صناعة السلاح غير المجدية اقتصادياً. ورأوا، اخيراً، انها الافضل من الناحية الاخلاقية والقيمية. وفي جانب آخر، رأى المعارضون ان التجارب الناجحة في ممارسة المقاومة المدنية، مثل حركة الاستقلال الهندية، لم يكن ليقدّر لها النجاح لو كانت ووجهت بنظم دموية، وان العدو الذي يحتل بلداً معيّناً لاسباب استراتيجية، وسياسية، أو عقيدية، هامّة، وليست فقط لأسباب اقتصادية، لن تردعه المقاومة اللاعنيفة؛ وان قدرة شعب معيّن على الصلوع في مقاومة مدنية سوف تذوي، اذا كان هذا الشعب مقسماً دينياً، أو لغوياً، أو طبقياً؛ وان الشعب الذي يختار الدفاع المدني ـ طبقاً لتعبيرهم ـ سوف يصبح معزولاً عن حلفائه في الخارج، وغير قادر على الوفاء بالتزاماته نحوهم، وانه، في حال الاستمرار في المقاومة المدنية لفترة طويلة، فقد يصعب الحفاظ على الروح المعنوية العالية؛ وان الدولة المسلّحة الحازمة تستطيع، دوماً، التغلّب على المقاومة غير المسلّحة، مهما بلغت درجة تصميمها وحزمها[١٩].

المقاومة المدنية في فلسطين؛ الابعاد التاريخية

اذا كان الجدل السابق أثير في سياق الدعوة الى المقاومة المدنية والاعتراض عليها بصفة عامة، فقد انشغل البعض بمدى جدوى هذا النموذج، أو عدم جدواه، في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي في فلسطين على وجه التحديد، حيث قدم المعترضون العديد من الاسانيد لدعم وجهة نظرهم حول

عدم صلاحية المقاومة المدنية في تجربة التحرر الوطني الفلسطينية. ولكن قبل عرض هذه الاسانيد، واختبارها، في ضوء الانتفاضة، ينبغي الاشارة الى ان خوض انماط المقاومة المدنية، الدنيا منها والعليا، بالمفهوم الذي سبق تحديده، لم يكن فتحاً جديداً بدأته الانتفاضة في تجربة النضال الفلسطيني. فخلال هذه التجربة الممتدة، لجأ الشعب الفلسطيني الى هذه الانماط منذ البداية. وتتأكد هذه الحقيقة عند مراجعة وثائق الحركة السياسية الفلسطينية التي تعود الى مطلع القرن. ففي العام ١٩٠٩، استخدم النواب الفلسطينيون «مجلس المبعوثان» (البرلمان) العثماني منبراً اعلامياً، وأوضحوا، من خلاله، مخاطر الحركة الصهيونية، وطالبوا بسنّ التشريعات المانعة للهجرة اليهودية الى فلسطين[٢٠]. وبين العامين ١٩٠٨ و١٩١٤، اتسعت دائرة الصحافة في فلسطين، وتبنّت مقاومة التسرّب الصهيوني المتزايد الى جانب النشاط الفلسطيني في «مجلس المبعوثان»[٢١]. وثمّة عشرات من الوثائق التي تثبت انتهاج الشعب الفلسطيني لأنماط المقاومة المدنية كافة، كالاحتجاج لدى هيئات التحقيق الدولية، والمطالب المرفوعة الى التنظيمات الدولية، والوفود المبعوثة الى القوى المعنيّة في اوروبا والولايات المتحدة الاميركية، فضلاً عن أعمال التظاهر، والاعتصام، والمقاطعة، ورفع الشعارات. لقد حفلت سنوات العشرينات بهذه الانماط[٢٢]. وبين العامين ١٩٣٦ و١٩٣٩، خاض الشعب الفلسطيني أطول حالة عصيان مدني عرفتها المنطقة العربية، وذلك بالترافق مع أشكال مختلفة من العنف والمقاومة المسلّحة ضد التحالف الاستعماري البريطاني ـ الصهيوني. وفي الخمسينات، وعلى الرغم من افتقاد المجتمع الفلسطيني لحالة التوازن الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، بفعل احداث النكبة، وعلى الرغم من افتقاد هذا المجتمع لصيغ التنظيم المناسبة، لوحظ ان قطاع غزة، بشكل خاص، شهد انماطاً من المقاومة المدنية، كالتظاهر ورفع الشعارات والتجمهر للاحتجاج على الاعتداءات، وكذلك لاعلان الرفض تجاه مشروعات توطين اللاجئين، أو تدويل القطاع، التي طرحت، بشكل خاص، بعد العدوان الثلاثي الشهير، الذي تضمّن احتلال اسرائيل للقطاع بين تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦ وآذار (مارس) ١٩٥٧. والذي لا شك فيه، ان تلك المظاهر النضالية، التي تمّت في حدود الممكن، قد ساهمت في صيانة الهوية الفلسطينية للقطاع، وحالت دون تكريس مشروعات توطين اللاجئين التي تداولها بعض الأوساط العربية، والدولية، في ذلك الحين[٢٣].

بدءاً من مطلع العام ١٩٦٥، بعامة، وبعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، بخاصة، كانت المقاومة المسلّحة الوجه الاكثر بروزاً للنضال الفلسطيني؛ وكان طبيعياً ان يتمتع هذا النموذج بالحظوة لدى المراقبين والدارسين. والواقع، ان انماط المقاومة المدنية لم تتوقف منذ العام ١٩٦٧ ضد سلطات الاحتلال الاسرائيلية في مختلف انحاء فلسطين. وحول هذا الجانب، قدّم «التقرير الاستراتيجي العربي لعام ١٩٨٧» عرضاً لمسار النضال الفلسطيني في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، في الفترة بين العامين ١٩٧٧ و١٩٨٧، يستفاد منه تصاعد انماط المقاومة المدنية بشكل ملحوظ[٢٤]. ففي جانب الانماط الدنيا، كان رفض أوامر وقرارات سلطات الاحتلال أكثر الانماط شيوعاً، مع انه يعتبر الاقل فاعلية، لأن هذا الرفض يقتصر، في الغالب، على تسجيل المواقف، بينما تقوم السلطات بتنفيذ أوامرها وقراراتها بالقوة. وفي معظم الاحيان، ينصرف هذا النمط الى رفض سكان الارض المحتلة الاوامر التي ترتبط بواقع حياتهم اليومية، وعلى وجه الخصوص قرارات مصادرة الاراضي. وقد كان من أبرز القرارات التي تعرّضت للرفض قرار ربط شبكة المياه في رام الله والبيره بالشبكة الاسرائيلية، وقرارات اقالة رؤساء البلديات المنتخبين العام ١٩٧٦، وقرارات حظر النشاط السياسي للطلاب، وإلزام أساتذة الجامعات بالتوقيع على تعهّد يقضي بعدم تأييد منظمة التحرير الفلسطينية، وبعض قرارات

حظر التجول، والاوامر الخاصة بابراز بطاقات الهوية على الطرق.

جاء تقديم العرائض والشكاوى في المرتبة التالية من أنماط المقاومة المدنية. وقد تركز هذا النمط في الاعتراض على مصادرة الاراضي، والاحتجاج على مختلف الاجراءات التعسفية لسلطات الاحتلال، كاغلاق المدارس والجامعات، وطرد بعض السكان، وسوء معاملة المعتقلين، وفرض الاقامة الجبرية على البعض، وبناء المستوطنات، وسلوك المستوطنين تجاه أبناء الارض المحتلة. وثمّة نمط آخر عرفته الارض المحتلة بوتيرة متنامية، خلال الاعوام العشرة السابقة على الانتفاضة، وهو رفع علم فلسطين في غير مكان، في أثناء التظاهر، وأحياناً تمّ رفع هذا العلم على منشآت اسرائيلية، بعد عمليات تسلل جريئة. وهناك، أيضاً، نمط عقد المؤتمرات الذي اقترن، في العادة، بنشاط بعض الشخصيات والرموز الوطنية من شخصيات ورؤساء بلديات ومخاتير وأساتذة جامعات. وغالباً ما عقدت هذه المؤتمرات للاحتجاج على اجراءات طرد، أو مصادرة أراض، أو تعطيل صحف، وقليل منها عقد لاحياء مناسبات وطنية. وقد كان أقل انماط المقاومة المدنية الدنيا شيوعاً في الاراضي المحتلة نمط اللجوء الى القضاء الاسرائيلي. فهناك حالات محددة لجأ فيها ابناء الارض المحتلة الى القضاء، هي الاعتقال، ومصادرة الاراضي، وأحكام الطرد، والاقامة الجبرية، والدخول الى الارض المحتلة، أو الخروج منها، ومصادرة بطاقات الهوية، وحالات جمع الشمل. ويعود ضمور هذا النشاط الى النتيجة التي استخلصها ابناء الارض المحتلة، والتي مفادها ان القضاء الاسرائيلي ما هو الّا أداة في يد سلطات الاحتلال، وانه لا ينصفهم. وقد تأكدت هذه النتيجة خلال دراسة قام بها البروفيسور المحاضر في جامعة تل ـ أبيب، اريبه ارليخ، وأثبت فيها ان القضايا التي نجح سكان الارض المحتلة في الوصول الى احكام منصفة لهم فيها لم تتجاوز، بين العامين ١٩٦٧ و١٩٨٧، نسبة ستة بالمئة[٣٥]. كذلك، قد يُعزى عدم لجوء سكان الارض المحتلة الى القضاء الاسرائيلي الى خلاف الاوساط الفلسطينية حول هذا النمط من أنماط المقاومة؛ اذ يعارضه البعض تحسباً من ان يفهم هذا السلوك على انه اعتراف بالمكانة القانونية للسلطة القضائية الاسرائيلية؛ في حين يرى البعض الآخر انه جزء من ممارسة مهمة نضالية تثبت الاعتراض الشعبي على الاحتلال واجراءاته.

أمّا في جانب الانماط العليا للمقاومة المدنية، فيعتبر الاضراب السياسي والتظاهر الاكثر شيوعاً في العقد السابق على الانتفاضة. وتتصدر التظاهرات القائمة، وقد تفجّرت، في جلّها، بفعل ثلاثة عوامل: أولها، الاجراءات التعسفية الاسرائيلية؛ وثانيها، احياء ذكرى المناسبات الوطنية، أو في حال وقوع حدث مميّز، مثل التظاهرات التي اندلعت اثر اغتيال رئيس بلدية نابلس، ظافر المصري، في آذار (مارس) ١٩٨٦؛ وثالثها، التطورات السياسية خارج الاراضي المحتلة، مثل الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان، آذار (مارس) ١٩٧٨، وحزيران (يونيو) ١٩٨٢، وعقد دورات المجلس الوطني الفلسطيني. وكان الشائع ان تتمّ التظاهرات بشيء من العنف، امّا بمبادرة من المتظاهرين (كأن يقذف بعضهم قوات الاحتلال بالحجارة)، وامّا بمبادرة من قوات الاحتلال التي تلجأ الى العنف لتفريق المتظاهرين.

وكانت الاضرابات السياسية ثاني أكثر الانماط العليا للمقاومة المدنية انتشاراً قبيل الانتفاضة. وقد تمّ اللجوء اليها، عادة، في اثناء الانتفاضات الشعبية المحدودة وبسبب العوامل ذاتها التي حرّكت التظاهرات. غير انه ممّا يسترعي الانتباه، ان الاراضي المحتلة شهدت، منذ مطلع الثمانينات، اضرابات كثيرة للاحتجاج على سلوك المستوطنين، من جهة، وتصرفات الحركات الارهابية التي انتشرت في الاوساط الاسرائيلية، من جهة أخرى. كذلك نظّمت، في الفترة عينها، اضرابات عديدة، للاعراب عن التضامن مع اضرابات المعتقلين في السجون الاسرائيلية. واضرابات المعتقلين نمط شائع في

الاراضي المحتلة منذ العام ١٩٦٧. علاوة على ذلك، شهدت الاراضي المحتلة، وانْ بشكل محدود، عدداً من الاضرابات الاقتصادية، كاضراب المدرّسين بين كانون الثاني (يناير) وآذار (مارس) ١٩٨١، للمطالبة بزيادة الاجور، واضرابات اخرى قامت بها قطاعات مهنية أخرى، كالتجار والاطباء، احتجاجاً على زيادة الضرائب.

بصفة عامة، كان الخط البياني للمقاومة المدنية، بأنماطها الدنيا والعليا، يتجه نحو الصعود من نهاية السبعينات وحتى الانتفاضة، وهو اتجاه أثبت بعض المصادر صحته كمياً[٢٦]. هذا في حين كانت أنماط المقاومة المسلحة، في الفترة عينها، تمر بوتيرة متغيرة. والواقع، ان التحدث عن وتيرة العمل الفدائي الفلسطيني أطل على استحياء منذ منتصف السبعينات، ثمّ جاءت وقائع الغزو الاسرائيلي للبنان العام ١٩٨٢، وما ترتب عليها، لكي تضيف وقوداً الى ذلك الحديث.

قبل الغزو، كان بين القضايا التي أُثيرت حول مسار الكفاح المسلّح ما يلي:

○ مدى امكانية التوفيق العملي بين مهام النضال داخل الارض المحتلة وخارجها في اطار الظروف المختلفة التي تواجه التنظيمات في الخارج، والخلايا الفدائية في الداخل. وهل ترغب التنظيمات في وجود جبهة وطنية توجّه مجمل النضال الوطني في الارض المحتلة، وتأخذ بعين الاعتبار ظروفها وأوضاعها واستعدادات الجماهير وقيود العدو وأوضاعه وسياساته، أم تريد هذه التنظيمات احياء جبهة وطنية تكون مهمتها تنفيذ تعليمات الخارج. وقد باتت هذه القضية ملحّة منذ تفكيك العدو للجنة التوجيه الوطني التي عملت بين العامين ١٩٧٨ و١٩٨٢.

○ ان اختلافات التنظيمات الفدائية في الخارج تنعكس على القوى السياسية في الداخل، وعلى روح المقاومة لديها[٢٧].

أمّا بعد الغزو، واضطرار قوى الثورة الفلسطينية الى التوزّع بعيداً من جوار الارض المحتلة، فقد توسّعت علامات الاستفهام حول مسار المقاومة المسلّحة، وبدأت موجة من النقد الذاتي في سبيل مواجهة الواقع الجديد. حتى ان البعض سأل، في منتصف الثمانينات، عمّا اذا كانت الوسيلة العسكرية هي الوسيلة الوحيدة الصالحة، او حتى الوسيلة الاهم، في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي؟[٢٨]؛ بينما كان البعض أكثر تفنيداً، فدعا الى اعادة بناء المقاومة داخل الارض المحتلة وفق قواعد جديدة، من حيث البناء التنظيمي، والقدرة على الحركة، ونوعية العناصر المنضوية، وعمليات التعبئة، والعمليات الفدائية ذاتها[٢٩].

الانتفاضة والمقاومة المدنية

في اطار النقاش المذكور، الذي تحرك، في معظمه، على أرضية النوايا الطيبة والرغبة في انعاش المقاومة الفلسطينية للاحتلال الاسرائيلي، أُثير الحديث عن امكانية خوض سكان الارض المحتلة للنضال المدني واسع النطاق. ولعل أبرز المحاولات النظرية، في هذا الشأن، قد تمّت خلال الندوة التي نظّمها «منتدى الفكر العربي» في عمّان، تحت عنوان «المقاومة المدنية في النضال السياسي»، بين ١٥ و١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٦. ففي تلك الندوة، تدافعت آراء المؤيدين والمعارضين لصلاحية المقاومة المدنية في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي في فلسطين. كان من رأي المؤيدين ان المقاومة المدنية نموذج يمكن تطبيقه في كل الحالات الاستعمارية، ومنها الحالة الفلسطينية، لأنه ذو طابع عالمي. ومن جانبهم، شكك المعارضون في جدوى المقاومة المدنية في حالات الاحتلال العسكري، كما هو الحال

في فلسطين. وعلى كل حال، لقد جاءت الانتفاضة لكي تضع الجدل النظري موضع الاختبار العملي. وفي ما يلي عرض لأهم الحجج التي ساقها فريق المعارضين، وذلك بقليل من التصرف وكثير من التركيز والايجاز، مع محاولة لاختبارها في ضوء الواقع العملي، والحقائق التي أوجدتها الانتفاضة خلال عاميها الاول والثاني[٣٠].

١ ـ المقاومة المدنية مرادفة للسلبية

ثمّة الكثير من الشكوك يحيط بأية دعوة الى استخدام المقاومة المدنية، بهدف انهاء الاحتلال الاسرائيلي. ومن يتبنّى الدعوة الى ذلك غالباً ما يكون شخصاً سلبياً مستكيناً؛ وما معارضة استخدام العنف (الكفاح المسلّح) سوى تعبير عن العجز وعدم الرغبة في المقاومة الحقيقية. كما ان الدعوة الى تشجيع المقاومة باللاعنف عموماً قد تكون احد مظاهر خطة تآمرية من جانب القوى الاستعمارية، تهدف الى اجهاض الامكانات الثورية للعالم العربي والحؤول دون أي تعديل لموازين القوى القائم مع اسرائيل.

وفي ضوء مسلكية السواد الاعظم من أبناء الارض المحتلة خلال الانتفاضة، يمكن القول، باطمئنان، ان المقاومة المدنية لا تعني السلبية، بل ان العكس هو الصحيح. فخروج الجماهير الى الشوارع، وقرارات التصدي والمواجهة، والاستجابة لنداءات القيادة الموحّدة، وعمليات الحشد والتعبئة المصاحبة لذلك، هي مظاهر ايجابية، شكلاً وموضوعاً. لقد كان السؤال الملحّ على كل فرد من أبناء الارض المحتلة، في ظروف الانتفاضة، هو ما الذي عليه ان يفعله غير السلبية او الجلوس في مقعد المتفرج، خاصة وان المطلوب من كل فرد هو، في معظم الاحيان، في حدود الممكن، كثر أو قلّ؟ أمّا القول بفكرة التآمر، فيتناقض مع قرار الانتفاضة الذي كان قراراً فلسطينياً، وجاء معاكساً تماماً للمناخ العام الحاكم لمسار الصراع العربي ـ الاسرائيلي خلال السنوات العشر السابقة على كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧. لقد كان المناخ يراوح بين ميول التسوية والتهدئة دون استجابة اسرائيلية لمطالب الشعب الفلسطيني؛ وكانت المخاوف عظيمة من ان يتمكن الاحتلال من تكريس الامر الواقع في الارض المحتلة دون رد فعل عربي، أو دولي، رادع. وامّا ان يكون نهج المقاومة المدنية متعارضاً مع المساعي الرامية الى تعديل موازين القوى مع اسرائيل، فهو أمر مستبعد تماماً. فاذا كانت النوايا صادقة، ما الذي يحول دون استمرار هذه المساعي في اثناء استمرار الانتفاضة في الارض المحتلة؟

ولا شك في ان الانتفاضة ليست نداء لايقاف سباق التسلّح والاستعداد للمواجهة في الخارج، بل ربما قدمت المثل لاثبات ان ارادة المواجهة هي أول متطلبات المواجهة. من جانب آخر، ثمّة مصادر أثبتت بالفعل ان موازين القوى العسكرية العربية ـ الاسرائيلية، اذا ما تمّ تحرّيها في اطار حسابي مجرّد، فانها قد تميل الى صالح العرب، وهذا على الاقل في حدود موازين القوى التقليدية[٣١]؛ وان ما يحول دون فاعلية هذه الموازين هو عدم توحّد الجهود العربية، من ناحية، وسيولة ارادة المواجهة العربية، من ناحية أخرى. ولا شك في ان تجاوز هاتين النقيصتين ليس مستحيلاً، لكن تعيين توقيت هذا التجاوز يدخل في باب المجهول. كانت الانتفاضة، اذاً، احدى أهمّ الظواهر الايجابية في مواجهة الاحتلال للارض الفلسطينية، وبخاصة منذ نهاية حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣.

٢ ـ انماط المقاومة المدنية تمنع الدفاع الشرعي عن النفس

اساس هذه الحجة ان أساليب المقاومة المدنية، التي تحاور جميعها حول اللاعنف، تمنع

أبنـاء الارض المحتلة من الدفـاع عن أنفسهم في مواجهة عنف المحتلين الصهيونيين. كذلك، فان اسرائيـل تصرّ على نبذ الفلسطينيين للعنف، كشرط لمشاركتهم في التسوية؛ وهذا ينطوي على تفريط الشعب الفلسطيني في احد أهمّ حقوقه، لأن اسرائيل تجثم على الارض الفلسطينية بالقوة والعنف. وهكذا، فان الدعوة الى اللاعنف الفلسطيني تعدّ استجابة للرغبة الاسرائيلية.

والواقع ان القيادة الفلسطينية اعتبرت نموذج الانتفاضة احد أشكال النضال الفلسطيني في احـدى مراحل هذا النضال. وليس ثمّة ما يوحي بأن الشعب الفلسطيني، وقيادته داخل الارض المحتلة، وخارجها، قد أغلق ابواب الدفاع عن النفس بكل الوسائل، بما في ذلك العنف المسلّح[٣٢]. وفي احد بياناتها، دعت القيادة الموحّدة للانتفاضة الى الانتقام من قوات الاحتلال بقتل واحد منها مقابل كل شهيد فلسطيني يسقط في الارض المحتلة[٣٣]. وهناك حالات من المواجهة لا حصر لها استخدم فيها المنتفضون أسلحة شبه بدائية، كالحجر والسكين وكوكتيل المولوتوف واشعال الحرائق، ومنهم من تسبب في انزلاق احدى الحافلات الاسرائيلية عن مسارها، ممّا ادّى الى مصرع الكثير من ركابها في ردّ مباشر على عنف سلطات الاحتلال والمستوطنين الصهيونيين في مواجهة الانتفاضة. هذه الوقائع العنيفة تحول دون وصف الانتفاضة بأنها تلتزم مفهوم اللاعنف المطلق، كما صوّره غاندي مثلاً، لكن عدم اللجـوء الى الاسلحة النارية ووضوح موقف القيادة الفلسطينية من ضرورة الالتزام بالانماط البعيدة من العنف المفتوح، يبتعد بالانتفاضة من النمط التقليدي للكفاح الفلسطيني المسلّح.

وفي ما يتعلق برفض اسرائيل للحوار مع الفلسطينيين، فهذا موقف تمسّكت به اسرائيل في كل الاوقات، وبغض النظر عن نبذ الفلسطينيين للعنف ام لا. ان كل الميول السلمية التي أعلنتها منظمة التحرير الفلسطينية، بدءاً من الاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و٣٣٨، وانتهاء بالاعتراف باسرائيل، لم تجد تجاوباً اسرائيلياً معقولاً. وأغلب الظن، ان اعتبار نبذ العنف فلسطينياً ـ على الرغم من انه أمر لم تتبنّاه القيادة الفلسطينية بشكل معلن سوى في حدود خارج فلسطين المحتلة ـ أمر مساوٍ للتفريط بالحقوق الفلسطينية هو موقف يفصح عن مبالغة كبيرة. فالنماذج التاريخية للمقاومة المدنيّة في وجه الطغـاة، أو المستعمرين، لم تتضمّن هذا المعنى على أي حال. وقد سبقت الاشارة الى ان سلطات الاحتلال، أي احتلال، تعمل جاهدة على نقل حركة المقاومة المدنية الى المقاومة العنيفة، لكي تواجه المقاومين بما تجيده من وسائل. وهي تفعل ذلك، بشكل خاص، حين تدرك ان أبناء الارض المحتلة أعجـز من ان يتمكّنـوا من مواجهتها بالعنف المسلّح. وقد اتضح هذا الاتجاه من جانب سلطات الاحتلال الاسرائيلية في مواجهة الانتفاضة، ممّا وجّه أنظار الكثيرين الى ضرورة الحذر من تحوّل الانتفاضة نحو العنف المسلّح المفتوح، على اعتبار ان ذلك سوف يمنح سلطات الاحتلال الفرصة لتصعيد الامور الى درجة قد تصل الى طرد جانب كبير من أبناء الشعب الفلسطيني الى الخارج، وبخاصة في ظل الاجواء المحمومة داخل اسرائيل لتبنّي هذا الخيار[٣٤].

٣ ـ العنف أكثر فاعلية

يعتقد معارضو المقاومة المدنية ان العنف المسلّح أكثر فاعلية وتعجيلاً في تحقيق النتائج؛ كما انه السبيل الوحيد الى تركيز الانتباه على القضايا التي تمّ تجاهلها طويلاً. ويدللون على ذلك بالقول انه قبل ان يلجأ الشعب الفلسطيني الى العنف، كان العالم على وشك ان ينسى القضية الفلسطينية. فالعنف هو الذي أجبر العالم على النظر، بجدية، الى ضرورة ان يستقل الفلسطينيين في وطنهم القومي.

ومن الواضـح ان هذه الحجـة تتمتـع، في جوهـرهـا، بصدقية بالغة. فالعنف غالباً ما يكون

اجدى وأسرع في تحقيق النتائج؛ وهذا بالطبع اذا توفّرت له الشروط الملائمة، والبيئة الملائمة، وكانت ضرباته موجعة بالنسبة الى الخصم. غير انه لا يمكن القطع في المدة الزمنية المطلوبة، والتي يمكن القول عندها ان العنف قد حقق نتائجه بسرعة. بكلمات أخرى، قد يكون معارضو المقاومة المدنية محقين في ان العنف اجدى وأسرع في تحقيق النتائج؛ لكنهم لم يحدّدوا مقياساً، أو معياراً زمنياً، لهذه السرعة، والجدوى، وهم لا يستطيعون ذلك. وعلى سبيل المثال، لقد مضى على بدء الثورة الفلسطينية المسلّحة المعاصرة أكثر من ربع قرن من الزمن، فهل كانت هذه الفترة كافية لتحقيق اهداف الشعب الفلسطيني؟ ام ان النضال الفلسطيني قد امتد، زمنياً، الى أكثر ممّا ينبغي؟ سؤالان تصعب الاجابة عنهما. فربما تكون النتائج التي تحققت في نظر البعض متناسبة تماماً مع المدة المنقضية والتضحيات التي بذلت؛ وربما يكون العكس صحيحاً أيضاً، من وجهة نظر آخرين. وعلى ذلك، فان التحدث عن المدة الزمنية المطلوبة لتحقيق أهداف حركة التحرر هي من الامور التجريدية القابلة للجدل والنقاش. وقد يقيس البعض مسار العنف الفلسطيني بما حدث مع الثورة الجزائرية المسلّحة، التي استطاعت تحقيق اهدافها كاملة خلال ثمانية أعوام. وهنا يبدو الكفاح المسلّح الفلسطيني كأنه قد أخفق، مقارنة بالحالة الجزائرية! فهل هذا التقويم صحيح، أم كان للثورة الجزائرية متغيراتها وثوابتها وظروفها المختلفة، ممّا يستدعي الحذر من المقارنة بين التجربتين، الفلسطينية والجزائرية؟

وفي ما يتعلق بأهمية العنف في جذب الرأي العام العالمي، فان سلوك الانتفاضة حقق الشيء ذاته، انْ لم يكن بصورة مكثّفة وبدرجة أكبر. وبحسب النظرية، فان انماط المقاومة المدنية تخاطب الرأي العام في القوى الخارجية. واذا كان العنف الفلسطيني ساهم في الاعلام عن وجود الشعب الفلسطيني وأحياء قضيته في المجتمع الدولي، واستقطب حولها الاهتمام على صعد مختلفة، ناقلاً اياها من مجرد مسألة لاجئين يمكن تناولها من خلال جهود انسانية، الى مسألة سياسية بكل ما يتضمّن ذلك من معنى؛ اذا كان العنف قد حقق ذلك كله، فان الانتفاضة لم تكن بأقل شأناً، في فاعليتها بأي حال. ففي اجوائها، اتخذت القيادة الفلسطينية أقوى خطواتها باعلان قيام دولة فلسطين، وتخلّى بعض القوى المؤثرة في مسار القضية عن مواقف تقليدية له، ومن ذلك الولايات المتحدة الاميركية التي كسرت قرار مقاطعة منظمة التحرير الفلسطينية وأخذت تتحاور معها. كذلك، أطلقت الانتفاضة الألسن وفتحت العيون في كثير من الساحات التي كانت تقف تقليدياً الى جانب اسرائيل.

ان تقدير فعالية الانتفاضة يتمّ بشكل موضوعي اذا ما أخذت نقطة البداية التي انطلقت منها الانتفاضة في الاعتبار، حيث كانت القضية الفلسطينية تعاني من حالة ركود نسبي، وسط أجواء عربية، ودولية، غير مناسبة، خشي البعض عندها من دخول القضية حالة من التجمّد والسير نحو المجهول[٣٥]. بل واعتبر البعض ان الانتفاضة ذاتها مثّلت رد فعل على هذا الواقع؛ هذا جميعه يستدعي تقويم الانتفاضة، وفعاليتها، كشكل نضالي، في ا طار ايجابي.

٤ ـ العنف ضروري لتعزيز الكرامة الوطنية

رأى معارضو المقاومة المدنية ان سنوات الاستعمار الغربي تركت آثاراً مدمرة في النشء العربي، وزعزعت لديه ارادة المقاومة. ولذا، فان الكفاح المسلّح هو، وحده، الكفيل بكسر هذه الحلقة، لأنه يزرع الايمان بالقدرة على المنافسة ومقارعة الاقوياء. ولا يخرج الاستعمار الاسرائيلي عن كونه احد نماذج الاستعمار الغربي الذي تنطبق عليه المقولات السابقة. وهكذا، فان الكفاح المسلّح هو سبيل الفلسطينيين الوحيد الى انهاء اسطورة اسرائيل التي لا تقهر.

وفي الحقيقة، لا يملك المرء سوى ان ينسجم فكرياً مع أسس هذه الحجة. فقد قام الاستعمار الغربي، عموماً، على عقدة التفوّق والعنصرية المقيتة. وكان النموذج الصهيوني للاستعمار احد أهمّ النماذج الاستعمارية ايماناً بالتفوّق العنصري على العرب، عموماً، والفلسطينيين خصوصاً[٣٦]. وقد كان الايمان بأهمية نهج الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية في تخليص الشعب الفلسطيني ممّا علق به من ظواهر نفسية، واجتماعية، عبر مسيرة قضيته، وما ترتب عليها من بؤس وشقاء وتمزّق، احد أهم العوامل التي قادت تنظيمات المقاومة الى تبنّي هذا النهج، وتضمينه في مواثيقها الاساسية، ثمّ اضافته الى الميثاق الوطني الفلسطيني ذاته، في أواخر الستينات[٣٧]. وكان البعض محقاً، حين رأى ان حركة المقاومة الفلسطينية قد أهملت، نسبياً، عمليات تكييف الشخصية الفلسطينية اجتماعياً واقتصادياً في طريقها الى تعبئة المجتمع الفلسطيني عسكرياً، وتركيزها على العنف المسلح في سنواتها الاولى[٣٨]. وهكذا، مثّل العنف الفلسطيني علاجاً لكثير من مظاهر العقم النفسي، والابداعي، في الشخصية الفلسطينية، وأدّى الى تعزيز الكرامة الوطنية الفلسطينية؛ وربما قاد، في مرحلة من المراحل، كما حدث بعد هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ مباشرة، الى اعادة، وتعزيز، الثقة بين أبناء الامة العربية بأسرهم. ومع صحة ذلك كله، ما الذي يمنع القول ان انماط المقاومة المدنية تسهم، بدورها، في تعزيز الكرامة الوطنية الفلسطينية، وتمثّل تعبيراً عن الثقة بالنفس؟ لقد سبقت الاشارة الى ان الشجاعة، والاستعداد للتضحية، والحركة الجماعية، والتضامن الداخلي، والصبر، والثبات في مواجهة قهر سلطات الاحتلال تعد من مقوّمات الشروع في مقاومة مدنية موفّقة. ورأى البعض ان انتفاضة الشعب الفلسطيني المعاصرة هي، في احد وجوهها، «تعبير عن الثقة بالذات والايمان بالقدرة على مقاومة العدو، وادراك لحقيقة هذا العدو بجوانب قوّته وضعفه واليقين بالنصر في النهاية»[٣٩].

وفي الاتجاه عينه،قال أحد المختصين بالصحة النفسية في الارض المحتلة: «انه بالرغم من تعرّض الفلسطينيين لعنف منهجي خلال الانتفاضة، فانهم في وضع صحي أفضل ممّا كانوا عليه في العشرين عاماً الماضية. فمعنوياتهم عالية، وآمالهم كبيرة، والتفاؤل هو السمة الغالبة على سلوكهم وتوقعاتهم، ولديهم الرغبة في الاستمرار بالانتفاضة، كظاهرة صحية في المستويات الاجتماعية والسياسية والنفسية. حتى انه يمكن القول، ان احداً لم يعد بحاجة الى مهدئات، واللجوء الى الخرافة والشعوذة، أو حتى الى وسائل الاعلام الاسرائيلية، للهروب من الواقع السيىء...»[٤٠].

٥ ـ الكفاح المدني وحده لا يكفي

مؤدى هذه الحجة ان الكفاح المدني اللاعنيف يمكن ان ينجح في ارباك السلطات الاسرائيلية، لكن بشرط ان يترافق والكفاح المسلّح العنيف. وهذا التلازم بين النمطين من شأنه ان يجبر الاسرائيليين على الجلوس الى مائدة التفاوض، ثمّ انهاء الاحتلال ذاته. وهذه حجة وجيهة، ومنطقها قوي. وفي الحقيقة، فان الدعوة الى ردف أنماط المقاومة المدنية في الانتفاضة بأنماط من النشاط الفدائي المسلّح هي دعوة ملحّة عند البعض، منذ بدأت الانتفاضة. وهناك من توقّع ان تتجه الانتفاضة الى العنف في مرحلة غير بعيدة[٤١]. ورأى آخرون ان الانتفاضة لا تمثّل طوراً من أطوار النضال المسلّح، لكنها لا تخلو من أشكال العنف[٤٢]. لكن الموقف المعلن للقيادة الفلسطينية لم يحبّذ تصعيد أنماط الكفاح المسلح في اثناء الانتفاضة، على أساس عدم اعطاء الفرصة لسلطات الاحتلال لشنّ حملات ابادة ارهابية مفتوحة ضد الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال[٤٣]. وقد لقي هذا

التوجّه مساندة فكرية من كثير من المراقبين الذي يتحسّبون من العنف الارهابي الاسرائيلي، والذي له سوابق تاريخيـة لا تحصى في اثناء مسيرة الصراع على أرض فلسطين، ومن حولها[٤٤]. هذا مع ملاحـظة ان هناك توافقاً على ان يظل أفق العمل المسلح مفتوحاً في سياق النضال الفلسطيني في الارض المحتلة، كونه أكثر الاشكال تكلفة بالنسبة الى الاحتلال، من الناحيتين، البشرية والمادية، وكذا على اعتبار ان الانماط المدنية هامّة، ولكنها ليست حاسمة في هزيمة اسرائيل، أو دحر الاحتلال[٤٥].

ان هذه النقاشات تدخل، جميعها، في مجرى البحث في النهج الامثل للمقاومة. وهنا يجب التذكير بما سبقت الاشارة اليه، من ان انماط الكفاح المدني ليست جديدة على مسار النضال الفلسطيني، وان هذه الانماط قد تكون مجدية، اذا تمّت بالشكل المناسب، وفي التوقيت والمكان الملائمين، دون أن يعني ذلك التقليـل من شأن الكفـاح المسلّح، بل وربما تقتضي الحكمة ان يتمّ الجمع بين أشكال النضـال كافـة، المـدني منهـا والمسلح، في سياق تخطيط محكم، ومعرفة مسبقة بشروط كل حركة وأهدافها، وما قد يترتب عليها من ردود أفعال داخل الأرض المحتلة، وعلى صعيد العدو، وكذا على صعيد الاطراف الخارجية. ومن الممكن ان تترافق انماط النضال المدني في الارض المحتلة بأنماط من العمل المسلّح من الخارج نحو الداخل، وذلك أمر يمكن للمعنيين تحديد زمانه ومكانه وانعكاساته على جميع الصعد، بشكل دقيق وتدبّر بالغ.

٦ ـ المقاومة المدنية غير ملائمة لنموذج الاحتلال الاسرائيلي

أساس هذه الحجة ان المقاومة المدنية تهدف الى سحب الاساس الاجتماعي لقوة الحكام، أو لقوة سلطة الاحتلال. ويتمّ ذلك برفض المحكومين، أو المحتلين، الاذعان للسلطة المسيطرة بالقوة. وهذه الحالة لا تنطبق على الاحتلال الاسرائيلي للاراضي الفلسطينية، لأن السلطة الاسرائيلية لا تعتمد على اذعان المواطنين الفلسطينيين، وانما يقوم الاحتلال الاسرائيلي على القوة والارهاب. ومعنى ذلك، ان انماط المقاومة المدنية بعدم التعاون، والاضراب، والتظاهر، والاحتجاج، والعصيان، الخ، لن تكون فعّالة في اجبار الاسرائيليين على الانسحاب. ومن الواضح، ان هذه الحجة تقوم على اساس صحيح، وهـو ان الاحتلال الاسرائيلي يستند الى القوة والارهاب، وليس الى اذعان الفلسطينيين. لكن القوة الاسرائيلية تهدف، أساساً، الى تحقيق هذا الاذعان. فالاحتلال لا يمكنه ان يمارس القوة طيلة الوقت، وباستمرار. لقد احتلت اسرائيل الارض الفلسطينية بالقوة المكثّفة؛ ثمّ انتقلت، بعد ذلك، الى الابقاء على هذا الاحتلال، من خلال الترويج المستمر لاستخدام القوة وخوف السكان واذعانهم. ولذا، قيل ان بضع عشرات أو مئات من الجنود الاسرائيليين وقوات الشرطة وحرس الحدود والاستخبارات، هم الذين كانوا يتواجدون، بالفعل، داخل الارض المحتلة قبل الانتفاضة. وهكذا، فان الاحتلال لم يكن عملية مكلفة مادّياً، أو معنوياً، بالنسبة الى اسرائيل؛ اذ ما الحاجة الى آلاف الجنود وعمليات التعبئة والدوريات المسلحة، الراجلة والمحمولة، ليلاً ونهاراً، اذا كان السكان يمارسون حياتهم بشكل معتاد في ظل وجود الاحتلال وأوامره ومراراته؟ لقد أدّت الانتفاضة الى نسف هذه الاوضاع تماماً. ما عادت الارض المحتلة أرضاً مستكينة هادئة، يتابع أمورها عشرات من الجنود وبعض العيون المدسوسة التي لا يخلو منها شعب من الشعوب. ويمارس المستوطنون العنصريون حياتهم على ترابها باطمئنان، بل تعيّن على اسرائيل ان تستنفر جهوداً كبيرة لممارسة الاحتلال وبشكل مرهق تماماً. ولاسرائيل، في هذا الجانب، مشكلة خاصة، هي عدم القدرة على العيش في اجواء التعبئة والارهاق المترتب عليها لفترة طويلة. واذا كانت التعبئة وارهاقها مبررات معقولة في ظروف حرب حقيقية معتادة ضد الجيوش العـربيـة مثـلاً، فان المبررات تختفي، نسبياً، في اجواء المقاومة المدنية، وتشكّل عبئاً نفسياً ثقيلاً

على كاهل الاسرائيليين، جنوداً وغير جنود. اصبحت الارض المحتلة، في مناخ الانتفاضة، ساحة متفجّرة طيلة الوقت، وليس بشكل موسمي، أي كلما كانت هناك خشية من نشاط فدائي، أو عملية فدائية هنا، أو هناك؛ وصارت المناسبات الوطنية تحصى بعدد أيام العام كله، وليس في أيام معلومات، كما كان الامر في السابق. وقد يكون للاحتلال الاسرائيلي خصائصه الذاتية، مقارنة بالنماذج الاستعمارية؛ لكنه يشترك مع النماذج كافة في كونه يعتمد، في استقراره، على اذعان السكان، ولو في حدود نسبية. فالالتزام بأوقات التجوّل وحظر التجول، والحصول على تراخيص للعمل والحركة والمرور، وعدم الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية او التجاوب معها، وعدم رفع الشعارات الوطنية، وعدم تنظيم الاجتماعات والتجمّعات الوطنية، وأمور كثيرة أخرى تحتاج الى اذعان سكان الارض المحتلة وتجاوبهم مع أوامر السلطات وقراراتها. لذا، فقد عمدت الانتفاضة الى كسر قاعدة الاذعان بمطالبة الجماهير بعدم التجاوب مع تعليمات المحتلين، والاستجابة، فقط، لما يصدر عن القيادة الفلسطينية. وفي ذلك ارهاق لسلطات الاحتلال، التي اضحى عليها ان تستنفر قوى وجهوداً لاجبار السكان على التماثل مع قراراتها، وأوامرها، ونواهيها المهدّدة بالأقول لصالح سلطة وطنية خارجة على ارادتها.

٧ ـ لا تعاطف مع الفلسطينيين من جانب «شعب الله المختار»

ان نجاح المقاومة المدنية يفترض، فيما يفترض، وجود رابطة ما وقدر من التعاطف بين المستعمرين والشعب الواقع تحت الاستعمار، ممّا يؤدي الى استجابة المستعمرين، في النهاية، لمطالب الشعب المستعمَر. وهذا لا يتوفر في الحالة الفلسطينية، لأن الاحتلال الاسرائيلي يقوم على اعتبار ان الفلسطينيين اناس أدنى مرتبة من الاسرائيليين، ولا يستطيع الفلسطينيون، مهما فعلوا وتحمّلوا من معاناة، ان يحولوا بين الاسرائيليين وبين اعتقال، ومعاقبة، عشرات الآلاف من الذين يقومون بالاحتجاجات اللاعنيفة. واليهود يؤمنون بأنهم «شعب الله المختار»، ممّا يجعلهم لا يعترفون بالفلسطينيين شركاء متكافئين في جهود التسوية. ويترافق ذلك مع ايمان اليهود بأن الارض التي يحتلونها هي «أرض وعدهم الله بها»، وذلك مبرر كافٍ لديهم للتمسّك بطرد الفلسطينيين، والاستيلاء على أرضهم بالقوة. واللاعنف سوف يقدّم ذريعة مضافة لطرد الفلسطينيين الذين يشاركون فيه.

وتعد هذه الحجة من أكثر الحجج منطقية وموضوعية. ويمكن، بالاضافة الى ما تضمّنته الاشارة الى ان المشروع الصهيوني قد نهض ليس فقط على أساس التفوّق العنصري على الفلسطينيين، والعرب بعامة، ولكن، أيضاً، على أساس ان لا وجود للفلسطينيين أنفسهم، وان الارض الفلسطينية خلو من السكان! وقد استمر هذا التجاهل منذ بداية المشروع الصهيوني وحتى وقت قريب. ففي أواخر الستينات سألت رئيسة الوزراء الاسرائيلية، غولده مئير، عن وجود الشعب الفلسطيني؟ وعلى غير ما هو شائع، فان الفكر الصهيوني هو الذي جعل من طبيعة الصراع على ارض فلسطين صراع وجود منذ وقت مبكر؛ وثمّة حركات سياسية اسرائيلية معاصرة تتبنّى هذه النظرة[٤٦]. والسؤال، هنا، هو هل ساهمت الانتفاضة في تأجيج هذه المقولات والافكار الصهيونية، أم انها وضعتها موضع المراجعة؟ لقد ظهرت قوى سلمية داخل المجتمع الاسرائيلي وانتشرت تحت أسماء مختلفة قبل اندلاع الانتفاضة بنحو عقد من السنين؛ لكن عشرات الحركات الاخرى ولدت في اثناء تفاعلات الانتفاضة نفسها ومعظمها بدأ يتخذ موقفاً يقوم على الحوار المباشر والاعتراف المتبادل مع الشعب الفلسطيني. غير ان هذه الحركات ما زالت محدودة، من حيث نسبتها الى المجتمع الاسرائيلي وفاعليتها السياسية[٤٧]. وفي مقابل هذه الاتجاهات، ظهرت حركات أكثر ارهابية بحق الشعب الفلسطيني. وهكذا، فان الانتفاضة قادت الى تعميق حالة الاستقطاب داخل التجمّع الاستيطاني الصهيوني

في فلسطين. وهي حالة ينتظر ان يكون لها انعكاسات مستقبلية ذات شأن على مسار القضية الفلسطينية. انطلاقاً من هذه المستجدات، يمكن النظر الى ما تتبنّاه القوى الفلسطينية الفاعلة داخل الارض المحتلة، وخارجها، من حوار مع كل القوى الاسرائيلية التي تبدي تفهّماً للحقوق الفلسطينية، بأمل ان يسهم هذا السلوك في تعميق حالة الاستقطاب الاسرائيلية. وتجدر الاشارة الى ان بعض من يعتقدون بجدوى المقاومة المدنية في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي رأوا، قبيل اندلاع الانتفاضة، ان «عقيدة الشعب المختار يمكن استغلالها للدخول في حوار اخلاقي مع اليهود، من منطلق ان مثل هذه العقيدة، بغض النظر عن صحّتها أو عدم صحّتها، من المفترض ان تؤدي الى تحلّي اليهود بأخلاق سامية رفيعة. هذا بالاضافة الى ان الخوف اليهودي الموروث من خطر الابادة قد يجعلهم أكثر حساسية لادانتهم باستخدام العنف ضد العزّل...»[٤٨]. ولا شك في ان هذا الاعتقاد قد تعرّض لمحنة شديدة، بالنظر الى ممارسات سلطات الاحتلال الاسرائيلية تجاه المنتفضين؛ اذ لم تتخل السلطات هذه عن منهجها التقليدي في العنف ضد الشعب الفلسطيني.

امّا بشأن ان المقاومة المدنية تقدّم ذريعة لطرد الفلسطينيين، فلا شك انها تضع الشعب الفلسطيني امام خيار مرّ. فاذا كان العنف يقدّم ذريعة لطرد الفلسطينيين، والمقاومة المدنية تؤدي الى الشيء ذاته، فكيف يتمّ، اذاً، التعبير عن رفض الاحتلال ومقاومته بخلاف انتظار المصير المجهول الذي تصنعه الحقائق التي تخلقها سلطات الاحتلال بمرور الوقت؟ سؤال يحتاج الى اجابة.

٨ ـ بنية المجتمع الفلسطيني

جوهر هذه الحجة ان بنية المجتمع الفلسطيني لا تلائم انماط المقاومة المدنية واسعة النطاق. وفي هذا الشأن، رأى البعض ان الفلسطينيين منقسمون اجتماعياً الى درجة لا يمكن معها تنظيم هذه المقاومة التي تتطلب التعاون بين شرائح المجتمع والحركة الجماعية؛ وان هذا المجتمع يشهد انقسامات عميقة بين الاغنياء والفقراء، وبين الريف والحضر، وبين العمّال والفلاحين، وبين الرجال والنساء؛ كما ان القوة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، تحتكرها جماعة محدودة من الاسر والقبائل، وهذا لا يفرز سوى قيادة تقليدية. هذه الاوضاع جميعها تمثّل مجموعة من العوائق وتدعو الى تقاعس الجماهير واحجامها عن المشاركة في الكفاح السياسي.

وأغلب الظن ان الانتفاضة، بما أفصحت عنه من ثقافة وسلوك ومشاركة اجتماعية، وبما أفرزته من قيادة شابة جديدة وازاحته من قيادات تقليدية، وبما أطاحت به من مفاهيم موروثة عن دور المرأة ودونيتها وتقدّم دور الرجل، وبما عبّرت عنه من ثقة بالذات وقدرة على التحمّل؛ ان الانتفاضة، بكل هذا، جعلت حيثيات الحجة المذكورة غير ذات معنى. لقد ثبت ان بنية المجتمع الفلسطيني تصلح تماماً لولوج انماط المقاومة المدنية؛ وان الثقافة الفلسطينية تحمل مضامين ايجابية تماماً، كالتعاون والايثار والعطاء اللامحدود. وأثبتت، أيضاً، ان نموذج الاحتلال الاسرائيلي هو نموذج خائب، حين أمكن لابناء الارض المحتلة هدم معظم ما بناه، خلال أكثر من عشرين عاماً، من قيم غير اصيلة ومفاهيم غريبة واردة، وذلك في شهور معدودة. وممّا يلاحظ، في هذا الجانب، ان سلطات الاحتلال لم تنجح في جرّ أية شريحة اجتماعية بكاملها الى صالحها، او لتكون لسان حالها بين ظهراني المجتمع الفلسطيني الاصيل، ذلك ان الاحتلال قد طاول بضرره كل طبقات هذا المجتمع على وجه العموم. وفي مناخ الانتفاضة، تأكدت خيبة سلطات الاحتلال، عندما فشلت في محاولاتها خلق انقسامات فلسطينية ـ فلسطينية على أساس ديني (بين المسلمين والمسيحيين)، أو سياسي (بين حركة

المقاومة الاسلامية ومنظمة التحرير الفلسطينية)، أو اقليمي (بين الداخل والخارج، أو بين الضفة والقطاع). لقد كانت هذه المحاولات مكشوفة تماماً وتدعو الى السخرية. وقد دلّت، بين دلالات أخرى، على ان سلطات الاحتلال الاسرائيلية لم تع التغيّرات العميقة في بنية المجتمع الفلسطيني خلال السنوات الطويلة من مسيرة نضاله، بحيث انها أرادت ترويج بضائع قديمة تماماً، يعود بعضها الى سنوات الثلاثينات.

٩ ـ مفهوم الجهاد يتضمّن اللجوء للعنف

ومضمون هذه الحجة ان الدور الذي يلعبه مفهوم الجهاد في التفكير الاسلامي الجمعي يحول دون نجاح الكفاح المدني اللاعنيف؛ ذلك ان كل المسلمين، الذين يشكلون غالبية الفلسطينيين، يقرّون بشرعية الجهاد ضد الاعتداء على القيم ونمط الحياة الاسلامية. ومع تزايد التطرف اليهودي، والاعتداء على المقدّسات الاسلامية، وتصاعد عمليات اغتصاب الاراضي، يزداد المسلمون الفلسطينيون ايماناً بأن الاحتلال الاسرائيلي يمثّل تهديداً لحياتهم ووجودهم، ويتعلقون بالجهاد العنيف كملجأ أخير لمواجهة هذا التهديد. وهنا يغدو من الصعب اقناع الأغلبية الساحقة من الفلسطينيين بجدوى المقاومة المدنية.

ومن الواضح ان هذه الحجة تنطلق من محورية الثقافة الاسلامية في اطار الحياة الفلسطينية؛ وهو أمر صحيح، وطبيعي، يؤكد انتماء الشعب الفلسطيني الى دائرته الحضارية، وهي دائرة الحضارة العربية الاسلامية الممتدة في الزمان والمكان. ومع ذلك، فان هذه الحجة ربما تنطلق من فهم ضيق لمفهوم الجهاد في الاسلام. مفهوم الجهاد الاسلامي أوسع بكثير من مجرّد المقاومة بالعنف. وليس هنا موضع الاستطراد في مضمون هذا المفهوم، ولكن يمكن القول بايجاز ان مختلف أشكال المقاومة المدنية تدخل، دون شك، في حوزة الجهاد. ان التعاون، والعمل الجماعي، وانشاء المؤسسات الوطنية، والحفاظ على الثقافة العربية الاسلامية، والدفاع عن المقدّسات، ولو من خلال سلاسل الحواجز البشرية، والتنادي للتجمهر من حول هذه المقدسات للحؤول دون اقتحامها من قبل المهووسين الصهيونيين، ومقاطعة بضائع العدو، وعدم الخدمة في مؤسساته، والتعريف باجراءاته التعسفية، والصبر على المكاره والضغوط التي يفرضها، وعدم الاستسلام له، والترابط الاسري، والتكافل الاجتماعي بين أبناء المجتمع كافة في الاحياء والقرى والمدن؛ كل هذه الانماط التي سلكتها الانتفاضة، لا يمكن الّا ان يدخلها المنطق تحت مفهوم الجهاد. وليس ثمّة ما يحول دون العنف، اذا ما تمّ ذلك ـ كما سبقت الاشارة ـ في اطار تخطيط محكم وتدبّر حكيم، يأخذ في الاعتبار الثوابت والمتغيّرات كافة التي تعتمل على ساحة الصراع في فلسطين، ومن حولها.

خاتمة

تعتمد المقاومة المدنية، في مضمونها الاساسي، على قدرات الانسان الفطرية، كحب البقاء والحرية والعمل في اطار الجماعة الوطنية، أو القومية، ومواجهة خطر الفناء بالامكانات المطروحة والمتوفّرة. ومن أهمّ مقوّماتها، التي يمكن ملاحظاتها بشكل مباشر، القدرات التنظيمية للمجتمع المدني. ولا شك في ان قرار الانتفاضة قد أخذ في اعتباره ان المقاومة المدنية معركة حقيقية، شأنها شأن المعارك كافة. وأغلب الظن، ان هذا القرار قد سبقه اعداد اتضحت أبعاده بمرور الوقت، وبخاصة من خلال استمرارية الانتفاضة، على الرغم من العنف الذي أوقعه المحتلون بكل سكان الارض المحتلة. ان فكرة المقاومة المدنية، كما يتضح من مفهومها، لا يمكن ان تكون وليدة وقتها، او لحظتها، وانما تختمر

عبر وقت طويل، يتمّ خلاله وزن قوة المجتمع المدني بشكل صحيح، ومعرفة حدود هذه القوة. وعلى أي حال، فان عملية مأسَسَة المجتمع الفلسطيني داخل الارض المحتلة، وحشده، وتعبئته، قد أتت أكلها في اثناء الانتفاضة. وقد أمكن لبعض المصادر احصاء أكثر من مئتي مؤسسة صحافية وجمعية خيرية ورابطة ونقابة وتعاونية تغطي كل انحاء الارض المحتلة[٤٩]. فاذا أُضيفت اليها المدارس والجامعات والبلديات، يلاحظ كيف ان حركة المجتمع الفلسطيني في اثناء الانتفاضة تسير بشكل يسعى الى عزل سلطة الاحتلال وافراغها من محتواها. وليست هذه السلطة في حالة غفلة من مغزى هذه الظاهرة. فقد كانت المؤسسات من أثمن أهداف سلطة الاحتلال. وخلال العام الاول للانتفاضة، أُغلقت مكاتب النقابات والتعاونيات والجمعيات الخيرية، فضلاً عن الجامعات والمدارس. وكان النقابيون أول من أودع المعتقلات الادارية، وتمّ ترحيل بعضهم. وفي هذا الاطار، تمّ ترحيل د. مبارك عوض الذي لقب بـ «غاندي فلسطين»، بدعوى التحريض. لقد أنشأ عوض أول مركز لدراسات اللاعنف في الشرق الاوسط والمنطقة العربية. ولحرص سلطات الاحتلال على كتم دعوته ـ التي ما عادت مكتومة بفعل الانتفاضة ـ لم تأبه بجنسيته الاميركية، وانشغلت بأصله الفلسطيني وحركته وسط المجتمع الفلسطيني، ممّا يفصح عن تحسّبها لخطورة النضال المدني. والواقع، ان تدبّر أمر المقاومة المدنية، والسعي الى انجاحها فلسطينياً عبر مسلكيات الانتفاضة، يتضح تماماً في مضمون الورقة المسماة «ورقة عمل مطروحة أمام القوى الوطنية»، والتي تمّ اعدادها في مطلع ربيع العام ١٩٨٨، بواسطة لجنة طوارىء ضمّت أعلى مستويات المسؤولية في منظمة التحرير الفلسطينية وبالتنسيق مع القيادة الموحّدة للانتفاضة. وجاء فيها «ضرورة الارتقاء بالانتفاضة من مرحلة الاضرابات والتظاهرات والمواجهات مع سلطات الاحتلال الى مرحلة جديدة من الانفصام شبه الكلي عن نظام الاحتلال». وقد حرصت الورقة على توصيف علاقة سلطات الاحتلال بالمجتمع الفلسطيني وبالارض المحتلة توصيفاً دقيقاً. ويبرز هذا التوصيف الحرص على التدرّج في الحركة والتحسّب لردود الفعل من جانب سلطات الاحتلال، وعدم توريط المجتمع الفلسطيني في انماط للمقاومة، قد لا يتمكّن هذا المجتمع من خوضها دون أضرار شديدة. ومن ذلك، مثلاً، ان الورقة لم تر الارتقاء الفجائي نحو العصيان المدني الشامل العاجل، بما في ذلك عدم دفع فواتير المياه والكهرباء والهاتف، تحسّباً لما قد ينجم عن قطع هذه الخدمات عن المجتمع الفلسطيني[٥٠]. معنى ذلك، ان الانتفاضة تتفاعل في اطار مفهوم المقاومة المدنية، وقد سبقت الاشارة الى ان غاندي كان حريصاً على التدرج في الحركة، ولم يعلن العصيان دفعة واحدة في الهند. والمجتمع الفلسطيني في الارض المحتلة كشف عن صلاحيته العامة وقدراته الفذّة على طريق النضال المدني. مع كل ذلك، وعلى الرغم منه، هناك نقطتان تلحّان على ذهن المراقب، يمكن توجيه الانظار اليهما في الختام:

النقطة الاولى تتعلّق بالمقارنة بين التجربة الهندية، بخاصة، وبعض التجارب الاخرى للمقاومة المدنية، بعامة، وبين التجربة الفلسطينية. هذه المقارنة ينبغي ان تكون بالقياس مع الفارق. فالهند كانت تخضع للاستعمار في شكله التقليدي، أي غير الاستيطاني، في التحليل الاخير؛ وكانت مجتمعاً كبير الحجم، بشرياً وجغرافياً. فقدرة ذلك المجتمع على تحمّل الخسائر، في أهمّ جوانبها، كانت غير محدودة؛ كما ان الخسائر التي كان يلحقها بمقاطعة مستعمريها البريطانيين ربما كان يصعب تعويضها من قبلهم، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية التي بدأت بعدها شمس بريطانيا في الأفول. فلم تكن بريطانيا كياناً يتلقّى مساعدات لامحدودة كالكيان الصهيوني في علاقته بالولايات المتحدة الاميركية. التجربة الهندية كانت لها، اذاً، ظروفها الخاصة. امّا التجارب الاخرى، كتجربة

اقتلاع النظام الايراني السابق، او اجتياح النظم الشيوعية في شرق أوروبا حديثاً، فقد دارت جميعها في اطار التخلّص من نظم حكم معيّنة، وليس في اطار التخلّص من احتلال عنصري استيطاني احتلالي، كنموذج الاستعمار الاسرائيلي في فلسطين. وفي جنوب افريقيا، يواجه المجتمع الاصيل تجربة الفصل العنصري، وتسعى حركة التحرر الافريقية الى تغيير قواعد الحكم لدحر العنصرية، ويجرى النضال المدني داخل مجتمع يعدّ فيه السود الافارقة الاغلبية الساحقة بالمعنى السكاني. الفروق ولا شك واضحة بين هذه التجارب مقارنة بالتجربة الفلسطينية.

أمّا النقطة الثانية، فتتعلق بحدود المقاومة المدنية في فلسطين المحتلة، وهي ذات صلة وثيقة بالنقطة السابقة؛ اذ لا خلاف على ان المجتمع الفلسطيني يلج النضال المدني واسع النطاق وهو محصّن بارادة غير محدودة للاستقلال وطرد المستعمر الصهيوني. لكن السؤال يظل مشروعاً حول حدود قدرة هذا المجتمع على الاستمرار في انماط النضال التي أفرزتها الانتفاضة. فالبعض[٥١] يتحدث عن الاعاقة الجسدية، والاقتصادية، والبنيوية، التي يسببها العنف الاسرائيلي في مواجهة الانتفاضة، وما يمكن ان ينجم عنها من تحطيم لبنية المجتمع الفلسطيني في الارض المحتلة على المديين، المنظور والبعيد. والذي يمكن ان يقال، في هذا الجانب، كثير. ان سلطات الاحتلال تسعى حثيثاً الى هذا الهدف، والأمثلة على محاربتها للمجتمع المدني الفلسطيني لا تحصى، حتى ان جنود الاحتلال يرمون القنابل في عشش الدواجن وحظائر الحيوانات لقتلها وتدمير فكرة الاقتصاد الشعبي[٥٢]، ناهيك التحدث عن القتلى والجرحى والمعتقلين والمشوّهين واغلاق المدارس والجامعات ونسف البيوت، الخ. وعلى الرغم من ان المنتفضين هم الاقدر على تحديد قدراتهم، والتي يبدو انها مطمئنة تماماً، الّا ان هذه الظاهرة تستدعي، من جهة، التفكير في الآليات المناسبة لدعم الانتفاضة عربياً، وبشكل جدي، بصفتها الجبهة العربية الساخنة الوحيدة في مواجهة الغزوة الصهيونية، وتستدعي، من جهة أخرى، وضع المجتمع الدولي كله، وعلى أعلى المستويات، تجاه جرائم الاستعمار الصهيوني في الارض المحتلة، في وقت يتنادى الجميع ويتحركون على ايقاع نغمة شاملة تسمّى حقوق الانسان والحرية.

---

(١) أحمد عطية الله، **القاموس السياسي**، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٠، ص ١٥٠١.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ١٥٠٢.

(٣) *Sills, David (Ed.); International Encyclopaedia of the Social Sciences,* Vol. I, London: Collier - Macmillan Publishers, 1972, p. 473.

(٤) *The New Encyclopaedia Britannica,* Vol. II, 15th Edition, London: Encyclopaedia Britannica inc., 1974, p. 955.

(٥) **Sills, Op. cit.**, p. 474.

(٦) للمزيد راجع **المصدر نفسه**، ص ٤٧٥ ـ ٤٧٨؛ و *The International Every - Man's Encyclopaedia,* Vol. 14, New York: Encyclopaedia Enterprises inc., 19678, p. 5317.

(٨) انظر جين شارب، «دور القوة في الكفاح اللاعنيف»، في د. سعدالدين ابراهيم (تحرير)، **المقاومة المدنية في النضال السياسي**، عمّان: منتدى الفكر العربي، ١٩٨٨، ص ٩ ـ ٢٣؛ وللمزيد من افكار شارب يمكن مراجعة Sharp,Gene;*The Politics of Nonviolent Action,* 3 Volumes, Boston: Porter Sargent, 1973.

(٩) قدري قلعجي، **غاندي**، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، ١٩٥٢، ص ٧٠.

(١٠) Allan, J.; *The Cambridge Short History of India*, London: S. Chand Co., 1964, pp. 713 - 714.

(١١) Sills, **Op. cit.**, p. 474.

(١٢) **المصدر نفسه**، ص ٤٨١؛ كذلك، براد بينت، «نماذج عالمية من حركات اللاعنف»، في د. ابراهيم، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٨.

(١٣) Allan, **op. cit.**, p. 713.

(١٤) **التقرير الاستراتيجي العربي لعام ١٩٨٧**، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - مؤسسة «الاهرام»، ١٩٨٨، ص ٢٥٨.

(١٥) انظر شارب، **مصدر سبق ذكره**.

(١٦) كريشنا كريبالدي (اعداد)، **حياة المهاتما غاندي وآراؤه كما رواها** (ترجمة يونس شاهين)، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٩، ص ١٥٤.

(١٧) قلعجي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٤.

(١٨) **المصدر نفسه**، ص ٧١.

(١٩) آدم كيرل، «استخدام اللاعنف ضد الظلم والعدوان»، في د. ابراهيم، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٩ - ٣٠.

(٢٠) انظر بيان نويهض الحوت، **الشخصيات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ - ١٩٤٨**، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١، ص ٤٣.

(٢١) محمد عبدالرؤوف سليم، **تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة**، الجزء الاول، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٤، ص ١٨٤؛ وخيرية قاسمية، «نجيب نصار في جريدته 'الكرمل'، ١٩٠٩ - ١٩١٤»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٣٣، تموز (يوليو) ١٩٧٣، ص ١٠٣.

(٢٢) انظر الكثير من الوثائق حول هذه الانماط في علي محمد علي (اعداد)، **ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية**، ثلاثة أجزاء، القاهرة: مركز دراسات الشرق الاوسط والهيئة العامة للاستعلامات، بلا تاريخ نشر.

(٢٣) للمزيد، راجع عبدالقادر ياسين، **حزب شيوعي ظهره الى الحائط**، بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٧٨؛ ومعين بسيسو، **يوميات غزة**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١.

(٢٤) «التقرير الاستراتيجي...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٦٠ - ٢٦٢.

(٢٥) **عل همشمار**، ١٩٨٧/٧/٣.

(٢٦) انظر عبدالفتاح الجيوسي (اعداد)، **فلسطين المحتلة، ١٩٨٥ - ١٩٨٧: الصمود والتحدي**، عمّان: دار الجليل للنشر، ١٩٨٨، ص ٥ - ١٤.

(٢٧) حول واقع المقاومة في نهاية السبعينات ومطلع الثمانينات، راجع المداخلات المختلفة في ندوة «قضايا النضال الوطني في الضفة والقطاع»، **شؤون فلسطينية**، العددان ١١٨ و١١٩، أيلول (سبتمبر) وتشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨١.

(٢٨) انظر يزيد خلف، «حول التفكير العسكري الفلسطيني»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٥٠/١٥١، أيلول / تشرين الاول (سبتمبر / اكتوبر) ١٩٨٥، ص ٣٣ - ٥٥.

(٢٩) صبري جريس، «عشرون سنة من الكفاح المسلح؛ نحو نظام فلسطيني جديد»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٤٢/١٤٣، كانون الثاني / شباط (يناير / فبراير) ١٩٨٥، ص ١٤ - ٤٦.

(٣٠) د. رالف كروود. فيليب غرانت، «تساؤلات وخلافات حول اللاعنف في الشرق الاوسط»، في د. ابراهيم، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٤٥ - ١٤٩.

(٣١) راجع، على سبيل المثال، «التقرير الاستراتيجي...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٩٢ - ١٢٣.

(٣٢) ورأى البعض ان من سمات الانتفاضة انها تجمع بين العنف واللاعنف على حد سواء، أنظر د. محجوب عمر، **الانتفاضة تراث وحاضر ومستقبل**، **ظافر**، القاهرة: الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين ودار البيادر للنشر، ١٩٨٩، ص ٢٧.

(٣٣) هو البيان الرقم ٤٠ الصادر في أيار (مايو) ١٩٨٩.

(٣٤) انظر، على سبيل المثال، **دافار**، ١٩٨٨/٣/١٨؛ **وحداشوت**، ١٩٨٨/٨/٢٤؛ وعلاء سالم، «الانتخابات البرلمانية الاسرائيلية»، **السياسة الدولية** (القاهرة)، العدد ٩٥، كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩، ص ١٧٤.

(٣٥) راجع تحليلاً لهذه الجوانب في د.

احمد يوسف احمد، «الانتفاضة الفلسطينية؛ الميلاد، الانجاز، المستقبل»، **المستقبل العربي** (بيروت)، العدد ١٢٦، آب (اغسطس) ١٩٨٩، ص ٩ ـ ٢٠.

(٣٦) المصادر كثيرة بهذا الخصوص. انظر، على سبيل المثال، ريجينا الشريف، **الصهيونية غير اليهودية؛ جذورها في التاريخ الغربي** (ترجمة احمد عبدالله عبدالعزيز)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٥؛ وروجيه جارودي (ترجمة تحت اشراف د. كامل فوية)، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٣، ص ١٠٥ ـ ١٤٦؛ ومجموعة مؤلفين، **الصهيونية والعنصرية**، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٦.

(٣٧) د. علي الدين هلال، «الفكر السياسي لحركة المقاومة»، في مجموعة مؤلفين، **الفلسطينيون في الوطن العربي**، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٨، ص ٦١٤.

(٣٨) عواد الاسطل، «المقاومة الفلسطينية وعملية التعبئة السياسية لمواطني الضفة والقطاع»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٨٣، حزيران (يونيو) ١٩٨٨، ص ٥.

(٣٩) احمد صدقي الدجاني، **الانتفاضة الفلسطينية والصحوة العربية**، القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٨، ص ٦٤.

(٤٠) د. يوسف ابو سمرة، «العنف الاستيطاني وآثاره النفسية والاجتماعية والثقافية في الارض المحتلة»، **السياسة الدولية**، العدد ٩٠، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٨، ص ١٥٠.

(٤١) انظر عبدالجبار عدوان، **انياب الخروف**، القاهرة: دار الشرق الاوسط للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٩، ص ٥٦ ـ ٦٢؛ وجميل مطر، **الاهرام** (القاهرة)، ١٩٩٠/١/١.

(٤٢) ربعي المدهون، «ستة شهور في الاتجاه الصحيح»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٨٤، تموز (يوليو) ١٩٨٨، ص ٤.

(٤٣) انظر حديثاً لياسر عرفات في **الاهرام** (القاهرة)، ١٩٨٨/٢/١٣.

(٤٤) انظر د. هيثم كيلاني، «الانتفاضة في اطارها الاستراتيجي»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٩٤، أيار (مايو) ١٩٨٩، ص ١١ ـ ١٢؛ ومحمد خالد الازهري، «ثورة ١٩٣٦ وانتفاضة ١٩٨٧؛ رؤية مقارنة»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٩٩، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٩، ص ٢٠.

(٤٥) انظر خالد عايد، **الانتفاضة الثورية في فلسطين؛ الابعاد الداخلية**، عمّان: دار الشروق، ١٩٨٨.

(٤٦) خاضت حركة موليدت انتخابات الكنيست الثاني عشر، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، تحت شعار «امّا نحن وامّا هم» (أي الفلسطينيين)، انظر **حداشوت**، ١٩٨٨/٨/٢٤؛ ود. محجوب عمر (تقديم) **الترانسفير؛ الابعاد الجماعي في العقيدة الصهيونية**، القاهرة: دار البيادر، ١٩٩٠.

(٤٧) اوردت **الحياة** (لندن)، في ١٩٩٠/١/١٦، تعليلاً مفصلاً عن هذه الحركات.

(٤٨) د. ابراهيم، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٥٣.

(٤٩) راجع عبدالجبار عدوان، **ثمن الاستقلال**، القاهرة: دار الشرق الاوسط للنشر، ١٩٨٩، ص ٤٢٣ ـ ٤٥٠.

(٥٠) انظر نص الورقة في لطفي الخولي، **الانتفاضة والدولة الفلسطينية**، القاهرة: مركز الاهرام للدراسات والنشر، ١٩٨٨، ص ٣١١ ـ ٣١٦.

(٥١) من ذلك مقالة اللواء احمد عبدالحليم، **الاهرام**، ١٩٨٩/١٢/٢٧.

(٥٢) عدوان، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢١.

فلسطين قضية مصريّة

(١٧٩٨ ـ ١٩١٤)

جلال السيد

في السنوات الاخيرة، طرأت على العقل والوجدان المصريين نغمة سياسية غريبة، تتنكر لجهود الحركة الوطنية طوال سبعين عاماً، وتتجاهل حقائق التاريخ، وتتعامى عن الاحداث اليومية. هذه النغمة هي الترويج لابتعاد مصر من القضية الفلسطينية، بحجة ان ما قدّمته، وتحمّلته، أكثر من طاقتها؛ فقد خاضت من أجل فلسطين أربع حروب، وضحّت بحوالى مئة ألف شهيد، وتحمّلت أعباء مالية ومادية فاقت طاقتها؛ ومن حقها، اليوم، ان تهتم بقضاياها، ولا تتطلع الى خارج حدودها.

من هنا جاء اهتمامنا بطرح القضية الفلسطينية من منظور انها قضية مصرية، من خلال استقراء أحداث التاريخ ومحاولة فهم الواقع. وحين نتوقف، قليلاً، عند هذا المنظور، فنحن لا نتجاهل الدوافع الاخرى التي تحرّك المدافعين عن القضية الفلسطينية، سواء أسياسية كانت أو اجتماعية أو قومية أو دينية. نتابع الأحلام والأطماع الصهيونية على الأراضي المصرية في التقائها مع الهجمات الاستعمارية على مصر منذ الحملة الفرنسية حتى الآن؛ نتابع الأهداف الاستعمارية والصهيونية في عزل مصر عن الأقطار العربية، وضرب جيشها الوطني كلما قوي هذا الجيش وأصبح قادراً على الدفاع عن الوطن والتطلع الى خارج حدوده لتحقيق أمن الوطن والالتقاء باخوته العرب؛ نتابع خطة الاستعمار والصهيونية في محاولة استنزاف موارد مصر وطاقاتها، ومحاولة تخريب اقتصادها، والسيطرة على العقول فيها. والى جانب ذلك، نرصد دور الحركة الوطنية، وموقف الأحزاب والهيئات السياسية، من القضية الفلسطينية، من بداية العشرينات حتى الآن، ونتوقف عند الذين تطوعوا للدفاع عن فلسطين واستشهدوا على أرضها منذ حركة عزالدين القسّام (١٩٣٥)، ونسجّل جمعيات «نصرة الشعب الفلسطيني» منذ الثلاثينات، و«اللجنة العليا للدفاع عن فلسطين» في الأربعينات، والانضمام الى الثورة الفلسطينية منذ الستينات، وكذلك لجان مناصرة ومساندة الشعب الفلسطيني.

يحرك الجميع الاحساس بالخطر الصهيوني. ويقف الجميع دفاعاً عن النفس ازاء الغزو الاستعماري الصهيوني. وقد كانت مصر، وما زالت، هدفاً من أهداف الاستعمار والصهيونية، منذ الحملة الفرنسية على مصر العام ١٧٩٨؛ حيث بدأ اهتمام الدول الاستعمارية، خاصة بريطانيا وفرنسا، بالتطلع الى تركة «الرجل المريض» ـ الامبراطورية العثمانية. وكانت البداية بالمناطق ذات الوضع الاستراتيجي (مصر وسوريا). وكانت مصر ساحة للصراع بين فرنسا وبريطانيا. وكان تدمير الاسطول الفرنسي في ابي قير، وحين ذهب نابليون الى سوريا، واجه، أيضاً، بريطانيا. ومن خلال التكالب الاستعماري على تأمين التجارة وفتح أسواق جديدة والبحث عن المواد الخام، وما حدث

في المجتمعات الأوروبية من تغيرات وتحولات من مجتمعات تجارية الى مجتمعات صناعية، كان له تأثير في أوضاع اليهود في اوروبا، فجنوا ثمار الانقلابين، التجاري والصناعي، وعانوا من المشاكل الناجمة عنهما. كما كانت هذه التحولات الاجتماعية التي عرفها المجتمع الاوروبي هي المسؤولة عن ظهور المسألة اليهودية. وكما عرف اليهود الاضطهاد الأوروبي، فقد حصلوا على حقوق الانسان والمساواة، في بعض الفترات، خاصة في أعقاب الثورة الفرنسية واعلان دستور ١٧٩٣. وجاء الحل الصهيوني للمسألة اليهودية من خلال الحركة الاستعمارية العالمية، والتي اصبحت الصهيونية جزءاً منها، وليس لديها مقدمات الاستقلال أو حرية الحركة بعيداً من الحركة الاستعمارية. واذا كان الحل الصهيوني السياسي عرف منذ مؤتمر بازل، العام ١٨٩٧، ونشاط هرتزل، فقد وجد، قبل ذلك، ما عرف بالصهيونية غير اليهودية، «صهيونية الأغيار» أو الصهيونية المسيحية؛ وهي حركة الاسترجاع المسيحية التي كانت تطالب باعادة اليهود الى أرضهم حتى يتسنى الاسراع في تحويلهم الى المسيحية. ولأن الأفكار الدينية لا توجد بمعزل عن التحولات الاجتماعية، فليس من الغريب ان الحركات الاسترجاعية في اوروبا قد انتعشت في القرنين، السادس عشر والسابع عشر، عصر التجارة والاستكشافات الجغرافية وعصر الاستعمار التجاري. ثمّ وصلت ذروتها في القرن التاسع عشر (عصر الامبريالية) وتزايدت الحمّى الاسترجاعية، خصوصاً في بريطانيا، بسبب ظهور المسألة الشرقية والمطامع الأوروبية في وراثة الامبراطورية العثمانية. وبدأ رجال السياسة الأوروبيون ينظرون الى فكرة عودة اليهود الى صهيون على انها وسيلة لطرد الاتراك من الشرق الاوسط[١]. وبما ان الاسطورة الدينية تتكيف مع الواقع الاقتصادي، والتاريخي، فاننا نجد انها تتحول من مجرد فكرة دينية تؤكد على عودة اليهود الى فلسطين لتحقيق النبوءة التوراتية، لتصبح برنامجاً استعمارياً يؤكد عودة اليهود الاستيطانية لفتح الأسواق وحماية المصالح الاستعمارية وتنفيذ المخططات الاستعمارية.

نداء نابليون

عندما كان نابليون بونابرت يقوم باعداد حملته على مصر، وفلسطين، انتشرت رسالة موجهة الى يهود العالم انتشاراً واسعاً في اوروبا، دعتهم الى انشاء مجلس يمثلهم كي يتفاوض، باسمهم، مع الحكومة الفرنسية، من أجل «اعادة» فلسطين الى الشعب اليهودي. وكانت الرسالة موجّهة الى «الاخوان في الدين»؛ الا انها لم تحمل اي توقيع، لان الحكومة الفرنسية كانت وراء اصدارها، كما أشار الى ذلك ناحوم سوكولوف. وجاء في الرسالة، التي اصدرت العام ١٧٩٨: «ان البلاد التي نقترح احتلالها سوف تضم (وذلك يخضع للترتيبات التي تراها فرنسا مناسبة) مصر السفلى، بالاضافة الى منطقة تمتد حدودها على خط يسير من عكا الى البحر الميت، ومن الطرف الجنوبي الى البحر الأحمر. ان هذا الموقع المتفوق على ما عداه، والمتميز عن سائر المواقع في العالم، سوف يجعل منّا، حين نمخر عباب البحر الاحمر، أسياد تجارة الهند والجزيرة العربية وجنوب افريقيا وشرقها والحبشة (اثيوبيا)... ان الاقتراب من حلب ودمشق سوف يسهل تجارتنا مع بلاد فارس؛ ومن طريق البحر الابيض المتوسط نستطيع اقامة الاتصالات مع فرنسا واسبانيا وايطاليا وسائر انحاء القارة الاوروبية. ان بلادنا الواقعة... في مركز الوسط في العالم، سوف تصبح مركزاً تجارياً لتوزيع السلع من كل المنتجات الغنية والثمينة على سطح الكرة الأرضية»[٢].

وقد اصدر بونابرت نداءين الى اليهود: الأول بمجرد وصوله مصر العام ١٧٩٨، والذي حثّ فيه جميع يهود آسيا وافريقيا على الالتفاف حول رايته، من أجل اعادة «مجدهم الغابر» واعادة

بنـاء «مملكـة القـدس القديمة»؛ ثمّ وجه نداء آخر في الرابع من نيسان (ابريل) ١٧٩٩، في اثناء محاصرته لمدينة عكا؛ وكان مما ورد فيه: «ان العناية الالهية التي أرسلتني على رأس هذا الجيش الى هنا قد جعلت العدل رائدي، وكلفتني بالظفر، وجعلت من القدس مقرّي العام، وهي التي ستجعله، بعد قليل، في دمشق التي يفيد جوارها لبلد داود». وخاطب بونابرت اليهود بقوله: «يا ورثة فلسطين الشرعيين»؛ ودعاهم الى مؤازرته، طالباً منهم العمل على «اعادة احتلال وطنهم»[٣]. وقد تحطمت أحلام بونابرت، ومن خلفه اليهود، في تحقيق حلمهم الاستعماري أمام أسوار عكا. وعلى الرغم من هزيمته وفشـل حلمـه الصهيـوني، فقـد وصفـه حاييم وايزمان، أول رئيس للدولة الصهيونية، بأنه «أول الصهيـونيـن العصريين من الأغيار»، وكان الأنسب ـ كما قال د. عبدالوهاب المسيري ـ «انه أول الصهيونيين على الاطلاق، لانه لم يكن هناك من أثر لأي فكر صهيوني بين اليهود في ذلك التاريخ... ويمكننا، في الواقع، اعتبار نداء نابليون الاسترجاعي أول وعد بلفوري»[٤].

وكما راقبت بريطانيا الحملة الفرنسية، منذ تحركها سراً بعيداً من الأسطول البريطاني، والذي لحق بهـا ودمّر الأسطول الفرنسي في أبي قير، ظلت بريطانيا حتى رحل الفرنسيون عن مصر العام ١٨٠١ وأصرت الدولة العثمانية على خروج بريطانيا، والذي تمّ العام ١٨٠٣، حيث اصطحبت معها أحد عملائها من المماليك (محمد الألفي). ولأن بريطانيا لم تتوقف عن اهتمامها بمصر، فكانت حملة فريزر العام ١٨٠٧، والتي دحرت امام مقاومة الشعب المصري في رشيد. لكن اهتمامها لم يتوقف حتى كان احتـلالهـا لمصر العام ١٨٨٢. وبظهور محمد علي، منذ العام ١٨٠٥، وتحركاته العسكرية في الجزيرة العربية (١٨١١) ومشروعه الاستقلالي في اطار الدولة العثمانية، واصلاحاته، وبعثاته الى أوروبـا، وعلاقته بفرنسا، أصبح دور بريطانيا يتركّز على تحطيم محمد علي ومشروعه، لانه اصبح المنافس الحقيقي في وراثة تركة «الرجل المريض» ـ الدولة العثمانية. ولمّا كان محمد علي حريصاً على تحركاته في اطار الدولة العثمانية وتعليمات السلطان، فقد اشترك في حرب المورة لاخماد ثورة اليونان. ولما كانت السياسة والمصالح لا تعرف الصداقة، فقد اشتركت فرنسا مع بريطانيا في تحطيم اسطول محمد علي. وقد قال محمد علي، معلقاً على هذا الحادث: «ان منظر الفرنسيين وهم يطلقون النار على سفنهم، تلك السفن التي بنوها لمصر، لهو منظر يثير الألم؛ بل هو منظر يفتت الأكباد ويبكي العين الجماد»[٥]. وما ان تحرك محمد علي بجيوشه، بقيادة ابنه ابراهيم، نحو الشام (١٨٣١) حتى جنّ جنـون بريطانيا، وبدأت المؤامرات واضحة ضد محمد علي، خاصة ان جنوده كانوا يدقون أبواب الآستانه، وأصبح محمد علي مؤهلاً لأن يرث الدولة العثمانية، ولديه من المؤهلات التي لا تستطيع بريطانيا التمسّح بها (الدين). وهنا نلاحظ ان الدولتين الاستعماريتين، فرنسا وبريطانيا، لا تعنيهما فتوحات محمد علي في الجزيرة العربية، او السودان؛ بل أكثر من هذا كان الاتفاق معه حول الذهاب الى الجزائر؛ لكن الموقف اختلف تماماً في الشام حيث فلسطين، وحيث الموقف الصهيوني الذي تبنّاه عدد من السياسيين البريطانيين، ومن قبلهم الفرنسيون.

ولن نستطرد في تتبع صراع الدول الاستعمارية حول تركة الدولة العثمانية، الاّ بما يخدم تتبعنا لموقف هؤلاء من الصهيونية، وموقفهم من مصر. فقد أدركت بريطانيا ان وجود طائفة تعتمد عليها في بلاد الشام أمر في غاية الأهمية بالنسبة الى مصالحها في تلك البلاد، خاصة ان فرنسا كانت تتمتع، منذ العام ١٥٣٥، بحق حماية الكاثوليك؛ وروسيا، منذ العام ١٧٧٤، بحق حماية الأرثوذكس في الدولة العثمانية. ولذا، فقد رأت في اليهود أقلية يمكن ان تعتمد عليها في فلسطين، تماماً كم فعلت، فيما بعد، العـام ١٨٦٠، حينمـا وجـدت في الدروز قوة موالية لهـا، ولم يكن من العسـير ان تدرك انـه في

امكانها الاستفادة بالتظاهر بالدفاع عن اليهود للتسرب داخل الدولة العثمانية. وقد قامت بريطانيا، في تموز (يوليو) ١٨٣٨، بافتتاح أول قنصلية لها في القدس. وأعلنت بريطانيا انها انشأت قنصليتها بهدف رعاية مصالحها في فلسطين، والتي كان من ضمنها «تقديم الحماية لليهود هناك عامة». ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ اذ بدأت فكرة توطين اليهود في فلسطين. ويعتبر اللورد بالمرستون من أشد المتحمسين لهذه الفكرة، منذ توليه وزارة الخارجية البريطانية وحتى بعد تسلمه رئاسة الوزارة فيما بعد، حيث عبّر، مراراً، عن اعتقاده بأن «بعث الأمة اليهودية سيعطي القوة للسياسة البريطانية». وقد اصدر بالمرستون، العام ١٨٣٩، تعليماته الى القنصل البريطاني في القدس، وليام يونغ، بمنح اليهود في فلسطين الحماية البريطانية، لضمان سلامتهم وصون ممتلكاتهم وأموالهم. وبتوجيه من بالمرستون قامت صحيفة «غلوب» اللندنية، الناطقة بلسان الخارجية البريطانية، بنشر سلسلة من المقالات، في العام ١٨٣٩، تدعو فيها الى تكوين دولة يهودية مستقلة من فلسطين. كما قامت جريدة «التايمز» اللندنية، في العاشر من آب (اغسطس) ١٨٤٠، بنشر مقالة بعنوان «اعادة توطين اليهود»، جاء فيها: «ان قيام دولة يهودية سيفصل بين تركيا ومصر، وسيدعم النفوذ البريطاني في الليفانت، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً»[٦]. كما أعلن اللورد بالمرستون، في رسالة بعث بها الى السفير البريطاني في استانبول، في ١١/٨/١٨٤٠، انه «اذا عاد أفراد الشعب اليهودي الى فلسطين تحت حماية ومباركة السلطان، فسيكون، في هذا، حائل بين محمد علي ومن يخلفه وبين تحقيق خطتهم الشريرة في المستقبل»[٧]. وبالطبع، فان «الخطة الشريرة» هي الالتقاء العربي والعمل على تحقيق الوحدة العربية، التي أدرك مقوماتها بونابرت، وكذلك السياسيون البريطانيون. ونجحت بريطانيا، ومعها النمسا وبروسيا وروسيا، في ما عرف بـ «اتفاق لندن» (١٥/٧/١٨٤٠)، بتسوية المسألة الشرقية ضد محمد علي وفي غياب فرنسا، والتي لم تستطع ان تساعد محمد علي كما توقع. وأُصدرت عدة فرمانات من السلطة العثمانية، حتى قبل محمد علي بالفرمان الأخير، في ١٠/٦/١٨٤١، والذي مُنح فيه محمد علي الوراثة، وفقاً لقانون الارشد فالارشد، اي الوراثة لأكبر الذكور سناً في أسرة محمد علي، وجعل حق تعيين ضباط الجيش المصري من حق باشا مصر حتى رتبة الأميرلاي، وحددت الجزية التي يؤديها الوالي الى الباب العالي. وكانت مؤامرة الدول الاستعمارية على مصر، مستغلة ضعف السلطان العثماني، فحققت خططها التي ما زالت مستمرة، وهي ضرب الجيش المصري عندما يقوى، وعزل مصر داخل حدودها. وكانت جريمة محمد علي، في رأي الدول الاستعمارية، انه أنشأ جيشاً قوياً، وتخطى حدود الديار المصرية.

وتكرر الموقف، بالنسبة الى مصر، في أثناء الثورة العرابية، وفي عهد جمال عبدالناصر (عدوان ١٩٥٦ وعدوان ١٩٦٧)، حيث تجرأ الجيش ودافع عن أمن مصر.

وبموقف بريطانيا وحماس بالمرستون، بدأت المشروعات الصهيونية في استيطان فلسطين وبعض الأراضي المصرية، ولن نتابع أطماع الصهيونية في الاقطار العربية الأخرى، فهذا موضوع آخر.

ولم تكن بريطانيا وحدها هي الساعية الى توطين اليهود في فلسطين؛ بل تنافست كل من ايطاليا والمانيا في مثل هذه المشروعات الاستعمارية، ولم تكن فرنسا بعيدة من هذه المشروعات، بل تحمّست لها، وعملت من اجل تحقيقها، وكانت الظروف مساعدة لها في عصر نابليون الثالث وتولّي سعيد باشا حكم مصر، والذي حاول اعادة العلاقة مع فرنسا، مستفيداً من تجربة محمد علي، فكانت بداية العلاقات الاتفاقية بين سعيد وفرديناند ديلسبس، العام ١٨٥٤، على امتياز قناة السويس. ولم يعد اليهود يقفون عند طرح آرائهم والوقوف خلف الدول لاعلان مشروعاتها، بل نجد نشاطهم في

مصر، منذ عهد سعيد واسماعيل، واضحاً، حيث ظهر الى جانب الممولين الأوروبيين أصحاب المصارف الخاصة، مثل باستر وديرفيو وأوبنهايم ولافيسون ولنداو، ممولون من اليهود الشرقيين، ومن اليونانيين، ومن بلاد الشام. وكان أهم هؤلاء الممولين عائلات قطاوي ومنشّيه وسوارس وسرسق. وقد أسس هؤلاء، أيضاً، مصارف خاصة، وكانت لهم صلات ببعض البيوت المالية في أوروبا وببعض كبار الممولين اليهود فيها. وبعد ان تدهورت أحوال اسماعيل المالية، ودبّ الخلاف بينه وبين ديرفيو وأوبنهايم، لتوقفهما عن اقراضه، صفّت المصارف الأوروبية الخاصة أعمالها في مصر، وعاد أصحابها الى أوروبا، فحلت المجموعة الجديدة محلها في أعمالها الاستثمارية كافة، بما فيها اقراض الخديوي والحكومة. وقد أسس هؤلاء «بنك يعقوب قطاوي وأولاده» و«بنك يعقوب منشّيه» و«بنك اخوان سوارس» و«بنك سرسق». وكان اسماعيل يتعامل مع كل هذه المصارف، ويتعامل، أيضاً، مع «بنك عاداه» و«بنك ظريفه وزافيرو بولو». ومن العائلات المصرفية الأخرى، التي ظهرت في تلك الفترة، عائلة هراري التي اشتركت في انشاء البنك العقاري المصري والبنك الأهلي المصري وشركات السكر والمياه وكوم امبو والشيخ فضل[٨]، وجميع هؤلاء من العائلات اليهودية، باستثناء عائلة سرسق، التي جاءت من لبنان العام ١٨٦٠. وبدأ اليهود في مصر يلعبون دوراً ملحوظاً في الاقتصاد المصري.

نعود الى موقف فرنسا في الفترة تلك، مع بداية العمل في حفر قناة السويس، حيث كان حماس فرنسا لاقامة دولة يهودية في فلسطين تحت الحماية الفرنسية. وأخذ بعض المفكرين والكتاب السياسيين في فرنسا يرفعون لواء الدعوة للمناداة بفلسطين «اقليماً يهودياً»، على نحو مماثل للدعوة الصادرة بجعل لبنان «اقليماً مسيحياً» تحت الحماية الفرنسية. وقد أبدى نابليون الثالث اهتماماً ملحوظاً بفكرة توطين اليهود في فلسطين، خاصة حين حصلت فرنسا على امتياز شق قناة السويس. وبرز هذا الاهتمام على لسان عدد من الشخصيات الفرنسية المقربة الى نابليون الثالث.

ومن بين هؤلاء جان هنري دونان، الذي كان على صلة وثيقة بحكام أوروبا. وقد قام بنشاطات واسعة في فرنسا، وخارجها، لكسب الرأي العام الفرنسي، والأوروبي، من أجل الاستيطان اليهودي في فلسطين، وأنشأ «جمعية استعمار فلسطين» في باريس، ونجح في الحصول عى موافقة الامبراطورة أوجيني، زوجة نابليون الثالث، لتولّي رئاسة هذه الجمعية. وفي الفترة عينها، عبّر السكرتير الخاص لنابليون الثالث، ارنست لاهاران، عن المطامع الامبريالية الفرنسية في الشرق، وعن اهمية المشروع الصهيوني بالنسبة اليها، ونشر آراءه في كتابه الذي أصدر العام ١٨٦٠ بعنوان «المسألة الشرقية الجديدة؛ الامبراطورية المصرية والعربية واعادة احياء القومية اليهودية». واقترح لاهاران قيام فرنسا بتوطين اليهود في فلسطين، يؤازرها في ذلك دعم وجهد المصرفيين والتجار اليهود في العالم، ويجرى اكتتاب مالي يهودي عام يتيح لليهود المجال لشراء «وطنهم القديم» من الدولة العثمانية. وأوضح لاهاران الفوائد التي تعود على الامبريالية الغربية من وراء هذا المشروع بقوله: «أي قوة في أوروبا ستعترض على الخطة الداعية الى اتحاد اليهود من أجل شراء ارض أجدادهم القديمة؟ ومن ذا الذي سيعترض، اذا عمد اليهود الى القاء بضع حفنات من الذهب الى تركيا العاجزة المتهالكة؟... لن تثار أي اعتراضات على تحقيق هذه الخطة». والذي يعنينا في مشروع لاهاران الجزء الخاص بمصر، حيث جاء فيه: «وسوف يتم السماح لمملكة يهودا بتوسيع حدودها من السويس الى مرفأ أزمير، بحيث تشمل منطقة سلسلة جبال لبنان الغربية بكاملها...». وقد وصف لاهاران العرب، في كتابه، بالهمجية والوحشية؛ بل أنكر المساهمة العربية في ميادين العلوم الأوروبية وقصرها على اليهود. ومن المفارقات العجيبة ان لاهاران قدّم كتابه، بل مشروعه هذا، وهو في الوقت عينه، أحد ضيوف الشرف

لدى الخديوي اسماعيل في حفل افتتاح قناة السويس العام ١٨٦٩[٩]؛ كما كانت نجمة الاحتفال رئيسة «جمعية استعمار فلسطين»، الامبراطورة أوجيني.

ولم يمض عامان على نشر كتاب لاهاران حتى نشر موشي هس كتابه «روما والقدس» بالألمانية، تحت تأثير انتصار حركة التحرر والوحدة في ايطاليا. وقد تلقّى هس، في صغره، ثقافة تلمودية في مسقط رأسه بون، في المانيا، وانصهر في المجتمع الالماني، ثمّ الأوروبي. ومع مطلع الأربعينات، عمل جاهداً في تنظيم الحركات العمالية في ألمانيا ونشر التعاليم الاشتراكية؛ ولهذا السبب أطلق عليه اسم «الحاخام الأحمر»؛ وتعاون، في هذا المجال، من حين الى آخر، مع كارل ماكس وفريدريك انجلز، ثمّ اختلف معهما، وانتقل من بلد الى آخر في أوروبا. ولم ينس هس، على الرغم من نشاطه في الحركات العمالية وتعاطفه مع حركات التحرر التي عاصرها، كما يبدو من كتاباته، أسس الثقافة التلمودية التي تلقّاها في صغره. وقد عادت تلك الأسس لتحتل مركزاً مرموقاً في تفكيره مع بداية شعوره بالكراهية تجاه المجتمع الالماني الذي نشأ فيه ونما اعجابه بمواقف فرنسا وسياستها. وقد رأى ان الطريق العملي للوصول الى حل للمسألة اليهودية يكمن في اقامة دولة يهودية. وحسب رأيه، سوف يحظى هذا المشروع بدعم فرنسا، لأن من مصلحتها تنفيذه؛ كما ان الدول الأوروبية الأخرى لن تعارض ذلك المشروع «الذي سوف يخلصها من سكانها اليهود. والدولة المقترحة لن تضم، في مطلق الاحوال، كل يهود العالم، وذلك على الرغم من ان حدود هذه الدولة سوف تمتد من السويس الى القدس، ومن ضفاف الأردن الى شاطىء البحر المتوسط، وستلتقي فيها كل الطبقات اليهودية، الأرثوذكس والتقدمية، الأغنياء والفقراء». وأعلن هس: «ان الساعة قد دقّت لاعادة الاستيطان اليهودي على ضفتي الأردن، حيث سيكون اليهود حاملي لواء المدنية الى شعوب آسيا البدائية»، ثمّ نصح اليهود بأن «يعملوا على تثقيف القطعان العربية المتوحشة والشعوب الافريقية»[١٠].

هنا كرّر هس ما سبق ان نشره لاهاران حول أطماع اليهود وأحلامهم ببعض الأراضي المصرية، والتي تبدأ بميناء السويس؛ كما ان الموقف العنصري من العرب اتضح في كتابيهما، والتزلف والنفاق لفرنسا، بسبب علاقة نابليون الثالث بخديويي مصر، سعيد واسماعيل. وانتقل التزلف والنفاق الى بريطانيا؛ ثمّ الى الولايات المتحدة الأميركية، بعد ذلك.

وكما تكونت «جمعية استعمار فلسطين» في باريس، فقد تكوّن، في الوقت عينه، العام ١٨٦٥، في بريطانيا «صندوق اكتشاف فلسطين». وقد عكف الأوروبيون، بشكل عام، والبريطانيون، بشكل خاص، على الاهتمام بفلسطين، ووجد هذا الاهتمام تعبيراً عنه في الرحلات والبعثات، الى جانب «جمعيات فلسطين»، بالاضافة الى نوع من الغزو التبشيري، من طريق الارساليات، لا يمكن وصفه الاّ بمظهر من مظاهر الصليبية المستترة. أمّا عن نشاط الصندوق وأعماله الاستكشافية، نجد ان الذين قاموا بالتنقيبات والاكتشافات كانوا من العسكريين، وبالتحديد من سلاح الهندسة الملكي. وقد تنقل معظمهم بين قبرص وسوريا وفلسطين ومصر والسودان؛ وعملوا في حقول للنشاط تتعدى مسألة اعتماد المبادىء العلمية في اكتشاف معالم الارض المقدسة. فالكابتن كوندر، مثلاً، جاء الى فلسطين، العام ١٨٧٣، وشرع يبحث عن مسرح المعارك التي دارت بين الفلسطينيين والاسرائيليين. وحين قامت الثورة العرابية في مصر، وقع عليه اختيار دائرة المخابرات لمرافقة الحملة البريطانية التي ارسلت لضرب الحركة الوطنية؛ كذلك انضمّ الملازم كتشنر الى فريق الاستكشاف، في العام ١٨٧٤ وكان في مصر العام ١٨٨٣، وقد سبق له ان قام بعمليات المسح في شرق فلسطين (شرق الأردن). تولّى كوندر المنطقة الغربية، وساهم وكتشنر في قياس، ومسح، منطقة وادي عربة بين الطرف الجنوبي للبحر

الميت وخليج العقبة، بينما استدعي لورانس ـ ضابط المخابرات الشهير ـ العام ١٩١٣، فشارك في مسح منطقة النقب والمثلّث الارضي من صحراء سيناء حتى خط لجنة الحدود المصرية ـ التركية الممتدة من رفح الى خليج العقبة؛ وكان سبقه الكابتن نيوكمب الى مسح المنطقة الواقعة بين قناة السويس والحدود المصرية التركية[١١].

كان هؤلاء، الذين عملوا من خلال «صندوق اكتشاف فلسطين»، من طلائع الاستعمار والصهيونية؛ فجميعهم من أجهزة المخابرات البريطانية، وبعضهم صهيوني النزعة، مثل كوندر ولورانس، وقد أدوا خدمات جلّى للصهيونية بما قدموه من معلومات وخرائط، وبما كتبوه من كتب، وفي الوقت عينه، كان دور بعض هؤلاء، من خلال تواجدهم في سيناء والأراضي المصرية، العمل على تحريض البدو والقبائل ضد الثورة العرابية، مع محاولة شرائهم بالمال.

وكما كان الاستعداد لاحتلال مصر، كانت عمليات التمهيد لاحتلال فلسطين. فالقضية، بالنسبة الى بريطانيا، واحدة؛ وتأمين وجودها في مصر كان يتطلب وجودها في فلسطين، حماية لأمنها؛ فهي تدرك جيداً أين يكون أمن مصر. والذين حاربوا الثورة العرابية، كان من بينهم صهيونيون، قدّموا خدماتهم الى الصهيونية، ولعبوا دوراً في تحقيق أحلامها في فلسطين.

وقد وضعت مشروعات جاهزة لتنفيذ توطين اليهود؛ فكان مشروع لورانس أوليفانت، عضو البرلمان ووزير الخارجية والصحفي الذي عمل من خلال «صندوق اكتشاف فلسطين». وبعد ان قام بزيارات لفلسطين، لمسح أراضيها ودرس ظروف الاستيطان والاستعمار الزراعي، نشر، في العام ١٨٨٠، كتابه «أرض جلعاد»، واقترح اقامة مستوطنة يهودية شرق نهر الأردن تكون تحت السيادة العثمانية والحماية البريطانية. وكان اقتراحه ان تقوم المستعمرة على مساحة مليون ونصف المليون فدان شرق نهر الأردن، على ان يجلب الى هذه المستعمرة يهود من رومانيا وروسيا للاستيطان فيها.

أمّا توصياته بشأن السكان العرب في فلسطين، فكانت كالتالي: البدو، الذين وصفهم بأنهم «مولعون بالحرب» يجب ان يطردوا؛ أمّا العرب الفلاحون، فيستمالون ويوضعون على اراض خاصة بهم، كالهنود الحمر في أميركا الشمالية، ويمكن استغلال بعض الفلاحين العرب كيد عاملة رخيصة تحت اشراف يهودي؛ وكان للعرب، في نظره، حق ضئيل في المطالبة بشيء من العطف لأنهم ـ حسب زعمه ـ «خرّبوا البلاد، ودمّروا قراها، ونهبوا سكانها»[١٢].

ومع احتلال بريطانيا لمصر العام ١٨٨٢، وقبل ذلك احتلال فرنسا للجزائر العام ١٨٣٠، وتونس العام ١٨٨١، أصبحت فكرة التوطين اليهودي قابلة للتنفيذ؛ كما ان مشروع أوليفانت («أرض جلعاد») شجع المغامرين على السير على دربه. وكانت أولى مغامرات هؤلاء مغامرة بول فريدمان في «ارض مدين». وأهمية هذه المغامرة انها البداية الأولى لتحقيق أطماع الصهيونية في الاراضي المصرية، والتي وضعت موضع التنفيذ، وكانت أول محاولة لانشاء دولة يهودية في «أرض مدين» العام ١٨٩١.

والمقصود بـ «أرض مدين» المنطقة الساحلية الواقعة شمال غرب الجزيرة العربية حيث تتاخم حدودها الشمالية مدينة العقبة وتمتد جنوباً مسافة ٤٠٠ كيلومتر حتى تصل مرفأ «الموجه»، ولم يكن عدد سكانها، في نهاية القرن التاسع عشر، ليتجاوز العشرين ألف نسمة، وكانوا ينتمون الى قبائل بدوية تعتمد، في حياتها، على الرعي وتربية الماشية[١٣].

وأرض مدين هي ضمن الأراضي التي أُسندت ادارتها الى ولاية مصر بحدودها القديمة، كما جاء في الفرمان الصادر في حزيران (يونيو) ١٨٤١ لمحمد علي، وفيها بعض المراكز على الساحل

الشرقي لخليج العقبة وهي «ضبا» و«مويلح» و«العقبة»، بهدف تأمين طريق الحج البري بين مصر والحجاز. وعلى الرغم من توقف استعمال هذا الطريق بعد شق قناة السويس، في أواخر الستينات من القرن التاسع عشر، الاّ ان هذه المراكز ظلت تحت الادارة المصرية حتى العام ١٨٩٢، حيث نشبت أول أزمة بشأن سيناء وخليج العقبة. وقد بدأت هذه الأزمة بمحاولة فريدمان للتوطّن في بعض مناطق الساحل الشرقي للخليج(١٤).

وينحدر فريدمان من عائلة يهودية قديمة، حيث ولد في مدينة كونيغسبرغ في المانيا العام ١٨٤٠، وزعم ان احد أجداده كان يتزعم الطائفة اليهودية في برلين، وأعلن اعتناقه المذهب البروتستانتي. غير ان يهوديته بقيت متأصلة في نفسه، فاهتم بمصير اليهود الروس، وقام بدرس مشاكلهم، محاولاً ايجاد حل لها. وقرأ العديد من الكتب والتقارير عن الحفريات الأثرية في فلسطين، واستهوته مؤلفات ريتشارد بورتون الذي كان قنصلاً بريطانياً في دمشق، وتأثر بكتابين، هما «مناجم الذهب في مدين وخرائب المدن الدينية» و«أرض مدين». وقام بزيارة لمصر لدرس أوضاع منطقة أرض مدين. وأخذ موافقة الحكومة المصرية على مشروعه الاستعماري، ثم نشر كرّاساً، في ١٨ صفحة، بعنوان «أرض مدين». وكان غرضه من ذلك ارساله الى عدد من السياسيين ورجالات الدولة والزعماء اليهود في بريطانيا، والنمسا، والمانيا، وحاول ان يقنع المهاجرين اليهود ـ في الكراس المذكور ـ بأن أهل البلاد سيستقبلونهم بالترحاب. وزعم ان سكان العقبة يتحدرون من عشيرة يهودية، وقد احتفظوا ببعض عاداتها، وان ارض مدين كانت، في الماضي، جزءاً من الدولة اليهودية.

وفي لندن، تعرف فريدمان على اللورد كرومر وكان آنذاك يشغل منصبي وزير بلا وزارة والمعتمد البريطاني في القاهرة. وأكد له كرومر ان الحكومة البريطانية لن تقوم بعرقلة مشاريعه، ونصحه بأن يجتمع برئيس الوزارة المصرية آنذاك، رياض باشا، وكرر عليه النصيحة، حين زاره في القاهرة، للمرة الثانية، أواخر العام ١٨٩٠.

ولم يكن رياض باشا يجهل ان فريدمان قد جاء مبعوثاً من قبل كرومر. غير انه أبلغ الى فريدمان معارضته للاستعمار الأوروبي في بلاده، من حيث المبدأ. وراح فريدمان يحوّر في كلام رئيس الوزارة المصرية؛ فأشاع انه لم يعترض على الاستيطان اليهودي؛ فهو لم يشجع الفكرة، ولكنه لم يثنه عن عزمه.

وفي أيار (مايو) ١٨٩١، ذهب فريدمان الى لندن، للاتصال بوزارة الخارجية البريطانية وتقديم كرّاسه الى المسؤولين، مطالباً بأن تمتنع الحكومتان، البريطانية والمصرية، عن وضع العراقيل في وجه مشروعه، وقدم، عملاً بنصيحة كرومر، مذكرة الى رئيس الوزارة، المركيز أوف سالزبوري، تضمنت تفاصيل المشروع الاستعماري، وذكر أهمية قوة مسلحة قوامها ٣٠٠ رجل؛ فاليهود المسلحون «يفرضون الاحترام على البدو ويحافظون على الأمن والنظام، وهكذا تقوم مستعمرة يهودية تتمتع بالاستقلال الذاتي»؛ ثمّ تحدث عن بناء خط سكة حديد يختصر المسافة بين مصر والهند بأربعة، أو خمسة، أيام. لقد كان فريد مان يسعى الى اقامة دولة يهودية على أرض مدين.

وبعد لقاءاته المتعددة، راح فريدمان يجمع المتطوعين والمجندين، ومن بينهم ضابط الماني واثنان برتبة صف ضابط؛ ونظم جماعة من الروّاد اليهود الذين تدربوا عسكرياً، وكان معه مجموعة من المهندسين والجغرافيين والكيمائيين، وتلقّى الجميع تدريبات عسكرية في هنغاريا والنمسا؛ ثمّ قام فريدمان بشراء يخت تجاري أسماه «اسرائيل» حمل على متنه جماعته، بالاضافة الى كميات كبيرة

من الذخائر والمدافع كانت زوّدته بها الحكومة النمساوية؛ وأبحر من مرفأ ساوث هامبتون البريطاني تحت العلم النمساوي، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩١. وقد انضمّ الى الحملة، في اثناء توقفها في الاسكندرية، عدد من اليهود المصريين ممّن يتكلمون العربية. وقصدت الحملة، بعد ذلك، صوب «الطور»، وكان عدد الذين رافقوه حوالى ٥٠ شخصاً. وما ان وصل فريدمان وجيشه «أرض الميعاد» (أرض مدين)، حتى بدأت المشاكل والأزمات، فظهرت معارضة شديدة في بعض الأوساط اليهودية التي وصفت مشروعه بالمغامرة غير المأمونة الجوانب؛ ثمّ تمرّد بعض أفراد قوته على النظام المتبع ورفضوا الانقياد للأوامر، فطردهم وضلّ بعضهم طريقه، فمات في الصحراء. وحين وجد ان معظم جنوده يرغب في العودة، أقدم على فسخ العقد، وحلّهم من التزاماتهم، وأضفى طابعاً رسمياً على تسريحهم، فارتدى بدلة عسكرية، ووضع على رأسه تاجاً ذهبياً، ثمّ زين صدره بالأوسمة والنياشين، ومثّل دور ملك اليهود في مدين. ثمّ تدخلت الحكومة العثمانية لتضع حداً نهائياً للمغامرة الاستعمارية، فتنّبه العثمانيون لنشاط فريدمان وأدركوا مراميه في اقامة الدولة اليهودية التي قد تجلب، في اثرها، التدخل الاجنبي، وتؤدي الى عرقلة طريق مكة والمدينة. ولم يغب عن ذهن الأتراك ان احدى الدول الكبرى تقف وراء فريدمان ومشروعه. فتدخّل الأتراك عسكرياً؛ ولم تنجح مساعي كرومر؛ فانتهت مغامرة فريدمان الاستعمارية؛ لكنه لم يرض بهزيمته وقرّر مقاضاة الحكومة المصرية بمبلغ ٢٥ ألفاً من الجنيهات.

وقد ذكرت جريدة «الحقيقة»، الناطقة بلسان يهود الاسكندرية، في عددها الصادر في ١٨٩٢/٢/٥، ان فريدمان لم يكن سوى عميل الماني يحاول ايجاد مستعمرة على سواحل البحر الاحمر. ولكن جريدة «المؤيد» القاهرية رفضت هذا التبرير، وكشفت النقاب عن ان فريدمان كان يرمي الى تأسيس مملكة يهودية، وانه جلب معه ثياب الملك، ورسوم، وألقاب، الدولة، وانه كان يحظى بتأييد واسع لدى الأوساط اليهودية(١٥).

أمّا أخطر ما أنتجته مغامرة فريدمان، فهو ان الحكومة العثمانية لم تكتف بطرد فريدمان وجماعته، وانّما انتهز السلطان عبدالحميد فرصة وفاة الخديوي توفيق، في اوائل العام التالي (١٨٩٢/١٠/٨)، وبعث بفرمان تولية خلفه عباس الثاني (١٨٩٢/١/١٧)، وقد تعمد ادخال بعض العبارات على حدود الأراضي المصرية التي يديرها الخديوي، قصد منها حرمان مصر ليس فقط من المراكز التي كانت ممنوحة لها شرق خليج العقبة (أرض مدين) وانما من قسم من أراضيها، هو شبه جزيرة سيناء.

وما أن علم المعتمد البريطاني في القاهرة، السير ايفلين بارنغ (اللورد كرومر، فيما بعد) بمحتويات الفرمان الجديد، حتى طلب من الخديوي ومن الحكومة المصرية عدم قراءته. فقد كان هذا الأمر يعني محاولة الاعتداء على تسوية العام ١٨٤٠ ـ ١٨٤١ التي ضمنتها الدول الكبرى، والاقتراب العثماني، بصورة خطرة، من قناة السويس، ممّا يهدد شريان الامبراطورية الحيوي. وقد تبع ذلك ضغط دبلوماسي بريطاني، ممّا اضطر الباب العالي الى ان يرضخ ويترك سيناء التي حاول ان يسلخها عن مصر ويضمّها الى ولاية الحجاز، كما حدث مع المراكز التي كانت ممنوحة لمصر، وفقدتها، فجاءت برقية الصدر الأعظم الى الخديوي عباس الثاني، في الثامن من نيسان (ابريل)، وورد فيها: «أمّا من جهة شبه جزيرة سيناء، فهي باقية على حالتها، وتكون ادارتها بمعرفة الخديوية المصرية التي كانت مدارة بها في عهد جدّكم اسماعيل باشا ووالدكم توفيق باشا».

وقد عمل بارنغ على نشر البرقية، واعتبرت قسماً مكمّلاً لفرمان التولية. وقدم المعتمد البريطاني

في القاهرة مذكرة، في ٣٠ نيسان (ابريل)، الى وزير الخارجية المصرية تيجران باشا، أبلغ اليه فيها انه لا يمكن حدوث اي تغيّر في العلاقات بين مصر والباب العالي دون موافقة الحكومة البريطانية. وأضاف ان برقية الصدر الأعظم تجعل من الواضح ان شبه جزيرة سيناء، وهي الأراضي المحددة من الشرق بخط يسير في اتجاه جنوب ـ شرقي من نقطة قريبة من شرق العريش الى رأس خليج العقبة، سوف تظل تحت الادارة المصرية(١٦).

مشروع صهيوني لاستعمار سيناء والعريش

تحوّلت مصر، منذ الاحتلال البريطاني العام ١٨٨٢، الى احدى أهمّ المستعمرات البريطانية، وانْ ظلت، شكلياً، ضمن الامبراطورية العثمانية. وسعى البريطانيون الى استخدام اراضي مصر، ومواردها البشرية والمادية، الى تجزئة افريقيا والاستحواذ على المستعمرات في مواجهة منافسة كل من فرنسا وألمانيا وايطاليا. كما أسرع المستعمرون البريطانيون، بعد غزو مصر، الى الاستيلاء على السودان، بغية السيطرة على منابع النيل، والوصول الى حدود أثيوبيا وأوغندا، واخضاع الساحل الغربي للبحر الأحمر، وتوسيع نفوذهم في شبه الجزيرة العربية. وثبت ان الدبلوماسية البريطانية، في الفترة تلك (١٨٩٥)، كانت تمارس إعداد اجراءات جدية تستهدف ضمّ الحجاز الى مصر، وتأسيس خلافة مصرية تواجه تركيا(١٧).

وهكذا، كانت لمصر أهمية اقتصادية، واستراتيجية، وسياسية، هائلة بالنسبة الى الاستعمار البريطاني. وللحفاظ عليها، دخلت بريطانيا في مفاوضات مع روسيا والمانيا لاقتسام الامبراطورية العثمانية، على ان تكون المنطقة العربية من نصيب بريطانيا. وعندما رفضت روسيا والمانيا ذلك، اتجهت بريطانيا الى فرنسا، وازداد الصراع والتنافس بين بريطانيا والمانيا حول المنطقة العربية، ولم تكن روسيا وفرنسا وايطاليا بعيدة ممّا يدور.

كانت المرحلة تلك من مراحل الاستعمار مرتبطة بالراسمالية الصناعية ـ المصرفية، وكانت لخدمة بعض طبقات المجتمع وفئاته من طريق فتح الأسواق لبضائعها وبغرض الاستثمار لرأسمالها الفائض، والبحث عن المواد الخام للصناعة. كما كان أحد الأهداف الأساسية للاستعمار، في تلك الفترة، الحصول على مستعمرات لتستوعب الفائض السكاني، ولتكوّن بعداً استراتيجياً للوطن الأم، الأمر الذي استفادت منه الصهيونية، خصوصاً ان الدول الاوروبية كانت بدأت تتنافس، بحدة، فيما بينها لاحتكار الأسواق، وقد كانت مصر وفلسطين ـ وهما تكوّنان وحدة جغرافية وتاريخية واحدة ـ المدخل لهذا المسرح الجديد؛ وساعد على التركيز عليها، وعلى المنطقة العربية كلها، الانهيار التدريجي للامبراطورية العثمانية، التي تحوّلت الى رجل أوروبا المريض الذي كان الجميع يترقبون نهايته للاستيلاء على تركته، وكانت فلسطين، ذات الأهمية الدينية والاستراتيجية، تقع في قلب هذه الامبراطورية المتداعية(١٨).

وجدت الدعوات الصهيونية آذاناً مصغية، بين المضطهدين من اليهود في اوروبا وروسيا، الذين شكلوا جمعيات للهجرة، وجدت من ينفق على عملية الهجرة من الأثرياء اليهود. وكانت فلسطين أحد أهداف المهاجرين، خاصة الذين يعيشون في حلمهم الديني. ومع تسلل المهاجرين اليهود الى فلسطين، منذ بداية الثمانينات من القرن الماضي، بُدىء باقامة المستوطنات اليهودية، وبتنسيق عمليات الاستيطان الصهيوني في فلسطين. لكن الصهيونية، في تلك الفترة، لم يكن اشتد عودها بعد، ولم يكن لها تنظيم واحد وزعيم واحد، بل كانت في مرحلة التكوين التي تناولتها الخلافات الدينية

والعلمانية والثقافية. كانت الدوافع، في معظمها، دينية؛ وكانت الجمعيات الخيرية اليهودية تنفق على المستوطنات والمهاجرين الى فلسطين.

وقد اعتقد الصهيونيون بأن حملة فريدمان كانت سوف تكلل بالنجاح، لو ان السفير الالماني قام بالتدخل لصالحها العام ١٨٩١ لدى الحكومة التركية، لأن ألمانيا الامبراطورية كانت تتمتع بنفوذ يفوق النفوذ البريطاني لدى السلطان العثماني؛ وان الخطأ الكبير الذي ارتكبه فريدمان يرجع الى اخضاع أتباعه للانضباط العسكري الألماني ووضعهم تحت امرة ضباط بروسيين. ثمّ اتهم الصهيونيون فريدمان بـ «اليهودي المندمج» الذي دخل في المعمودية واعتبر نفسه ملكاً، وكان عليه ان يدرك انه يتعذر على اليهودي، الذي تعمد مسيحياً، تزعّم اليهود، حتى ولو كان ذلك في مستعمرة يهودية. لكن انتقادات الصهيونيين لمحاولة فريدمان لم تنسهم امتداح نوايا فريدمان الطيبة، ومثاليته المخلصة، واغداق اعجابهم بمغامرته، لأنه جعل الصحافة العالمية تجذب أنظار قرائها الى عبارة «الدولة اليهودية»[١٩].

ومن العوامل التي ساعدت في التعجيل بضرب مشروع فريدمان ذاتية فريدمان نفسه، حيث تغلبت ذاتيته على موضوع مشروعه. لكنه أثار خيال الآخرين حول امكان ايجاد مستعمرة يهودية على أي أرض، اذا ما خطط لها بشكل يتضمّن مقومات النجاح. وكان من هؤلاء الذين تأملوا في تجربة فريدمان، ثيودور هرتسل، الذي كان على علم بأهداف فريدمان، حيث كان مراسلاً في باريس منذ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩١ لـ «الجريدة الحرّة الجديدة»، التي كانت تصدر في فيينا، والتي نشر فريدمان على صفحاتها رسائل مطوّلة عن المستعمرات اليهودية التي ينوي اقامتها على أرض مدين.

دولة لليهود في أي مكان

لم يكن الصهيونيون يصرّون على العودة الى فلسطين لتكون لهم «وطناً» وليقيموا عليها دولتهم؛ ولكنهم كانوا يفتشون على أي أرض لتكون للصهيونية وللمستعمرين قاعدة، ولتكون مأوى لليهود. وكانت المحاولات، منذ القرن السابع عشر، على النحو التالي: دولة يهودية في جزيرة كوراساو في خدمة هولندا؛ دولة في كل من سورينام وكايان في خدمة بريطانيا وفرنسا؛ دولة في جيانا في خدمة فرنسا؛ كما طرحت دولة يهودية لخدمة الدول الاستعمارية في كل من: انغولا، استراليا، المكسيك، كندا، الأرجنتين، الكونغو البلجيكي، موزمبيق، بيرو، اكوادور، غينيا الجديدة، كريت، أوغندا، بيروبيجان في روسيا، منشوريا، قبرص، ليبيا، سوريا، العراق، مصر، فلسطين[٢٠]. وهذا معناه انه لم يكن هناك وطن محدّد يريدون العودة اليه. كتب ابراهام ليون في كتابه «المفهوم المادي للمسألة اليهودية»: «كيف يمكننا ان نصدّق بأن علاجاً موجوداً منذ ألفي سنة لم يجر اكتشافه إلّا في نهاية القرن التاسع عشر؟ لماذا لم يحاول اليهود، خلال الألفي سنة هذه، العودة الى وطنهم؟ ولماذا وصم جميع أسلاف هرتسل، كشبتاي زئيفي، بالدجالين؟ ولماذا تعرض أتباع شبتاي زئيفي للتنكيل الوحشي من قبل اليهودية الرسمية؟».

واشار ليون الى ان الصهيونية ظهرت كردة فعل من البرجوازية اليهودية الصغيرة التي تلقت ضربات قاسية بتصاعد موجة اللاسامية، ممّا أجبرها على التنقل من بلد الى آخر، وكان ذلك نتيجة لتشابك انهيار الاقطاع وانحطاط الرأسمالية. وخلال قرون طويلة لعب اليهودي دور التاجر، والمرابي، والخمّار، ووكيل السيد الاقطاعي، والوسيط في كل الأمور. وجاءت المحاولات الصهيونية، منذ نهاية القرن التاسع عشر، امتداداً لدور اليهودي، منضبطة على ايقاع ومصالح الدول الاستعمارية[٢١].

واستطاع هرتسل ان يلعب الدور الذي رسم له ببراعة، وأضاف اليه من مواهبه الخاصة وقدرته على خداع الآخرين الكثير. فهو ولد في بودابست العام ١٨٦٠، وتلقى تعليمه في فيينا بين العامين ١٨٧٨ و١٨٨٤، واتسمت ثقافته العبرية بالضعف طوال حياته. وقد اشتغل هرتسل بالمحاماة، ثمّ بالصحافة، وكتب عدة قصص قصيرة ومجموعة من المسرحيات طرح في بعضها المسألة اليهودية «الغيتو الجديد»، والتي كان اهتم بها منذ سن مبكرة بقراءته لكتاب دوهرنغ المعادي للسامية. وقد قرأ أعمال الخيال العلمي التي كتبها جول فيرن، حيث نشرت له «خمسة أسابيع في منطاد» العام ١٨٦٢، و«رحلة في منتصف الأرض» العام ١٨٦٤، و «من الأرض الى القمر» العام ١٨٦٥، و«عشرون ألف فرسخ تحت الأرض» العام ١٨٦٩، وهو العام عينه الذي افتتحت فيه قناة السويس.

وقد اهتم هرتسل، اهتماماً خاصاً، بقناة السويس؛ كما اعتبر المهندس فرديناند ديلسبس مثله الأعلى في الحياة، ودرس حصوله على امتياز قناة السويس دراسة فاحصة، وتأثر باسلوب ديلسبس عند طرحه لمشروعه الاستعماري في سيناء والعريش. وقد دعا هرتسل، أول الأمر، الى تحويل اليهود الى الكنيسة الكاثوليكية؛ كما دعا الى اندماجهم في المجتمعات التي يقيمون فيها؛ لكنه أخذ يتخلى عن آرائه منذ العام ١٨٩٤؛ وربما كانت لمحاكمة الضابط اليهودي الفرنسي درايفوس دخل في هذا التغيير، حيث تابع هرتسل المحاكمة كصحفي. وكان درايفوس اتهم زوراً بالخيانة، وثبتت براءته بعد المحاكمة بعامين، لكن هذه المحاكمة هي التي جعلت هرتسل ـ كما قال ـ صهيونياً، نظراً الى صيحات العداء تجاه اليهود التي رافقت المحاكمة. وكان من هذه الهتافات: «الموت لليهود؛ الموت للخونة». وقد أثارت محاكمة درايفوس ضجة هائلة في فرنسا، ليس بسبب القضية، لأنه لم تكن هناك أزمة يهودية في ذلك الوقت، لكن القضية الأساسية كانت الديموقراطية، والتي استمرت كذلك بعد تبرئة درايفوس، وان ارتبطت قضية درايفوس، بشكل رمزي، بمصير الديموقراطية الفرنسية.

وقد أثّرت الظواهر اللاسامية في هرتسل. ومن الواضح ان أساس صهيونيته كان اللاسامية، الأمر الذي دفعه الى دعوته الى ضرورة اقامة دولة يهودية. وكانت أولى خطواته السعي الى مقابلة البارون هيرش، اليهودي الفرنسي، والتي لم تحقق أي نجاح؛ فأخذ هرتسل يتصل باليهود، ويدعو الى انشاء دولة يهودية، فكان كتابه الذي نشره، العام ١٨٩٦، «دولة اليهود». وفي آب (اغسطس) ١٨٩٧، نجح هرتسل في عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل، الذي انبثق عنه «ميثاق الحركة الصهيونية، المنظمة العالمية»[٢٢]. وبعد انتهاء المؤتمر الصهيوني الأول، وبعد ان أصبح هرتسل رئيساً لمنظمة صهيونية عالمية، انطلق الى تحقيق غرضه بعزم واصرار، وكان وجود المنظمة الصهيونية كافيا لحمل أكثر حاكم أو زعيم، من أبناء ذلك العصر، على مقابلة رئيسها والاستماع اليه.

ركّز هرتسل نشاطه على محورين: الأول، تقوية المنظمة الصهيونية العالمية بواسطة المؤتمرات الصهيونية المتتالية التي عقدتها، وانشاء الاجهزة المكملة لها، ودعمها؛ والثاني، الانتقال من بلد الى آخر لمقابلة زعماء وحكام عصره، لحملهم على تأييده في مساعيه للحصول على منطقة ما في العالم لاقامة دولة لليهود فيها، في فلسطين أو غيرها[٢٣].

التحالف مع الشيطان

كانت أحلام هرتسل أكبر من قدراته وامكانياته؛ لكنه استطاع ان يستغل كل امكانية، وكل ظرف سياسي، مهما صغر. وكان حلمه يدفعه الى انه صاحب رسالة عليا في الحياة؛ وهذه الرسالة هي

المسألة اليهودية: «لقد قررت ان أضع نفسي على رأس عمل من أجل اليهود». كان ـ حسب ما جاء في مذكراته ـ يحلم بجمهورية يهودية ارستقراطية، معادية للديموقراطية والاشتراكية. وكانت أفكاره خليطاً من الأساطير والمثالية والعلمانية، ومزيجاً من أحلامه والواقع الذي يعيش فيه.

لقد امتطى صهوة رأس المال اليهودي، ووظفه في خدمة الأهداف الصهيونية، وهدّد أغنياء اليهود باثارة الجماهير الفقيرة ضدهم؛ ولم يتوان «عن محالفة الشيطان» في سبيل الوصول الى أهدافه؛ وتحرك في خطوط متوازية، وأحياناً متعارضة، لكنها، دائماً، في اطار ان تكون الصهيونية في خدمة الدول الاستعمارية. في مذكراته، كتب بتاريخ ١٨٩٥/٦/٧: «حالما يتم الاتفاق على الأراضي وتوضع اتفاقية أولى مع الحاكم الموجود، سوف تبدأ مباحثاتنا الدبلوماسية مع الدول الكبرى». وبتاريخ ١٨٩٥/٦/٩، كتب: «سأتفاوض، أولاً مع القيصر (الروسي) الذي سيقدمني اليه نصيرنا أمير ويلز، بخصوص السماح لليهود الروس بترك البلاد؛ ثمّ أتفاوض مع قيصر المانيا؛ ثمّ مع النمسا؛ ثم مع فرنسا، بخصوص يهود الجزائر. ولكي يكون لي اعتبار في البلاطات الأوروبية، يجب ان أحصل على أعلى الأوسمة: من الانجليز أولاً». وفي مقابلة مع دوق بادن الكبير فريدريك الأول، أمير ولاية بادن الالمانية، سجل في مذكراته: «اخذت أشرح له الفوائد التي ستعود على الشرق من هذا المشروع [دولة يهودية]. اذا تمّ تقسيم تركيا في المستقبل القريب، فسوف تقف الدولة التي تقام في فلسطين دولة حاجزاً، ونستطيع ان نلعب دوراً كبيراً في المحافظة على تركيا؛ نستطيع ان نسند السلطان سنداً قوياً بالمال، اذا هو تخلّى لنا عن قطعة لا قيمة كبيرة لها عنده. سنرجع الصحة الى مركز الوباء في الشرق، وسنبني سكك حديد في آسيا، ونشق الطريق للأمم المتحضرة، وهذه الطريق لن تكون في يد دولة كبيرة واحدة، بل للجميع، جميع أوروبا». وكان هرتسل يتصل بمعظم حكام أوروبا، ويقنع كل حاكم أو زعيم على حدة بأن المخطط الصهيوني سيكون في خدمة دولته. وكانت محاولاته مع المسؤولين في المانيا، والنمسا، وروسيا، وايطاليا، وبريطانيا، هي، في الواقع، تمهيدات للاتصال بالسلطان العثماني عبدالحميد، الذي كانت فلسطين تقع ضمن ممتلكاته الآسيوية[٢٤].

ولم يستطع هرتسل من طريق الرشاوي والعلاقات المريبة والمطالبة بدولة لليهود ان يحقق أهدافه لدى السلطان العثماني. وكانت الأراضي المصرية تراود أحلامه، فاتجه الى اللورد روتشيلد، في لندن، لمساعدته في تحقيق أهدافه. وكانت بريطانيا هي الدولة المأمولة، في نظر هرتسل، بحكم المصالح المشتركة بين بريطانيا والأهداف الصهيونية.

كانت بريطانيا تسعى بشتى الوسائل والحيل لبسط سيطرتها على المناطق الواقعة شرق السويس، بحجة حماية الطريق الى الهند؛ ثمّ راحت تبذل شتى المساعي، وتنفّذ مختلف العمليات لمنع النفوذ الالماني، الذي كان مندفعاً نحو الشرق، والذي كان يحظى بنفوذ اقتصادي في الامبراطورية العثمانية.

وفي كانون الثاني (يناير) ١٨٩٩، تمكنّت بريطانيا، بشخص اللورد كورزون، من ابرام اتفاقية مع شيخ الكويت، يوافق الشيخ بموجبها على عدم التخلي عن أي جزء من أراضيه، أو أستقبال أي ممثل لدولة أجنبية دون الحصول على موافقة المقيم البريطاني في قصره[٢٥].

سيناء؛ فلسطين المصرية

لذلك، وجد هرتسل في بريطانيا اذاناً مصغية لأحلامه ومشروعاته. ففي لقائه مع اللورد روتشيلد، الذي كان مديراً لبنك انجلترا، طلب هرتسل مساعدة بريطانيا لليهود في تأسيس مستعمرة

لهم باشرافها. وسجل هرتسل، في يومياته، ما دار يومها من حوار:

«هرتسل: أودّ ان أطلب من الحكومة البريطانية امتيازاً للاستعمار.

«روتشيلد: لا تقل ' امتيازاً ' . ان الكلمة لها وقع سيىء الآن.

«هرتسل: سمّها ما شئت. أريد ان أؤسس مستعمرة يهودية فيما هو في حوزة بريطانيا.

«روتشيلد: خذ أوغندا.

«هرتسل: لا. لا أريد إلّا هذا... ولما كان هناك آخرون في الغرفة، كتبت ورقة فيها: ' شبه جزيرة سيناء، فلسطين المصرية، قبرص ' ، واضفت قائلاً: أتوافق على هذا؟

«روتشيلد فكّر قليلاً، وهو يتكلف الابتسام، ثمّ قال: جداً»(٢٦).

وقد اتصل هرتسل بعدد من السياسيين البريطانيين المؤثرين، من بينهم وزراء وأعضاء بارزون في اللجان البرلمانية»، معتمداً في ذلك على روتشيلد. وقد استطاع ان يقابل وزير المستعمرات، تشامبرلن. ومن خلال تشامبرلن، التقى وزير الخارجية البريطانية، فكان التفاهم سريعاً بين السياسيين البريطانيين وهرتسل، بسبب التقاء المصالح، والعمل على خدمة الاستعمار البريطاني. وقد ساهم في ذلك عرض هرتسل لمشروعه الاستعماري بأساليب مختلفة، لكسب ثقة محدثيه. فعندما عرض المشروع على روتشيلد، كانت الخطة ان تتولى ذلك شركة يهودية لسيناء وفلسطين المصرية وقبرص، بينما أعدّ مسودة المشروع لتشامبرلن، فجعلها «الشركة الشرقية اليهودية المحدودة»، ممّا يعيد الى الأذهان تاريخ شركة الهند الشرقية ودورها، الأمر الذي أثار في نفس تشامبرلن تاريخ الامبراطورية البريطانية، وهو الداعي والمتحمس لها، ممّا جعله يطلب من هرتسل توضيح الخدمات التي سيقدمها الصهيونيون الى الامبرطورية البريطانية. كما اقترح، من جانبه، اقامة مستوطنات يهودية في فلسطين وشمال سيناء، شريطة ان تحمي الحدود المصرية وقناة السويس من تركيا والمانيا(٢٧).

ووافق وزير المستعمرات على مشروع هرتسل من حيث المبدأ؛ وانضم اليه زميله وزير الخارجية، لأن هذا المشروع يؤدي الى عزل مصر عن غرب آسيا، واضعاف الدولة العثمانية، وزرع دولة غريبة في قلب البلاد العربية، ممّا يتيح لبريطانيا ركيزة قوية في الجانب الآسيوي من الوطن العربي تستند اليها في مواجهة النفوذ الالماني المتزايد؛ هذا الى جانب اطمئنان بريطانيا لحماية قناة السويس(٢٨). كما ان تشامبرلن كان في طليعة السياسيين البريطانيين الذين رأوا في تشجيع الحركة الصهيونية حلاً للمشكلة اليهودية ووسيلة لاخضاع اليهود للمصالح البريطانية، ذلك ان مناجم الذهب في جنوب افريقيا كانت في قبضة اليهود، وكانت الحكومة البريطانية تعتمد عليهم في اعادة بناء المنطقة بعد حرب البوير؛ كما ان تدفق اليهود على بريطانيا من روسيا، منذ أوائل القرن العشرين، كان تهديداً لمصالح بريطانيا، بعد ان ازداد عددهم على المئة ألف لاجىء، وان أفضل حل هو تجميعهم وتوظيف أموالهم في منطقة كشبه جزيرة سيناء؛ يضاف الى ذلك ان مشروع هرتسل يحل مشكلة البطالة في بريطانيا(٢٩). والغريب ان الحكومة البريطانية، التي تبنّت المشروع، كانت تعلم جيداً ان سيناء لم تكن، من الناحية القانونية، من الممتلكات البريطانية، وانها كانت تحت سيادة السلطان العثماني الاسمية.

ولم يكن هذا غائباً عن بال هرتسل. فقد اشار اليه في يومياته: «عليّ ان أميّز بين الملكية

والسلطة والحق؛ فالحكومة المصرية هي المالك؛ والحكومة البريطانية تملك السلطة، والحكومة التركية تملك الحق»[٣٠].

ولم تنجح اتصالات هرتسل مع صاحب الحق للحصول على «امتياز» لتنفيذ مشروعه. وكان عليه ان يركز على صاحب السلطة، الذي سيؤثر، بدوره، في صاحب الملكية، كما تصور، فكثف نشاطه في علاقته بالحكومة البريطانية، وساعده في ذلك أثرياء وزعماء اليهود. وقد نجح في استمالة السلطة في لندن، خاصة وزيري المستعمرات والخارجية، وقد عوّلا على موقف المعتمد البريطاني، اللورد كرومر، كثيراً. فقد أخبر تشامبرلن هرتسل بأن السلطة البريطانية «تحترم رأيه كثيراً».

مندوب هرتسل في القاهرة

وفي حوار هرتسل مع وزير الخارجية، لانسدون، قال له: «هناك أراضٍ خالية في العريش وسيناء، تستطيع بريطانيا ان تعطينا إياها، ويكون لها بدل ذلك زيادة في قوتها وولاء عشرة ملايين يهودي. سأله هرتسل: هل تقبل بأن نقيم مستعمرة يهودية في شبه جزيرة سيناء؟ أجاب لانسدون: نعم، اذا رضي اللورد كرومر بذلك»[٣١].

وأبدى لانسدون استعداده لأن يعطي رسالة تقديم الى مندوب هرتسل الذي سيذهب للقاء اللورد كرومر؛ وكان المندوب هو ليبولد جاكوب غرينبرغ (اليهودي البريطاني الذي كان مندوباً لهرتسل في بريطانيا، وأصبح عضو اللجنة التنفيذية الصهيونية بعد وفاة هرتسل، من العام ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧، واشترك في المباحثات التي انتهت بصدور وعد بلفور؛ كما ترأس تحرير صحيفة «جويش كرونكل» العام ١٩٠٧). سجل هرتسل في يومياته (ص ٢٥١): «بعثت غرينبرغ الى مصر. وقد وصلت منه برقية، من القاهرة، انه قد وصل الى هناك منذ يومين، وانه سيعود غداً، وان كل شيء على ما يرام. تُرى، هل نحن على أبواب أخذ ميثاق ' امتياز' بريطاني لتأسيس دولة يهودية؟». وتابع هرتسل: «عاد غرينبرغ من القاهرة بنصر عام. لقد نجح في استمالة اللورد كرومر الى قضيتنا، وأيضاً بطرس غالي ناظر الخارجية المصرية، أي وزير الخارجية، وبعض ذوي النفوذ البريطانيين، أمثال مستر بويل وكابتن هنتر». هنا تتداخل أحلام هرتسل مع الواقع، وتتداخل أمنياته مع احباطاته. فليس هناك أي دليل على استمالة كرومر، أو بطرس غالي، وان ناقشا بعض الأمور، ووضعا بعض الشروط. وفي ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٢، قرّر هرتسل ان يسافر الى مصر، لكنه عدل عن فكرته اثر برقية وصلته من غرينبرغ، في اليوم التالي لقراره: «وصلتني برقية مرضية من غرينبرغ. تحدث، أمس، مع تشامبرلن، وقال ان تشامبرلن تحدث مع لانسدون في اليوم الذي سبق اجتماع الوزارة. ينوي تشامبرلن ان يتحدث مع لورد كرومر كي يبتّ في الأمر في أقرب وقت ممكن. ينصحني غرينبرغ بأن لا أذهب الى القاهرة، بل بأن انتظر بصبر حتى يستدعيني لانسدون الى لندن، لأوقع على اتفاقية أولية».

وكخطوة تمهيدية، عرضت الحكومة البريطانية على هرتسل إيفاد بعثة فنية الى مصر لدرس المنطقة ومقدار صلاحيتها لانشاء مستعمرات سكانية؛ وفي الوقت عينه كتبت الخارجية البريطانية الى اللورد كرومر تطلب منه استقبال البعثة الفنية، ومساعدتها على القيام بمهمتها، وذلك بتمهيد الطريق أمامها في اتصالاتها بالسلطات البريطانية وبحكومة الخديوي (عباس حلمي الثاني)، مع توصيته ليكون البحث والاتصال مشمولاً بعين العطف على الأماني الصهيونية[٣٢].

وبدأ هرتسل تحركاته العملية نحو سيناء والعريش. وجمع رجال «لجنة العمل» من

الحركة الصهيونية واخبرهم بالمشروع: «لخصت للمجتمعين نظريتي في كيفية سير الامور اذا منحنا الوثيقة المصرية ـ ' الامتياز' . بعد العريش بحوالى ميل ونصف الميل الى الشمال، يوجد خليج؛ هناك سأقيم أول ميناء، وأبني حاجزاً يحوّل المياه عنه الى البحر؛ وبعدها ابني طريقاً يصل بين هذا الميناء وجبال سيناء؛ وآمل في أن اجد المال الكافي لانشاء أماكن للسكن في الجبال». وفي ٢١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٢، تلقى هرتسل خطاباً من وزير الخارجية البريطانية، لانسدون، أشار اليه في يومياته: «استلمت، أمس، خطاباً من اللورد لانسدون. وقد كتبه وكيل الخارجية سير ت. هـ. ساندرسون، وهو وثيقة تاريخية. اللورد كرومر يقول ان مشروع شبه جزيرة سيناء سيكون محتمل التحقيق، اذا وجدت اللجنة ان الظروف الراهنة تسمح به. ستطلب الحكومة المصرية فقط الحصول على الجنسية العثمانية ودفع تبرعات سنوية لحفظ النظام في الداخل والخارج»[٣٣].

بعثة صهيونية الى مصر

وفي ضوء هذا الخطاب، تحرك هرتسل في تنفيذ المشروع: «سأرسل بعثة الى هناك. سأدفّع السلطان ثمناً غالياً للقبول بالمواطنة العثمانية (تحت ضمانة بريطانية). سأطلب مقابل ذلك قطعة من فلسطين. سأعد بدفع الاشتراكات السنوية، وأفي بهذا الوعد، شرط ان ينتخب المستعمرون حاكم المقاطعة ' اليهودية' في الاراضي المصرية لمدة عشر، أو سبع، سنين، ويكون على الخديوي فقط ان يقرر ذلك؛ أو ينتخب هذا الحاكم من قبل الحكومة البريطانية، ويعيّن من قبل الخديوي. أمّا فرق الجيش الحامية، فيجب ان يكون قُوادها مصريين ـ بريطانيين، والموظفون يكونون منّا. وعلى أساس هذه الانجازات، يتحتم على اللورد روتشيلد ان يعطي جمعية الاستعمار اليهودية مليونين، أو ثلاثة، ملايين، جنيه للشركة اليهودية الشرقية، والباقي يحصّل من طريق الاشتراكات»[٣٤].

امّا البعثة، أو اللجنة، التي اختارها هرتسل لتسافر الى مصر، فقد شكّلت من:

○ ليوبولد كسلر: مهندس مناجم؛ يهودي من جنوب افريقيا؛ ترأس الجمعية الصهيونية في الترانسفال ١٨٩٩ ـ ١٩٠١؛ انتقل الى لندن العام ١٩٠١؛ وفي العام ١٩٠٣ ترأس البعثة الصهيونية الى سيناء والعريش؛ أشرف على مجلة «جويش كرونكل» العام ١٩٠٧؛ ثمّ ترأس الاتحاد الصهيوني في بريطانيا العام ١٩١٢؛ واشترك في اللجنة السياسية التي ألّفها حاييم وايزمان لاصدار وعد بلفور.

○ الكولونيل البرت غولدسميث: ابن يهودي تنصّر؛ اعتنق اليهودية من جديد العام ١٨٧٠؛ أركان حرب في الجيش البريطاني؛ أدار مستعمرات البارون هيرش في الارجنتين ١٨٩٢ ـ ١٨٩٣؛ أسس فرقة الشبان اليهود العام ١٨٩٥؛ ترأس «احباء صهيون» البريطانية ونظّمها على أساس عسكري.

○ جورج هنري ستيفنس: مهندس بريطاني؛ عمل في بناء الطرق وقنوات الري وسكك الحديد والموانىء، في الهند وبريطانيا وغرب افريقيا وجزر الهند الغربية؛ وقام بأعمال هندسية في مصر؛ وأشرف على قناطر أسيوط، ١٨٩٨ ـ ١٩٠٣.

○ د. س. سوسكين: مهندس زراعي ومدير مزارع، في فلسطين.

○ د. هليل يوف: طبيب؛ هاجر الى فلسطين منذ العام ١٨٩١؛ عمل في مكافحة الملاريا والتيفوئيد بين سكان المستعمرات اليهودية الاولى؛ رئيس أطباء المستشفى اليهودي في حيفا.

○ اوسكار مرمورك: مهندس معماري من جامعة فيينا؛ خريج مدرسة الفنون الجميلة في

باريس؛ عضو لجنة العمل الداخلية الصهيونية؛ حضر مؤتمر بازل الاول العام ١٨٩٧؛ أحد الزعماء الصهيونيين في فيينا[٣٥].

ومع بداية تحرك البعثة، التي اختيرت بعناية، بدأ هرتسل يكشف عن بعض نواياه التي لم يتحدث عنها قبل ذلك، والتي منها ايصال مياه نهر النيل الى صحراء سيناء لتحقيق مشروعه. وأشار الى مياه النيل في خطابه الى وزير الخارجية البريطانية، فوضعه بين موضوعات أخرى دون اهتمام. كتب: «خطر في بالي، ليلة أمس، الامر التالي: ربما استطعنا ان نروي الصحراء من النيل! مثلاً خط أنابيب بسيطة. ولكن هذا مستحيل بسبب قناة السويس، لأن الماء يجب ان يضخ من فوق على علو السفن، أو يضخ من تحت على عمق كبير. هذه الطريقة الثانية تبدو أسهل بكثير. قد يكلف هذا الضخ مليوناً؛ ولكن ذلك ليس بكثير على مثل هذا المشروع؛ أو يؤخذ الطمي بالنشل على سفن ويوضع في العريش».

لقد طرح هرتسل افكاره طبقاً لكل ظرف؛ ودائماً اخفى الكثير من أفكاره وأحلامه وأطماعه ولكنه لم يترك فرصة الاّ استخدمها من اجل الوصول الى اهدافه، وهكذا كانت الحركة الصهيونية. وقبل ان تتحرك البعثة الى مصر، كان كل شيء معدّاً لها. فالخارجية البريطانية عملت من اجلها، وذلّلت لها العقبات؛ وحتى الاشخاص الذين ارادهم هرتسل، عملت الخارجية على احضارهم، كأن الخارجية البريطانية أُخضعت لأوامر وتعليمات، هرتسل. ففي البرقية التي ارسلها وكيل الخارجية الدائم، ساندرز، الى المعتمد البريطاني في مصر، كرومر، في ١٩٠٣/١/٢٠، قال: «وفقاً للترتيبات المتخذة، تغادر البعثة تريستا في الثاني من شباط (فبراير). وقد طلب منّي هرتسل الاتصال بحكومة السودان لاعارة براملي والاستفادة من خدماته. ولذا، اقترح ان تتصل به مباشرة لوضع التفاصيل». وبراملي هو مغامر بريطاني، تمكّن من التوغل في سيناء ومعرفتها جيداً؛ ورأى كرومر ان يكافئه، فعيّنه في الادارة المصرية، وانتدب لفترة ما في السودان، ثمّ عاد الى مصر، حيث عيّن في الجيش البريطاني وتولّى منصب مدير الجمارك المصرية، ثمّ وظيفة المفتش العام لشبه جزيرة سيناء[٣٦].

ومن الترتيبات التي أعدّها هرتسل لاعضاء البعثة ان يذهب غرينبرغ الى مصر في الوقت الذي تصل البعثة لتقديمها الى كرومر، والى السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية في مصر، بويلي، والى المدير العام لادارة حرس السواحل في مصر، هنتر. واذا لم يتمكن من المهمة، ستقع على عاتق غولدسميث، الذي وكّله بالعمل على استمالة اليهود المصريين. وكانت تعليمات هرتسل الى رئيس البعثة، كسلر، ان يقدّم تقريراً عن امكانية الاستيطان في البلاد، حتى يسير في العمل على الحصول على «الامتياز». أمّا التعليمات الى غرينبرغ بخصوص «الامتياز»، فهي ان يكون الامتياز موجزاً ومرناً، وعليه ان يأخذ كل ما يمكن الحصول عليه من الحكومة المصرية، ويطلب أكثر ما يمكن طلبه[٣٧].

السرية، ومهمة البعثة

أمّا مهمة البعثة، فقد حدّدها هرتسل في رسالته الى رئيسها كسلر على النحو التالي، حسبما جاء في يومياته: «بموجب السلطة التي لي، بصفتي رئيس اللجنة التنفيذية في الحركة الصهيونية، وباسم، وبالنيابة عن، لجنة العمل الداخلية الصهيونية في فيينا، أعيّنك رئيساً للحملة (البعثة) التي وكّلناها بدراسة امكانية الاستيطان في القسم الشمالي من شبه جزيرة سيناء. يرجى منك ان تتبع التعليمات. ان مهمتك هي ان تبحث، وتقرر، بمساعدة رجال الحملة، الفرص والامكانات التي تسمح باستعمار الأرياف والمدن في المنطقة الواقعة على البحر الابيض المتوسط، بين قناة السويس والحدود

التركية، وكذلك على الساحل. تبدأ الرحلة من الاسماعيلية، أو من القنطرة، الى بحيرة سربونيا (البردويل). تسيرون في التقدم الى الهدف الذي يجب ان يكون منطقة مستودعات النفط قرب السويس» (ص ٢٦١ ـ ٢٦٢).

ولكي يحتفظ هرتسل بسرية حركته، ومشروعاته، طلب من أعضاء الحملة (البعثة) التوقيع على نص بالتعهد عدم افشاء سرّها، ونص التعهد: «نحن الموقّعون أعضاء الحملة المنظمة تحت اشراف الحركة الصهيونية لدرس امكانية استيطان شبه جزيرة سيناء، نتعهد، هنا، ونقسم بشرفنا الّا ننشر أي شيء عن الحملة، لا من طريق كتابتنا، ولا من طريق الخطب أو المقابلات، الّا اذا سمح بذلك رئيس لجنة العمل».

التقرير حول سيناء

وفي ١٩٠٣/٢/٣، وصلت اللجنة لتقوم بمسح المنطقة، بما في ذلك القرى والمدن في منطقة القناة والتي على ساحل البحر الابيض المتوسط، خاصة المناطق التي فيها نفط؛ كما لتفاوض من اجل الحصول على امتياز لتوطين اليهود في سيناء والعريش، وتطالب بتوصيل مياه نهر النيل الى صحراء سيناء. وبعد ان مكثت البعثة أكثر من شهر في سيناء، أعدّت تقريرها في مدينة الاسماعيلية، بتاريخ ٢٦ آذار (مارس) ١٩٠٣، وأهمّ ما جاء في التقرير[٣٨] انه قسم سيناء الى خمس مناطق، هي: ١ ـ وادي الفرما؛ ٢ ـ المنطقة الرملية الواقعة جنوب بحيرة البردويل بين وادي الفرما ووادي العريش؛ ٣ ـ وادي العريش وصحراء التيه؛ ٤ ـ جبال التيه ومناطق مساقط المياه؛ ٥ ـ الجبال والأودية الواقعة بين المنطقة السابقة والسويس.

ثمّ تطرق البحث الى السكان. وقدّرهم التقرير بحوالى ستة عشر ألف في سيناء. وأشار الى قلّة الثروة الحيوانية، وقلّل من قيمة الزراعة الموجودة. وباستثناء منطقة وادي العريش (الرقم ٣ في التقسيم)، فقد أشار التقرير الى عدم صلاحية الارض للزراعة؛ كما نفى التقرير، نفياً قاطعاً، وجود أي اثر للنفط والفحم.

وفي ضوء الواقع، والحقائق، يتضح ان البيانات التي وردت في تقرير البعثة الصهيونية غير صحيحة ومغرضة. فقد قلل التقرير من عدد السكان لترويج فكرة انها خالية، كما أُشيع فيما بعد عن فلسطين. وبمراجعة ما كتبه نعوم شقير في كتابه «تاريخ سيناء»، والذي أُصدر بعد فترة البعثة بحوالى عشر سنوات، نجد ان مجموع السكان هو ٤٨ ألفاً، أي ثلاثة أضعاف العدد الذي جاء في التقرير. كذلك، فالمراد من نفي التقرير لأي معادن، خاصة النفط والفحم، هو ابعاد المطامع التي قد تبحث في سيناء عن المعادن، ويبقى ما بها لهم وحدهم. كما ان تقرير اللجنة لم يقف عند التوصيف المغرض، بل قدّم الحلول لتذليل صعوبة توفير المياه، حلم الصهيونية الدائم. وذكر التقرير ان المنطقة في ظروفها الحالية غير صالحة لاستيطان الاوروبيين فيها؛ الّا ان في استطاعة أعضاء البعثة ان يقرّروا ان الزراعة ممكنة في المناطق التي قد تتوفّر فيها المياه؛ كما ان المناخ والاعتبارات الصحية تجعل هذا الاستيطان ممكناً، اذا ما حلّت مشكلة المياه. واقترح التقرير الحلول التالية:

المنطقة الاولى: ازالة الطبقات المالحة بايصال مياه النيل.

المنطقة الثانية: انشاء آبار فيها.

المنطقة الثالثة: استغلال المياه الجوفية، بالاضافة الى بناء خزانات تحفظ مياه الامطار

المنحدرة من الجبال قبل ان تنصبّ في البحر الابيض المتوسط.

فاذا حلّت مشكلة المياه، بقيت مسألة طرق المواصلات والمرافق العامة لاسكان عدد هائل من اللاجئين (اليهود). وقد يتحقق استغلال سيناء بزراعة الغلال الآتية: القمح والذرة والشعير والبقول والعدس والفول والفاصوليا، والفواكه: البلح والتين والبرتقال والليمون والزيتون، والخضروات والاشجار الخشبية، كالكافور والجزورينا. كما يمكن انشاء بعض الصناعات الزراعية، كالزيوت وسكر القصب والفواكه المجففة والنبيذ.

وختمت البعثة تقريرها بأن وضعت الحدود والمناطق الملائمة التي تطلب من الحكومة المصرية التنازل عنها لصالح الصهيونية. الحدود: البحر المتوسط شمالاً، والحدود التركية شرقاً، ومساقط مياه وادي العريش ومرتفعات التيه جنوباً، وقناة السويس وخليجها غرباً. أمّا المناطق الملائمة، فهي المنطقة ١، بعد اتخاذ الاجراءات لتنفيذ مشروع تحويل مجرى من نهر النيل الى وادي الفرما، وانشاء الترع والمصارف الملائمة. ولتحقيق ذلك، رأى التقرير ضرورة الحصول، من الحكومة المصرية، على السلطات التي تمكّن الشركة من تنفيذ كل مشروعات الريّ اللازمة ومدّ الخطوط الحديد والطرق والمرافق العامة الاخرى. أمّا كيف يتمّ هذا، فقد ذكر التقرير ان بدء العمل يتطلب ان يقوم به الفلاحون المصريون، لأنهم أكثر تأقلماً مع المناخ.

ولا شك في ان البعثة التي وضعت التقرير، كان في ذهنها قناة السويس. ورأت البعثة ان من الممكن اعادة القناة لصالح اليهود والصهيونيين، بعد ان يرتدوا ملابس البريطانيين.

مشروع الامتياز

وفي ضوء التقرير، وضعت اللجنة صياغة قانونية لمشروع الامتياز الذي سعى من اجله هرتسل، بهدف عرضه على الحكومة المصرية للموافقة عليه. وهذا المشروع يعطي صورة واضحة للاطماع الصهيونية في الاراضي المصرية، والاستهانة بالحكومة والشعب المصريين، ويؤكد التآمر الصهيوني - البريطاني على مقدّرات مصر. نصّ مشروع الاتفاق، أو الامتياز، على:

تمّ الاتفاق بين الحكومة المصرية والدكتور ثيودور هرتسل، نيابة عن شركة تحت التأسيس، على ما يلي:

البند الاول: تمنح الحكومة المصرية الدكتور هرتسل، أو الشركة التي يؤسسها، حق احتلال الارض الكائنة شرق قناة السويس البحرية واستعمارها، وتتكون من... كيلومتر مربع؛ ويحدّها من الشمال البحر الابيض المتوسط، ومن الشرق الحدود العثمانية التي يكون معترفاً بها بلا نزاع، ومن الجنوب الخط الموازي لخط العرض ٢٩ شمالاً.

البند الثاني: يمنح الامتياز لمدة ٩٩ سنة؛ وللحكومة الحق في الغائه بعد اخطار مدتة ستة شهور، اذا لم تنفّذ الشروط الاخرى الواردة في عقد الامتياز.

البند الثالث: للشركة الحق في استغلال الاراضي الممنوحة كشيء تمتلكه، باستثناء حقوق الجهات الاخرى التي منحتها الحكومة المصرية للغير قبل هذا التاريخ، كامتيازات التعدين.

البند الرابع: يصبح المستعمرون القادمون الى المنطقة الممنوحة من طريق الشركة من الرعاية المحليين؛ وعلى كل من لا يتمتع بالرعوية العثمانية ان يقرر، كتابة وبصفة نهائية، تنازله عن

جنسيته الاصلية، وقبوله باختصاص السلطات المصرية القضائية والادارية؛ وعليه ان يرفق مع هذا الاقرار شهادة من سلطات الدولة التي غادرها بالموافقة على اكتسابه الجنسية العثمانية، وعدم تمسّكها بحق حمايته، أو رعاية مصالحه.

البند الخامس: ستظل الاراضي موضع الامتياز خاضعة للقوانين واللوائح المصرية المعمول بها في القطر وللسلطات المصرية، فيما عدا ما يقع من اختصاص السلطات الدينية، بنفس الشروط التي تخضع لها الملل من غير المسلمين في مصر، مع وجوب اعتراف السلطات المصرية بتلك السلطات الدينية.

البند السادس: تعفى الاراضي موضع الامتياز، باعتبارها غير مزروعة، مطلقاً، من أية ضريبة لمدة خمس سنوات؛ وبعد ذلك تدفع ايجاراً يحل محل الضرائب والرسوم عن الارض أو المستعمرين، ويعادل هذا المبلغ واحد على عشرين من صافي عائد المستعمرة.

البند السابع: يصرح للشركة بانشاء الموانىء في الارض الممنوحة، ومدّ خطوط المواصلات، كالطرق والسكك الحديد وخطوط البرق والهاتف، ويصرّح لها بالمشروعات الاخرى كافة ذات المصلحة العامة.

البند الثامن: للشركة الحق في تحصيل رسوم الموانىء والمنائر؛ الاّ من البواخر التابعة للحكومة المصرية، اذ تكون معفيّة من تحصيل تلك الرسوم.

البند التاسع: على الشركة ان تعد الدفاتر المدوّنة فيها حساباتها كلها، حتى تستطيع الحكومة المصرية مراقبة الدخل. وكل خلاف على تقدير الايرادات يكون من اختصاص لجنة خاصة، مكوّنة من ثلاثة أعضاء، احدهم يمثّل الحكومة المصرية، والآخر الشركة، ويرأسها مندوب يعيّن من جانب الحكومة البريطانية.

البند العاشر: تحرص الحكومة، بقدر ما تستطيع، على تعيين القضاة والموظفين، وفقاً لرغبات المستعمرين ومصالحهم.

البند الحادي عشر: لا تمنح الحكومة المصرية أي امتياز على الاراضي المتنازل عنها.

البند الثاني عشر: للشركة الحق في تجديد الامتياز لمدة ٩٩ سنة أخرى، بعد انتهاء مدته؛ وعليها ان تدفع المستحقات المقررة على أساس واحد على عشرين من ايرادات الخمس عشرة سنة الاخيرة.

البند الثالث عشر: تتعهّد الحكومة المصرية الامتناع عن أي امتياز لمدة خمس سنوات عن الجزء المتبقى لشبه الجزيرة (سيناء) وغير الواقع في حدود التعاقد الحالي؛ ويجوز للشركة الحصول على امتياز بقية شبه الجزيرة على أساس الاتفاقية الحالية.

البند الرابع عشر: تكون مسألة توفير مياه النيل لشبه الجزيرة موضع اتفاق خاص من جانب الجهات المتعاقدة(٣٩).

موقف الحكومة المصرية

بدأت الحكومة المصرية تشعر بالقلق منذ ان وصل مندوب هرتسل القاهرة. ولم تكن الحكومة قادرة على التصرّف بمفـردها؛ اذ لا بد من التشاور مع المعتمد البريطاني في مصر، اللورد كرومر،

الذي لا يخفي على الحكومة المصرية ان بريطانيا تريد ارضاء المطامع الصهيونية، لذا كان تذرعها بالقوانين التي تربط مصر بالباب العالي خطوة موفقة. ولكي لا تصطدم مع الحكومة البريطانية تركت الباب موارباً، حتى لا تتهم بمعاداة اليهود. وكانت أول مواجهة للاطماع الصهيونية ومشروع هرتسل في استعمار سيناء والعريش ما جاء في خطاب ناظر الخارجية، بطرس غالي باشا، الى المندوب غرينبرغ. ولا شك ـ كما أشار أمين ابراهيم غالي ـ في انه وضع بالاتفاق مع اللورد كرومر بعد مناقشات طويلة معه. وجاء في الخطاب الذي أرسل من القاهرة في ١٩٠٣/٢/٢٢، وفي اثناء وجود البعثة (اللجنة) التي أرسلها هرتسل لمسح سيناء والعريش، ما يلي:

«ان حكومة حضرة صاحب السمو الخديوي أخذت علماً باقتراحاتكم بشأن الحصول على امتياز لانشاء شركة تقوم باستيطان اليهود في شبه جزيرة سيناء. الّا ا ن الحكومة المصرية لا تستطيع، وفقاً للفرمانات الشاهانية، لأي سبب أو مبرر، التنازل عن جزء، أو كل، من الحقوق المتعلقة بالسيادة. ولذا، يجب ان تستبعد، بصفة قاطعة، كل فكرة ترمي الى الحصول على اتفاقيات من هذا النوع.

«ومع ذلك، فاذا تكوّنت شركة وفقاً للقوانين المصرية لاستغلال أراض في سيناء، فلا ترى الحكومة المصرية مانعاً من عرض الامر على مجلس الوزراء، على أساس المبادىء الآتية، التي يجب اعتبارها ثابتة لا نزاع فيها:

«يشترط في الوافدين ان يكونوا من رعاية الدولة العليّة؛ وان يقرر كل منهم ذلك كتابة، وان يقبل اختصاص المحاكم الاهلية والسلطات الادارية المصرية المطلعة في جميع المسائل؛ ويجب ان ترفق بهذا الاقرار شهادة من السلطات المختصة الوافد منها المهاجر، تقرر فيه ان اكتسابه الجنسية العثمانية قانوني، وانها لن تطالب بأي حق من حقوق الحماية، وان تكون الاراضي المزمع استغلالها خاضعة للقوانين واللوائح المعمول بها في مصر، علماً بأنه ستراعى، في تطبيق الاحوال الشخصية، الشروط الخاضعة لها الملل غير الاسلامية، ويجب ان تعترف الحكومة المصرية بالسلطات الدينية».

ونلاحظ، هنا، ان الخارجية المصرية احتمت بالقوانين، وهدمت كل محاولة عنصرية، أو دينية، قد تخلق صعوبات أمامها. وقد اهتم هرتسل بما قدّمه بطرس غالي وضمّن معظمه في مشروع الامتياز، لكنه كان ثانوياً؛ اذ ان المشروع كان يجرّد مصر من بعض سلطاتها، وهدفه غير المعلن اقامة دولة لليهود في سيناء والعريش. وفي اليوم عينه (١٩٠٣/٢/٢٢) الذي أرسل فيه بطرس غالي خطابه الى مندوب هرتسل، أرسل اللورد كرومر صورة من الخطاب الى حكومته[٤٠].

هرتسل في القاهرة

قرّر هرتسل الذهاب الى القاهرة لمقابلة كرومر وبطرس غالي والمسؤولين في الحكومة المصرية لترتيب الامور، وغادر في ١٨ آذار (مارس) ١٩٠٣ فيينا الى ميناء تريستا على متن السفينة «سمير اميس»، فوصل ميناء الاسكندرية في ٢٣ آذار (مارس)، ثمّ ذهب الى القاهرة ليقيم في فندق شبرد، وكان ترك عنوانه لاصدقائه قبل ان يغادر: «القاهرة، فندق شبرد».

وجاء انطباعه الأول عن مصر في ما كتبه لـ «الجريدة الحرة الجديدة» حيث صدّر كلماته بالعبارة اليونانية التي اقتبسها فون بيلو من الشاعر بندار: «الماء أحسن شيء... ان مصر تقع بين حلمين: الاول هو الذهاب اليها، والثاني هو العودة منها». وخففت رؤيته لمياه النيل من جفاف صمته[٤١]؛ لكن لقاءه مع اللورد كرومر بعد يومين من وصوله أيقظه من عالم الشعر والخيال، ليعود الى

طبيعته التآمرية. وقد وجد هرتسل في كرومر «أكثر الرجال الذين قابلتهم فظاظة»؛ امّا كرومر، من جانبه، فقد رأى في زائره اليهودي انه «متحمس متهور». وسجل هرتسل اللقاء في يومياته:

«بدأنا بالحديث رأساً. أعطيته موجزاً لمخططنا. وعندما ذكرت اننا نريد ان نقيم سكك حديد، قاطعني قائلاً: ' سنتكلم عن هذا فيما بعد ' .

«قلت: طبعاً، سنقوم بكل ما ترغب به الحكومة الانجليزية في هذا الخصوص؛ وأتيت على ذكر التقرير، واننا سوف نحتاج الى الماء، ومن النيل.

«قال: لا أستطيع ان اعطيك جواباً حازماً، حتى يرجع الخبير الذي وكّلته بهذا (غارستن، الوكيل الدائم لوزارة الاشغال العمومية) في خلال شهر.

«قلت: نحن نطالب فقط بالمياه الفائضة من النيل؛ مياه الشتاء الزائدة التي تجري عادة الى البحر ولا يستفاد منها؛ سنبني لها خزانات. وسألته ما اذا كان عليّ ان أزور بطرس [غالي]؟

«[قال:] نعم وقد أخبرته بأنك هنا.

«ثمّ ذهبت لأرى بطرس. [كانت] وزارة مصرية لا يستطيع المصريون فيها ان يعطوا أي أمر. خدم كثيرون يتسكعون في غرف الانتظار الواسعة. أرسلت بطاقتي، فأسرع بطرس الى استقبالي، وهو قبطي متقدم في السن، بدين، مترهل. بدأنا بحديث السياح، ثم انتقلنا الى الموضوع؛ وسأل هو، أيضاً، من أين تجيئون بالماء؟ فأطلعته، باختصار، على مشروع الري الذي هيأناه؛ وظل يوافقني، ونحن نشرب القهوة الى ان أُعلن مجيء القنصل النمساوي؛ وعند ذلك تركت»(٤٢).

وقد التقى هرتسل بالمسؤولين عن الري في مصر، وبالمستشار القانوني في وزارة العدل، والتقى باللجنة التي عادت من مسحها لسيناء. وفي اثناء تواجد هرتسل في القاهرة، أرسل كرومر خطاباً الى وكيل وزارة الخارجية البريطانية، ساندرسون، في ١٩٠٣/٣/٢٨، جاء فيه:

«بخصوص موضوع مستعمرة يهودية في شبه جزيرة سيناء، أرسلت البعثة تقريرها؛ وأهم مشكلة أمام المشروع هي توفير المياه. وهناك اقترح بأخذ الزائد من المياه في وقت الفيضان وتوصيله من تحت قناة السويس بسحارات، الّا انه ليس في استطاعي ابداء الرأي في هذا الخصوص قبل استشارة غارستن، وهو لن يعود قبل شهر. امّا الاقتراحات الاخرى عن انشاء الآبار والقنوات والخزانات لحفظ مياه الامطار المنحدرة من الجبال، فهي قليلة الأهمية، ولا تمانع الحكومة المصرية في مشروعات من هذا النوع.

«ذكرت للدكتور هرتسل والكولونيل غولدسميث، وهما، الآن، في مصر، ان عليهما ان يستشيرا محامياً محلياً كي يحرر مشروع عقد؛ وستقوم جهات الاختصاص المتعددة بدرسه، والنظر في ما يمكن اتخاذه من قرارات.

«فهمت من الدكتور هرتسل انه سيسافر الى لندن. انه متحمس بلا داع؛ فاحذر من الارتباط معه بأي شيء، أو التفاوض معه. ان غولدسميث أكثر اتزاناً في التعامل معه»(٤٣).

وحين استمع هرتسل لتقرير اللجنة، اعترض على بعض التعبيرات. وكما سجل في يومياته: «كنت أفضل لو ان القسم الاول من هذه الجملة قد حذف ' في حالتها الحاضرة لا يمكن السكن فيها؛ امّا اذا توفّر لها الماء، فيمكن السكن فيها ' . كذلك يجب ان لا يذكر السبب الذي من أجله نريد ان

تصل البلاد الى خط العرض التاسع والعشرين. فلو ألقينا نظرة على خارطة شبه جزيرة سيناء، لتبين لنا ان الخط المذكور ـ ٢٩ درجة ـ يقطعها عند القسم الاسفل، فيشطر خليج السويس الى شطرين تقريباً، ويمر بالقرب من خط حديد الحجاز»(٤٤).

وفي القاهرة، استمع هرتسل الى محاضرة في الري، ألقاها وليام ولكوكس (بريطاني؛ خبير بالري؛ له دراسات هامّة في هذا المجال؛ عمل في شؤون الري في مصر والعراق). ولم يكن اهتمامه بالمحاضرة، قدر اهتمامه بالمحاضرين: «لقد استرعى انتباهي وجود عدد كبير في القاعة من المصريين الذين تبدو عليهم معالم الذكاء. ان هؤلاء هم أسياد الغد؛ ومن الغريب ان الانجليز لا يرون هذا، ويظنون انهم سيظلون يتعاملون مع فلاحين الى الأبد. يكفي، اليوم، الانجليز ١٨ ألف جندي لهذه البلاد الكبيرة، ولكن الى متى يا ترى؟».

أدرك هرتسل ان مشروعه يواجه عقبات، لكنه لم يفقد الامل نهائياً، حتى غادر مصر في الرابع من نيسان (ابريل) ١٩٠٣، وترك لغولدسميت متابعة المهمة، ولم يرد كرومر ان يستقبله قبل ذهابه، «وبعث برسالة رفض جافة، يقول فيها انه يجب تعديل كثير من الامور في المسودة، قبل ان تقبل». وعاد هرتسل الى فيينا.

تقرير غارستن

بعد مغادرة هرتسل القاهرة بشهر، انتهى وكيل نظارة الاشغال، غارستن، من اعداد تقريره، وقدمه الى الحكومة المصرية والى اللورد كرومر في ٥/٥/١٩٠٣. وأهم ما جاء فيه(٤٥): «بحثت المشروع مع المفتش العام لري الوجه البحري. اتفقنا معاً في الرأي على انه بالكيفية المعروضة لا يمكن قبوله». ورأى غارستن ان توصيل مياه النيل الى وادي الفرما من المشروعات غير العملية. وعلى فرض ان تقدير التكاليف الباهظة ليس في الحساب، فانه سيظل ثمّة اشكال توزيع المياه الصيفية قائماً؛ كما ان المشروع سيزج بالحكومة المصرية، على غير ارادتها، في التزامات مستقبلية، قد يكون من الصعب عليها التنصل منها، مهما كانت طبيعة التعاقد والحرص على عدم الارتباط. هذا بخلاف ما سيؤدي اليه ذلك من الاضرار بمصالح ملاّك الاراضي من المصريين.

واستناداً الى تقرير غارستن، أرسلت الحكومة المصرية، من خلال ناظر الخارجية، غالي، خطاباً الى الكولونيل غولدسميت، في ١١/٥/١٩٠٣، جاء فيه: «الحاقاً بكتابي المرسل بتاريخ ٢٢ [شباط] فبراير سنة ١٩٠٣، الرقم ١٨٨، الى مستر غرينبرغ، أتشرف بابلاغكم ان حكومة سمو الخديوي درست، بكل عناية، تقرير القومسيون (اللجنة) الذي كلف ببحث [في] توطين مستعمرة يهودية في سيناء. وقد تلقّت الحكومة المصرية رأي مصلحة الري، وانني أرفق مع هذا صورة منه، وهو لا يخرج، في مضمونه، عمّا ورد في المذكرة التي قدّمها غارستن. ويتبين لكم من قراءته ان النتيجة التي وصل اليها هي ان العروض التي تقدمتم بها غير مقبولة اطلاقاً، للأسباب التي فصلها. ولذا، فلا يسع الحكومة المصرية الاّ ان تؤيد هذا الرأي. ولتلك الاسباب، آسف لعدم استطاعة الحكومة المصرية الرد بالايجاب على اقتراحاتكم، التي تعتبر مرفوضة بصفة قاطعة ونهائية»(٤٦).

وفي ١٤ أيار (مايو) ١٩٠٣، أرسل اللورد كرومر الى وزير الخارجية البريطانية، لاندسون، تقريراً مفصلاً، وارفقه بتقرير غارستن وبصورة من خطاب غالي الى غولدسميث. وجاء في تقرير كرومر: «أرى الآن، بصفة قاطعة ونهائية، أنه يجب صرف النظر عن الموضوع. وفي حديثي مع

غولدسميث أشرت اليه، بقوة، وبكل حزم، بضرورة حفظ الموضوع. وآمل من سيدي اللورد ان يبلغ مثل هذا الرأي الى الدكتور هرتسل، عندما يلجأ اليكم، كما هو متوقع».

وسجل هرتسل في يومياته (١٦ أيار ـ مايو ١٩٠٣): «ظننت ان خطة سيناء مؤكدة النجاح، الى درجة انني ما عدت فكرت بشراء مدفن للعائلة في مقبرة دوبلينغ، حيث والدي مدفون مؤقتاً؛ والآن اعتبر المشروع فاشلاً الى درجة اني اتصلت بالمسؤولين، وسأشتري المدفن الرقم ٢٨».

لكن الألاعيب الصهيونية لم تتوقف. ولم يعتبر هرتسل ان مشروعه قضي عليه تماماً؛ بل حدث ما توقعه كرومر، فكان ان كتب هرتسل خطاباً الى وزير الخارجية البريطانية، في ١٩٠٣/٦/٥، الحّ عليه فيه اعادة فتح باب المناقشة مع السلطات. وجاء الرد من وكيل الخارجية البريطانية على هرتسل في ١٩ حزيران (يونيو) يفيده بأنه أحال خطابه الى كرومر؛ ثمّ ارسل اليه خطاباً آخر يفيده برد كرومر ورفض السلطات المصرية، بصفة نهائية. وأضاف: «بناء عليه، يأسف لورد لاندسون، وزير الخارجية، لعدم استطاعته التوصية بالضغط أكثر من ذلك على الحكومة المصرية، لحملها على تغيير موقفها في هذا الخصوص».

ولم يكن هرتسل في حاجة الى هذه المراسلات. فقد كان يعرف جيداً ان المشروع فشل منذ منتصف أيار (مايو)؛ ولكنه كان يحاول على جبهات مختلفة ومتوازية. وخطرت على بال هرتسل فكرة استعمار موزمبيق: «جلست أضع خطة جديدة سوف نحتاج اليها عندما تفشل الخطة الحاضرة. بدأت من اقتراح تشامبرلن عن أوغندا، وفكرت في موزمبيق. سأحاول ان أحصل على امتياز شركة لاستعمار هذه الارض البور من الحكومة البرتغالية، التي هي بحاجة الى مال، وذلك بأن أعد بتسديد الديون ودفع ضريبة فيما بعد؛ على انني أريد موزمبيق هذه فقط للمقايضة، وسوف أحصل من الحكومة البريطانية، لقاء تنازلي لها عن موزمبيق، على شبه جزيرة سيناء برمّتها، مع مياه النيل صيفاً وشتاء، وربما على قبرص أيضاً، كل ذلك مقابل لا شيء»[٤٧].

ولم تتحقق احلام هرتسل، لكن المحاولات لم تتوقف، والاطماع لم تختفِ.

الاستيطان في الصعيد

افتتح هرتسل المؤتمر الصهيوني السادس في بازل، في آب (اغسطس) ١٩٠٣، فتحدث عن نشاطه السياسي حتى ذلك الوقت، بما في ذلك مفاوضاته مع السلطان العثماني، ومع الحكومة البريطانية، بشأن العريش، وامتدح، أيضاً، موقف الحكومة الروسية؛ ثمّ قدّم مشروع أوغندا. وأشار هرتسل الى ان الاقتراح الذي قدمته الحكومة البريطانية «يعني اقامة استيطان يهودي يتمتّع بحكم محلي في جنوب افريقيا مع ادارة يهودية وحكومة محلية يهودية، تحت رقابة السيادة البريطانية العليا». وقد قوبل الاقتراح بمعارضة شديدة، واتهم المعارضون هرتسل بالخيانة، ومخالفة مقررات المؤتمر الصهيوني الأول وبرنامج بازل، وهما يدعوان الى اقامة دولة يهودية في فلسطين[٤٨]. كما ان التناقضات بين الدول الاستعمارية (بريطانيا والمانيا) عكست نفسها داخل المؤتمر الصهيوني. فقد كان مقر المنظمة الصهيونية العالمية في برلين؛ ولم تكن الاوساط الحاكمة في ألمانيا تميل الى المساعدة على تأسيس مستعمرة يهودية تحت الحماية البريطانية عند حدود افريقيا الشرقية الألمانية[٤٩]. وقد كان الصراع حاداً بين بريطانيا والمانيا حول السيطرة على المنطقة العربية، وإنْ اختلفت الوسائل لتحقيق الهدف. فالامبريالية الالمانية كانت تأمل في تعزيز سيطرتها على المنطقة العربية، من

طريق تحويل الامبراطورية العثمانية الى شبه مستعمرة ألمانية، وتقوية نفوذ هذه الامبراطورية الضعيف في المنطقة العربية، خاصة في العراق وشبه الجزيرة العربية، ثمّ السيطرة عليها؛ ولهذا مارست عملها في مد سكة حديد بغداد، وسعت الى الاشراف على القوات المسلّحة التركية.

أمّا الامبريالية البريطانية التي عزّزت مواقفها في أطراف الامبراطورية العثمانية، فكانت تعلق آمالها على تجزئة هذه الامبراطورية المتهرئة، والاستيلاء على المناطق العربية الأكثر أهمية، من الناحيتين، الاقتصادية والاستراتيجية. ومن هنا كان اتفاقها مع فرنسا، في العام ١٩٠٤، واتفاقها مع روسيا، في العام ١٩٠٧، بشأن اقتسام المنطقة العربية. وطبقاً لاتفاقية بريطانيا مع روسيا القيصرية، اعترفت الاخيرة بسيطرة بريطانيا على الخليج العربي. وبهذه الاتفاقيات تأسس ائتلاف دول الوفاق[٥٠]. ولم يكن النشاط الصهيوني بعيداً من دول الوفاق، فعرضت الحركة الصهيونية تقديم خدماتها الى هذه الدول وغيرها، وكذلك الى الدولة العثمانية، واستخدمت جميع الاساليب المدانة سياسياً، واخلاقياً، وطرحت المشروعات الاستعمارية لتوطين اليهود في أماكن مختلفة من العالم؛ لكن الذي يعنينا، في هذا المجال، هو متابعة النشاط الصهيوني الاستعماري حول مصر والاراضي المصرية.

فما ان فشل مشروع هرتسل في استعمار سيناء والعريش العام ١٩٠٣، حتى ظهر مشروع جديد في نهاية العام عينه، يتناول، أيضاً، الاراضي العربية، وبالتحديد في صعيد مصر، في كوم امبو، محافظة اسوان. فقد عملت الحركة الصهيونية، بمباركة الاستعمار البريطاني ومساعدة الرأسماليين من اليهود في مصر، على اقامة مستعمرة صهيونية في كوم امبو، على مساحة ٣٠ ألف فدان، وربما كانت هذه الفكرة بداية لاقامة عدة مستعمرات صهيونية داخل الاراضي المصرية، في الوقت الذي أُقيمت عدة مستعمرات في فلسطين. وربما كان الصهيونيون يخشون من أي تحرك مصري ضد استعمارهم لفلسطين، فأرادوا ان يقيموا في مصر ما اقاموه في فلسطين وخلق جو من التعايش مع المصريين، حتى يتقبلوا ما يحدث في فلسطين.

وقد أشارت جريدة «الاهرام» القاهرية الى المشروع الصهيوني، أي المستعمرة الصهيونية، في كوم امبو، في عددها الصادر في ١٩٠٣/١٢/١٩، والذي جاء في كتاب «النيل في خطر» لكامل زهيري، وهذا نص ما نشرته «الاهرام»[٥١]: «يعرف قراؤنا خبر ابتياع الخواجات سوارس والسير ارنست كاسل لسهول كوم امبو بحري أسوان من الحكومة المصرية على شروط بيّناها في ذلك الحين وخلاصتها ان حضراتهم يأخذون من الحكومة المصرية ٣٠ ألف فدان فيصلحونها ويدفعون للحكومة ثمن الفدان الواحد ٢٠ قرشاً، أي حوالى ستة آلاف جنيه من ثمن الارض كلها؛ فاذا نجحوا في اصلاح ثلاثين ألف فدان كان لهم في السنوات العشر الآتية أخذ السهل كله ومساحته نحو مئة ألف فدان بالثمن ذاته. وتعهّدت لهم الحكومة بمنحهم رخص وابورات للري، تروي الارض كلها. وقد أعطتهم أول رخصة لري عشرة آلاف فدان، وستعطيهم، في العام المقبل، الرخص لري باقي الثلاثين ألف فدان، على شرط ان يدفعوا عشرة قروش عن ري كل فدان في السنة الاولى، و٢٠ في السنة الثانية، و٢٥ في السنة الثالثة، و٣٠ قرشاً ابتداء من السنة الرابعة، وتعفى الارض، في السنوات الاولى، من كل ضريبة، ثمّ تفرض عليها ضريبة خفيفة حتى تمر ١٥ سنة على تعمرها.

«ومعلوم ان الخواجات سوارس والسير كاسل، اصحاب الارض، قد عيّنوا... المهندس الشهير اسماعيل بك سري لوضع الرسوم، براتب ١٢٠٠ جنيه في السنة، وطلبوا منه ان يتجرّد لخدمة هذه الارض، فيعطونه ثلاثة آلاف جنيه في السنة، فأبى. ولقد علمنا من الثقاة الخبيرين ان هذا

السهل سيكون، بعد اصلاحه، مستعمرة صهيونية؛ اذ يؤتى لزراعته واصلاحه بالفلاحين الاسرائيليين المعسرين، كما فعل روتشيلد في فلسطين. وقد انتدب، الآن، اصحاب الارض بعض الاسرائيليين للشروع بالأعمال الابتدائية. وهكذا ألّفوا مستعمرة صهيونية في أرض مصرية، وأغنوا الصهيونيين عن السفر الى شرق أوغندا ومجاهل افريقيا كما ارادت انجلترا».

وعلّق زهيري بقوله: «وقد استمر هذا المشروع، الذي اشتراه سوارس وكاسل، وهما، أيضاً، كبار مؤسسي ' البنك الاهلي المصري ' العام ١٨٩٨. ولكننا نكتشف أمر احدى الشخصيات الصهيونية الهامّة في تاريخ النشاط الصهيوني بمصر واسمه بن ـ عاداه هو الذي تولّى ادارة المشروع في بدايته، ثمّ تولّاه، بعده، طلعت حرب، وكيل الادارة القانونية في الدائرة السنية مدير أعمال ممتلكات سلطان باشا. وقد احتفلت جريدة ' اللواء' العام ١٩٠٥ بتولّي طلعت حرب هذا المنصب في موجة المطالبة بتمصير المناصب»[٥٢]. كما أشار أنسي مصطفى كامل، في دراسته عن «الرأسمالية اليهودية في مصر»، الى ان هرتسل لم يأمل في نجاح المشروع، حيث ان «انشاء مستعمرة في كوم امبو سيؤدي الى تدخل طرف ثالث من طريق ' السوسيتيه جنرال' التي تسوق الاوراق المالية للشركة العامة للسكر والتكرير المصرية في باريس. وحيث ان هذه الشركة كانت سمعتها المالية، دولياً، سيئة، وهي، أيضاً، تعتبر الاطار الانتاجي لمخرجات شركة أراضي وادي كوم امبو، فانه لا أمل في المشروع». وجاءت اشارة كرومر، في تقريره العام ١٩٠٦ الى المجلس البريطاني استبعاده نجاح المشروع، لاستبعاد عمل الاسرائيليين كفلاحين، حيث انهم كانوا يسيطرون على مرحلة أرقى في الانتاج، ألا وهي ملكية الاراضي[٥٣].

كليّة فكتوريا

وفي الوقت الذي كان هرتسل يجري اتصالاته مع السلطات البريطانية من اجل اقامة مستعمرات صهيونية في سيناء والعريش، كان هناك من رجال الاحتلال البريطاني من فكّر في انشاء شركة لتأسيس مدارس بريطانية، وأطلق عليها اسم «المدارس البريطانية في مصر». ولم تكن هذه الفكرة بعيدة من اللورد كرومر وتوجيهاته. وقد وضع الحجر الاساس لاحدى هذه المدارس في ١٩٠١/٤/٢٥. ولمّا كانت الملكة فكتوريا توفّيت في كانون الثاني (يناير) ١٩٠١، وبدأت الجالية البريطانية في الاسكندرية تفكر في عمل شيء يخلّد ذكرى ملكتهم، أطلق على المدرسة اسم «كلية فكتوريا»، وبذلك تغيّر الاسم الذي كان مقترحاً سابقاً وهو «المدارس البريطانية»[٥٤]. وفي تقرير كرومر، العام ١٩٠٥، جاء عن كلية فكتوريا: «ان الغرض... من هذه الكلية هو انشاء مدرسة عالية لابناء وجهاء المصريين على اختلاف... مللهم، تكون تحت الرعاية البريطانية ولا تتعرّض للأديان مطلقاً. ولا [شك] في ان الحاجة كانت شديدة الى كلية مثلها؛ فان من ينظر الى ملل تلامذتها... يدرك مقدار اختلاط الشعوب والامم في مدن مصر الكبرى. فقد كان عدد تلامذتها ١١٨ في بدء هذه السنة (١٩٠٥) (٢٨ منهم داخليون)، وكان من العدد ٣٩ من اليهود المختلفي الجنسيات و٥٦ من المسيحيين (بين ارثوذكس وموارنة وروم كاثوليك ولاتين وبروتستانت من مشيخية وانغليكان) ستة منهم أقباط، و٢٢ سوريون، و١٣ يونان، وستة انجليز، وأربعة ايطاليون، ودنمركيان، وفرنسي، ومالطي، وأرمني، و٢٣ من المسلمين (بين مصريين وبدو وأتراك)»[٥٥].

وفي تقريره العام ١٩٠٦، أشار كرومر الى انه «في كلية فكتوريا، الآن، ٢١٥ تلميذاً، منهم ٧٩ يهود، [و] ٧٩ مسيحيون، [و] ٥٧ مسلمون، والعمل جار في بناء الدار الجديدة التي ستنقل المدرسة اليها»[٥٦].

ومن الكلمة التي ألقاها اللورد كرومر يوم وضع أساس الدار الجديدة، في ٢٤/٥/١٩٠٦: «ولقد علمت ان الكلية بصدد ادخال نظام الأسرة house system ؛ وهذا يعطي فرصة لتفهم أكثر لهذا المعهد. ولدي ملاحظتان أودّ ذكرهما بهذه المناسبة: أولاهما اني أرجو من كل ذي نفوذ في هذا البلد ان يفعل ما في وسعه لكي يمنع ان تقف الناحية الدينية حائلاً دون التقدم التعليمي، وان تدريس الدين في هذه الكلية ليس اجبارياً؛ فهو بناء على طلب أولياء الامور على يد المدرسين الذين يختارونهم بأنفسهم؛ والنقطة الثانية ان انشاء هذه الكلية هو مثل جيد مصغّر للمجتمع المصري»[٥٧]. وأعطى أمثلة بوجود المسيحيين واليهود والمسلمين، على الرغم من تفاوت النسب بينهم.

ومن خلال الغرض من كلية فكتوريا ـ كما جاء على لسان كرومر ـ وبتأمل نسب الاعداد، نلاحظ تزايد عدد اليهود؛ كما ان نسبتهم لا تتناسب مع عددهم، وكان المأمول في «ان تكون مثلاً جيداً مصغراً للمجتمع المصري»، حسب كرومر، ان يأخذ اليهود دوراً كبيراً في هذا المجتمع، ويتعود البعض على التعايش معهم، من خلال الزمالة ونظام الاسرة في الكلية. وتمّ هذا، في رأيي، بتخطيط توافقه مع المشروعات الاستعمارية الصهيونية، سواء في سيناء أو العريش أو كوم امبو، أو المطالبة بوطن لليهود في فلسطين.

ان كل شيء كان يعد، وفي جميع مجالات الانشطة، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وليس من خلال اندماج اليهودي في المجتمع المصري، بل بالتظاهر بالاندماج، والعمل بعيداً من حركة المجتمع، بل وضد حركته الوطنية، والتنسيق الكامل مع الاحتلال البريطاني، من ناحية، والمنظمة الصهيونية، من ناحية أخرى.

البلدان المجاورة

واذا تركنا النشاط الصهيوني داخل مصر تحت رعاية الاحتلال البريطاني قليلاً، لنعود الى المشروعات الصهيونية من خلال المنظمة الصهيونية العالمية ومؤتمراتها، نجد ان المشروعات الاستعمارية الصهيونية، لم تتوقف بالنسبة الى الاراضي المصرية بوفاة هرتسل العام ١٩٠٤، بل أصبحت هذه المشروعات هدفاً مستمراً بين أهداف الصهيونية، التي أعلنت تمسّكها بالنشاط في فلسطين وما يجاورها، خاصة في سيناء والعريش. وقد عقد المؤتمر الصهيوني السابع، في آب (اغسطس) ١٩٠٥، وطرحت فيه أفكار ماكس نوردو وداڤيد تريتش؛ كما أُجري تعديل قانون صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار، بحيث اصبحت الفقرة المتعلقة بتفضيل فلسطين وسوريا لتنفيذ المشروعات الصهيونية، تنص على ما يلي: «... في فلسطين وسوريا وأي قسم آخر من تركيا الآسيوية وفي شبه جزيرة سيناء وقبرص». وفي المؤتمر الصهيوني السابع، اتجه نوردو الى الدولة العثمانية وعرض خدمات الحركة الصهيونية للدفاع عن فلسطين ضد حركة اليقظة العربية التي اعترف بقوتها، بقوله: «ان الحركة التي استحوذت على قسم كبير من الشعب العربي يمكنها ان تتخذ بسهولة وجهة سير تطال فلسطين أيضاً؛ وهكذا تصبح أزمة 'آبائنا' من جديد محور اهتمام العالم السياسي ومحط أنظاره، وقد تجد الحكومة التركية نفسها مضطرة الى الدفاع عن سيادتها وسيطرتها في كل من فلسطين وسوريا ضد رعاياها بالذات وبقوة السلاح»[٥٨].

ورأى د. اسعد رزوق ـ في كتابه «اسرائيل الكبرى»، انه ليس بمستبعد ان يكون نوردو قد اطلع على كتاب «يقظة الأمة العربية»، لنجيب عازوري، حيث ان الكتاب أُصدر في شباط (فبراير)

١٩٠٥ (بالفرنسية) وكان خطاب نورداو في آب (اغسطس) من العام عينه. وقد قدّم عازوري كتابه بقوله: «ان ظاهرتين هامتين متشابهتي الطبيعة بيد انهما متعارضتان لم تجذبا انتباه أحد حتى الآن، تتضحان، في هذه الآونة، في تركيا الآسيوية، أعني: يقظة الأمة العربية، وجهد اليهود الخفي لاعادة تكوين مملكة اسرائيل القديمة على نطاق واسع؛ ومصير هاتين الحركتين هو ان تتعارضا باستمرار حتى تنتصر احداهما على الاخرى، وبالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين هذين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متضاربين يتعلق مصير العالم بأجمعه؛ وليس للمرة الاولى على كل حال تناقش في الاقطار العربية مصالح اوروبا في حوض البحر الابيض المتوسط، لأن هذه المنطقة تصل بين ثلاث قارات وثلاثة بحار كانت، على مدى عهود متفاوتة، مسرحاً لاحداث سياسية، أو دينية، قلبت مصير العالم بأسره»[٥٩].

وكان عازوري من الرواد الاوائل الذين آمنوا بالقومية العربية. وقد دعا، العام ١٩٠٤، الى حزب قومي عربي أطلق عليه اسم «جامعة الوطن العربي»؛ كما أصدر، في باريس، «مجلة الاستقلال العربي»؛ ثمّ عمل في الصحافة في القاهرة، وهو من الذين تنبّهوا للخطر الصهيوني منذ بداية القرن الحالي.

أمّا ماكس نورداو، فلم تكن سيناء والعريش بعيدة من ذهنه وأفكاره، وكان سبق له ان قال في المؤتمر الصهيوني الخامس (١٩٠١): «يدّعي خصومنا بأن فلسطين غير قادرة على استيعاب اليهود؛ بل انها قادرة على استيعاب ١٢ مليوناً او ١٥ مليوناً من البشر، على ان يكون من الواضح ان فلسطين تشمل الاراضي المجاورة»[٦٠] (سيناء والعريش).

مشروع تريتش

وكان من بين الزعماء اليهود الذين اهتموا باستعمار الاراضي المصرية، أو ما أطلق عليها البلدان المجاورة لفلسطين، دافيد تريتش[٦١] وهو احد الذين فكّروا فيما عرف باسم «فلسطين الكبرى» والتي تضمّ، في رأيه، الى جانب فلسطين، سيناء والعريش وقبرص. وقد دعا تريتش الى اقامة مستعمرات في سيناء قبل مشروع هرتسل الذي أشرنا اليه. وحاول، في المؤتمر الصهيوني الخامس (١٩٠١)، ادخال تعديل على برنامج بازل فاقترح وضع النص التالي: «تسعى الصهيونية الى ايجاد 'وطن قومي' في فلسطين والبلاد المجاورة»؛ كما اقترح البدء في استعمار «فلسطين المصرية»، أي العريش وسيناء، ولكنه لم يحرز نجاحاً في تلك الفترة، حيث كان هرتسل يعدّ مشروعه السرّي حول العريش وسيناء بالاتفاق مع وزير المستعمرات البريطانية، وفي الوقت عينه، كان تريتش يطرح آراءه وأفكاره في المجلات الصهيونية التي تدور حول «قطعة منسية من فلسطين» و«فلسطين المصرية» ومستقبل الشرق[٦٢].

وفي المؤتمر الصهيوني السادس (١٩٠٣)، وجّه تريتش انتقادات الى الاسلوب الذي اتبعه هرتسل في معالجة مشروع استعمار سيناء والعريش. وكان اصراره على استعمار هذه المناطق هو الذي جعله يواجه هرتسل ومؤيديه بقوله: «ان الامر، ببساطة، هو ان الانسان لا يتخلّى عن بلاده، أي عن القسم الجنوبي الشرقي من فلسطين لوجود نقص في المياه»[٦٣].

وبعد وفاة هرتسل، نشط تريتش في طرح افكاره من جديد، وذلك في المؤتمر الصهيوني السابع (١٩٠٥)، ومضى في شرح أفكاره ومفهومه حول فلسطين الكبرى التي يطالب بها، ومعنى الاراضي المجاورة. وفي هذا المؤتمر، توجّهت الحركة الصهيونية بمشروعاتها الاستعمارية على أساس فرض سياسة الأمر الواقع على فلسطين، وبدأت عمليات التسلل، ودفع اليهود سراً الى الهجرة؛ كما

تضمّنت قرارات المؤتمر السابع أهمية البدء بالاستيطان الزراعي في فلسطين على نطاق واسع، من طريق محاولات شراء الاراضي بأي ثمن، وبأي طريقة. وعمل تريتش بكل الوسائل، من خلال النشرات والكتب والمجلات، لتدعيم افكاره حول «فلسطين الكبرى» واستيطان الاراضي المجاورة لفلسطين. وفي حملته لعرض افكاره، نشر «دليلاً سياحياً» (١٩٠٦) بالعبرية والالمانية والانجليزية، ضمّنه شتى المعلومات والافكار وتعريفه لأرض فلسطين التي حدّدها بأنها من النيل الى الفرات؛ كما زعم ان اليهود الفلسطينيين لا يعتبرون المسافر خارج البلاد الاّ اذا اجتاز حلب من الشمال والاسكندرية من الجنوب. أمّا فلسطين المصرية، في رأيه، فهي تلك الرقعة من الارض الخاضعة للادارة المصرية التي تعتبرها الجغرافيا العصرية جزءاً من شبه جزيرة سيناء المصرية. فهي تشكل مثلثاً قاعدته الشمالية تمتد من تل رفح على الشاطىء الى وادي العريش، وينطلق من هذين الطرفين خطان يلتقيان في نقطة تقع الى الغرب من خليج العقبة على البحر الاحمر[٦٤]. وقد طرح تريتش مفهومه عن «فلسطين الكبرى» من خلال ما سمّاه الدوائر الثلاث، والتي طرحها في مقالة بعنوان «البلدان المجاورة»، وأعاد نشرها في «دليل فلسطين».

ولن نتابعه في تصوّراته وأوهامه، وانما نقف، فقط، عند نظرته الى الاراضي المصرية. كتب: «لا حاجة بنا الى ادخال شبه جزيرة سيناء المصرية بأكملها في نطاق اهتمامنا، بل يمكننا استثناء القسم الجنوبي عديم الاهمية والوسط من دائرة نشاطنا. وإذا شئنا ألاّ نقيّد أنفسنا بالمنطقة الفلسطينية البحتة والواقعة داخل حدود نخل مزراعيم، وحصر انفسنا بالسهل المعروف بسهل العريش، فباستطاعتنا استنضاب امكانات هذا الاقليم الذي تبلغ مساحته ضعف مساحة فلسطين الكبرى، فيما لو اقتصرنا على الضفة الشرقية لقناة السويس، بالاضافة الى قطاع ساحلي في الشمال بعرض حوالى ٢٥ كيلومتراً. وهكذا يتسنّى لنا ان نضم الى ذلك منطقة نفوذ شرقية تتاخم فلسطين من الجهة الجنوبية، وتشمل البتراء القديمة والقطاع الساحلي في شمال شبه الجزيرة العربية (مدين) والواقع على خليج العقبة، والى الشرق من اقليم سيناء يحظى مجرى وادي العريش باهتمامنا البالغ، بسبب امكانية بناء السدود وحفر آبار المياه. ان العريش، أو الشريط الساحلي الضيق على شاطىء البحر المتوسط والواقع في البلد المجاور لفلسطين من ناحية الجنوب الغربي، هو أهمّ منطقة بالنسبة الينا»[٦٥].

وكما قام جميع قادة الحركة الصهيونية بعرض أفكارهم، مشفوعة بتقديم الخدمات الى الدول الاستعمارية، طرح تريتش أفكاره على المانيا والدولة العثمانية، وفي الوقت عينه كان هناك من زملائه من استمروا في العلاقات مع بريطانيا، استكمالاً لما بدأه هرتسل حول اقامة مستعمرات في سيناء والعريش.

وعادت شبه جزيرة سيناء، من جديد، تراود أحلام الحركة الصهيونية؛ كما بدأ الاهتمام بسيناء يزداد من جانب بريطانيا، مع تزايد اهتمام الالمان، أيضاً، بالمنطقة. وكان مشروع الدولة العثمانية بمد خط سكة حديد بين معان والعقبة، والذي كان ينفّذه الالمان، يقلق بريطانيا، ممّا دعا كرومر الى ان يكتب في تقريره، العام ١٩٠٥: «ان انظار الحكومة المصرية اتجهت حديثاً الى الاهتمام بشؤون شبه جزيرة سيناء». واتخذ كرومر خطوات معيّنة لتقوية مركز بريطانيا في سيناء، فعيّن الكولونيل براملي مفتشاً لسيناء العام ١٩٠٥، والذي كان على دراية تامة بالمنطقة وعادات أهلها.

وازاء التحركات والاستعدادات التي قام بها كرومر في سيناء، تحسباً للآثار التي تترتب على

مد خط السكة الحديد الى العقبة، تحركت، أيضاً، القوات التركية نحو طابا، نقطة الحدود المصرية، على بعد ثلاثة أميال من العقبة. وبدأت الأزمة التي عرفت في التاريخ المصري بأزمة الحدود، أو مشكلة طابا، العام ١٩٠٦، فأُجريت المراسلات والتحركات بين القاهرة والآستانه ولندن حتى حلّت المشكلة في النهاية وظلت نقطة الحدود المصرية عند طابا، كما جاء في فرمان تولية الخديوي عباس حلمي، العام ١٨٩٢.

وفي اثناء أزمة طابا بين مصر وبريطانيا وتركيا، ذكرت جريدة «المقطم» القاهرية (٢٨/٤/١٩٠٦): «انه [في] اثناء الأزمة، وصلت بعثة من برّ الشام، قبضت السلطات المصرية في العريش [على افرادها]. وتعتقد الجريدة بأنهم آتون في مهمة سياسية، وإنْ كانوا يموّهون مقصدهم الحقيقي بأنهم يذكرون انهم يقصدون شراء الاراضي، اذا وجدوا أراضي تعجبهم، وانهم ربما وصلوا السويس في رحلتهم، بينما صحّحت جريدة 'المؤيد'، في الاول [من أيار] (مايو) ١٩٠٦، نقلاً عما كتبته 'غازيت دي كولونيا' انه قد ثبت ان المقبوض عليهم سبعة من المزارعين اليهود جاءوا من فلسطين». وفي العام ١٩٠٥، سقطت وزارة المحافظين في بريطانيا وجاءت الى الحكم وزارة من حزب الاحرار، برئاسة كامبل بانرمان. وكان من المعروف اهتمامه بالامور الداخلية بالدرجة الاولى، الأمر الذي أقلق حزب المحافظين، وشجعهم، في الوقت عينه، على مساومة الوزارة على شؤون السياسة الخارجية، فاتفق الحزبان على اطلاق يد حزب الاحرار في الشؤون الداخلية، مقابل ترك السياسة الخارجية في أيدي موظفي حزب المحافظين. وبهذا استمرت المشروعات الاستعمارية.

ومن أجل مواجهة النفوذ الالماني، سعت بريطانيا الى توسيع اتفاقياتها مع الدول الاخرى في مواجهة ألمانيا، فأُجريت محاولات بريطانية لتشكيل جبهة استعمارية من الدول ذات المصالح المشتركة، بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا والبرتغال وايطاليا واسبانيا. وسعى رئيس الوزراء البريطاني، بانرمان، الى تشكيل هذه الجبهة وتحديد مهمتها. ومن اجل هذا، شكلت لجنة بحث ودرس من أساتذة التاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد والزراعة والنفط والجغرافيا، فخاطبهم بانرمان بأنه على نجاح مهمتهم يتوقف رخاء هذه الدول وسيطرتها.

وقد عكف الاساتذة والعلماء على درس تاريخ الامبراطوريات، وكيف حكمت، وكيف انهارت، وما هي العقبات التي تحول دون نفوذ هذه الجبهة الاستعمارية. واستخلصوا خططاً للمستقبل ضمّنوها تقريرهم الذي عرف بتقرير بانرمان. وجاء في هذا التقرير، الذي أشار اليه شفيق الرشيدات في كتابه «فلسطين، تاريخاً وعبرة ومصيراً»، والذي أشار، بدوره، الى ان انطون سليم كنعان، المحامي في القاهرة، أشار اليه في محاضرة بعنوان «فلسطين والقانون»:

«ان البحر المتوسط هو الشريان الحيوي للاستعمار ولمصالح كل الدول المتحدة؛ فهو الجسر بين الشرق والغرب؛ وهو الممر الطبيعي الى آسيا وافريقيا؛ فلا بد من خطة تستهدف السيطرة على هذا البحر ـ ملتقى طرق العالم ـ وعلى شواطئه الجنوبية، والشرقية، لأن من يستطيع السيطرة على هذه المنطقة يتحكم في العالم». وحدّد التقرير المخاطر التي تقف حائلاً أمام المشروعات الاستعمارية، وعلى رأسها الشعب العربي، الذي قال عنه التقرير: «تتوفر له من وحدة تاريخية ودينية ووحدة لسان وآماله كل مقومات التجمع والترابط والاتحاد وتتوفر له في نزعاته التحررية، وفي ثرواته الطبيعية، وتعداده المتزايد، كل أسباب القوة والتحرر والنهوض». وطالب التقرير بابقاء الشعب العربي على ما فيه من تفكك وتأخر، ومحاربة أي ارتباطات، وضرورة ايجاد الوسائل العملية لفصل أجزاء المنطقة

العربية عن بعضها ما أمكن. وكوسيلة سريعة، أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الافريقي من المنطقة العربية عن جزئها الآسيوي، وذلك باقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بافريقيا، ويربطهما، معاً، بالبحر المتوسط، بحيث تشكّل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة(٦٦).

والتقت المصالح الاستعمارية، بزعامة بريطانيا، مع اهداف الصهيونية في استعمار فلسطين وما يجاورها. وهذا ساعد التيار الصهيوني الذي ارتبط ببريطانيا، والذي استطاع الحصول على «وعد بلفور» العام ١٩١٧؛ كما ان التيار الآخر الذي كان يسعى لدى المانيا والدولة العثمانية لم يتوقف عن العمل، للحصول على «وعد» كذلك.

وفي الفترة عينها، تمّت محاولة جديدة لاحياء مشروعي هرتسل وتريتش بانشاء مستعمرات في العريش وسيناء. وتولّى المهمة، في هذه المرة، نائب القنصل البريطاني في غزة، اسكندر كنزوفيتش، والذي عمل، منذ العام ١٩٠٨، وكيلاً لشركة يهودية ـ بريطانية في يافا اسمها «شركة التطوير الانجليزية ـ الفلسطينية» لشراء اراضٍ في منطقة رفح في الجانب المصري من الحدود، من اجل الاستيطان اليهودي لقاء عمولة مرتفعة. وبناء على نصيحة كنزوفيتش، أخذت الشركة موافقة السلطات العسكرية في مصر، بشرط ان يرغب المواطنون في البيع، ودرست امكانيات المنطقة للاستيطان، وتمّ، حتى أيار (مايو) ١٩١١، شراء عشرة آلاف دونم من الاراضي المصرية، بواسطة كنزوفيتش، الذي اعتمد على مركزه وحسن علاقاته بالسلطات المحلية ومعرفته بالمنطقة وأهلها. وفي رأيه، انه كان يدعم المصالح البريطانية في المنطقة، خاصة ان اليهود المهتمين بأمر المشروع هم من التابعية البريطانية. وأشار بفخر الى «ان الأمل الوحيد لتطوير المنطقة هو في قدوم الاوروبيين ومعهم الاساليب الاوروبية الحديثة».

ويبدو ان قلق السلطات البريطانية في مصر، ممّا تثيره هذه العملية من اعتراضات سياسية قد دفعها الى التدخل لمنع عمليات البيع. فأُجريت بين القاهرة والقدس والآستانه ولندن مراسلات عديدة خلال العامين ١٩١١ و١٩١٢ حول هذه الموضوع. كما جاء الخوف من عدم ترحيب الصحافة المصرية الوطنية بادخال المستوطنين اليهود، وان يؤثر هذا المشروع الصهيوني في العلاقات بين بريطانيا وتركيا؛ وكانت أزمة طابا ماثلة أمام بريطانيا، فأُرسلت التعليمات من الخارجية البريطانية الى القدس لايقاف وكلاء منظمات الاستيطان اليهودية عن محاولات انشاء المستوطنات في منطقة الحدود المصرية. لكن المحاولات استمرت حسبما أشارت اليه د. خيرية قاسمية(٦٧)، استناداً الى جريدة «الصدق» التي كانت تصدر في القدس، والتي كان يحررها يهودي ذو سمعة سيئة اسمه فاينغولد، وتموّلها مس بالمن، وهي ثرية بريطانية حاولت ان تأخذ حماية القنصلية البريطانية في القدس لمؤسسة شراء اراض في منطقة العريش ورفح يملكها يهود من جنسيات مختلفة، بينهم كنزوفيتش ـ الذي جاء ذكره من قبل. وقد روت الجريدة عن وكيل أراضٍ وصاحب بنك في القدس، انه نجح في شراء أراضٍ من الحكومة المصرية مساحتها ١٣٥ ألف هكتار من الاراضي المجاورة لرفح والعريش، وتمّ نقل ملكيتها الى منظمة صهيونية جديدة عرفت باسم «أغودات يسرائيل». ودعم قوله باظهار صكوك التمليك التي منحتها الحكومة المصرية وأقرّها الخديوي عباس حلمي وكتشنر.

وبالطبع، لم يكن موقف بريطانيا من مشروع بيع الاراضي يمثل خلافاً مع الصهيونية، بل كان تحسباً وخوفاً من العلاقات التركية ـ الالمانية، وتجنباً للصدام. كان هذا دافعها، في تلك الفترة،

الى تحقيق الاهداف الصهيونية بأشكال مستترة ومنظمة. وازدادت العلاقات بين بريطانيا والحركة الصهيونية وضوحاً خلال الحرب العالمية الاولى؛ وأخذت المشروعات الصهيونية بالنسبة الى مصر، أشكالاً مختلفة، بعد ان فشلت في اقامة المستعمرات الصهيونية على الاراضي المصرية. لكن اطماع الصهيونية في مصر لم توقف. وكان عليها استغلال نشاطها في داخل مصر في المجالات المتعددة، خاصة في المجال الاقتصادي، الذي بدأ مع الغزو الاستعماري البريطاني لمصر. وعملت الصهيونية، دائماً، على ابعاد مصر من نشاطها الاستعماري في فلسطين؛ بل وحاولت الحصول على مباركتها على ما يحدث أو على الأقل تحييدها. وبدأت المعارك بين الصهيونية ومصر تأخذ أشكالاً مختلفة، بعد اعلان «وعد بلفور»، حيث ساد عصر الغفلة وكانت الدول الاستعمارية مسيطرة على مقدّرات المنطقة.

---

(١) د. عبدالوهاب المسيري، **الايديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة**، الجزء الاول، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٢، ص ١٣٢.

(٢) **ملف وثائق فلسطين**، الجزء الاول، القاهرة: وزارة الارشاد القومي ـ الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٦٩، ص ٢٧؛ ورفيق شاكر النتشة، **الاستعمار وفلسطين: اسرائيل مشروع استعماري**، عمّان: دار الجليل، ١٩٨٤، ص ٩٧.

(٣) د. أمين عبدالله محمود، **مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٤، ص ١٥. جاء نص النداء الثاني نقلاً عن فرانز كوبلر، «نابليون واليهود»، في ريجينا الشريف، **الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي** (ترجمة احمد عبدالله عبدالعزيز)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٥، ص ١٠٦ ـ ١٠٧. وإنْ كانت المؤلفة تعتبر النداء الثاني، هو النداء الأول.

(٤) المسيري، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٥) رينيه قطاوي وجورج قطاوي، **محمد علي واوروبا** (نقله عن الفرنسية د. الفريد بلوز)، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٢، ص ٨٧.

(٦) د. محمود، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨ ـ ٣٠.

(٧) «ملف وثائق فلسطين»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٧.

(٨) د. لويس عوض، **تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩، البحث الاول، الخلفية التاريخية، الجزء الاول**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠.

(٩) محمود، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٠ ـ ٣١؛ والنتشة، **مصدر سبق ذكره**.

(١٠) صبري جريس، **تاريخ الصهيونية، الجزء الاول، ١٨٦٢ ـ ١٩١٧**، بيروت: مركز الابحاث ـ م.ت.ف. الطبعة الثانية، ١٩٨١، ص ٧٧ ـ ٧٨.

(١١) د. اسعد رزوق، **اسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني**، بيروت: مركز الابحاث ـ م.ت.ف. ١٩٦٨، ص ٤٠.

(١٢) الشريف، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٤٠ ـ ١٤١.

(١٣) د. محمود، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨٩ ـ ١٩٠.

(١٤) د. يونان لبيب رزق، **الاصول التاريخية لمسألة طابا**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ص ٢٠.

(١٥) د. رزوق، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٨ ـ ٧١؛ ود. محمود، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٩٣، ١٩٥ ـ ١٩٦.

(١٦) د. رزوق، **المصدر نفسه**، ص ٢١ ـ ٢٢.

(١٧) بوندارفسكي، **سياستان ازاء العالم العربي** (ترجمة خيري الضامن)، موسكو: دار التقدم، ١٩٧٥، ص ٥٢.

(١٨) د. المسيري، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٢٨ ـ ١٣١.

(١٩) د. رزوق، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٣.

(٢٠) النتشة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٠ ـ ٧٨.

(٢١) ابراهام ليون، **المفهوم المادي للمسألة اليهودية** (ترجمة وتقديم عماد نويهض)، بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٩، ص ١٨٣.

(٢٢) انيس صايغ (اعداد)، **يوميات هرتسل** (ترجمة هيلدا شعبان)، بيروت: مركز الابحاث ـ م.ت.ف. ١٩٦٨، ص ٧ ـ ٨؛ ود. عبد الوهاب المسيري، **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية**، القاهرة: مؤسسة «الاهرام»، ١٩٧٥، ص ٤١٥ ـ ٤١٧؛ وجريس، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٤٥ ـ ١٤٧؛ والنتشة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٨ ـ ٧٤.

(٢٣) جريس، **المصدر نفسه**، ص ١٥٨.

(٢٤) «يوميات هرتسل»، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٩ ـ ٢٠ و٢٥ و٢٨.

(٢٥) د. رزوق، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢٦) «يوميات هرتسل»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢١٧.

(٢٧) ايفان دونيف، **الصهيونية بلا قناع** (تعريب فرات الجواهري)، بيروت: دار الفارابي، ١٩٧٤، ص ١٦.

(٢٨) النتشة، **مصدر سبق ذكره**، ص ٨٠.

(٢٩) ابراهيم أمين غالي، **سيناء المصرية عبر التاريخ**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٣٠) د. رزوق، **مصدر سبق ذكره**، ص ١١٧.

(٣١) «يوميات هرتسل»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٤٥.

(٣٢) غالي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٩.

(٣٣) «يوميات هرتسل»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٥٤.

(٣٤) **المصدر نفسه**، ص ٢٥٥.

(٣٥) غالي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧١.

الملحق بالاشخاص ورد في «يوميات هرتسل»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥١٦ ـ ٥١٧ و٥٢٥ و٥٣٣ و٥٤٠.

(٣٦) غالي، **المصدر نفسه**، ص ٢٧٩.

(٣٧) «يوميات هرتسل»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

(٣٨) غالي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٥.

(٣٩) حرصنا على نشر مشروع الاتفاق كاملاً لاهميته. غالي، **مصدر سبق ذكره**.

(٤٠) **المصدر نفسه**، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٤١) **ثيودور هرتسل عرّاب الحركة الصهيونية**، عمّان: دار الجليل للنشر، ١٩٨٦.

(٤٢) «يوميات هرتسل»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٤٣) غالي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٢.

(٤٤) د. رزوق، **مصدر سبق ذكره**، ص ١١٨.

(٤٥) نص التقرير في غالي، **مصدر سبق ذكره**؛ ود. عبدالعظيم ابو العطا ود. مفيد شهاب ودفع الله حناء، **نهر النيل: الماضي والحاضر والمستقبل**، القاهرة: جامعة الدول العربية ودار المستقبل العربي، ١٩٨٥.

(٤٦) غالي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٨٤.

(٤٧) «يوميات هرتسل»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٨٣.

(٤٨) جريس، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٧٠ ـ ١٧١.

(٤٩) بوندارفسكي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٩٧.

(٥٠) **المصدر نفسه**، ص ٦٩ ـ ٧٠.

(٥١) كامل زهيري، **النيل في خطر**، القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٠.

(٥٢) **المصدر نفسه**، ص ٨٧.

(٥٣) انسي مصطفى كامل، «تاريخ الرأسمالية اليهودية في مصر! (٣)»، **الاهرام الاقتصادي** (القاهرة)، العدد ٦٣٨، ٦/٤/١٩٨١.

(٥٤) جرجس سلامة، **تاريخ التعليم الاجنبي في مصر في القرنين، التاسع عشر والعشرين**، القاهرة: المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم

الاجتماعية، ١٩٦٣، ص ١٧٠ ـ ١٧١.

(٥٥) **تقرير كرومر العام ١٩٠٥**، الذي رفعه كرومر الى ناظر الخارجية البريطانية، ادوارد غراي، القاهرة: دار «المقطم»، ١٩٠٦.

(٥٦) **تقرير كرومر العام ١٩٠٦**، القاهرة: دار «المقطم»، ١٩٠٧.

(٥٧) سلامة، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٧٦.

(٥٨) د. رزوق، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٤٤.

(٥٩) نجيب عازوري، **يقظة الامة العربية** (تعريب وتقديم د. احمد ابو ملحم)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بلا تاريخ نشر، ص ٤١.

(٦٠) د. رزوق، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٣٦.

(٦١) دافيد تريتش (١٨٧٠ ـ ١٩٣٥)، ولد في المانيا، وهاجر الى نيويورك العام ١٨٩٣، وحصل على الجنسية الاميركية، ثمّ انتقل الى المانيا لمتابعة نشاطاته الصهيونية من برلين، حيث عمل في حقل التأليف والنشر، وكتب في الموضوعات الاقتصادية والاستيطانية والاحصائية المتعلقة باستعمار فلسطين والبلدان المجاورة، وساهم في نشر المعلومات عن جغرافية «فلسطين الكبرى» التي نادى بها، من خلال المجلات والمحاضرات والنشرات والكتب التي قام باعدادها.

(٦٢) د. رزوق، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٦٣.

(٦٣) **المصدر نفسه**، ص ١٦٥؛ ود. عبد الوهاب الكيالي، **المطامع الصهيونية التوسعية**، بيروت: مركز الابحاث ـ م.ت.ف. ١٩٦٦، ص ٤٤ص ٧٩.

(٦٤) د. رزوق، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٧٠ ـ ١٧١.

(٦٥) **المصدر نفسه**، ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٦٦) شفيق الرشيدات، **فلسطين، تاريخاً وعبرة ومصيراً**، بيروت: دار النشر المتحدة للتأليف والترجمة، ١٩٦١.

(٦٧) د. خيرية قاسمية، «قضية الحدود بين مصر وفلسطين قبل الحرب العالمية الاولى»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٥، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١، ص ١٧٠.

التقارب الصيني ـ الاسرائيلي
(الدوافع والاحتمالات)

علاء سالم

لم يكتنف الغموض العلاقات بين بلدين مثل ما هو قائم في مجال العلاقات بين الصين واسرائيل. فعلى الرغم من انكار كليهما لوجود مجالات للتعاون فيما بينهما، خصوصاً في المجالات الاقتصادية والعسكرية، الاّ ان الشواهد والتقارير الدولية تؤكد وجود مثل هذا التعاون. فأرقام بعض المصادر تشير الى ان مبيعات اسرائيل للصين، خلال العام ١٩٨٨، بلغت حوالى بليون دولار، وهو رقم يتجاوز حجم المبيعات بين مصر والصين. كما شهدت الفترة الاخيرة العديد من التطوّرات التي تنطوي على احتمال تحسين العلاقات الصينية ـ الاسرائيلية، ورفع مستواها في المستقبل؛ وكان من أبرز تلك التطورات ما نقلته المصادر الاسرائيلية من معلومات حول موافقة وزيري خارجيتي الجانبين على تكثيف الاتصالات فيما بينهما عبر وفديهما في الامم المتحدة.

من اللافت ان معظم المؤشرات يدل على امكان طي صفحة العلاقات والمبادلات السرية والانتقال الى مرحلة الاتصالات العلنية المباشرة، خصوصاً في المجالات السياسية والاقتصادية. والسؤال هو كيف قفز التعاون بين الصين واسرائيل من أدنى درجاته الى مثل هذا التطوّر؟ في محاولة الاجابة عن هذا السؤال، يمكن رصد عدد من المؤشرات التي تؤكد وجود تحسّن مطرد في العلاقات الصينية ـ الاسرائيلية.

على الصعيدين، السياسي والدبلوماسي

تعتبر الصين، بثقلها البشري والاقتصادي والسياسي، احدى القوى الفعّالة، او التي يمكن ان تكون كذلك في العالم الدولي المعاصر. وقد اتجهت الصين، منذ مؤتمر باندونغ العام ١٩٥٥، الى الاهتمام بالمشكلات السياسية المعاصرة، وبخاصة مشاكل العالم الثالث، باعتبار ان هذه الدول هي ـ حسب المفهوم الصيني ـ مركز النشاط الثوري الحقيقي في العالم المعاصر. وازداد هذا الاهتمام عقب تفجير الصين لأول قنبلة ذريّة لها في ١٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤.

قابل هذا الاهتمام تأكيد اسرائيل ضرورة تنمية علاقاتها مع مختلف دول آسيا، وتأكيد وجودها كدولة آسيوية، والتوجّه الى آسيا كسوق تجارية واسعة. وقد نبّه أول رئيس وزراء اسرائيلي، دافيد بن ـ غوريون، الى ذلك بقوله: «نحن، أكثر من غيرنا، مطالبون بألاّ نغلق أعيننا عن رؤية صعود آسيا وشعوبها». وعبّر يغئال آلون عن هذا الاتجاه بقوله: «اذا كان لاسرائيل ان تصبح دولة آسيوية ليس فقط جغرافياً، انما عن وعي بذلك، فان ذلك يعتمد على اعتراف الاقطار الآسيوية الاخرى

باسرائيل». كذلك طالب ابا ايبن «بضرورة تخليص الدول الآسيوية من غربتها عن الثقافة اليهودية ـ العبرية، من ناحية، ونشر المعرفة بالثقافة الآسيوية بين الجماهير الاسرائيلية، من ناحية أخرى»[١]. كما أنشأ الاتحاد العام للعمّال اليهود في اسرائيل (الهستدروت)، في ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٠، المعهد الأفرو ـ آسيوي للدراسات العمّالية والتعاون، وهدفه نقل خبرات العمّال الاسرائيليين وتجاربهم في ميادين التعاون والتنظيم النقابي والتأمينات الاجتماعية الى عمّال الدول الافريقية والآسيوية في القضايا العمّالية[٢]. وعلى الرغم من الجهود الاسرائيلية في آسيا (باستثناء الهند التي اعترفت باسرائيل في ١٧/٩/١٩٥٠)، الّا انها فشلت في الحصول على اعتراف وتعاون أهمّ الدول الآسيوية الكبرى بعد اليابان، مثل الصين واندونيسيا وباكستان.

في البداية، كان هناك اغفال صيني لاسرائيل منذ نشأتها. فلم يكن قائد الثورة الصينية، ماوتسي تونغ، يعرف الكثير عن اسرائيل. في المقابل، حاولت اسرائيل، جاهدة، اقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع الصين، فبادرت، في ٩/١/١٩٥٠، الى الاعتراف بالصين الشعبية، اعترافاً قانونياً كاملاً، على الرغم من الاعتراض الاميركي على ذلك، فكانت أول دولة في الشرق الاوسط تعترف بالصين. تلا ذلك خطاب شُكر أرسله ماوتسي تونغ الى الحكومة الاسرائيلية. وعلى الرغم من قيام اسرائيل بتوسيط بورما لدى الصين لتنال اعترافها، ومطالبة الحزب الشيوعي الاسرائيلي، في اثناء حضور وفده في المؤتمر الشيوعي الصيني الثامن، في ايلول (سبتمبر) ١٩٥٦، باقامة علاقات دبلوماسية بين الصين واسرائيل، الّا ان الموقف الاسرائيلي من الحرب الكورية وقف حجر عثرة أمام الاعتراف الصيني باسرائيل، او حدوث أي تقارب سياسي فيما بينهما، حيث كانت اسرائيل من الدول التي أيّدت ارسال قوات الامم المتحدة الى كوريا لايقاف زحف القوات الشيوعية القادمة من الشمال، والتي تدعمها الصين.

في شباط (فبراير) ١٩٥٥، قامت بعثة اسرائيلية، برئاسة دافيد كوهين، بزيارة للصين، بناء على دعوة من الحكومة الصينية، بهدف درس امكانية تبادل المبعوثين، أو التبادل التجاري. الّا ان هذه البعثة لم تحقق أي نتائج ملموسة، بسبب اعتراض معظم الوزراء الاسرائيليين، والسفير الاسرائيلي في الولايات المتحدة الاميركية، على اقامة علاقات دبلوماسية مع الصين[٣]؛ وبذلك أهدرت اسرائيل أول، وآخر، فرصة لها لاقامة علاقات دبلوماسية مع الصين. فعقب مؤتمر باندونغ، بدأ يتبلور التصوّر الصيني لاسرائيل على أساس كونها أداة للامبريالية الاميركية للسيطرة على العالم العربي. وارتبط ذلك، في الاساس، من خلال تصوّرات واعتقادات كل من ماوتسي تونغ، ووزير خارجيته شو ان لاي، حيث أظهرا شكوكهما الصريحة في ان الولايات المتحدة الاميركية قد بدأت تستخدم اسرائيل محل بريطانيا وفرنسا، للسيطرة على الشرق الاوسط.

تجلّت السياسة الصينية الجديدة هذه، مع بدايات الستينات، في مواقف عملية عدّة، عقب تزويد اسرائيل للهند بالسلاح في اثناء صراعها مع الصين بشأن الحدود، العام ١٩٦٢، كان أبرزها تأييد الصين للقرارات الصادرة عن مؤتمرات القمم العربية؛ كما رحّبت بانشاء منظمة التحرير الفلسطينية العام ١٩٦٤، وكذلك تأييد الصين للدول العربية في موقفها من مسألة تزويد الولايات المتحدة الاميركية والمانيا الاتحادية لاسرائيل بالاسلحة في العام ١٩٦٥، وفي حقوق الدول العربية من مسألة تحويل مياه نهر الاردن، وفي تأييدها الفعلي للكفاح الفلسطيني المسلّح. وكنتيجة لهذه التطورات، صوّتت اسرائيل، لأول مرة، في ١٧/٧/١٩٦٥، في الجمعية العامة للامم المتحدة، ضد تمثيل الصين في الامم المتحدة، في حين انها كانت صوّتت، في العامين ١٩٥٠ و١٩٥١، لصالح تمثيلها؛ وابتداء

من العام ١٩٥٢ أخذت تمتنع عن التصويت؛ الاّ انه، منذ العام ١٩٦٥ وحتى قبول الصين في الامم المتحدة، كانت اسرائيل تعترض، في كل دورات الجمعية العامة، على قرار تمثيل الصين[٤]. وقد فُسّر السلوك الاسرائيلي الجديد هذا على أساس سببين: الاول ازدياد عداء الصين لاسرائيل، خصوصاً عقب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، حينما طالبت الصين بجلاء القوات الاسرائيلية من على جميع الاراضي التي احتلتها؛ والثاني ازدياد الدعم الصيني السياسي، والاقتصادي، للدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية.

وفي منتصف الستينات، حدّدت الصين سياساتها تجاه اسرائيل بعدم التعامل معها، او الاعتراف بها حتى واقعياً، على الرغم من الجهود التي بذلتها اسرائيل لانتزاع هذا الاعتراف. فقد حاولت اسرائيل الاتصال بالصين من طريق سفيرها في وارسو؛ بل وأعلنت عن استعدادها لقطع كل صلة بحكومة شينغ كاي شيك (فرموزا) اذا كانت الصين مستعدة لأن تبادلها الاعتراف، وان تدخل معها في مفاوضات تجارية. ولكن الصين رفضت مجرّد الرد على مثل هذه المحاولات؛ بل وصرّح شو ان لاي، في ١٠/٦/١٩٦٥، تعقيباً على تصريح ابا ايبن، في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥، بـ «ان اسرائيل حثّت جميع ممثليها في الدول التي يقوم بينها وبين الصين تبادل دبلوماسي على اجراء اتصالات بممثلي الصين وابلاغهم ان اسرائيل تعلّق أهمية عظيمة على انشاء علاقات دبلوماسية بين البلدين». قائلاً: «ان الصين ترفض ذلك رفضاً قاطعاً». وقد أكد ذلك رئيس الوزراء الاسرائيلي الاسبق، ليفي اشكول، قائلاً: «ان كل محاولات اسرائيل لتحسين علاقاتها مع الصين قد باءت بالفشل».

كما رفضت الصين، على الدوام، اقامة أي علاقات، اقتصادية أو تجارية، مع اسرائيل. وقد أعلن المسؤولون الصينيون عن «انهم لا يرغبون، لاعتبارات عقائدية ومبدئية واضحة، في ان تكون للصين أية علاقات دبلوماسية، أو سياسية، أو ثقافية، أو اقتصادية، أو أية معاملة من أي نوع مع اسرائيل»؛ بل وقامت بتأييد الكيان الفلسطيني ممثلاً في منظمة التحرير الفلسطينية والتأييد العملي للنضال المسلّح الفلسطيني، حيث انصب المفهوم الصيني للقضية الفلسطينية على تأييد حقوق العرب والفلسطينيين المشروعة، والتي لا يمكن بلوغها الاّ من طريق النضال الثوري والشعبي المسلّح. وانطلاقاً من هذا المفهوم، قدّمت الصين الشعبية المساعدات المادية والعسكرية الى العمل الفدائي الفلسطيني[٥].

في عهد ماوتسي تونغ، اعتبر الدور الذي تمارسه اسرائيل في آسيا وعلاقاتها بالدول المعادية للصين في جنوب شرق آسيا احد الاسباب الرئيسة الكامنة وراء عدم الاعتراف، أو التعاون مع اسرائيل، حيث شجبت الصين، دائماً، الوجود الاسرائيلي في آسيا، خصوصاً العلاقات الوثيقة بين اسرائيل ودول مثل كوريا الجنوبية وفيتنام الجنوبية ولاوس وتايلاند، اضافة الى مظاهر التعاون الفني، والعسكري، بين اسرائيل وحكومة الصين الوطنية (فرموزا).

بعد وفاة ماوتسي تونغ في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٦ وبداية عقد الثمانينات، بدأت الصين بانتهاج سياسة انفتاح خارجية على العالم. الاّ ان اول اتصال رسمي بين الصين واسرائيل تمّ في أواخر أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨ على هامش اجتماعات الجمعية العامة، حينما اجتمع وزير الخارجية الاسرائيلية، شمعون بيرس، بنظيره الصيني، كيان كي تشين. ووفقاً لتصريح الخارجية الصينية، فان هذا اللقاء هو جزء من جهود الصين لتأييد عقد مؤتمر دولي حول السلام في الشرق الاوسط. عقب هذا

الاجتماع، أكد بيرس «ان الصعوبات كثيرة بين موقفي الجانبين»؛ في حين أكد كي تشين على الثوابت الصينية من القضية الفلسطينية، وهي: انسحاب اسرائيل من على الاراضي المحتلة العام ١٩٦٧؛ وموافقة اسرائيل على عقد المؤتمر الدولي للسلام؛ واعتراف اسرائيل بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، بما في ذلك حقه في تقرير مصيره؛ وان المسألة الفلسطينية هي جوهر الصراع في الشرق الاوسط[٦].

في أعقاب هذا اللقاء، أعلن مدير عام وزارة الخارجية الاسرائيلية، ابراهام طامير، عن انه «ستتمّ اقامة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين اسرائيل والصين في المستقبل القريب جداً». وأردف طامير بأن مسألة تحسين العلاقات بين الجانبين تعتمد على مدى التقدّم في عملية السلام في المنطقة، «لكنه من المؤكد انه سيتمّ تحقيق هذا الغرض، نتيجة كونه من المستحيل ايقاف عملية السلام» في الاحوال كافة؛ في حين صرّحت الناطقة باسم الخارجية الصينية، لي جاوكسينغ، بأنه لا صحّة لما جاء في تصريح طامير؛ كما نفت علمها بأية اتفاقيات جديدة بين الجانبين في المجالات الاقتصادية، أو الثقافية. وقالت: «طالما لم تستجب اسرائيل للمواقف الثابتة في السياسة الصينية، فان بلادها لن تقيم علاقات دبلوماسية مع اسرائيل». وعلّقت على اجتماع بيرس ـ كي تشين بـ «اننا رفضنا، حتى الآن، ان يجرى اللقاء في سفارتنا في واشنطن، بل عمدنا الى عقده في مقر الامم المتحدة في نيويورك»[٧].

وفي ثاني لقاء بين الجانبين، التقى وزير الخارجية الصينية، كي تشين، بنظيره الاسرائيلي، موشي ارنس، في ١٩٨٩/١/٩، على هامش مؤتمر باريس للاسلحة الكيميائية. وفي المؤتمر الصحافي المشترك، أدلى ارنس بتصريح قال فيه: «ان اسرائيل اتفقت مع الصين على اجراء اتصالات فيما بينهما من طريق وفدي البلدين في الامم المتحدة»؛ في حين أكد كي تشين «ان الوقت غير مؤاتٍ، ولم تتوفر، بعد، الشروط المناسبة لاقامة علاقات دبلوماسية بين بلاده واسرائيل». كما أكد كي تشين، في مباحثاته مع ارنس، ان منظمة التحرير الفلسطينية غيّرت من مواقفها السابقة، وقد حان الوقت لأن تتخذ اسرائيل موقفاً مماثلاً[٨].

من هنا، يتضح انه على الرغم من استعداد الصين للانفتاح على اسرائيل، فانه من المستبعد ان تقام العلاقات الدبلوماسية الرسمية بين البلدين قبل ان تتبلور، بوضوح، فرص الحل في المنطقة، والدور الصيني المحتمل فيه، كطرف في المؤتمر الدولي.

حسب التقويمات الاسرائيلية، لن تقوم الصين بأية خطوات عملية (علنية) لرفع مستوى علاقاتها مع اسرائيل، خارج اطار اللقاءات التي تمّت حتى الآن؛ وذلك حرصاً منها على عدم الظهور كأنها تقوم بتوثيق علاقاتها مع اسرائيل بشكل مباشر، وثنائي. وتذهب هذه الرؤية الى ان من الكوابح المؤثرة في الموقف الصيني من اسرائيل حذر الصين من إثارة ردود الفعل السلبية حيالها، سواء في العالم العربي أو داخل مجموعة دول عدم الانحياز، وذلك في وقت تعتبر الصين نفسها الدولة القائدة داخل هذه المجموعة. ان الشرط الاسرائيلي لتقبل اسرائيل بمنح الصين دوراً في أية صيغة دولية للبحث في مستقبل الصراع في المنطقة هو الموافقة الصينية على اقامة العلاقات الدبلوماسية الكاملة معها.

وبشكل عام، تبدي الدوائر الاسرائيلية تحفظها من حدوث انفراج سياسي في العلاقات الصينية ـ الاسرائيلية؛ ولكنها، في الوقت عينه، تقرّ بأن السياسة الصينية الراهنة حيال الشرق الاوسط تبدو قريبة من الاعتدال والداعية الى الانسحاب الاسرائيلي الكامل من على الاراضي المحتلة وقيام دولة فلسطينية مستقلة في الاراضي التي تخليها اسرائيل والاعتراف الاسرائيلي بالصفة التمثيلية لمنظمة التحرير الفلسطينية؛ وانه لا يمكن تحقيق هذه المطالب سوى من طريق المفاوضات، وانه لا بدّ

من ايجاد الصيغة المناسبة للجمع ما بين هذه المطالب وحق اسرائيل في الوجود والعيش بسلام. وهذه سياسة مغايرة، بشكل رئيس، لتلك التي تبنّتها الصين في الستينات والسبعينات، وهي سياسة كانت متطرّفة للغاية، من وجهة النظر الاسرائيلية.

وفي حين أكد الجانب الصيني، على لسان نائر وزير الخارجية، كي هيو يان، في أواخر العام ١٩٨٨، ان اللقاءات الصينية ـ الاسرائيلية كانت بمثابة خطوة ضمن الجهود الصينية الجارية من اجل عقد مؤتمر دولي لحل قضايا الشرق الاوسط، ولا تمثّل تغييراً في المواقف الصينية من هذه القضايا، فاننا نجد، في المقابل، ان هناك اتجاهاً في اسرائيل يدعو الى ضرورة الاستمرار في فتح قنوات الاتصال مع الصينيين، حتى في غياب فرص اقامة علاقات دبلوماسية رسمية معهم. وكان القنصل الاسرائيلي في هونغ كونغ، وهو احد أهمّ الخبراء الاسرائيليين في الشؤون الصينية، رؤوفين ميرحاف، طالب، قبل مدة، باستخدام المبادلات التجارية كمدخل الى تحسين العلاقات بين الجانبين؛ كما دعا رجال الاعمال اليهود العاملين في الاسواق الآسيوية الى مساعدة اسرائيل في هذا المجال. وحسب رأي ميرحاف، لقد أهملت اسرائيل الاسواق الآسيوية الصينية الضخمة والمتنامية، ممّا يتطلب القيام بمحاولات جادّة للتعرّف على المنطقة، وايجاد سبل للتعامل معها.

ومن هنا، يمكن القول انه على الرغم من أهمية العامل الشرق الاوسطي في تحديد مستقبل العلاقات الصينية ـ الاسرائيلية (بالتحديد مسألة المؤتمر الدولي ومشاركة الاطراف كافة فيه على قدم المساواة، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية التي تحتل أهمية خاصة على هذا الصعيد)، فان بعض الاوساط في اسرائيل على الاقل يرى ان هناك حوافز أوسع تدفع باتجاه ضرورة التقريب بين الجانبين لاغراض سياسية، وتجارية، لا علاقة مباشرة لها بالاوضاع القائمة في الشرق الاوسط من اجل احكام شبكة من العلاقات مع أهمّ دولة آسيوية (غير اليابان)، ممّا سيعود بأفضليات سياسية، واقتصادية، واستراتيجية، على اسرائيل، في نهاية الأمر.

على الصعيد الاقتصادي ـ التجاري

في البداية، حاولت اسرائيل النفاذ الى الاسواق الصينية باقامة علاقات اقتصادية متنامية مع الصين. الّا ان الاوضاع والمعتقدات السياسية، خصوصاً في اثناء فترة حكم ماوتسي تونغ، وقفت عائقاً في وجه تحقيق تلك الرغبة. وعقب الانفتاح الصيني على العالم، بعد رحيل ماوتسي تونغ، خصوصاً في بداية الثمانينات، بدأت بوادر التقارب بين الجانبين، خصوصاً في المجالات الاقتصادية والتجارية.

فقد أشار بعض التقارير الى ان نائب مدير وزارة الزراعة الاسرائيلية، ومعه بعض مستشاري وزارته، زاروا الصين مرات عدة في السنوات الاخيرة للبحث في مجالات التعاون بين الجانبين؛ وكانت تخصصاتهم في مجالات الري والطاقة الشمسية ومكافحة الآفات وزراعة المناطق الجافة وتربية الماشية والصيد. وذكرت مصادر اسرائيلية ان الهيئة الاسرائيلية المعنيّة تقوم، حالياً، بدرس ٢٠ مشروعاً اقتصادياً واسع النطاق، يمكن تنفيذها في الصين في المستقبل المنظور؛ بل وتسلّلت مكاتب الاعلانات الاسرائيلية الى مدينة كانتون، المركز الصناعي الصيني، لتعلن عن بضائع الصين التي يمكن تصديرها الى الغرب. واذا كانت الصين غضبت حين أرسلت اسرائيل شحنة من الاخشاب اليها وقد كتب عليها صنع في اسرائيل، وطالبت الصين بأن ترفع اسرائيل هذه العبارة، فان هذه العبارة المكتوبة باللغة العبرية لم ترفع من على الاسلحة الاسرائيلية التي استخدمها الصينيون في مناوراتهم العسكرية الاخيرة، وشاهدها الملحقون العسكريون الاجانب[٩].

كما ان علاقات التعاون الاقتصادي والتكنولوجي بين الصين واسرائيل وصلت، في الآونة الاخيرة، الى أعلى مستوى لها، حيث أصبحت اسرائيل أهمّ مصدّر للخبرة والتكنولوجيا اللازمة لتطوير الانتاج الحربي المتنامي في الصين. وان عدم وجود علاقات دبلوماسية بين البلدين لم يشكّل، في أي فترة من الفترات، عائقاً في وجه تطوير التعاملات التجارية، حيث ان قيمة الصادرات الاسرائيلية الى الصين، في السنوات العشر الماضية، بلغت مليارات عدة من الدولارات، وان الجزء الاكبر من هذه الصادرات تركز على الاسلحة والعتاد الحربي، وعلى المنتوجات ذات العلاقة بالتصنيع الحربي. كما يجرى التفاوض، الآن، على حوالى مئة مشروع مشترك تشمل قطاعات الزراعة والنسيج والمواد الكيميائية. ومن أبرز الشخصيات التي ساهمت في تطوير العلاقات التجارية الصينية ـ الاسرائيلية تاجر السلاح الاسرائيلي شاءول ايزينبرغ، ورجل الاعمال الاميركي دافيد بوكسان المقيم في مقاطعة كانتون، بالاضافة الى ضابط الاستخبارات الاسرائيلية السابق رؤوفين ميرحاف الذي تمّ تعيينه، مؤخراً، في القنصلية الاسرائيلية في هونغ كونغ للمساعدة في توطيد العلاقات مع الصين[١٠].

وقد أفادت المصادر الاسرائيلية بأن مدير الدائرة الاقتصادية في وزارة الخارجية الاسرائيلية، اسحق مئير، قام بزيارة شبه رسمية الى بكين في ١٢/١٠/١٩٨٨، تمّ خلالها الاتفاق على رفع مستوى المبادلات الاقتصادية بين الجانبين. وذهبت المصادر هذه الى ان مئير وافق على وضع أطر رسمية للعلاقات الاقتصادية الاسرائيلية ـ الصينية، عبر اقامة هيئات حكومية من الجانبين، بغية التنسيق بشأن الاستثمارات والمشاريع المشتركة فيما بينهما؛ من ذلك التوقيع على انشاء شركتين مشتركتين لربط المشروعات بين الطرفين. ونقل عن الدوائر الاسرائيلية المطلعة قولها ان الاتفاقية تشتمل على انتقال الخبرة الاسرائيلية التقنية في مجالي الزراعة وصيد الاسماك الى الصين.

واذا كانت الصين نفت، من قبل، نبأ اذاعه التلفزيون الاسرائيلي أفاد بأن مئير وقّع اتفاقاً تجارياً بين شركات اسرائيلية وشركات حكومية صينية، لكنها لم تنف، أو تؤكد، وجود مئير في بكين، حيث يرأس مئير شركة «كوبكو» الحكومية الجديدة التي أنشأتها اسرائيل قبل عامين، لتنسيق العلاقات التجارية بين عدد من الشركات الاسرائيلية والحكومية الصينية[١١]. كما ان هناك شواهد تؤكد حدوث مثل هذه الزيارات، ووجود نوع من التقارب الاقتصادي والتجاري بين الجانبين، منها:

- ذكرت صحيفة «هآرتس» الاسرائيلية، في ٧/٢/١٩٨٩، ان اسحق مئير قام، مؤخراً، بزيارة سرّية لبكين استمرت خمسة أيام للبحث في العلاقات الاقتصادية الصينية ـ الاسرائيلية. وأوضحت الصحيفة ان هذه الزيارة، التي لم تؤكدها اسرائيل رسمياً، أو تنفها، تعدّ الزيارة الثانية لمئير خلال شهرين، حين دارت المباحثات، بصفة خاصة، حول احتمال ابرام اتفاقيات مقايضة، تحصل اسرائيل بمقتضاها على الفحم الصيني، مقابل توريد منتجات التكنولوجيا الحديثة الى الصين.

- في ٢١/١٠/١٩٨٨، وهو التوقيت عينه لزيارة مئير، وصل اسرائيل وفد صيني، من سبعة أعضاء، ممثلين للشركات الصناعية الصينية، تلبية لدعوة من عدد من الشركات الصناعية الاسرائيلية، وهي أول سابقة من نوعها. وقد ذكر رئيس الوفد الصيني، وهو رجل أعمال يقيم في بلجيكا، ان الشركات الصينية تبدي اهتماماً خاصاً بانتاج اسرائيل من المعدّات الطبية والالكترونية[١٢].

على الصعيد السياحي والثقافي

من المؤشرات الهامّة الى تحسّن الاجواء العامة المحيطة بالعلاقات الصينية ـ الاسرائيلية

موافقة الصين، مؤخراً، على افتتاح مكتب تنسيق أكاديمي اسرائيلي في بكين. وقد أفادت المصادر الاسرائيلية بأن الحكومة الصينية قرّرت السماح باقامة بعثة اسرائيلية في العاصمة الصينية تكون مسؤولة عن التنسيق مع الدوائر المختصة في ما يتعلق بزيارات الكتاب والباحثين الاكاديميين الاسرائيليين الى الصين.

وفي أواخر العام ١٩٨٨، افتتحت الشركة الحكومية الصينية للسياحة ممثلية رسمية لها في اسرائيل، في خطوة يبدو انها مقابلة للخطوة الاسرائيلية السابقة. وبالفعل، وصل اسرائيل ممثل الشركة الذي سيستقر في اسرائيل بصورة دائمة، وعقد مؤتمراً صحافياً فور وصوله، أعرب خلاله عن تأثره وسروره لافتتاح الممثلية، التي قال انها «كانت حلماً وأصبحت حقيقة الآن». وأضاف المندوب الصيني ان الصين تفتح أبوابها للحركة السياحية من اسرائيل، وانه سيعمل من اجل تعزيز السياحة الى الصين؛ ولكنه استدرك قائلاً ان الامر، في المرحلة الحالية، ينحصر في حركة سياحية من اسرائيل الى الصين وحسب. وضمن هذا الاتجاه، تسمح الصين لحاملي الجوازات الاسرائيلية بالدخول اليها كسيّاح؛ كما يدرس عدد من الاسرائيليين في جامعة بكين اللغة الصينية، وتدرّس اللغة العبرية في الجامعة ذاتها، منذ العام ١٩٨٦[١٣].

على صعيد آخر، تمّ الاتفاق، في العام ١٩٨٨، على قيام «اوبيرا بكين» برحلة خاصة الى اسرائيل خلال أيار (مايو) ١٩٨٩. وبالفعل، تمّت الزيارة التي تعتبر الاولى من نوعها بين البلدين، وضمّت البعثة الصينية حوالى ٣٠ فنّاناً، واستمرت الزيارة اسبوعاً، دون ان يكشف النقاب عن احتمال قيام بعثة اسرائيلية فنية بزيارة مماثلة للصين. غير انه ليس من الصعب التكهّن بأن ذلك سيتمّ خلال الفترة القريبة المقبلة. ومن الجدير بالذكر، هنا، ان الزيارات الثقافية ـ الرياضية تشكّل أداة تقليدية من أدوات الدبلوماسية الصينية الخارجية.

وفي الفترة الاخيرة، كشف النقاب عن قيام الصين بدعوة مجموعة من الاسرائيليين، من بينهم ممثل اسرائيل السابق في الامم المتحدة رئيس جامعة بن ـ غوريون في النقب حالياً، يوسف تكواع، الى مدينة شنغهاي الصينية، في محاولة خاصة لاحياء ذكرى الوجود اليهودي في هذه المدينة. والمعروف ان مجموعة من المستوطنين اليهود العراقيين وصلوا مدينة شنغهاي في القرن التاسع؛ وقد انضمّ اليهم عدد آخر اثر الثورة البولشفية في روسيا في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧؛ وزاد هذا العدد بشكل رئيس خلال الحرب العالمية الثانية، حتى وصل نحو ٣٠ ألف نسمة بعد وصول أعداد من اليهود الفارّين من النازية، الذين لجأوا الى شنغهاي، باعتبارها مدينة مفتوحة لا تحتاج الى تأشيرات دخول. امّا الآن، فيقدّر بعض المصادر عدد اليهود في الصين بحوالى ٢٠٠ شخص فقط[١٤]. وطبقاً لما قاله المحامي الاميركي بيتردي كراسل، الذي ينظّم احتفالات شنغهاي بالتعاون مع الحكومة الصينية، فان الجانب الصيني يرى في يهود شنغهاي، واليهود بصفة عامّة، مستثمرين محتملين «في الصين، وأشخاصاً قادرين على نشر رسالة التجارة مع الصين».

على الصعيد العسكري والتقني

يعتبر مجال التعاون العسكري بين الصين واسرائيل من أكثر المجالات التي أُحيطت بالسرية التامة. والواقع، ان عنصر المصلحة كان، ولا يزال، هو المسيطر على التقارب التقني بين

اسرائيل والصين. فالصينيون في حاجة الى الخبرة والتكنولوجيا العسكرية، حيث أبدوا الرغبة، من قبل، في شراء الاسلحة السوفياتية التي استولت عليها اسرائيل من الدول العربية، بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، خصوصاً ان موسكو كانت أوقفت تزويد الصين بقطع الغيار والمعدّات العسكرية بعدما دبّ الخلاف الايديولوجي بين العملاقين الشيوعيين. وفي المقابل، هناك رغبة اسرائيلية ملحّة في النفاذ الى الصين، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

ومع بداية الانفتاح الخارجي، بدا ان المؤسسة العسكرية الصينية تريد تحديث ترسانة الجيش الصيني القديمة من الاسلحة سوفياتية التصميم، وهي مستعدة لانفاق ملايين الدولارات التي يمكن ان تحصل عليها من خلال مبيعات الاسلحة الصينية لانفاقها، بعد ذلك، على عملية تحديث الجيش.

والحقيقة، ان بدايات التقارب العسكري الصيني ـ الاسرائيلي تعود، في جذورها، الى أواخر الستينات وبداية السبعينات، من خلال حرب فيتنام. ففي ذلك الوقت، اكتشف الصينيون ان العديد من الاسلحة التي يستعملها الفيتناميون الشماليون كانت أقل، في مستواها التقني، ممّا يماثلها من الاسلحة الاميركية الحديثة لدى الفيتناميين الجنوبيين. ولرغبتها الشديدة في الوصول الى ذلك المستوى، ولسوء علاقاتها بالدول الغربية، تطلّعت بكين الى اسرائيل التي لا تمتلك تلك التكنولوجيا اللازمة فقط، بل وكانت ترغب، أيضاً، في التعامل معها دون أي ارتباطات سياسية.

وكانت بدايات هذا التقارب، فعلياً، في العام ١٩٨٠، حينما نشرت وكالة «تاس» السوفياتية، في آب (اغسطس) من العام عينه، تفاصيل بنود صفقة ادّعت بأن الصين تسعى الى ابرامها مع اسرائيل، وذلك للحصول على ٥٤ مقاتلة من طراز كفير ومئات عدة من دبابات ميركافاه، بالاضافة الى مدافع ذاتية الحركة، وعربات مدرّعة، وصواريخ غبريئيل المضادة للسفن، الى جانب معدّات وأجهزة الكترونية متنوّعة، وتقدّر قيمة تلك الصفقة بحوالى بليون دولار. ولقد أيّدت تلك الرواية مجلتا «الايكونومست» البريطانية و«نيوزويك» الاميركية[١٥].

فقد ذكرت «الايكونومست»، في ٢٢/١١/١٩٨٠، انه «بات من شبه المؤكد ان تكون اسرائيل والصين قد توصلتا الى تفاهم ما حول قيام علاقة تسليحية فيما بينهما. غير ان السؤال الوحيد المتعلق بهذه المسألة يبقى ما اذا كان التوقيع على الصفقة قد تمّ فعلاً، أم ان الطرفين ما زالا بصدد التفاوض عليها، تمهيداً لتوقيعها في المستقبل القريب؟». بل وذكرت المجلة ان هناك أنباء، لم تؤكد بعد، حول قيام بعثة خاصة من مؤسسة الصناعات الجوية الاسرائيلية بزيارة سرية للصين، في صيف العام ١٩٨٠، تباحثت، خلالها، مع المسؤولين الصينيين حول امكانات قيام تعاون عسكري بين الطرفين، بما يتناسب مع متطلبات القوات الصينية من الاسلحة والمعدّات الجديدة التي تنوي الحصول عليها لاستبدال قسم من معدّاتها القديمة المستخدمة حالياً. وقد ضمّت تلك البعثة مندوبين عن وزارتي المالية والدفاع، وعن مختلف أجهزة الصناعات الحربية في اسرائيل.

أمّا مجلة «نيوزويك»، فقد أكدت، في ٢٣/١١/١٩٨٠، ان «اسرائيل تبيع اسلحة للصين على نطاق واسع، وان الصينيين على وشك توقيع صفقة مع اسرائيل قيمتها بليونا دولار، سوف تشكل أضخم صفقة سلاح في تاريخ الصناعة العسكرية الاسرائيلية».

لقد اتفقت المصادر، كافة، التي أفادت بأنباء الصفقة على اعتبار ان الدلائل والظروف التي ترجّح احتمال قيام تعاون تسليحي بين اسرائيل والصين كثيرة ومنطقية، الّا انه يبدو ان العلنية التي أطاحت بالصفقة، من ناحية، وواقع صناعة السلاح في اسرائيل، من ناحية أخرى، قد أدّتا

الى تأجيلها. فمثلاً، في العام ١٩٨٠، لم يكن لدى الجيش الاسرائيلي نفسه ـ حسب تقديرات عديدة ـ من دبابات ميركافاه ما يتجاوز ١٠٠ ـ ١٥٠ دبابة، ممّا يشير، منطقياً، الى صعوبة توريد مئات عدة منها الى الصين؛ وينطبق ذلك، بدرجة أقل الى حدّ ما، على الصواريخ غبريئيل.

ولقد كان الوسيط الذي أجرى الترتيبات اللازمة لابرام الصفقة تلك، وما سوف يليها، كما تقول المصادر الاسرائيلية، هو المليونير الاسرائيلي، شاءول أيزينبرغ، الذي كان صديقاً حميماً لرئيس وزراء اسرائيل الاسبق، مناحيم بيغن، ولوزير دفاعه في ذلك الوقت، عيزر وايزمان. ويقال ان أيزينبرغ كان غالباً ما ينقل الفنيين الاسرائيليين الى الصين في طائرته الخاصة، مستعملاً المطارات العسكرية الصينية لتجنّب حمل جوازات السفر. بيد ان ايزينبرغ أنكر ان تكون شركته المعروفة باسم «يونايتد ديفيلوبمنت»، والتي تعتبر من أكبر الشركات الغربية في الصين، قد استوردت الاسلحة والتكنولوجيا الاسرائيلية للصين. ولكن تجّار السلاح الغربيين اكدوا ان القائمين على أعمال البيع والتسويق داخل الشركة اعترفوا لهم بأن الشركة «لم تتعامل فقط بالمعدّات الحربية الاسرائيلية، ولكنها ساعدت، أيضاً، في المفاوضات التي أُجريت حول بيع صواريخ سيلكوورم الصينية لايران أيضاً»(١٦).

والواقع، ان أول صفقة للصين في التعامل مع اسرائيل كانت في العام ١٩٨٥، حينما باعت اسرائيل أسلحة ومعدّات للصين. واستهدفت هذه الصفقة تحديث الدبابات الميدانية من طراز تي ـ ٦٢ سوفياتية الصنع. وفي ذلك الحين، أضاف الصينيون الى تلك الدبابات مدافع اسرائيلية من عيار ١٠٥ ميليمترات؛ كما شملت الصفقة أجهزة اتصال رادارية، ونظماً دفاعية خاصة بالصواريخ جو ـ جو، وأجهزة اطفاء الحرائق، وأجهزة الليزر والاشعة فوق الحمراء للرؤية الليلية، وكذلك الانظمة البالستيكية التي تعمل بالكمبيوتر لتحديد الهدف. ليس هذا فحسب، بل يقال ان الفنيين الاسرائيليين وفّروا، فيما بعد، التكنولوجيا اللازمة لقذائف الدروع القادرة على اختراق الواجهة الامامية للدبابة السوفياتية تي ـ ٧٢(١٧).

وفي أواخر العام ١٩٨٧، ذكرت مجلة «جينز» العسكرية ان الصين واسرائيل قد توقّعان، قريباً، صفقة بمليارات الدولارات، تقوم اسرائيل، بمقتضاها، بتزويد الصين بكميات كبيرة من العتاد الحربي وتكنولوجيا صناعة السلاح، مقابل حصولها على الفحم الصيني. وأضافت، ان الصفقة الجديدة قد تبرم في شكل اتفاقية لمدة تتراوح ما بين سنتين الى خمس سنوات. وأضافت، أيضاً، ان الصين تعتقد بأن اسرائيل هي أنسب دولة لمساعدتها في تحديث جيشها، وفي اقامة صناعة حربية دون ان تكتسب اسرائيل نفوذاً في السياسة الداخلية الصينية. وأشارت المجلة الى ان ظهور مدفع الدبابة الاسرائيلية من عيار ١٠٥ ميليمترات على الدبابة السوفياتية من طراز تي ـ ٦٢ في احد العروض العسكرية، في بكين، هو الذي تسبّب في كشف التعاون العسكري بين الجانبين. بل وأوضحت «جينز» ان التعاون بين الصين واسرائيل، في مجال التسليح، يعود الى ما بعد انتصار اسرائيل في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، حيث اشترى الصينيون كميّات كبيرة من غنائم الجيش الاسرائيلي من اسلحة الجيوش العربية سوفياتية الصنع، وانه يوجد في الصين عدد كبير من رجال الاعمال الاسرائيليين، وان البعثة العسكرية في سنغافوره هي التي تتولّى مهام تنسيق العلاقات العسكرية بين بكين وتل ـ أبيب؛ بل ان حكومة سنغافوره تقوم بدور الوسيط التجاري بين الجانبين، الصيني والاسرائيلي، في هذه الصفقات(١٨).

وفي الوقت عينه، تقوم مجموعة من الخبراء العسكريين الاسرائيليين، تتألف من ٢٤

شخصـاً، بالتنـاوب لفتـرة كل ثلاثة شهور بالتوجّه الى الصين، للمساهمة في تطوير نموذج حديث للدبـابات السوفياتية من طراز تي ـ ٥٤، وتي ـ ٥٥، وتي ـ ٦٢. كما حصلت الصين على أسلحة ومعـدّات عسكرية متطوّرة من الشركات الاسرائيلية لانتاج الاسلحة، مثل شركة الصناعة الجوية، وشركة رافائيل (شركة تطوير القتال) وشركات أخرى، مثل البيط وايلوب. وسلّمت الصين، مقابل هذه المعـدّات الاسرائيلية، كميات من مواد الفاناديوم، والتتيان، والحديد، والصلب، التي تحتاج اليها اسرائيل في صناعاتها العسكرية. غير ان التعاون الصيني ـ الاسرائيلي في انتاج الاسلحة لم يخل من المشاكل، حيث احتجت اسرائيل، في أواخر العام ١٩٨٧، على عرض الرشاش الصيني الذي تنتجه شركة نورينوكو في اسواق الولايات المتحدة الاميركية، لأن هذا الرشاش يعد صورة مطابقة لاصل رشاش اسرائيلي(١٩).

ومن ناحيـة أخـرى، أشارت الدوائر التجارية الاميركية، والخبراء السعوديون، الى ان بعض الخبراء الاسرائيليين عملوا، في الصين، في استكمال وتحديث نظم توجيه الصواريخ متوسطة المدى، التي باعتها الصين الى المملكة العربية السعودية من طراز اس. اس ـ ٢٠ والتي يصل مداها الى ٢٧٠٠ كيلومتر. ولكن لم يثبت ما اذا كان هؤلاء الخبراء الاسرائيليون كانوا على علم بأن هذه الاسلحة مخصّصة للبيع للسعودية. كما عمل الخبراء الاسرائيليون على تحسين دقّة نظام التوجيه الخاص بالصواريخ؛ كذلك ادخال التعديلات الاخرى الضرورية الخاصة بتحويل هذه الصواريخ من صواريخ تحمل شحنات نووية الى صواريخ تقليدية؛ وهي الصواريخ التي لم تعلم الادارة الاميركية بوجودها في السعودية الاّ مع مطلع العام ١٩٨٨. الاّ ان وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، نفى ان يكون متخصصـون اسرائيليون قد ساعدوا الصين في تطوير أنظمة توجيه الصواريخ الصينية متوسطة المدى التي باعتها الصين للسعودية. وقال: «اذا كان احد في الولايات المتحدة الاميركية يبحث عن ذريعة لعدم علم الادارة الاميركية بأن بلداً صديقاً هو السعودية قد اشترى صواريخ متوسطة المدى من الصين الاّ بعد عامين، فانه يجب ألاّ يمسك بخناق اسرائيل»(٢٠).

وذهبت مصادر أخرى الى ان اسرائيل تساعد الصين، بشكل سري، في بناء خط دفاعي على طول حدودهـا مع الاتحـاد السـوفيـاتي، البـالغ طولها ٦٦٧٩ كيلومتراً، حيث يقوم مئات من الخبراء الاسرائيليين بالعمل في هذا المشروع، الذي تبلغ تكاليفه مليارات عدة من الدولارات؛ وهو يهدف الى حماية الحدود الشمالية للصين. ويشمل المشروع عدداً من اجراءات المراقبة المتقدّمة، اضافة الى معدّات الكترونية حديثة جداً. بل وأكدت المصادر تلك ان الخبراء الاسرائيليين يساعدون الصينيين، كذلك، في تحديث تكنولوجيتهم المتعلقة بالصواريخ، وانهم بدأوا في تعزيز النظام الدفاعي الصيني على الحدود مع الاتحاد السوفياتي منذ العام ١٩٨٥، وان أنظار الصينيين اتجهت الى اسرائيل في هذا المجال اعتباراً من العام ١٩٨٢، بعد ان قام الاسرائيليون بتدمير نظام الصواريخ السورية المضادة للطائرات في وادي البقاع اللبناني؛ وان اسرائيل أكدت ان هذه التكنولوجيا التي تبيعها للصين لا ترتكز على تلك التي حصلت عليها من الولايات المتحدة الاميركية(٢١).

بل وذكرت مصادر عسكرية غربية ان الصين تقوم، حالياً، بتطوير صاروخ بحري، مشتق من صاروخ غبـريئيـل الاسرائيـلي بالاشتراك مع اسرائيل؛ كما تسعى الصين الى استخدام الانظمة الالكترونية الجوية الخاصة بالطائرة لافي الاسرائيلية التي أُلغي مشروع انتاجها، لادخالها في الجيل الجديد من الطائرات الصينية المحلية قيد التطوير. وأضافت ان وزير الدفاع الاسرائيلي، رابين، وافق، مؤخـراً، على الاستمـرار في تطويـر النمـوذج التجـريبي الثـالث من الطائـرة «لافي» لاثبات كفاءة

رادارها ومدى وفائه لاحتياجات الجانب الصيني. بل وكشفت مصادر اميركية تعمل في مكتب الاستخبارات والبحث التابع للخارجية الاميركية عن قيام خبراء اسرائيليين بمساعدة الجانب الصيني في تحديث دبابات الميدان سوفياتية الصنع تي ـ ٥٥، وغيرها من الدروع الصينية، وتطوير وسائل التوزيع التفاعلي للدبابات الصينية، وتحسين قدرات الصواريخ التكتيكية، والمدفعية، والطائرات، الصينية[٢٢].

واذا كان العديد من المصادر أشار، في السنوات القليلة الماضية، الى مساهمة اسرائيل في نقل التكنولوجيا العسكرية المتقدّمة الى الصين، باعتبارها مجرّد احتمالات، فان العديد من الادلّة الملموسة قد بدأ يظهر علناً، للمرة الاولى مؤخراً، ليؤكد هذه الاحتمالات دون ان تكتمل صورة التعاون بين الجانبين في هذا المجال. ومن التطوّرات الجديدة اللافتة على هذا الصعيد:

○ اعلان الصين عن تصنيع نموذج من رشاش عوزي الاسرائيلي المعروف، والتي تنتجه هيئة التصنيع العسكري الصيني (نورينوكو) بترخيص، على ما يبدو، من الشركة الاسرائيلية الام. وقد تمّ عرض هذا الرشاش، للمرة الاولى، في معرض «آسياندیکس» الذي افتتح في الصين في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٧، حيث جاء في وصف مواصفات الرشاش انه «نموذج تصديري خاص لاغراض الصيد والرياضة». وقد تمّ تطويره للوفاء بالقانون الاميركي بما يسمح ببيعه في الاسواق الاميركية المدنية.

○ الكشف عن تطوير الصين لصاروخ أرض ـ جو جديد من طراز «هـ . كيو ـ ٦١» يمكن استخدامه على متن السفن الحربية، او اطلاقه من القواعد البرية المتحركة، على الرغم من ان المصادر الغربية أكدت ان الصاروخ الصيني المعنيّ يشابه، الى حدّ بعيد، شكل احدى قاذفات الصواريخ التي شوهدت «وهي تخرج خلسة» من قاعدة عسكرية اسرائيلية قبل أربع سنوات. ومن هنا، يمكن الاستنتاج ان صاروخ «هـ . كيو ـ ٦١» قد يشتمل على بعض العناصر اسرائيلية التصميم أو الصنع. كما انه ليس من المستبعد كلياً ان تكون الصين قد استفادت من برنامج صواريخ أرض ـ جو الاسرائيلية «براك».

○ لا تزال الشبهات تحوم حول مصادر مدافع الدبابات عيار ١٠٥ ميليمترات التي من المقرّر ان يتمّ تركيبها على دبابة «تايب ـ ٨٠» الصينية الجديدة، التي لا تزال قيد التجربة. وقد ازدادت التكهّنات بهذا الصدد، بعد ان وزّعت الصين صوراً جديدة لدبابة «تايب ـ ٨٠» يظهر عليها المدفع عيار ١٠٥ ميليمترات بوضوح. وعلى الرغم من ان اسرائيل ليست الدولة الوحيدة في العالم التي تنتج هذا المدفع البريطاني المنشأ، الّا انها تعتبر في مقدّم الدول المرشّحة لتزويد الصين به، نظراً الى تجربتها في ادخال هذه المدافع على الدبابات سوفياتية الاصل (والتي تنتج الصين نماذج مشتقة عنها) وعدم توفّر المعلومات العملية حول قيام اطراف أخرى ببيعها الى الصين في السنوات الاخيرة.

○ وأخيراً، جاءت صحيفة «الصنداي تايمز» اللندنية فأزالت ظلالاً كثيرة من الشك أُحيطت بعملية الاتصالات العسكرية السرية بين اسرائيل والصين. لقد كشفت الصحيفة عن أكبر عملية لبيع تكنولوجيا صاروخية متقدّمة الى الصين، حيث تمّ، في ظروف من السرية التامّة، ابرام صفقة لتزويد القوات المسلّحة الصينية برؤوس حربية جديدة للصواريخ، وبأسلحة خارقة لدروع الدبابات صنعتها اسرائيل. وأشارت وثائق «الصنداي تايمز» الى انه، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٧، توصّلت اسرائيل الى اتفاقية عسكرية سرية مع الصين، والى ارسال فريق من كبار الخبراء

العسكريين الاسرائيليين الى بكين؛ وقد سافر أعضاء هذا الفريق بطريق الجو الى الصين باستعمال جوازات سفر فلبّينية مزوّرة (تل ـ أبيب ـ كوبنهاغن ـ بانكوك ـ هونغ كونغ ـ بكين). وقد أشرف قنصل عام اسرائيل في هونغ كونغ، رؤوفين ميرحاف، على هذه المهمة بكل جوانبها. وقد اعترف احد اعضاء الفريق العسكري الاسرائيلي الذي زار الصين بمشاركته في هذه البعثة لـ «الصنداي تايمز». وأضافت وثائق الصحيفة ان نطاق السرية المضروب حول هذه الصفقة، والاتصالات بين الجانبين، قد بدأ في الانهيار بحلول تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٧، عندما فصلت وزارة الخارجية الفلبينية خمسين موظفاً لديها، بعد ان اكتشف المسؤولون في الوزارة اختفاء أكثر من ١٥٠٠ جواز سفر، تردّدت شائعات تفيد بأن الجوازات المسروقة هي ذاتها التي استخدمها الخبراء العسكريون الاسرائيليون في سفرهم الى الصين. وقد تأكدت هذه الشائعات في كانون الاول (ديسمبر) من العام عينه حينما قامت شرطة هونغ كونغ باعتقال رجل الاعمال الاسرائيلي، تسفي جافني، ووجد بحوزته جوازات السفر المزوّرة التي استعملها الفريق العسكري الاسرائيلي الذي زار الصين وعقد محادثات لمدة خمسة أيام مع مسؤولين في مؤسسة صناعات شمال الصين. كما اكتشفت السلطات ان جافني ساعد القنصل الاسرائيلي في هونغ كونغ، في البداية، على ترتيب هذه الصفقة(٢٣).

وقد تمّ اقرار أول مشروع لارسال فريق عسكري الى الصين في العام ١٩٨٥، عندما اختارت وزارة الخارجية الاسرائيلية ميرحاف لكي يعيد فتح القنصلية الاسرائيلية في هونغ كونغ، والتي كانت مغلقة طيلة السنوات العشر الماضية لاسباب اقتصادية، وتزامن ذلك عندما سمحت الصين، لأول مرة في نهاية العام ١٩٨٥، بتبادل الزيارات بين شخصيات اسرائيلية وأخرى صينية في اطار المؤتمرات العلمية.

وقد ذهب ميرحاف الى هونغ كونغ بدعم من دافيد كيمحي، الذي كان في ذلك الوقت مديراً عاماً لوزارة الخارجية الاسرائيلية (وهو عضو سابق في الموساد). ولكي تعزّز اسرائيل مبادرتها في مبيعات السلاح، أرسلت وزارة الخارجية الاسرائيلية العميد بحري بيني تيليم، الذي تقاعد مؤخراً من منصب قائد البحرية الاسرائيلية، الى هونغ كونغ، بعد فترة قصيرة من وصول ميرحاف. ويرأس تيليم شركة «باليدنت». وقد أكدت «الصنداي تايمز» ان هذه الشركة تعمل كذراع لشركة الصناعات العسكرية الاسرائيلية التي تملكها الدولة، من اجل تسويق السلاح الاسرائيلي في آسيا. كما أكدت ان تيليم نفسه هو نائب رئيس شركة الصناعات العسكرية الاسرائيلية لشؤون التسويق. وبمجرد ان احتل ميرحاف وتيليم مركزيهما، تمّ ادخال تسفي جافني في الصفقة كوسيط، وهو يملك شركة «ليريك انترناشونال» التي كانت لها علاقات بصفقات أسلحة دولية، خصوصاً الى الفلبين وتايلاند.

وقد بدأت المرحلة الحاسمة في صفقة السلاح الاسرائيلية الى الصين في العام ١٩٨٧، اثر مبادرة قام بها مسؤولون شيوعيون صينيون في هونغ كونغ للوساطة بين ميرحاف وجافني، من جانب، وشركة «نورينكو»، من جانب آخر، لابرام صفقة أسلحة بين اسرائيل والصين. وقد تعرّفت «الصنداي تايمز» على أعضاء البعثة العسكرية الاسرائيلية الخمسة، الذي اعترف احدهم بأن البعثة السرية التي سافرت الى الصين، في الفترة ما بين ٢٢ ـ ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٧، قد تمّت الموافقة عليها من أعلى المستويات في الحكومة الاسرائيلية، وان الخبراء العسكريين الاسرائيليين قد استعملوا جوازات سفر فلبينية مزوّرة، التزاماً برغبة الصينيين في تنفيذ المهمة في ظروف من السرية المطلقة..

ويمكن الربط بين هذ المعلومات وبين التقارير التي أكدت ان الخبراء الغربيين قد شاهدوا،

في عرض عسكري أُجري في بكين العام ١٩٨٤، صاروخاً يطلق من البحر يشبه صاروخ غبريئيل الاسرائيلي. وفي الشهور الاخيرة، كانت هناك تقارير عن وجود فنيين اسرائيليين يعملون في مركز الطيران العسكري الصيني في «تشينغدو». كان الخبراء العسكريون الغربيون يدرسون صورة نسخة من طائرة مقاتلة صينية جديدة تقوم بصناعتها شركة Teshunigdo Aircraft Corporation في مركز تشينغدو، ولاحظوا وجود أوجه شبه في التصميم مع طائرة «لافي» المقاتلة الاسرائيلية متعدّدة الغرض. وبعد الغاء مشروع «لافي»، ذهب الفنيون العاملون في هذا المشروع الى جنوب افريقيا. ويعتقد خبراء غربيون بأن فنيين غيرهم يمكن ان يكونوا، الآن، في الصين، على أساس مناوبة لمدة ثلاثة شهور. فوفقاً للمعلومات التي كشفت عنها شركة الصناعات الجوية الاسرائيلية في السابق عن كسبها لعقد تبلغ قيمتـه نحـو مليار دولار، سيتمّ، بموجب هذا العقد، تطوير، وتصنيع، الانظمة الالكترونية الجوية لحساب طرف خارجي لم تحدّد هويته.

والاتفاق الذي تمّ ابرامه بين مسؤولين اسرائيليين ومسؤولين عن شركة «نورينكو» نصّ على ان الجانبين توصّلا الى فكرة جديدة لانتاج صواريخ مضادة للدروع يتمّ تصحيح مسارها وذات تصميم غير محدّد توجه بأشعة الليزر، وتحمل رؤوساً حربية ثاقبة لدروع الدبابات، وانتاج قذائف للمدفعية توضع على الدبابات من عيارات ١٥٥ ميليمتراً، و١٥٢ ميليمتراً، و١٣٠ ميليمتراً، و١٢٢ ميليمتراً. وقد وقّع الاتفاق عن الجانب الصيني مدير ادارة التسويق في شركة «نورينكو»، ياومينغ دوان، ومدير ادارة التـطويـر التجـاري في الشركـة دانـغ دي ها؛ ووقّع الاتفاق عن شركة «دوبيا» مديرها هنري لاي ومستشاره بي. بلومنتال. وأكدت «الصنداي تايمز» ان اسم بلومنتال هو لقب يستخدمه العقيد بحري تيليم الذي رافق الفريق الاسرائيلي، الذي زار الصين. وقيل ان الفريق الصيني المفاوض قد أظهر اهتماماً كبيراً بتكنولوجيا الاسلحة المتقدّمة والمتطوّرة في شركة «دوبيا».

كما كشفت مصادر دبلوماسية غربية، في العاصمة اليابانية، طوكيو، ان وفداً عسكرياً اسرائيلياً رفيـع المستوى يضمّ رؤساء الصناعات العسكرية والجوية الاسرائيلية قام بزيارة سرية للصين، في أواخر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٨، استمرت عشرة أيام، وذلك تلبية لدعوة رسمية ضمن اطار التعاون العسكري، والامني، بين الجانبين. وقام الوفد العسكري الاسرائيلي، الذي وصل بكين عبر طوكيو، بزيارة عدد من المصانع العسكرية الصينية الكبرى؛ كما التقى بعدد من القادة العسكريين الصينيين، وأجرى محادثات مطوّلة معهم تركّزت على التعاون العسكري، وتبادل الخبرات في مجال التصنيع الحربي. وأكدت مصادر اسرائيلية ان اسرائيل باعت للصين، مؤخراً، معدّات خاصة بقمع التظاهرات والاضطرابات، استخدمت لقمع الفلسطينيين في المناطق المحتلة(٢٤).

لا شك في ان الصين من أقوى المؤيدين لمنظمة التحرير الفلسطينية، ولا تقيم علاقات دبلوماسية مع اسرائيل. بيد ان هذا لم يمنع الصين، على حدّ زعم المجلة البريطانية «جينز ديفينس ويكلي»، من تقدير قيمة هذه التجارة بمبلغ ثلاثة مليارات دولار اميركي تقريباً، على مدى العقد الماضي.

وعلى الرغم من ذلك، فان الجانبين، الصيني والاسرائيلي، ينكران، بشكل روتيني، أية علاقات في هذا الصدد، حيث تحاول الصين، دائماً، ابقاء علاقاتها العسكرية المتنامية مع اسرائيل سرية، خشية الحاق الضرر بمركزها القوي في العالم العربي، سياسياً واقتصادياً وتجارياً. من الناحية الاخرى، أرادت اسرائيل هذه السرية، لأن أي صفقة صواريخ مع الصين، أو نقل تكنولوجيا عسكرية متقدّمة اليهـا، كانت، حتمـاً، ستستعـدي الولايـات المتحـدة الامـيركية، التي كانت تعرب عن قلقها من

مبيعات صواريخ سلكوورم الصينية المضادة للسفن لايران؛ اذ يمكن استعمال هذه الصواريخ لايقاف تدفّق النفط الى العالم الغربي واليابان.

ولكن يمكن القول ان اسرائيل اصبحت، تدريجياً، أهمّ مصدّر الى الصين في مجال التكنولوجيا العسكرية؛ اذ من الواضح ان التصميمات والعناصر الاسرائيلية كانت بارزة في كل شيء، بدءاً من الصواريخ التي تطلق من البحر، والتي عرضت بمناسبة اليوم الوطني في بكين، الى الدبابات التي عرضت للبيع في معارض الصناعات الدفاعية الصينية.

---

(١) محمد السيد سليم، «الصين الشعبية والقضية الفلسطينية»، **السياسة الدولية** (القاهرة)، العدد ٢٥، تموز (يوليو) ١٩٧١، ص ٥٩.

(٢) ليلى سليم القاضي، **الهستدروت**، بيروت: مركز الابحاث ـ م.ت.ف. ١٩٦٧، ص ٦٢ ـ ٦٣.

(٣) سليم، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٠ ـ ٧٨.

(٤) **المصدر نفسه**، ص ٧٩.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ٨٠ ـ ٨١.

(٦) *Reuter*, September 30, 1988.

(٧) *Reuter*, October 1, 1988.

(٨) *Le Monde*, Janvier 16, 1989.

(٩) **المصدر نفسه**، ص ٢٩؛ وانظر، أيضاً، **المصور** (القاهرة)، ١٥/١/١٩٨٨.

(١٠) *Financial Times*, April 22, 1988.

(١١) *Reuter*, October 12, 1988.

(١٢) **الاهرام** (القاهرة)، ٢١/١٠/١٩٨٨.

(١٣) **المصور**، ١٥/١/١٩٨٨.

(١٤) *American Jewish Yearbook; 1977*, New York: The American Jewish Committee, Vol. 77, p. 518.

(١٥) **اسرائيل: العقيدة العسكرية وشؤون التسليح**، لندن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ومركز العالم الثالث للدراسات والنشر، ١٩٨٢، ص ٧٢ ـ ٧٤.

(١٦) *Newsweek*, July 4, 1988.

(١٧) **المصدر نفسه**.

(١٨) *Jan's Defense Weekly*, December, 1987.

(١٩) **السياسة** (الكويت)، ٢٧/١٠/١٩٨٧؛ نقلاً عن **ديرشبيغل**، بدون ذكر تاريخ النشر.

(٢٠) *The Washington Post*, May 23, 1988.

(٢١) *U.S. News and World Report*, May 30, 1988.

(٢٢) **وكالة انباء الخليج**، ٢٢/٦/١٩٨٨.

(٢٣) *The Sunday Times*, April 3, 1988.

(٢٤) **الوطن** (الكويت)، ١٦/١١/١٩٨٩.

ظاهرة حانوخ ليفين

رياض بيدس

تكتنف الكتابة عن حانوخ ليفين[1] صعوبات جمّة: اولاها، اننا نقف ازاء ظاهرة (الظاهرة الليفينية ـ من ليفين) متميّزة على امتداد الادب العبري الحديث. ينبع تميُّز هذه الظاهرة، وقراءتها، من قدرتها الدائمة على العطاء والتطوّر؛ كما انها دائمة الوقوف خارج اطار «الاجماع القومي»، حتى في أشد اللحظات خطورة، وفي أكثر المسرحيات الاجتماعية أو الفلسفية.

تنحو ظاهرة ليفين الى تكوين علاقة رفض ومعارضة مع هذه البلاد: فمنذ بواكيره الاولى، أكّد ليفين عدم القدرة على الاستمرار في الحياة في بلاد أشبه بالغيتو. كما انه أكد تبهُّم المشاعر وتصلّبها ازاء الاحتلال والقمع والبطش. كل ذلك يضعنا ازاء قضية هامّة في مجمل الادب الحديث، هي: خروج ليفين على المؤسسة الحاكمة، وعلى «الاجماع القومي» الصهيوني العام، واختراق المسار البديل: المسار شبه الكوزموبوليتي. لذلك، خرج معظم الدراسات عن اطار الموضوعية حين صنّف ليفين مع لفيف الادباء الصهيونيين، لأن ليفين يخرج عن ذلك الاطار، ليدخل في الاطار الاكثر شمولاً: الشكوكية، أو الموقف الاسبينوزي، من كل ما يحدث حوله. من ناحية، ينحو ليفين، سواء في عالمه الواقعي او الاسطوري، نحو نقض السقف الصهيوني واقامة البديل الاكثر انفتاحاً وحرية واتساعاً: السلام، وما يترتّب عليه من تغيرات جوهرية في لبّ الحياة الاسرائيلية، والعربية. امّا الناحية الاخرى، فهي انه أكبر مسرحي يهودي في اسرائيل، اضافة الى تصنيفه ضمن المسرحيين العالميين الكبار، على الرغم من كل التعتيم السياسي الموجّه عليه من قبل المؤسسة الحاكمة. لذلك، رأينا ان أفضل طريقة لتقديم ليفين هي بتناول أربعة أعمال من مسرحياته، بدلاً من كل مسرحياته، مع ترجمة نماذج كثيرة لتشكيل رؤية شبه واضحة عن أعمال هذا المسرحي الفذّ؛ كما اننا اخترنا المسرحيات القريبة من اهتماماتنا: المسرحيات الاشد واقعية، وهي المسرحيات السياسية.

صورة عامة عن مسرح ليفين

خلق ليفين مسرحاً عدائياً لايقاظ الجمهور البليد من غفوته القاتلة. فالمسرح عند ليفين وسيلة لتسلية المشاهد وضربه في آن: انه يستطيع ان يمزج بين النكتة والدمعة، والسوط والبلسم، في عمل واحد. اختصاراً، انه احد المسرحيين الاستفزازيين الكبار. ففي مسرح ليفين الكثير من الاغراءات التي قد لا تجدها عند غيره: الصنعة العالية، التحكم في الشخصيات، انعكاس الواقع، السخرية الى درجة البكاء، ثمّ السوط. لذا، يرتاد مسرح ليفين الكثيرون، على الرغم من معرفتهم المسبقة بأنهم قد يحاصَرون بعالم قاسٍ.

الذلّ

تحتل موضوعة الذل (أو الاهانة) الركن الاساسي في مسرح ليفين. فمنذ بداياته ومسرح ليفين يؤكد ان لا معنى للحياة، وان الذلّ هو الامر الاساس السائد بين البشر في الحياة. فمعظم مسرحه يدور حول هذه الفكرة. وممّا يقوله الناقد العبري دان ميرون عن ذلك: «كل مسرحيات حانوخ ليفين ليست الاّ تنويعات في موضوع واحد: بشر يشعرون بوجودهم، أو بوجود غيرهم؛ واذا شئتم وجود الاله ـ حين يكونون مذلّين او مذلّين أنفسهم وغيرهم. بتعبير آخر: انا أُذل / أو مذَل، معناه أنا موجود»[٢].

هذا الرأي أكده ناقد عبري آخر، حين كتب: «كالخيط القرمزي يمر في نتاج حانوخ ليفين الموضوع البالغ القدم للسيد والعبد، السيد والخادم... ان تجديد حانوخ ليفين هو في اقامة علاقة سيد وخادم على أساس عاطفي في الذل، من ناحية، وذل ذاتي، من ناحية أخرى»[٣]. فمن بدايات حانوخ ليفين يرافق الذل شخصياته، اضافة الى تكلّمها بلغة طفولية في أحيان، وتركّزها في حاجاتها الأساسية. فلا لذة بلا ألم، ولا سيّد بلا مسود، وثمّة خيط يجمع بين كل هذه التفاصيل: الذل. الذل والاذلال الجنسي، والاجتماعي، والسياسي.

البعد السياسي لعالم ليفين

ان احدى الخصائص لمسرح ليفين هي تطرقه الى القضية السياسية في أوجها. بذلك سجّل ليفين لصالحه الريادة والاصالة. وبحق، كتب الناقد العبري شمعون ليفي عن مسرح ليفين: «لم يكتب احد بتيقّظ اجتماعي، وسياسي، وايديولوجي، كليفين في فترة الثمالة القومية التي عمّت البلاد بعد حرب الايام الستة، حرب الاحدى عشرة دقيقة، حسب تعبيره. منذئذٍ، قلّده الكثيرون الذين انضمّوا الى اجماع المعارضة».

ان الخوف من التبهُّم الاجتماعي الذي يقود الى الحرب والموت هو احد الاسباب التي دفعت ليفين الى قول كل ما قاله في مسرحه السياسي، وحتى في مسرحه الاجتماعي. ولقد استطاع الناقد يارون براك ان ينفذ الى أهمية ليفين الريادية حين كتب: «نتيجة مسيرة متواصلة من تطوّر المسرح السياسي في البلاد، استطاع المسرح الاسرائيلي التوصّل الى القدرة على التعبير هذه، حيث كانت بدايتها بـ: ' انتِ وأنا والحرب المقبلة ' من تأليف حانوخ ليفين، التي عرضت في صيف العام ١٩٦٧، حالاً بعد حرب حزيران (يونيو)»[٤].

سيكتب الكثير عن ليفين ومسرحه وفلسفته؛ لكن جرأته ظلت مثار جدل طويل؛ كيف سيصمد هذا المسرحي في وجه هجمات «الاجماع القومي» الصهيوني؟ لقد استطاع ليفين، من بداية العام ١٩٦٧، مع ليفوفيتش وآخرين قلائل جداً، ان يرى ابعاد، ومخاطر، الغطرسة السياسية، وقدّم عالماً مسرحياً مشحوناً بالغضب والعنف. وكتب الناقد ميخال هندلزلتس سابراً قدرة ليفين على تعرية الوضع: «في ' انت وأنا والحرب المقبلة ' و ' ملكة الحمّام ' و' كطشوب ' و' الوطني ' . لم يرسم كاريكاتيرات، ولم يبالغ بالظواهر فقط، وانما خرب المشاعر قصداً، وصوّب الى مركز الاجماع القومي حينئذٍ، مع ان قسماً من الاشياء يقرأ اليوم كأمر مفروغ منه، وحتى عادي. ذاكرتنا قصيرة، لربما يصعب تقدير مدى الجرأة لكتابة شعار قريب من حرب العام ١٩٦٧ (آب ـ اغسطس ١٩٦٨): « ' انت وأنا والحرب المقبلة ' : ' من يرى الاموات، لا كلمات لديه ليقولها، انه يذهب جانباً ويتابع العيش كمن خسر ' . انجازه، حينئذٍ، لم يكمن في انه تجرّأ على الكلام من خارج الجوقة العامة. لقد تجرّأ ـ وكرجل مسرح كان في ذلك جرأة مضاعفة ومتضاعفة ـ بالتوجّه بضمير المخاطب المتعدّد الى الجمهور الجالس

في القاعة، والتكلم اليهم بلهجة قاسية، وهم موضوع الكلام»[٥].

في مجموع الاعمال الساتيرية المسرحية، والاناشيد، والاغاني، والقصائد، المجموعة في كتاب «ماذا يهمّ العصفور» نجد النواة الاولى لعالم ليفين القاسي: ثمّة سيد وعبد وذل. الكتاب، في مجموعه، يقدّم الينا مواقف ليفين التي سبقت وقتها، حيث جاء على تظهير الكتاب: «اقوال سبقت التاريخ، والتاريخ لم يسمح لها».

في هذا الكتاب («ماذا يهمّ العصفور») الذي يدل عنوانه مع محتواه، قدّم ليفين الينا الصورة القاسية للبلاد التي كانت تصوّر الامور عكس ما هي عليه. لكن ليفين استطاع بنفاذ بصيرته ان يرى ما يراه القليلون: أزمة ضمير ازاء احتلال وسياسة توسّعية واذلال الآخر. وقبل ان نتعرّض الى النصوص الاربعة التي اخترناها، تجدر الاشارة الى ان ليفين أكبر من أي دراسة او دراسات: انه عالم يكبر كل يوم، ليؤكد عدم امكانية العيش بكرامة، ما دامت كرامة الآخرين تُمتهَن.

«انتِ وأنا والحرب المقبلة»

العمل «انت وأنا والحرب المقبلة»، هو احد الاعمال الاساسية في مسرح ليفين. فلقد عرض في آب (اغسطس) ١٩٦٨، وما يزال حتى يومنا هذا يشكّل ركيزة هامّة لباقي أعمال ليفين السياسية الاخرى.

العمل، ككل، ينتقد سياسة اسرائيل العدوانية واحتلال الضفة والقطاع ويسمّي «حرب الايام الستة» بـ «حرب الـ ١١ دقيقة». فما قاله البطل لجنوده الميتين هو: «لم يعد احد منكم؛ وأنا اقف، الآن، وأتكلم الى ساحة خالية» (ص ١٣). لقد كان ثمن الانتصار، او الهزيمة، موت الجنود وبقاء العسكري الكبير على قيد الحياة.

أمّا في المشهد الثاني، فنقرأ عن الجندي الذي يودّع صاحبته ويطالبها بألّا تفتقده في اثناء غيابه وحتى اذا مات.

في المقطع الثالث، هاجم ليفين الحرب والحكّام الذين لا يصابون ولا بأي خدش: «صادق أم لا. اذا كان هناك خاسر، فهو انت فقط. رؤساء الحكومات بدون أي خدش. حينما ينتهي كل شيء، هم الذين يقومون بالتأبين للشعب. أنا أريد العيش وتأبينهم» (ص ١٦).

في القطعة الرابعة التقى ماكس غوطمان والمغنية السمينة بوليفيا، فأخطأت هذه وتصورت انه هو الذي كان في القاعدة العسكرية حين نشبت الحرب وكانت تغني لهم. أخبرها بأنها تتحدث عن أخيه الذي مات. وظلّت تسأله الى ان قال لها: «غوطمان، لقد مات (اطلقت بوليفيا صرخة مفاجأة) للمرة الرابعة تسألين.

«بوليفيا: مرة رابعة، وما زال ميتاً!

«غوطمان: (مرتبكاً) أجل. ما زال ميتاً». (ص ١٨).

في نشيد «وفي صباح رائع» قدّم الينا ليفين قطعة رثاء جميلة جداً عن الذين سقطوا ضحايا لتلك الحرب. وفي القطعة السادسة «الابن يعود من أرض المعركة»، فرح الأب والام بعودة ابنهما سالماً من تلك الحرب. انما النشيد «شطرنج»، فهو مفتاح هام للعمل كله. النشيد ارتكز على وصف ويلات الحرب المتأتية من اصحاب القرارات السياسية: «الى أين ذهب ولدي؛ ولدي الطيب الى أين؟ جندي

اسود يضرب جندياً أبيض. لن يعود أبي؛ ابي لن يعود. جندي ابيض يضرب جندياً اسود. بكاء في الغرف، وصمت في الحدائق؛ الملك يلعب مع الملكة.

«ابني لن يقوم ثانية؛ أبد الدهر سينام. جندي اسود يضرب جندياً أبيض. ابي في الظلمة ولن يرى ضوءاً مرة أخرى. جندي أبيض يضرب جندياً أسود. بكاء في الغرف، وصمت في الحدائق؛ الملك يلعب مع الملكة.

«ابني الذي في حضني، الآن هو في الغيم. جندي أسود يضرب جندياً أبيض. ابي بقلبه الدافىء، قلبه الآن بارد. جندي أبيض يضرب جندياً أسود. بكاء في الغرف، وصمت في الحدائق؛ الملك يلعب مع الملكة.

«الى أين ذهب ولدي، ولدي الطيب الى اين؟ سقط جندي اسود، جندي أبيض. لن يعود أبي؛ ابي لن يعود. لا جندي أبيض ولا أسود. بكاء في الغرف، وصمت في الحدائق. على لوحٍ خاوٍ ملك وملكة فقط» (ص ٢١).

في القطعة السابعة التقينا و«الارملة روفنيزون» التي تنوي الزواج ثانية. وفي القطعة ـ النشيد «ستة مربعات». كتب ليفين ضمن ما كتبه في فقرة «نشيد الغالب للمغلوب»: «القمر فوقك وفوقي، لكن رأسك بعلوّ حذائي. الورود التي ستنبت من جسدك، اقطفها أنا، وليس لاجلك» (ص ٢٤).

في «مقامة للقائد بوم»، سخر ليفين من العسكري الذي اخذ بهم الى الحرب، فبدأ مفارقته بقوله له: «نقبّل لك مؤخرتك يا قائد بوم، لأننا لولاك لما كنّا نقبّل شيئاً الآن؛ لأننا لولاك لكانت نساؤنا، الآن، أرامل يا قائد بوم؛ لأننا لولاك لكان اولادنا يتامى، يا قائد بوم».

وانهى ليفين هذا النشيد المعزّز بلغة السخرية والمفارقة بقوله: «وفي النهاية، اعذرنا على القافية العرجاء يا قائد بوم؛ لأننا نحن نعرج قليلاً الآن، يا قائد بوم» (ص ٢٦).

في «نشيد طاهي الكتيبة»، التقينا بالصورة الكئيبة التي خلقتها الحرب وأمواتها في نفوسنا. «وفي الليلة قررنا الانهاء، وملاك الموت اشتغل مثل حمار؛ وعندما بزغت الشمس، ارتفعت، انتقل العدو من شقته الى الارض.

«عندئذٍ قلنا: كل الاحترام؛ الحرب هي شغل جيد جداً؛ من يحبنا يبقى على قيد الحياة، والباقون يصمتون ويضطجعون» (ص ٢٧).

أمّا في «لمَ حاربنا؟»، فقد التقى جار وجارة في غرفة المخزن: البحار غوروبيتش مناصر للسلام وضد الحرب؛ امّا السيدة فوكس، فهي تؤيد الحرب:

«غوروبيتش: جاري الفوقاني مات. اسبوع قبل الحرب تكلّم عن انه يجب اعادة الكل مقابل سلام. يوجد شهود!

«فوكس: أرى انه صعب معك يا سيد غوروبيتش.

«غوروبيتش: لن تفاجئيني بالموت يا سيدة فوكس. لي كثير منهم في المخزن! [تظهر جارة أخرى، صوتها كسير].

«جـارة: السيـد والسيـدة العزيزان، لمَ حاربنا؟ لمَ سكبنا دمنا الغالي كثيراً؟ الارض المحتلة

بين أيدينا؛ لذا، باسمه، علي القول: من مات فقط لن يُعاد ولا مرة!» (ص ٢٨ ـ ٢٩).

«انتِ وأنا والحرب المقبلة» هو النشيد الاخير في هذا العمل الحاذق:

«حينما نتنزّه، اذّاك نحن ثلاثة، انتِ وأنا والحرب المقبلة. حينما ننام، اذّاك نحن ثلاثة، انتِ وأنا والحرب المقبلة.

«انتِ وأنا والحرب المقبلة؛ والحرب المقبلة صوبنا لخيرنا. انتِ وأنا والحرب المقبلة، التي توجد استراحة مناسبة.

«حينما نبتسم في لحظة حب، تبتسم معنا الحرب المقبلة. حينما ننتظر في غرفة الولادة، تنتظر معنا الحرب المقبلة.

«انتِ وأنا والحرب المقبلة؛ والحرب المقبلة صوبنا لخيرنا. انت وأنا والحرب المقبلة التي قد توجد استراحة مناسبة.

«حينما يقرع على الباب، اذّاك نحن ثلاثة، انتِ وأنا والحرب المقبلة. وحين ينتهي ذلك، ثانية نحن ثلاثة، الحرب المقبلة انت والصورة.

«انتِ وأنا والحرب المقبلة؛ الحرب المقبلة صوبنا لخيرنا. انت وأنا والحرب المقبلة، التي توجد استراحة مناسبة» (ص ٣٠).

هذا العمل الاول لليفين يدلّل على مواقف الكاتب؛ كما يوصي بأهمية هذا العمل الذي كان بمثابة رد فعل على عدوان الخامس من حزيران (يونيو). ففي أجواء الغطرسة السياسية، استطاع ليفين ان يشق لنفسه طريقاً مغايراً: طريق الرفض والمعارضة.

«كطشوب»

«كطشوب» هو استعراض ساتيري، عرض، أولاً، في آذار (مارس) ١٩٦٩. يدور هذا الاستعراض المسرحي الساخر حول محادثات السلام بالنسبة الى الشرق الاوسط بوساطة مندوب هيئة الامم السويدي غونار يارينغ، ووزير الخارجية المصرية في تلك الفترة، محمود رياض، ووزير الخارجية الاسرائيلية، ابا ايبن، ايضاً.

حلم السلام غير المتحقّق تحوّل الى موضوع رئيس في هذا العمل: الحرب وما تركته من دمار وامكانية نشوب حرب جديدة. وليفين لا يترك فرصة الاّ وينقض بها على سياسة الحكومة وعلى كل الافكار المسبقة التي تنفي امكانية محاورة الآخر.

في المقطع الاول «الحرب الاخيرة»، لخّص ليفين حالة الاستنفار التي عاشتها البلاد، بقوله: «مرة قلنا أيضاً: حرب أخرى فقط. حرب اخرى فقط، قلنا، حرب أخرى فقط. كانت حرب واحدة. كانت حرب ثانية. حرب أخرى فقط، قلنا، حرب أخرى فقط». وخلص الشاعر الى ان «وهم» الحرب الواحدة غير قابل للتحقق. فهناك حروب وحروب أخرى في الافق.

في المقطع الثاني «الجولة الاولى للمحادثات السلمية» سخر ليفين من محادثات السلام هذه. وفي المقطع الثالث «بلاد رائعة»، تجلّى النص عن قدرات كبيرة. فالزوج والزوجة استضافا السيد تشيلسي: السائح حدثهما عن المناخ والشمس، والزوجان حدّثاه عن عظمة الجيش (العسكرتاريا). فقالت

المرأة للسائح: «قدر كهذا؛ شعب صغير يخرج من بينه الجيش الاشد قوة وامناً في العالم؛ جيش يعرف لماذا يحارب؛ ولأجل ذلك لا توجد قوة تستطيع مواجهته. ماذا بمقدورنا عمله؟ نحن، ببساطة، شعب رائع وقوي» (ص ٣٧). استمر الحوار، فأعلن السائح، عبره، عن حبه للمناخ، الى ان قالت المرأة له: «اعذرني كثيراً يا سيد تشيلسي، ما الذي تحمله ضد جيشنا؟» (ص ٣٨).

في نشيد «تانغو ودم»، رأينا صورة قاتمة للوضع القائم: «دم ونار، ودم ونار، ونار ودم. بين أقدام زانيات يرتفع لهب اسود وحار. الزبائن في النيران؛ القوادون فحم؛ ودم ونار، ودم ونار، ونار ودم» (ص ٣٩). كل شيء تحوّل الى دم ونار.

في الجولة الثانية من محادثات السلام، التقي جو العظيم وشلّته في القهوة، والخلاف بدأ على نحو ساخر من القهوة. امّا في مقطع «المناطق»، فرأينا بيرتا وتسفي يستضيفان زيبتس ويبديان خوفهما من ان يدخل زيبتس الى المرحاض ولا يخرج منه.

«زيبتس (توسل) تسفي: هذه المرة فقط. (تسفي حرّك رأسه سلباً) بيرتا: حتى لن تشعرا... (صرخ) البني آدم لا يستطيع ان يغوط في الدولة دون ان يشكّوا في انه ينوي ارجاع المناطق؟

«(توقف. عاد الى وضعه. رويداً رويداً ارتسمت على وجهه امارة راحة كبيرة. بيرتا وتسفي نظرا بنفور الى بنطاله).

«بيرتا: (موبّخة) زيبتس؟

«تسفي: ماذا فعلت يا زيبتس؟

«زيبتس: ايها السادة، اعتذر كثيراً، لكن ما حُرِّر لا يُعاد» (ص ٤٣).

في النشيد التالي «أنا لا انفّذ وعوداً اعطاها الله لابراهيم»، ابدع ليفين وسخر من المفهوم الديني السائد بأن هذه البلاد هي وعد من وعود الله لابراهيم: «ها هنا البلاد الكاملة التي وعد الله ابراهيم بها، له ولنسله الذي سيكون كرمل على ضفة البحر. لكنني انا لست رملاً على ضفة البحر. وأنا لا انفّذ وعوداً أعطاها الله لابراهيم.

«من مطلعي، لم احلم بالخليل، ولا اهتم بنابلس. ما يهمني هو ان اقضي الحياة سليماً، لأنني لست رملاً على شاطىء البحر، ولا انفّذ وعوداً اعطاها الله لابراهيم.

«بيتي ليس على النيل؛ وامرأتي لا تجلس على الفرات؛ وتمدّدت جيداً صباح كل يوم ايضاً بين المطلة وايلات، لأنني لست رملاً على شاطىء البحر؛ وأنا لا انفّذ وعوداً اعطاها الله لابراهيم.

«الآن يستلقي ابراهيم واسحق ويعقوب في قبورهم بهدوء؛ ولا رغبة عندي لاحفر قبورهم ايضاً، لأنني لست رملاً على شاطىء البحر؛ وأنا لا انفّذ وعوداً اعطاها الله لابراهيم.

«ها هنا البلاد الكاملة، وعليها لن اسلّم نفسي، وما يعد الله به لينفّذه على حسابه الخاص، لأنني لست رملاً على شاطىء البحر، وأنا لا انفّذ وعوداً اعطاها الله لابراهيم» (ص ٤٤).

في جولة محادثات السلام الثالثة، تبيّن ان غونار يارينغ لا يعرف حقيقة الصراع الدائر، وأكد عمق انتمائه السويدي. وفي القطعة «عقوبة الاعدام»، اقتيد «المخرّب» سعيد الى المشنقة. نلتقي هنا باسئلة الصحفية واجوبة سعيد الساخرة:

«صحفية: سيد سعيد؛ افهم ان حقيقة وجودك هنا تثبت انك مع عقوبة الاعدام للمخرّبين.

«متهم: طبعاً، انا مع عقوبة الاعدام للمخرّبين ايتها السيدة. كمخرّب قديم، ومتمرّس، اسمح لنفسي بالقول ان هذا هو العقاب الأكثر ملاءمة للمخرّبين عامة، وللمخرّبين امثالي خاصة» (ص ٤٧).

ثمّ تابع «المخرب» السخرية المرّة من النظام القائم بقوله: «كمخرّب بربري، متوحش وعديم الضمير، اسمح لنفسي بالقول انه ليس لكم التبرير الكامل لشنقي فقط، وانما ملقى عليكم واجب اخلاقي كذلك. هل يوجد حكم مناسب وصادق لجماعات مخرّبين ومحرضين جبناء وعديمي الفكر مثلنا الذين يصيبون بمنطقة هادئة ومطالبة بالسلام؟! ألا تقف الاخلاق وراءكم كما يقف الشنق ورائي بعد ان وضعت العاب متفجرات في عشرة باصات؟! (بدأ بالبكاء) عشرة باصات! ناهيك عن السائقين انفسهم، بمَ اخطأ السائقون المساكين؟ بمَ اخطأ السائقون، أنا اسألك؟» (ص ٤٧). ثمّ سألته الصحفية: «رجاء. وفي النهاية سيد سعيد، كمخرب أول يعدم في دولتنا، ما هي الرسالة التي أردت نقلها الى شعبنا؟ (يشغّل الجلّاد الرافعة، الارضية تنفتح تحت قدميّ المتهم، الذي يسقط الى تحت ويمدّ لسانه نحو الصحفية بكل اللطف الممكن)» (ص ٤٨).

في نشيد «بحزن غير كبير، بأسى غير مظلم»، انشدت الحبيبة لحبيبها الميت: «اعذرني اذا ما كنت حزينة جداً؛ الحزن كبير؛ الأسى غير مظلم؛ علي الاستعداد للحزن المقبل؛ بحزن غير كبير؛ بأسى غير مظلم» (ص ٤٩).

في الجولة الرابعة من محادثات السلام، سخر يارينغ من اسرائيل؛ فهي بالنسبة اليه دولة امبريالية. امّا في القطعة «مراقبون ومخرّبون»، فسخر ليفين، اشدّ السخرية، من واقع «المخربين» والمتفجرات. فالوضع غير السلمي لاسرائيل يؤدي الى تواجد «المخربين». شيء طبيعي جداً وجود «مخربين» حسب النص. وهذه احدى علامات الجرأة في النص الليفيني: ان ليفين رأى ان لا امكانية لعدم وجود «مخرّبين» أو قنابل الّا بالسلام. فمراقب أوقف أحد «المخربين» حسب النص:

«مراقب: معذرة، هل استطيع رؤية الهوية؟

«مخرب: تفضّل (يري المراقب الهوية. ينعم المراقب النظر بها).

«مراقب: اسمك محمود حبلنوفسكي؟

«مخرب: نعم.

«مراقب (يعيد اليه الهوية) انت مخرّب؟

مخرّب (مفاجأ): كيف عرفت؟

«مراقب، حسّ» (ص ٥٣).

تجدر الاشارة الى ان ليفين استعمل كلمة «مخرب» كسخرية، وليس بالمدلول السلبي المعتاد للكلمة في البلاد.

في الجولة الخامسة، استثير يارينغ غضباً من فشل المحادثات، فتخيل نفسه اشياء او اشخاصاً لا علاقة له بهم: «ثمّة خطأ أكيد هنا. اعذروني كثيراً. لكنكم لا تستبدلوني صدفة بشخص آخر، لأني، في النهاية، لست الّا دكتوراً... وأنا اختفي هنا بهدوء السنين التي تبقّت لي. اختفي من الشين

بيت. جيد لي هنا. هادىء. أعيش حياتي بخوف قليل ومتواضع. أنا أكره اليهود. أكره العرب. اكره الصيني. اكره الزنوج. أنا لاسامٍ . عنصري. فاشي. نازي. ارسم صلباناً معقوفة مرة كل اسبوعين على معابد يهودية؛ وأيضاً على مساجد. اللعنة على الشرق الاوسط؛ افريقيا؛ آسيا؛ أريد ان اعيش حياتي. أريد ان أكون انساناً» (ص ٥٦).

في القطعة المعنونة بـ «السلام»، جلس شخصان يتحدثان عن السلام وسخرا من السلام البعيد. وانتهى هذا العمل المسرحي الجميل، والواقعي، والساخر الى درجة الضحك والبكاء والصراخ، على نحو استفزازي لاصحاب الضمائر، بنشيد «مربعات في المقبرة»، مردداً انباء الموتى والقتلى من الحرب غير العادلة التي تقوم بها الحكومات في اسرائيل.

«ملكة الحمّام»

«ملكة الحمّام» استعراض ساتيري بقسمين دار حول جلوس الاخوة في ظل المدافع، عرض، أول مرة، في نيسان (ابريل) ١٩٧٠. ولقد أثارت هذه المسرحية عاصفة شعبية من الغضب، ورافقت عرضها أعمال شغب ايضاً. بعد ذلك، قررت ادارة المسرح ان توقف العرض بعد ١٩ عرضاً فقط.

في المقطع الاول من المسرحية المعنون بـ «المقابلة»، التقى مذيع ومجموعة من الشبان الاسرائيليين ليسألهم عن العلاقات مع العرب، ليتضح له مدى البلبلة المنتشرة بسبب الحروب والاحتلال.

في نشيد «جماعة بخير»، سخر ليفين من اولئك الناس الذين يرون ان كل شيء بخير، فكتب: «نحن جماعة بخير. جماعة بخير تماماً. جيل يذهب، وجيل يأتي، ونحن نقف دائماً.

«نحن جماعة بخير. جماعة بخير تماماً. اصبع في المؤخرة ونشيد في الحنجرة؛ لأنه جيد، نتن وحار» (ص ٦٥).

في مقطع «المغازلة»، فضح ليفين المستفيدين من الحرب. وفي القطعة «شلوتسكي وفتسلوكس»، تحدثت والدتان عن ولديهما ومدى صدق اقوالهما وافعالهما، فدخل النبي ايليا، بعد سماع اقوالهما، واخبرهما بأن ولديهما يخدمان الدولة بحياتهما.

في نشيد «قابلت مدفعاً خجولاً»، سخر ليفين من الانسان الذي يقف وراء المدفع ويتحوّل الى جزء من المدفع. امّا في نشيد «كان ذلك في الثالثة من العمر»، فقد حكى الكاتب عن احلام العمر الضائعة على لسان طفلة صغيرة.

في مقطع «ذبابة»، سخر الراوي من كونه ليس ذبابة وانما هو بشر عادي جداً. وفي نشيد «الغيتو الخاص بي»، قدّم ليفين صورة عميقة لوضع هذه البلاد التي تشبه الغيتو الى حد بعيد: «حينما حملت في رحم أمي تسعة شهور مقلوباً على رأسي، كان هذا هو الغيتو الخاص بي؛ غيتو مرّ؛ غيتو حلو؛ غيتو كريه؛ غيتو اثير؛ غيتو خرجت منه لكي أعود.

«بعدما خرجت الى هواء العالم، قالوا لي ان انفي مغاير لكل انوفهم؛ وكان هذا هو الغيتو الخاص بي.

«غيتو مرّ؛ غيتو حلو؛ غيتو كريه؛ غيتو اثير؛ غيتو خرجت منه لكي أعود.

«مع انف كأنفي وذيل من وراء؛ من ضوء الشمس فتشت عن مخبأ؛ وكان هذا هو الغيتو

الخاص بي.

«غيتو مرّ؛ غيتو حلو؛ غيتو كريه؛ غيتو اثير؛ غيتو خرجت منه لكي أعود.

«مضت سنون والآن أمسي واضحاً: لا ذيل لي؛ والانف على أحسن ما يكون؛ لكن الغيتو الخاص تبقّى لي.

«غيتو مرّ؛ غيتو حلو؛ غيتو كريه؛ غيتو اثير؛ غيتو خرجت منه لكي أعود.

«لأنه بعد زمن طويل جداً، اذا شئت الصراحة، بدأت استلطف الغيتو قليلاً؛ ذلك هو ما كان الغيتو الخاص بي.

«غيتو مرّ؛ غيتو حلو؛ غيتو كريه؛ غيتو اثير؛ غيتو خرجت منه لكي أعود.

«وذات يوم، حين تحين ساعتي لأتمدد مضطجعاً وساكناً على ظهري؛ حينئذٍ، أعود الى الغيتو الخاص بي.

«غيتو مرّ؛ غيتو حلو؛ غيتو كريه؛ غيتو اثير؛ غيتو خرجت منه لكي أعود» (ص ٧٣ ـ ٧٤).

في قطعة «المكتبة الوطنية»، تحدّث السائق الى السائح عن المكتبة الوطنية المتمثلة بعلبة الثقاب، فذهل السائح، ثمّ أخفى السائق العلبة في جيبه كمن يخفي المكتبة في جيبه. وفي «تشمبلولو»، دار حوار لطيف بين غولده وزئيف وتشمبلولو. كالعادة ، استغل ليفين أي حوار عادي ليستخرج منه المضحك والمؤسي في آن.

في نشيد «الاخوة تشمبلولو» سمعنا ما يلي: «نحن الاخوة تشمبلولو؛ نحن نسقط على الرأس؛ نسقط بهدوء؛ في الحياة سيّئون وبلا أمل. لأننا الاخوة تشمبلولو، نحن نسقط على الرأس.

«مرة كل عشر سنوات، نشن حرباً؛ ولحظة واحدة، وصغيرة، وعابرة. نحن معكم كتفاً الى كتف. لأننا نحن الاخوة تشمبلولو، نسقط على الرأس.

«بعد ذلك نعود (ليس كلنا، طبعاً)، انتم الى هنا ونحن الى هناك؛ ورمل كثير يغطي الدم. لأننا نحن الاخوة تشمبلولو، نسقط على الرأس» (ص ٧٩).

في «سمطوخا»، تناقشوا عن العربي وأظهروا مدى الامتهان الحاصل للعربي. وفي شنيد «لحظات جميلة» يعـزّيهم الاله الطيب بموتى جدد يومياً. وفي «الوصايا العشر» تُسْتَرَد الوصايا العشر لأجل الوضع الأمني.

امّا في «جلسة الحكومة»، فسخر ليفين من رئيسة الحكومة ووزير البريد والخارجية والاتصالات. وفي نشيد «الوعد»، تلا وزير الدفاع وعوده: «اعدكم بدم ودموع. كلمتي كلمة؛ فاذا ما وعدتكم بدم ودموع، حينئذٍ، يعرف الكل بأن هذا دم ودموع، ناهيك عن الكلام عن العرق.

«بعد قليل سيسوء الوضع جداً. كلمتي كلمة؛ فاذا ما قلت انه سيكون سيئاً جداً، فكونوا على ثقة بأنه سيكون سيئاً جداً، وحتى أسوأ من السيىء.

«دون بصيص أمل تستمرون في العيش. كلمتي كلمة؛ فاذا ما قلت انكم ستستمرون في العيش، اذاً، كم سيعيش؟ لكن لا تسألوا في سبيل ماذا» (ص ٨٨).

في القـطعـة التي تلتها، أسقط ليفين القصة التوراتية (ابراهيم بتقديمه ابنه اسحق ذبيحة)

على الوضع الحالي. وهنا، تمّ تقديم الابناء تضحية لحروب غير عادلة. فما قاله ابراهام لابنه يستحق: «نعم. نعم. هكذا الامر. ماذا يمكن فعله؟ ولدت لكي أكون ضحية. انا ضحية. ما هو المردود الذي تحصل عليه بعد كل الحياة والروح اللتين توظفهما في اولادك؟ لم لا نرقص على الضمير، اذا كان ذلك ممكناً؟» (ص ٩٠).

في نشيد «ابي الغالي، حينما تقف على قبري»، قدّم ليفين صورة عنيفة جداً عن اهوال ومآسي الحرب. قدّم صورة الشاب الذي ذهب الى الحرب ومات ورفض ان يبكي ابوه عليه. انه الجيل الجديد الذي يرفض سجل سياسة الحرب: «ابي الغالي. حينما تقف على قبري، عجوزاً ومتعباً ووحيداً جداً، وترى كيف يدفنون جسدي في التراب، وانت تقف فوقي، يا أبي، لا تقف، عندئذٍ، فخوراً جداً، ولا تعتدّ بنفسك يا أبي، لقد بقينا الآن انساناً مقابل انسان، وهذا هو الوقت المناسب للبكاء يا أبي. اذن، دع عينيك تبكيان على عينيّ، ولا تصمت لأجل كرامتي. امر كان اهمّ من الكرامة، ملقى عند قدميك، يا أبي. ولا تقل انك قدّمته تضحية، لأن من ضحّى هو أنا. ولا تتكلم كلمات عاليات؛ لأني، الآن، جد قصير جداً يا أبي. أبي الغالي، حينما تقف على قبري، عجوزاً ومتعباً ووحيداً جداً؛ وترى كيف يدفنون جسدي في التراب؛ عندئذٍ، أطلب الصفح مني يا أبي» (ص ٩٢).

في مقطع «ملكة الحمّام»، تمّت تعرية الوضع على نحو قاسٍ. وبسخرية مرة، سجّل ليفين حقيقة وثيقة التأسيس التي تقوم عليه هذه البلاد: «امرأة: تحوي وثيقة تأسيسنا الاسس الاربعة هذه:

«(أ) مملكة الحمّام الكاملة هي حقيقة واقعة.

«(ب) كل من يعتقد بخلاف ذلك يخطىء.

«(ج) من يخطىء يوقف في الحال على خطئه.

«(د) مملكة الحمّام الكاملة توقف المخطىء على خطئه في المكان والزمان اللذين تختارهما هي» (ص ٩٧).

امّا في نشيد «المملكة الكاملة»، فقدّم ليفين صورة للبلاد التي تحتل الآخرين، والناس الذين يخسرون اقدامهم لأجل البلاد.

وفي نشيد «العقوا ايها الاخوة، العقوا» كتب: «العقوا ايها الاخوة؛ العقوا؛ العقوا الاصابع التي لم تفقدوها في احدى الحروب، وقبل ان تفقدوا الرأس واللسان ايضاً. العقوا ايها الاخوة؛ العقوا؛ واذهبوا الى البيت للنوم» (ص ٩٩).

في هذا العمل المسرحي الفذّ، قدّم الينا ليفين صورة للبلاد الغارقة في حرب دموية حتى الاستنزاف. ان عظمة المسرح الليفيني في انه يتحدى العام في وقت لم يجرؤ الّا القليل جداً على تحديه. وعظمة هذه المسرحية انها استطاعت ان تقدّم صورة صادقة لواقع الدولة العبرية. وفي نهاية المسرحية، بعد منع العرض، أدلى ليفين بكلمة قاسية وساخرة عن الدوافع التي حدت به الى كتابة مثل هذا النص الصادق والعنيف. هذا العمل المسرحي وغيره من مسرحيات ليفين خلقت مسرحاً سياسياً محرّضاً في البلاد؛ لذا، حرصت الرقابة على ايقاف عرض مثل هذه المسرحيات ذات البعد السياسي التحريضي الواضح.

«الوطني»

عرض هذا العمل الساتيري، أولاً، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٢. وكغيره من مسرحيات ليفين أثار ضجة كبيرة؛ وبعدها، أُنزل، ومنع العرض.

ان بطل مسرحية «الوطني» هو النمط الاول للبرجوازي الصغير الاسرائيلي «القوموي». ساط ليفين هذه الشخصية بلا رحمة، أو شفقة. وهي ـ الشخصية ـ ظهرت عارية بكل تفاهاتها وسخافاتها وانتهازيتها وحلمها الدائم للوصول الى بلاد العم سام، وانتزاع مكان هناك، والاغتناء، حتى لو كان ثمن ذلك تسديد بصقة في وجه الام. «الوطني» هو الذي يهرّب جواهر الى الخارج وعلى استعداد لأن يلعق جزمة الاميركي؛ لكنه، في المقابل، يحاول ان يرغم الفلسطيني على ما يفعله الاميركي به. المعادل لقمع الاسرائيلي هو قمع الفلسطيني. بهذه الطريقة يفرّغ «الوطني» نوازعه القوموية المريضة. والقوموية، هنا، هي التي تعيش على شفا الفاشية، والتي من السهل ان تسقط في شباكها. ومع ذلك، يعيش «الوطني» حلمه الابدي والدائم للوصول الى اميركا، بعد ان يقوم بكل واجباته كانتهازي مريض ومعقّد.

ان الارضية الخصبة في البلاد، والصالحة لانتاج، وافراز، القوموين هي أرضية مناسبة لمثل «الوطني» القوموي. بمعنى آخر، ما دفع القوموي الى الظهور هي الارضية المهيّأة لولادته. بهذا الصدد، كتب الناقد يارون بيكر عن مسرحية «الوطني» ما يلي: «انه لمن الخطأ البصري ان يرى بـ ' الوطني ' نتاج التبهُّم والفاشية، والقمع والاحتلال. انه، ذاته، في عدم الراحة الدائمة والمستديمة وبالخوف الذي يؤرجحه، يستعمل كضحية لتلك السيرورات. لكنه من المؤكد انه النموذج الذي يمثّل الفرد داخل المجموع السائر وراء تيار فاشي، والذي قد يشكل قاعدة جماعية لفاشية في اسرائيل. ليفين لم يقسُ كثيراً على بطله البرجوازي الصغير، كما فعل في مسرحياته الاخرى. ولكن الارضية الاجتماعية ـ السياسية تحظى باهتمام سريع»[٦].

ان الحالة السياسية (الصهيونية) التي ولّدت مفاهيم شاذة في البلاد ادّت بليفين الى ان يتبنّى مواقف حادة جداً تجاه الوضع العام: «يهزأ حانوخ ليفين من جنون العظمة الاسرائيلية، الذي هو وجه العملة الثاني لتملق الاسياد في واشنطن». عند ليفين، جيش الدفاع الاسرائيلي «يقيم النظام في تشيلي، يحرق المعامل الذرية في كازاخستان، ويهبط في البانيا، لئلا يضطر اولاد نتانيا الى النوم في الملاجىء. ومهمة وزير الخارجية الاسرائيلية هي المداهنة والرياء للنظام الاميركي»[٧].

السؤال الذي يتردد في اثناء مشاهدة المسرحية، هو: ما هي هذه الدولة (اسرائيل)؟ هل هي خادمة خنوعة للعم سام؟ وتركّز موضوع الصراع الاسرائيلي ـ العربي باحتلال المناطق المحتلة وقمع الفلسطينيين واذلالهم. العربي في «الوطني» ذليل الى درجة انه يظهر بمظهر الكاريكاتور المهان. فالسلطة والقوة لا ترحمانه، بل تعملان على اذلاله كل يوم. بهذا الصدد، كتب الناقد بيكر ما يلي: «غضبت الرقابة جداً من هذا العرض. وصاغت الشاعرة داليا رابيكوفيتش دوافع هذا الغضب على نحو دقيق بقولها: ' هم ـ الاسرائيليون ـ مستعدون لأن يعيشوا على الرغم من قتل ولد عربي في الضفة، لكنهم لا يستطيعون رؤية ذلك على المسرح ' »[٨].

القيمة الاساسية، الحرب وافرازاتها، تكررت في أعمال ليفين المذكورة. لكن الرؤية، هنا، تكتمل وتزداد شمولية؛ اذ ان الامر لم يعد مقصوراً على احتلال فلسطين، بل تبعه اجتياح لبنان. لذا، نرى ان العمل المسرحي في «الوطني» يحتد ويأخذ طابعاً عنيفاً جداً، الى درجة ان وسائل الاعلام

تحدثت عن هذا العمل الكثير؛ كما ان ليفين تحوّل الى ظاهرة مسرحية كبيرة ذات رؤية شاملة تستدعي الاهتمام.

في المقطع الاول من «الوطني»، نلتقي بشخصية لاهف، البرجوازي الصغير الطامح الى تدمير كل شيء لمصلحته. في «حياة كهذه»، قال لاهف، في النهاية: «من لي حتى اراه؟ كلهم لصوص! انت ايضاً! بالتأكيد سرقتني حين ادخلتني الى الظلمة! كلكم لصوص! كل من يعيش هنا اخذ مني! الدكان يلفظ أنفاسه؛ أنا اعمى؛ دم يخرج من انفي. هذه حياة كهذه؟ حروب، مفهومة، لكن لصوصاً؟! هؤلاء يهود؟! هذه دولة؟! ليلنبلوم؛ الجليل ليلنبلوم؛ النقب ليلنبلوم؛ الكيبوتسات ليلنبلوم؛ رياض الاطفال ليلنبلوم؛ سلاح الجو ليلنبلوم؛ السماء ليلنبلوم؛ كل اليهودية ـ ليست من جبل سيناء ـ من ليلنبلوم!

«ليلنبلوم، ليلنبلوم، ليلنبلوم وبيننا روزنبلوم! لا يوجد مكان واحد حيث يستطيع انسان مستقيم ان يفتح فيه حانوتاً دون ان يسرقوه. ايها السادة، انا مهاجر من هنا الى اميركا!» (ص ١٠٧).

في نشيد «الابحار السعيد»، تمّ الاستعداد للسفر الى اميركا، بلاد الحلم الجميل. وفي «صداقة» رأينا ان وزير الخارجية يودّ السفر الى اميركا، فتذلل للسفير الاميركي، وأكد له السفير الاميركي انه في حالة اذا ما اعتدت روسيا عليهم (اسرائيل)، فان اميركا ستضع باقة ورد على قبورهم.

في قطعة «البصقة»، التي هي من أعنف القطع، رأينا ان ثمن السفر الى اميركا غالٍ جداً، الى درجة ان القنصل طلب من لاهف ان يبصق على أمه لكي يسافر، ففعل لاهف ذلك مؤكداً للقنصل حسن استعداده للتخلي عن كل شيء في سبيل السفر. ليفين، في هذه القطعة، أكد لاانسانية لاهف والذل الذي يذوقه من اجل ارضاء اميركا.

في نشيد «حب شرقي»، أنشد محمود، الذي يعمل في تنظيف المراحيض، عن حاله وأوضاعه. فأميركا تذل لاهفاً الى أقصى الحدود، ولاهف يذل محموداً. امّا في «تعليمات أمنية في المناطق المحتلة» فكل شيء يحذر وينذر من «المخرّب». وفي قطعة «اجارة»، بارك رئيس بلدية في المناطق المحتلة الاحتلال بسخرية. وفي دستور «الاستقلال الكلاسيكي»، سخر من الاستقلال مقابل الموت. وفي «الرفسة»، جاء لاهف لشراء قطعة من المناطق المحتلة. وللحصول على الارض، عليه ان يرفس محموداً الذي يلمّع له حذاءه. لكن محموداً يبدو لطيفاً جداً، فحرمه المسؤول عن الاراضي من الارض، الى ان رفس لاهف محموداً وحصل على الارض.

امّا في قطعة «شموع السبت»، فقد فكّر لاهف باستقبال نهار السبت مع الوضع التعيس القائم. لقد سعى الى الراحة، مع ان الوضع العام يناقض ذلك. وتلتها القطعة الغنائية «عن اخينا يعقوب» التي دارت حول موضوع القتل في المناطق المحتلة، وما فعله المستوطنون هناك. وفي «الذكريات»، ودّع لاهف البلاد هنا ببصقة. وفي المقطع المضحك «التفلين»، التقى ريخمان، بائع التفلين، ولاهف في المطار، ودار فيما بينهما حوار ممتع. وفي «التجنيد» حيل دون سفر لاهف واقتيد الى حرب جديدة. وفي «الموت على التلة»، اخبر القائد لاهفاً بأن الموت رابض قبالتهم على التلة. وفي المقطع الساخر جداً «قبل كأس النخب»، التقى لاهف مع الله الذي سامحه على كل اخطائه. لكن لاهفاً احتل كرسي الله وطلب منه تغيير العالم الذي خلقه بدلاً من قراءة اسبينوزا. وفي القطعة «اذهب بعيداً»، التقينا بالجماهير المطالبة بتأشيرة مرور أمام القنصلية الاميركية وضياع اليهودي ثانية. وفي المقطع ما بعد انزال، ومنع، العرض، عاود ليفين كتابة مقطع ساخر عن الرقابة والوضع العام.

كلمة أخيرة

هل هنالك كلمة أخيرة تفي حق هذا المسرحي؟ بالطبع لا. لقد آثرت في هذه المقالة الاستعراضية ان لا اقدّم دراسة نقدية، او فكرية، بقدر ما آثرت ان أقدم صورة لعالم هذا المسرحي الفذّ، مستعيناً، حيناً، ببعض النصوص المسرحية، وأحياناً ببعض الشروحات والتفاسير التي تسهم في اغناء، وتوضيح، عالم هذا المسرحي. وقد تكون هذه المقالة حافزاً على ترجمة نصوص لليفين الى العربية. فلحدّ علمي، لم يترجم أي من نصوصه الى العربية حتى الآن.

اضافة الى ذلك، يجب الاشارة الى ان هذه المقالة السريعة، ليست الّا تقديماً لدراسة شاملة عن عمل هذا المسرحي الكبير. وقد تشكّل المقالة نواة صغيرة لدراسة كبيرة تصبو الى التعريف أكثر بعمل هذا الكاتب. ففي أعمال ليفين التالية (لم نتطرق الّا لأعماله الاولى)، أخذ الرمز والاستعارة والاساليب الفنية العالية تحل محل المباشرة، واختفت الحدة العلنية لتحل محلها الحدة المضمرة في بُنى النص التحتية.

لقد استطاع ليفين ان يخلق في «انتِ وأنا والحرب المقبلة» و«كطشوب» و«ملكة الحمّام» جهاز نقد سياسي. وفسّر الناقد كلدرون الامر بأنه يتركّز بالخداع، والالم الذي يتركه على الفرد. و«لا خيار»، لعدم نشوب حرب، هي الكذبة الكبرى التي كان على ليفين ان يعرّيها، لأنها هي الخداع الذي كان الساسة يبرّرون به حروبهم[٩].

ان كذب «اللامناص» من الحرب، او حالة «اللاخيار»، عرّاهما ليفين في مسرحه. لقد تشكّلت ظاهرة ليفين الانتقادية ضمن سياق البلاد الحربي. ولم يجد ليفين بدّاً الّا ان يعرّي، ويهاجم، الجهاز الذي يدفع بالناس الى الحرب الضروس. لذا، يتحدث الكثيرون، اليوم، عن ان ليفين استطاع ان يسبق الاحداث في احيان ويتوقعها؛ كما ان اقواله ما زالت تكتسب مصداقيتها من الواقع الذي نعيشه. لذا، تتميّز الظاهرة الليفينية بقدرتها على الرؤية والرؤيا وبانتقادها لطبيعة الحياة العسكرية[١٠].

ان علاقات الاشخاص في مسرح ليفين تبنى على أساس القوي والضعيف، وحلم الفرد بالوصول بالتسلط. قد ينبع هذا الحلم من الوضع الذي يعيشه شخوص مسرحه. انهم حالمون بالافضل، وعلى استعداد لاذلال الآخر اذا ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً. لقد كتب كلدرون عن علاقة السلطة بمسرح ليفين ما يلي: «لقد انزلوا بصرخات ' ملكة الحمام' لأن امكانية عدم صدقهم اخافتهم. انهم يتألقون من الراحة في ' تجّار المطاط' ؛ ذلك لأنه، هناك، لا يوجد غير صادقين، كلهم في الهوا سوا»[١١].

لقد استطاع ليفين، بجرأة نادرة، في أواخر الستينات، ان يقف ضد «الاجماع القومي» ويعلن ان الاحتلال مسبّة وعار لا بد من التخلّص منه بأسرع ما يمكن. ولقد وظّف كل قدراته المسرحية ليؤكد ان امكانية الحياة مع الاحتلال هي امكانية مجنونة، واليوم يتأكد الامر أكثر فأكثر.

ولم يكتف ليفين بذلك، بل استفز، بعد اجتياح اسرائيل للبنان سنة ١٩٨٢، وكتب مسرحية «الوطني»، التي ازعجت السلطات وبعض الجمهور، لأنها ضربت على نغمة «اللااجماع القومي» ثانية.

في مجموع الاصوات الادبية العبرية الشابة، يظل حانوخ ليفين من أهمّ الاصوات، ان لم يكن أهمها. مسرح ليفين واسع وشامل. ويصعب حصر انتاج هذا المسرحي في مقالة، لا سيما وان

مسرحه لم يترجم الى العربية. فظاهرة ليفين تتعدّى اطار المسرح (والادب) العبري. انها ظاهرة كبيرة جداً. ان استفادة ليفين من بريخت واضحة. لكنه، والحقيقة تقال، استطاع تجاوز مرحلة التأثر وبناء صرح ليفين الذاتي، الذي ما زال يواصل العطاء.

---

(١) حانوخ ليفين مسرحي وكاتب وشاعر. ولد في تل ـ أبيب سنة ١٩٤٣. له ما يربو على العشرين مسرحية مع مجموعة قصصية معنونة بـ «المريض الابدي والعشيقة». في هذه المقالة، اعتمدنا على مسرحياته المجموعة في كتاب **ماذا يهم العصفور**، تل ـ أبيب: سفري سيمان قريئاه، هوتسآت هكيبوتس همئوحاد، ١٩٨٧.

(٢) دان ميرون، **دفتر ملاحظات مفتوح**، تل ـ أبيب: سفريات بوعاليم، ١٩٧٩، ص ٦١.

(٣) اوري راب، «كل السيادة يجب ان تُرى»، **هآرتس**، ١٩٧٤/٩/٦.

(٤) يارون براك، «اسرائيل أخرى؛ انعكاس الواقع الاسرائيلي على المسرح السياسي، **عراخيم**، الرقم ١، ١٩٨٤/٢/١١، ص ٨.

(٥) ميخال هندلزلتس: «الواقع غريب عن الساتيره»، **هآرتس**، ١٩٨٧/٦/١٩.

(٦) براك، **مصدر سبق ذكره**، ص ٨.

(٧) **المصدر نفسه**، ص ٨ ـ ٩.

(٨) **المصدر نفسه**، ص ٩.

(٩) نسيم كلدرون، **ضمن سياق سياسي**، تل ـ أبيب: الكيبوتس الموحّد، ١٩٨٠، ص ٤٧.

(١٠) في هذا المجال، تصلح المقارنة بين مواقف ليفين ومواقف المفكر يشعياهو ليفوفيتش.

(١١) كلدرون، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥.

في ذكرى «يوم الارض»

مهرجانات وصدامات

جاءت الذكرى السنوية الرابعة عشرة لـ «يوم الارض» والانتفاضة الشعبية الفلسطينية في المناطق المحتلة ماضية في عامها الثالث بمزيد من التصميم على الاستمرار حتى احقاق الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني في العودة والاستقلال واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على ارض الوطن، محطّمة بذلك حسابات حكام اسرائيل كافة حول قرب نهايتها، أو تراجعها. فازدياد عدد الشهداء والجرحى والمعتقلين هو مقياس ليس فقط على تفاقم وحشية قوات الاحتلال، بل، ايضاً، على استمرار زخم هذه الانتفاضة الباسلة.

في المقابل، فان هذه الذكرى المجيدة تأتي والمؤسسة السياسية الحاكمة في اسرائيل تواجه أزمة حكم تحدث لأول مرة في تاريخ اسرائيل على أرضية القضية الفلسطينية، وتحديداً بتأثير الانتفاضة وهجوم السلام الفلسطيني، اللذين وضعا اسرائيل وحكامها في مأزق يتفاقم يوماً بعد يوم. ودون الوقوع في الاوهام بشأن مواقف الحزبين الرئيسين في اسرئيل، ومدى الخلاف فيما بينهما، وبخاصة في القضايا المفصلية ذات العلاقة بالقضية الفلسطينية، لا سيما قضية حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والدولة الفلسطينية المستقلة، وتمثيل م.ت.ف. للشعب الفلسطيني دون منازع، والانسحاب من على الاراضي الفلسطينية، والعربية، كافة التي احتلتها القوات الاسرائيلية في العام ١٩٦٧، فان مجرّد الخلاف فيما بينهما، ونشوء الازمة الوزارية حول كيفية التعامل مع القضية الفلسطينية، هو شاهد على جدوى الانتفاضة وهجوم السلام الفلسطيني.

وتكتسب هذه الذكرى معنى خاصاً، ايضاً، حيث تسلّط الاضواء على قضية هجرة اليهود السوفيات من جديد، على قاعدة الصراع بين الشعب الفلسطيني وبين الحركة الصهيونية وحكّام اسرائيل، وهو الصراع على أرض الوطن، وحمايته، واحباط المساعي المحمومة لتوطين المهاجرين الجدد في المناطق المحتلة، وما يرتبط بمثل هذه المساعي من مشاريع الترحيل لبقية ابناء الشعب الفلسطيني من وطنه.

فمنذ قرن ونيف، يدور الصراع الفلسطيني ضد الحركة الصهيونية ـ الاستيطانية ـ العنصرية على قاعدة استيلاء المهاجرين اليهود على الارض، بشتى الوسائل، واقامة المستوطنات عليها، مع ما حملته هذه العملية الاستيطانية، طوال الفترات السابقة، من تطوّرات نوعية، منها اقامة دولة اسرائيل وتشريد ابناء الشعب من وطنهم ومصادرة هويتهم الوطنية.

وفي هذا السياق التاريخي، تطوّر الصراع على الارض، سواء في المناطق التي احتلت في العام ١٩٤٨، أو في تلك التي احتلت في العام ١٩٦٧. ففي المناطق التي احتلت في العام ١٩٤٨، تمّت عمليات السلب ومصادرة الاراضي على ثلاث مراحل:

المرحلة الاولى، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٨: في السنوات الاولى من قيام اسرائيل، أقرّت الحكومة الاسرائيلية مجموعة من الاوامر والقوانين وأنظمة الطوارىء من بينها: ١ ـ انظمة حالات الطوارىء (١٩٤٨) لاستصلاح الاراضي البور؛ ٢ ـ قانون املاك الغائبين (١٩٥٠) واقرار الوضع القانوني لاملاك الغائبين الذين رحّلوا عن البلاد ونقلها الى أيدي القيّم على املاك الغائبين الذي عيّنته السلطات الاسرائيلية؛ ٣ ـ قانون شراء الاراضي (١٩٥٣) الذي يتناول موضوع اقرار الانشطة والتعويضات، وقد سرى مفعوله على الاراضي التي

خصّصت لاحتياجات التطوير الحيوية، او للاحتياجات الامنية. واستناداً الى هذا القانون اشترت مصلحة التطوير من القيّم على املاك الغائبين مساحات شاسعة من الاراضي، ومساحات اخرى تمّت مصادرتها من الغائبين ـ الحاضرين، حيث بلغت مساحات الاراضي المصادرة ٣٠٠ الف دونم.

المرحلة الثانية، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٨: خلال هذه الفترة، قامت السلطات الاسرائيلية، وبذرائع مختلفة، بمصادرة ٧٥٠٠ دونم، من اجل اقامة «نتسريت عاليت» (الناصرة العليا) ومدينة كرمئيل. وقد تمّت المصادرة وفقاً لأوامر استصلاح الاراضي البور والشراء من اجل المصلحة العامة. وفي الاتجاه ذاته، قام الكيرين كاييمت (صندوق اراضي اسرائيل) بشراء الاراضي من العرب؛ اذ بلغ مجموع ما تمّ شراؤه، خلال تلك الفترة، ١٨٧٠٠ دونم. وفي أعقاب عمليات المصادرة تلك، حدث غليان بين صفوف السكان العرب في اسرائيل. غير ان موجة الغليان اخذت الطابع الاحتجاجي العام والمحلي، ولم تأخذ طابع العنف والشمولية.

المرحلة الثالثة، ١٩٦٨ ـ ١٩٧٨: خلال هذه المرحلة، أقرّت السلطات الاسرائيلية مصادرة عشرين الف دونم من اراضي الجليل، بهدف تغيير التوازن الديمغرافي فيه لصالح اليهود (تهويد الجليل). وقد ركّزت خطة المصادرة على مناطق الناصرة، وعكا، ومجدل الكروم، وصفد. ومن بين الاراضي التي خضعت للمصادرة: ٨٠٠٠ دونم املاك دولة؛ و٦٣٠٠ دونم املاك للعرب؛ و٤٤٠٠ دونم لليهود؛ و١٤٠٠ دونم في اطار مسار تسوية الاراضي. وخلال هذه المرحلة، ورداً على هذه الاعمال، تصاعد الغليان في الشارع العربي، ووقعت أول مواجهة عنف في الثلاثين من آذار (مارس) ١٩٧٦، التي ذهب ضحيتها ستة شهداء من أبناء الجليل (موشي غباي، «العرب في اسرائيل، قضية هوية»، **معهد الدراسات العربية**، الرقم ٥٠/٦٢٢ ـ ٠٠٦٦، الطبعة الثانية المعدّلة، أيلول ـ سبتمبر ١٩٨٤).

التحضيرات لاحياء الذكرى

في إطار الاستعدادات لاحياء الذكرى الرابعة عشرة لـ «يوم الارض»، قرّرت الادارة العامة للجنة القطرية للدفاع عن الاراضي الدعوة الى اعلان الاضراب العام، والشامل، للجماهير العربية الفلسطينية في اسرائيل، يوم الجمعة، في الثلاثين من آذار (مارس) ١٩٩٠. ودعت اللجنة سائر الهيئات الشعبية والقوى الوطنية كافة الى تأييد هذا القرار، والتجنّد لانجاحه، والقيام بنشاطات محلية في المدن والقرى العربية.

وفي أعقاب هذا القرار، اجتمعت اللجنة التحضيرية لاحياء الذكرى وأصدرت بياناً أوضحت فيه الاسباب الداعية الى اتخاذ هذا القرار، شارحة الاوضاع القاسية التي يعاني منها المواطنون العرب في ظل سياسة نهب الاراضي، وتعميق التمييز العنصري، وفرض الحصار على المدن والقرى العربية، للحؤول دون تطوّرها الطبيعي والشرعي. وجاء في البيان الذي أُصدر في هذه المناسبة: «يوم الجمعة المقبل تحل الذكرى الرابعة عشرة لـ 'يوم الارض' الخالد؛ وتحل هذه الذكرى المجيدة هذا العام وقد تفجّرت أزمة الحكم في اسرائيل وسقطت حكومة الوحدة الوطنية (حكومة شامير ـ رابين) تحت ضغط العوامل التي حرّكتها انتفاضة الشعب الفلسطيني الباسلة.

«لكن أوساط الحكم هذه تواصل وقوفها في وجه رياح التغيير التي تجتاح عالمنا، فتواصل احتلالها وممارساتها الوحشية ضد أبناء الشعب الفلسطيني؛ كما تواصل سياسة الاضطهاد، وسلب الاراضي، وهدم البيوت، والتمييز القومي تجاه ابناء الشعب الفلسطيني في اسرائيل... [وتجاه] هذا كله، والتصدي لكل هذه المظالم موحّدين، اقرّت لجنة المتابعة العامة لشؤون المواطنين العرب، وبتوصية من اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي ومن اللجنة التحضيرية... احياء ذكرى 'يوم الارض' هذا العام، ايضاً، باعلان الاضراب الشامل من قبل الجماهير العربية في مواقعها كافة، يوم الجمعة، في الثلاثين من آذار (مارس) الجاري». ووفقاً للبيان، ستنظّم، في اليوم عينه، ثلاثة مهرجانات شعبية: ١ ـ مهرجان شعبي لمواطني الجليل يعقد في عرّابة البطوف، تسبقه، وتصبّ فيه، مسيرة شعبية تنطلق من سخنين ومسيرة شعبية من دير حنا؛ ٢ ـ مهرجان شعبي في الطيبة لمواطني المثلث ويافا واللد والرملة، تسبقه مسيرة شعبية؛ ٣ ـ مهرجان شعبي في بلدة راهط لمواطني النقب.

كما دعا البيان جماهير الشعب الفلسطيني لجعل هذه الذكرى الخالدة يوماً آخر للتضامن مع انتفاضة الشعب الفلسطيني وتشديد الكفاح، سوية مع القوى الديمقراطية والعقلانية اليهودية، لتصفية الاحتلال واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة بقيادة م.ت.ف. في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، وعاصمتها القدس العربية المحتلة (**الاتحاد**، حيفا، ٢٣/٣/١٩٩٠).

وفي السياق ذاته، أصدرت اللجنة التحضيرية لـ «يوم الارض» مجموعة من الشعارات الوطنية المناسبة لمعركة الجماهير العربية في هذه الظروف، والتي تعبّر عن وحدة مواقف جميع القوى والتيارات السياسية والجماهيرية. وكانت لجنة المتابعة لشؤون الجماهير العربية واللجنة التحضيرية قرّرتا الاتفاق على جملة الشعارات التي يلتزم بها كل الاطراف، والتي يشكّل الخروج عليها خرقاً للوحدة الكفاحية في هذا اليوم الخالد، منها ما يلي: «عاشت الذكرى الـ ١٤ لـ ' يوم الارض ' الخالد»؛ «عاشت ذكرى شهداء ' يوم الارض ' الابرار»؛ «لتتوقف مصادرة الاراضي العربية»؛ «المساواة ولا أقل من المساواة»؛ «اوقفوا هدم البيوت العربية»؛ «العمل للعمّال، لا للاستيطان والاحتلال»؛ «من اجل الغاء القانون الذي يمنع اللقاءات مع ممثلي م.ت.ف.»؛ «لا لسياسة ابعاد الوطنيين من فلسطين المحتلة»؛ «شُلّت يد القتلة المحتلين في فلسطين المحتلة»؛ «لا سلام بدون الدولة الفلسطينية المستقلة وبدون م.ت.ف. وبدون المؤتمر الدولي»؛ «الانتفاضة ستنتصر»؛ «علم فلسطين سيرتفع فوق القدس العربية»؛ «ليتوقف توطين المهاجرين اليهود في المناطق المحتلة»؛ «لن نقبل ان تكون الهجرة اليهودية على حساب الاراضي العربية والعمّال العرب» (**المصدر نفسه**، ٢٩/٣/١٩٩٠).

اجراءات وقائية اسرائيلية

استعداداً لمواجهة الاحتفالات والمسيرات، وتحسّباً لوقوع صدامات خلال الاضراب في الجليل والمثلث والنقب الذي دعت اليه اللجنة التحضيرية ونداء القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة الرقم ٥٤، وكذلك نداء منظمة الحركة الاسلامية (حماس)، انتشر آلاف من رجال قوات الامن الاسرائيلية، بينهم ٥٦٠٠ رجل شرطة وحرس حدود، تساندهم طائرات مروحية وطائرة خفيفة وطائرة بدون طيّار تقوم بارسال الصور المباشرة الى غرفة العمليات، منذ صباح الثلاثين من آذار (مارس)، في الجليل والمثلث والنقب، وفي القدس والمناطق المحتلة، بهدف الحؤول دون وقوع أعمال عنف خلال الاحتفالات. كذلك اعلنت السلطات العسكرية الاسرائيلية الضفة الفلسطينية منطقة عسكرية مغلقة، وفرضت حظر التجول على قطاع غزة بأكمله منذ ٢٩/٣/١٩٩٠ الى ١/٤/١٩٩٠. هذا بالاضافة الى التعزيزات العسكرية الكثيفة التي استجلبت الى المناطق المحتلة، ووضع حواجز التفتيش عند مداخل المدن والقرى. كما أفادت مصادر عسكرية اسرائيلية رسمية بأن الجيش الاسرائيلي سوف يقرّر، وفقاً للضرورة، الوسائل التي ينبغي اتباعها للمحافظة على النظام العام (**دافار**، ٣٠/٣/١٩٩٠). كذلك أكدت صحيفة «يديعوت احرونوت» (٢٨/٣/١٩٩٠) عقد جلسات تنسيق بين أجهزة الجيش والامن والشرطة، من أجل القضاء على الانشطة الوطنية التي سيقوم بها الفلسطينيون في ذكرى «يوم الارض». وأشارت الصحيفة الى ان القادة المجتمعين، في الجلسات المشار اليها، تلقوا أوامر بالردّ الفوري، والحازم، على أية محاولة «لخرق النظام العام».

وفي الاطار ذاته، صرّح رئيس الاركان الاسرائيلية، الجنرال دان شومرون، بأنه سوف يتخذ الاجراءات المطلوبة كافة، للحؤول دون ممارسة الفلسطينيين لأنشطة عنيفة في هذه المناسبة، مؤكداً انه أشرف، شخصياً، على التحضيرات الامنية كافة. امّا رئيس الاركان الاسرائيلية الاسبق، الجنرال (احتياط) عضو الكنيست زعيم حركة تسومت اليمينية، رفائيل ايتان، فقد وجّه نقداً شديداً الى أساليب «الليونة» التي تتعامل بها اجهزة الامن الاسرائيلية مع المواطنين العرب في مثل هذه المناسبة. وقال، في اجتماع لـ «جبهة أرض ـ اسرائيل»، في رمات يشي: «اذا كنّا شعباً جدياً وسليماً، فينبغي ان يكون الغد يوم احتفالنا بيوم الارض. فبدلاً من ان يجلس السكان العرب داخل بيوتهم وهم يرتعدون من الخوف، نقوم بتذكيرهم، منذ نصف عام، بذكرى يوم الارض، ونطلعهم على اعداد رجال الشرطة الذين سوف يتواجدون، وعلى أي الشوارع سوف تغلق!» (**معاريف**، ٣٠/٣/١٩٩٠). ومن

الجدير ذكره، ان ايتان هذا هو بطل مجزرة «يوم الارض» في العام ١٩٧٦، حين كان يشغل منصب قائد المنطقة الشمالية؛ وبأمر منه وقعت المجزرة التي ذهب ضحيتها ستة شهداء من ابناء قرى الجليل. وهو الذي امر بفرض حظر التجول على منطقة سخنين للمرة الاولى منذ الغاء الحكم العسكري (**حداشوت**، ٣٠/٣/١٩٩٠).

من جهة أخرى، رأت الشرطة الاسرائيلية ان وقوع الذكرى في يوم الجمعة، الاول من شهر رمضان، امر خطير، من شأنه ان يزيد التوتّر في هذه المناسبة؛ لذا، قامت باتخاذ اجراءات لتحديد دخول المصلّين الى المسجد الاقصى، ووضعت ما يزيد على ١٥٠٠ شرطي وفرق خيّالة وقوات خاصة على أهبة الاستعداد. كذلك حدّدت دخول السكان العرب من المناطق المحتلة الى مدينة القدس العربية (**دافار**، ٣٠/٣/١٩٩٠).

وترافقت تلك الاجراءات مع استمرار حملات الاعتقال والاستدعاء الى مقارّ الحكام العسكريين، التي طاولت مئات الشبان، وبخاصة اولئك الذين تمّ تسليمهم بطاقات هوية خضراء (من الذين سبق ان اعتقلوا). وفي هذا السياق، تمّ استدعاء ١٦٠ مواطناً من مخيم الدهيشة وحده، لمراجعة الادارة المدنية في منطقة بيت لحم؛ كما قامت بحملة اعتقالات احترازية في قرية عرّابة البطوف في الجليل (**الاتحاد**، ٢٨/٣/١٩٩٠).

من جهة أخرى، قال رئيس مجلس محلي كفرمندا الناطق باسم لجنة رؤساء المجالس المحلية العربية في لجنة المتابعة العليا، محمود زايدات: «نأمل [في] ان يبدي الجمهور العربي هذا العام، ايضاً، انضباطاً، لكي نثبت للعالم أجمع ان هناك ضبطاً وربطاً، وانه توجد قيادة للجماهير العربية ذكية ومسؤولة، وكذلك توجد جماهير مسؤولة ومنضبطة، تستطيع المحافظة على الهدوء والنظام وتحترم قيادتها». كما أكد رئيس منبر رؤساء المجالس المحلية العربية في لجنة المتابعة للشؤون العربية، ابراهيم نمر حسين، في النداء الذي أُذيع من صوت اسرائيل باللغة العربية، ان ليس من مصلحة رؤساء المجالس المحلية العربية، ولا مصلحة المواطنين العرب كافة، خرق النظام والقيام بتظاهرات غير قانونية. ودعا حسين الى عدم رفع علم فلسطين (**دافار**، ٣٠/٣/١٩٩٠). امّا رئيس مجلس محلي كفرياسيف، نمر مرقس، فقد قال: «ان الاضراب هو ضد التمييز القومي، وهدم البيوت، واهمال القطاع العربي، ويوم تضامن مع الانتفاضة الشعبية في المناطق المحتلة، ومن اجل اقامة دولة فلسطينية مستقلة بقيادة م.ت.ف. عاصمتها القدس العربية» (**يديعوت احرونوت**، ٣٠/٣/١٩٩٠).

مهرجانات وصدامات

احتفلت الجماهير العربية، في المناسبة، احتفالاً واسعاً ومهيباً. فقد كان الاضراب الوطني العام شاملاً في المناطق كافة باشتراك جميع فئات الشعب. ونقلت وسائط الاعلام الاسرائيلية، والعالمية، صوراً مشرّفة عن الموقف الاجماعي الموحّد. كما تدفق الالوف من وفود لجنة الدفاع عن الاراضي والسلطات المحلية العربية، والهيئات الشعبية والطلابية والجماهير عموماً، الى اضرحة الشهداء، حيث وضعوا اكاليل الزهور وقرأوا الفاتحة على أرواح الشهداء الابرار. وطافت المسيرات الشعبية في الجليل والمثلث والنقب في الساحات العامة، رافعة شعارات «يوم الارض»، معلنة التمسّك بالارض ـ الوطن وبالحق المقدس في المساواة والتطوّر والكرامة الوطنية والانسانية.

مهرجان الجليل ـ عرّابة البطوف

أحيت جماهير قرى ومدن الجليل الذكرى بألوفها المؤلفة في ثلاث مسيرات شعبية ضخمة، انطلقت، على التوالي، من سخنين ودير حنا وعرّابة، لتصبّ جميعها في ساحة المدرسة الثانوية، في عرّابة، حيث أُقيم المهرجان الختامي، بمشاركة جمهور غفير قدّر بثلاثين ألف انسان جاءوا لاحياء الذكرى، وليعلنوا، من خلالها، مجدداً، تمسّكهم بالارض والوطن وعدم المساومة على الحق الشرعي في المساواة والعيش بكرامة، وكذلك تضامنهم مع اخوانهم في المناطق المحتلة، في انتفاضتهم الباسلة، وكفاحهم البطولي، من اجل انهاء الاحتلال واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس العربية المحتلة (**الاتحاد**، ١/٤/١٩٩٠).

افتتح المهرجان رئيس مجلس محلي عرّابة، احمد جربوني، فاستهجن، في كلمته، اقوال الرئيس

الاسرائيلي، حاييم هرتسوغ، حين دعا الى الغاء احياء ذكرى «يوم الارض» بذريعة ان «الدوافع التي ادّت الى اضراب يوم الارض الاول قد انتهت». وأكد جربوني ان شبح المصادرة لا يزال مخيّماً، والامر الذي تغيير هو الاسلوب والجغرافيا. وقد تلاه، في الكلام، عضو الكنيست رئيس بلدية الناصرة، توفيق زياد، فقال: «ان القضية الاساسية التي تواجه جماهيرنا اليوم هي الوقوف موحّدة مكافحة في وجه ضربات السلطة ضد شعبنا في قضية الارض والمساواة والسلام». وأضاف: «مضت سنوات على حكومات اسرائيل وهي موحّدة في ' الاجماع القومي ' ضد السلام مع الشعب الفلسطيني؛ وبدا مستحيلاً ان ترى حكومة تسقط بسبب السلام. وها هي حكومة اسرائيل تسقط في المسيرة التي انطلقت بها الانتفاضة. واليوم، لا يمكن ان تقوم في اسرائيل حكومة وتستقر إلّا على أساس السلام مع الشعب الفلسطيني. فما بدا مستحيلاً بالامس بات طبيعياً اليوم. والامر نفسه يمكن ان ينطبق على قضية الارض والمساواة وكل مسألة حقوقنا. وهذه هي القضية الاساسية التي نضعها نصب أعيننا. هذه هي القضية التي تشغل بال جماهيرنا» (**المصدر نفسه**).

ثمّ تكلم بقية الخطباء عن الحركة الاسلامية والقائمة التقدمية والحزب الديمقراطي العربي، وحركة «ابناء البلد»، فدعوا، جميعاً، الى الوحدة، ونبذ الفرقة، وتحديد العدو المشترك للجماهير العربية (**المصدر نفسه**).

من جهة أخرى، أفادت مصادر صحافية اسرائيلية بأن الاحتفال أُجري بصعوبة، بعد ان فُجّر، عملياً، من قبل اعضاء حركة «ابناء البلد» والحركة الاسلامية، عبر تبادل الضرب والشتائم. فعندما دعي الخطيب الاساسي الى المنبر، عضو الكنيست توفيق زياد، وصلت المكان مجموعة مؤلفة من ٢٠٠ شخص من حركة «ابناء البلد» رافعة اعلام م.ت.ف. تهتف «بالدم بالنار نفديك يا فلسطين»، مقاطعين زياد بكلمات نابية، ولم يتوقفوا حتى صعد الشيخ كمال الخطيب الى المنصّة وقال: «الشتائم ليست من شيم المسلمين، ولا من طابع حركتنا الاسلامية. جميعنا فلسطينيون، وأتينا الى هنا من اجل اظهار الوحدة امام الشرطة، وليس لاظهار الانقسام» (**عل همشمار**، ١/٤/١٩٩٠).

مهرجان المثلث ـ الطيّبة

شهدت قرى المثلث اضراباً عاماً شاملاً، ملبّية بذلك قرارات اللجان الشعبية القطرية لاحياء الذكرى. افتتح المهرجان، باسم المجلس المحلي، عبدالرحيم مفلح حاج يحيى. ثمّ تلاه رئيس البلدة المضيفة، رفيق حاج يحيى، الذي دعا الحضور الى الوقوف دقيقة صمت على ارواح شهداء «يوم الارض» وشهداء الانتفاضة. ومن ثمّ ندّد بسياسة السلطات الاسرائيلية تجاه المجالس المحلية العربية، مطالباً بالمساواة. كذلك حيّا سكان المناطق المحتلة المنتفضين الذين يحيون ذكرى «يوم الارض». كذلك تكلم عضو الكنيست، هاشم محاميد، فقال، ان «يوم الارض هو يوم نعلن فيه اننا نرفض التشريد والتشتيت ومصادرة الاراضي». وأضاف: «اذا استطاعوا مصادرة بعض الارض، فلن يستطيعوا مصادرة ارادة شعبنا في الحياة الحرة الكريمة». وحيّا شعب الانتفاضة التي اسقطت الحكومة قائلاً: «ان الشعب الفلسطيني لا يقل بطولة عن شعب فيتنام، سوف ينتصر، رغم أنف المحتلين» (**الاتحاد**، ١/٤/١٩٩٠).

من جهة أخرى، أفاد بعض المصادر الصحفية الاسرائيلية ان الاحتفال في بلدة الطيبة تميّز بالطابع الدموي، حيث اشتبكت الشرطة، المدججة بقاذفات الغاز والهراوات، مع عدد من الفتيان عند المدخل الشمالي للبلدة، ممّا دعت الضرورة الى احضار تعزيزات كبيرة، اشتملت على عشرات السيارات، من بينها مجنزرة وراجمة حجارة وعدد من الخيالة. وقامت هذه القوة بمهاجمة راشقي الحجارة وابعادهم من المكان. غير ان المواجهة تجددت بعد دقائق معدودة، وبدأ وابل من الحجارة يتساقط. ومن ثمّ، اخذت سحب الدخان الاسود الكثيف تتصاعد، جراء اشعال اطارات السيارات، وظهر شبان يلوّحون بالسكاكين. وخلال محاولة القاء القبض على الفتيان، هوجم افراد الشرطة، فجرح ستة منهم، بينهم قائد الشرطة في المنطقة، العميد موشي فريدمان، وطعن ضابط آخر في ظهره، فنقل الى المستشفى. وقد تمّ القاء القبض على ٢٢ شخصاً متهمين برشق الحجارة ومهاجمة افراد الشرطة (**يديعوت احرونوت**، ١/٤/١٩٩٠).

وعلى أرضة هذه الصدامات، توجّه المسؤولون عن تنظيم الاحتفال بنداء الى رئيس الحكومة الاسرائيلية الانتقالية، اسحق شامير، بصفته وزيراً للشرطة، مطالبين بالتحقيق في تصرّفات رجال الشرطة خلال «يوم الارض» في بلدة الطيبة (**عل همشمار**، ١/٤/١٩٩٠).

مهرجان النقب ـ راهط

شاركت جماهير غفيرة من عرب النقب في احتفال «يوم الارض» الذي عقد في بلدة راهط، من خلال الاصرار على حق عرب النقب في ملكية الاراضي، وعلى التصدي لسياسة هدم البيوت التي تشكّل خطراً دائماً على بيوت التجمّعات العربية في النقب. وشارك في المهرجان وفد عن الطلاب العرب في جامعة بئر السبع. ورفع المشاركون في المهرجان عشرات الشعارات، وهتفوا ضد سياسة هدم البيوت ومصادرة الاراضي العربية، وباحقاق الحقوق للمواطنين العرب، وبحياة الانتفاضة الفلسطينية، وبضرورة احقاق السلام العادل واقامة دولة فلسطينية مستقلة، عاصمتها القدس (**الاتحاد**، ١/٤/١٩٩٠).

اتجاهات الرأي العام

تحدثت اتجاهات الرأي العام عن موضوعين رئيسين تميّزت بهما احتفالات الذكرى الرابعة عشرة لـ «يوم الارض»، هما موضوع هجرة اليهود الاتحاد السوفياتي، ونضوج القيادة السياسية لعرب اسرائيل وضرورة الاعتراف بها من قبل الجهات الاسرائيلية المسؤولة عن معالجة قضايا شؤون القطاع العربي، والخشية، في حال استمرار تجاهلها، من انتقال الانتفاضة الى ما وراء «الخط الاخضر».

حول الموضوع الاول، كتب احد الصحفيين: «في العام الماضي، كان الموضوع الساخن في احتفالات ذكرى 'يوم الارض' التضامن مع الانتفاضة في المناطق المحتلة، امّا هذا العام، فان الموضوع الساخن، بالنسبة الى عرب اسرائيل، هو موضوع الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل. فاليهود القادمون يثيرون كوامن الخوف من الترحيل لدى عرب اسرائيل. فالهجرة تذكّر الكبار منهم باحداث العام ١٩٤٨؛ امّا الشبان، فلا يدركون ما بين الروس واسرائيل. غير ان اولئك وهؤلاء يقولون: الهجرة من الاتحاد السوفياتي سوف تكون على حسابنا. المهاجرون الجدد سوف يأخذون اموالنا واراضينا؛ وفي النهاية، سوف يتمّ ترحيلنا» (عوزي محنايمي، «'يوم الارض' ضد الهجرة»، **يديعوت احرونوت**، ٣٠/٣/١٩٩٠).

وبالنسبة الى الموضوع الثاني، كتب صحفي آخر: «يوم الارض اعطى شرعية وقوة لاتجاهات التفكير المدرجة على اعمال المسؤولين عن معالجة شؤون السكان العرب في اسرائيل. لقد اتضح، مجدداً، ان للعرب في اسرائيل قيادة معترف بها من جانب التيارات السياسية كافة، مبلورة في لجنة المتابعة العليا واللجنة القطرية لرؤساء المجالس المحلية العربية. فهذه القيادة ليست بحاجة الى وسائل اكراه، فقراراتها تنفّذ، في معظم الاحوال، دون اعتراض. وقد ظهرت سيطرة اللجنة على مجريات الامور على نحو تامّ تقريباً...» (افنير ريغف، «الانتفاضة بدأت بحادث هامشي»، **عل همشمار**، ٥/٤/١٩٩٠).

وفي اطار التحذير من مغبّة الوقوع في اخطاء الماضي، تحدث ريغف عن وجه الشبه بين احداث حاجز ايرز في قطاع غزة وما حدث في قرية الطيبة، حيث قال: «بدأت الانتفاضة، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧، بحادث هامشي في قطاع غزة، جرف وراءه سكان المناطق المحتلة دون أي قصد او توجيه مسبق... لقد تصاعدت الامور بشكل عفوي، بينما الردود غير الصحيحة وغير المسؤولة من جانب جهاز الامن الاسرائيلي كانت، في بداية الانتفاضة، بمثابة الوقود الذي غذّى الانتفاضة. وفي الطيبة، قام شبان ملثمون برشق قوات الشرطة بالحجارة. وهذه محاولة من جانب فئة صغيرة للصعود على مسار توتير العلاقات مع السلطات الاسرائيلية. لهذا، ينبغي على السلطات الاسرائيلية عدم الانجرار والاستجابة لمثل هذا التصعيد...». وخلص ريغف الى انه ينبغي على حكومة اسرائيل اتخاذ قرار اساسي تجاه الاعتراف باللجنة القطرية لرؤساء المجالس المحلية العربية. «ينبغي

ايجاد السبل للتفاهم معها. وبهذا تمهّد الطريق الى علاقات مشتركة في دولة اسرائيل، بينما استمرار التجاهل والتنكّر يحتمل ان يجرف عرب اسرائيل، وبخاصة الشبان منهم، الى اساليب وأنشطة على غرار ما بدأت به الانتفاضة في قطاع غزة» (**المصدر نفسه**).

وفي سياق تقويم تجربة «يوم الارض»، كتب الصحفي محمد وتد: «يبدو لي ان قوالب احياء ذكرى 'يوم الارض' أصبحت قديمة لا تتماشى مع كثافة خبرة الجماهير العربية وتجربتها مع السلطة... ولست اعتقد بأن توسيع سكرتارية لجنة الدفاع عن الاراضي، او تضييقها، يحلّ المشكلة. فالقس شحادة شحادة، وهو من مؤسسي اللجنة والقوة الدافعة لها، لم يتمكّن من القاء كلمته في مهرجان عرّابة. وقد يكون ذلك بمبادرته، عندما شاهد صراع الاخوة واشتباكهم بالايدي أو غير الايدي نتيجة تعبئة مسبقة اجّجتها استفزازات 'بنت ظرفها'.

«نحن بحاجة الى البحث عن معادلات نضالية جديدة تختلف عن المعادلات القديمة. وهذه المعادلات لا يستطيع ان يحدّدها فرد، مهما كانت عبقريته، أو فئة، مهما كانت درجة وطنيتها...فالثابت هو ان عهد توزيع الاوسمة قد ولّى... والثابت، أيضاً، ان القادة والاحزاب والحركات الذين يعيشون على تاريخهم يخسرون مستقبل شعوبهم ويلغون مقدرته على الاستفادة من نضاله التراكمي... ولتكن هذه السطور بمثابة دعوة الى اعادة النظر بما نحن فيه، ونقوّمه تقويماً مجرداً عن الاهواء الشخصية والمصالح الفئوية، لعلّنا نهتدي الى سواء السبيل!» («تجربة يوم الارض تتطلب اعادة نظر»، **الاتحاد**، ٢/٤/١٩٩٠).

صلاح عبدالله

الشؤون العسكرية الاسرائيلية

اطـلاق القمـر «افق ـ ٢»

منـذ ما يقـارب الثـلاثين عاماً، أُجريت، في اسرائيل، تجربة اطلاق أول صاورخ من صنعها، من قاعدة «بلماحيم» الواقعة جنوب تل ـ أبيب؛ وكان ذلك الصاروخ يحمل اسم «شافيت ـ ١». ومنذ ذلك الوقت، أيضاً، تجري اسرائيل بحوثاً علمية مختلفة، وفي سرية تامة، لارتياد الفضاء، وتطوير تكنولوجيا الاقمار الاصطناعية. وفي هذا السياق، تمّ اطلاق القمر الاصطناعي «افق ـ ١»، بتاريخ ١٩/٩/١٩٨٨؛ ومن ثمّ «افق ـ ٢»، الذي أُطلق بتاريخ ٣/٤/١٩٩٠ بعد يوم واحد فقط من تصريحات الرئيس العراقي، صدام حسين، بشأن ضرب اسرائيل بالصواريخ بعيدة المدى التي تحمل رؤوساً كيميائية، اذا شنّت اسرائيل عدواناً على العراق؛ الأمر الذي سلّط الاضواء، من جديد، على الاهداف والغايات الكامنة في تطوير اسرائيل لتكنولوجيا الفضاء؛ واستخدام الاقمار الاصطناعية في التجسّس على الدول العربية، وما يترافق مع ذلك، من تحسين، وتطوير الصواريخ بعيدة المدى، القادرة على حمل القمر الاصطناعي، ووضعه في مساره حول الكرة الارضية.

معطيات علمية

يعتبر القمر الاصطناعي الاسرائيلي الجديد «افق ـ ٢» شبيهاً، الى حد بعيد، بالقمر الذي سبقه «افق ـ ١»، الذي مكث في الفضاء لمدة أربعة شهور. والفارق الوحيد بين النموذجين هو في قدرة الثاني على التقاط وارسال الاشارات والاوامر بين القمر ومحطته الارضية، الامر الذي لم يكن «افق ـ ١» قادراً عليه، حيث اقتصرت قدراته على ارسال الاشارات الى الارض، من دون القدرة على التقاطها. وثمّة فارق طفيف آخر يتعلق بالوزن؛ اذ ان القمر الجديد أثقل وزناً بحوالى أربعة كيلوغرامات. ووفق ما أوردته المصادر الاسرائيلية، فقد تطلّب انجاز هذا التغيير مدة عام ونصف العام (**هآرتس**، ٤/٤/١٩٩٠).

يتكون الجسم الاساسي لـ «افق ـ ٢»، من ثمانية اضلاع، ركّبت عليها خلايا شمسية، من اجل تزويد القمر بالطاقة الكهربائية اللازمة. وقد بلغ ارتفاعه ٢,٣ متر؛ وقطر القاعدة التحتية ١,٢ متر؛ وقطر القاعدة العليا ٠,٧ من المتر. وبلغ الوزن الاجمالي للقمر ١٦٠ كيلوغراماً، توزّعت كما يلي: الهيكل، ٣٤ كيلوغراماً؛ جهاز تزويد الكهرباء، ٥٩ كيلوغراماً؛ الحاسب، سبعة كيلوغرامات؛ جهاز مراقبة الحرارة، خمسة كيلوغرامات؛ جهاز اللاسلكي، عشرة كيلوغرامات؛ نظام قياسات وأثقال للتوازن، ٣١ كيلوغراماً؛ جهاز الاتصالات، ١٤ كيلوغراماً (**المصدر نفسه**).

وقد استطاع الصاروخ، الذي حمل القمر الى الفضاء الخارجي، ان يضعه في مداره بعد ٩٠ ثانية من اطلاقه (**عل همشمار**، ٤/٤/١٩٩٠). وحسب البرنامج المقرر، فان «افق ـ ٢» سوف يحلّق في مسار حول الكرة الارضية، على ارتفاع ٢٠٠ كيلومتر كحد أدنى، و١٥٠٠ كيلومتر كحد أقصى، فوق سطح الارض. وسيكون مجال تحليقه بين ٣٥ درجة شمال خط الاستواء، و٣٥ درجة جنوب خط الاستواء، ويكمل دورة كاملة حول الارض كل ٩٠ دقيقة. وسوف تكون فترة بقاء «افق ـ ٢» في الفضاء الخارجي قصيرة بالمقارنة مع «افق ـ ١»، حيث لن تزيد على شهرين (**هآرتس**، ٤/٤/١٩٩٠).

واضـافـة الى قدرة الاتصـال المتبـادل، فقد أُدخلت تحسينات اضافية على «افق ـ ٢» تتعلق بالحماية

من الاشعاعات، وجهاز جيروسكوب جديد؛ وكذلك، فانه يحمل حاسباً الكترونياً أكبر من السابق.

وعلى الرغم من ان المصادر الاسرائيلية تمتنع عن نشر معلومات كاملة عن طبيعة المعدّات والاجهزة التي يحملها «افق ـ ٢»، والمهام المكلف بالقيام بها، وتكتفي بالاشارة الى انه قمر تجريبي، ولا يحمل شحنة محدّدة، أو كاميرات لأغراض التجسّس (**عل همشمار**، ٤/٤/١٩٩٠)، الّا ان المصادر الصحفية الاسرائيلية، تسرب معلومات، تنسبها في الغالب، الى مصادر أجنبية، في ما يتعلق بكل تطوير اسرائيلي في مجال من المجالات، خصوصاً في المجال العسكري ـ الامني. ويتبيّن ممّا سرّبته الصحف الاسرائيلية، في هذا السياق، ان «افق ـ ٢» يحمل لاقطاً بصرياً، هو عبارة عن نوع من الكاميرات، التي يمكنها ان تبثّ الصور الى محطة أرضية في الزمن الحقيقي. ويمكنه ان يميّز بين مواقع اطلاق الصواريخ واعدادها للعمل، وبين وميض اطلاق الصاروخ في اللحظة التي يطلق فيها. ويمكنه، كذلك، ان يميّز تحرّك الارتال المدرّعة على الارض، وبقية المؤشرات التي تدل على وجود استعدادات للقيام بهجوم (رون بن ـ يشاي، **يديعوت احرونوت**، ٤/٤/١٩٩٠).

ونشرت المصادر عينها، نقلاً عن معلومات اميركية، ان اسرائيل أطلقت قمراً اصطناعياً تجسّسياً، يستهدف جمع معلومات عن النشاطات العسكرية في الدول العربية. وحسب ما ذكره خبراء اميركيون، فان شبكة ناجعة للانذار المبكر ضد صواريخ أرض ـ أرض، مثل تلك التي يمتلكها العراق، يمكنها ان تعتمد، في جزء منها، على القمر الاصطناعي المزوّد بمعدّات حسّاسة ملائمة (**اريه غوري، المصدر نفسه**).

ويبدو ان اطلاق «افق ـ ٢»، حسب ما أكدته المصادر الاسرائيلية، هو جزء من خطة طويلة المدى، تتضمّن اطلاق عدة أقمار من السلسلة ذاتها، تمتد الى ثلاث سنوات («افق ـ ٣» و«افق ـ ٤»)، بحيث يستطيع النموذج الاخير حمل معدّات «تستخدم لأغراض الاتصالات، والبقاء في مساره لفترة تمتد الى أكثر من عشر سنوات» (**هآرتس**، ٤/٤/١٩٩٠).

وفي حين ذكر بعض المصادر ان بحوث الفضاء الاسرائيلية تجرى بالتعاون مع شركات في أوروبا والولايات المتحدة الاميركية (**عل همشمار**، ٤/٤/١٩٩٠)، قالت مصادر اسرائيلية اخرى، اعتماداً على ما بثّته شبكة ان.بي.سي. الاميركية، نقلاً عن مصادر الاستخبارات الاميركية، ان اطلاق «افق ـ ٢» تمّ نتيجة تعاون مشترك بين اسرائيل وجنوب افريقيا، في مجال الصواريخ الباليستيكية» (**يديعوت احرونوت**، ٤/٤/١٩٩٠).

الصاروخ أكثر أهمية

مهما يكن الامر حول صحة المعلومات المختلفة في ما يتعلق بمواصفات القمر الاصطناعي الاسرائيلي من سلسلة «أفق»، والمدى الذي وصلت اليه اسرائيل في تطوير بحوث وتكنولوجيا الفضاء، لخدمة الاغراض كافة التي يستفاد منها من مثل هذه العلوم، فان الاكثر أهمية من القمر ذاته، على المدى المنظور، هو الصاروخ متعدّد المرحلة، الذي حمل القمر الى مداره حول الكرة الارضية. وقد أشار الاسرائيليون أنفسهم الى هذه الحقيقة، حيث أكدوا ان الأبرز في اطلاق القمر الاصطناعي ليس القمر بحد ذاته، بل الصاروخ الذي حمله الى الفضاء (عمانوئيل روزين، **معاريف**، ٤/٤/١٩٩٠). وفي هذا السياق، كتب الصحفي آفي بنيهو، ان قدرة الصاروخ الاسرائيلي، الذي حمل القمر الى الفضاء الخارجي في مسار دقيق «تعكس قدرة استراتيجية خاصة لدى اسرائيل... لذلك، من الجدير الثناء، ليس على القمر فحسب، وانما على الصاروخ الذي أطلقه» (**عل همشمار**، ٤/٤/١٩٩٠).

وفي حقيقة الامر، ثمّة اعتبارات عديدة تزيد في الاهمية في التركيز على الصاروخ الذي تمتلكه اسرائيل، والقادر على حمل اقمار اصطناعية الى الفضاء الخارجي، أهمها ان اسرائيل لا تكشف صراحة عن مواصفات الصواريخ التي تمتلكها وتطوّرها بقدراتها الذاتية. وهي باطلاقها للقمر الاصطناعي تشير، بشكل غير مباشر، الى مدى تطوّر صناعة الصواريخ لديها. هذا من جانب، وثمّة جانب هامّ آخر يتعلق بالظروف الاقليمية الناتجة عن التهديدات المتبادلة بين اسرائيل وبعض الدول العربية، وخصوصاً العراق، بشأن امكانات امتلاك الاسلحة

غير التقليدية التي تمتلكها كل من هذه الدول، وما تشكّله من تغيير في ميزان القوى القائم في منطقة الشرق الاوسط.

الى هذا، ونظراً الى ادراك القيادة الاسرائيلية أهمية الدلالات والاعتبارات التي تتضمّنها عملية اطلاق «افق ـ ٢»، في مثل الظروف الجديدة التي نشأت في المنطقة، في أعقاب تصريحات الرئيس العراقي، صدام حسين، بشأن استخدام الاسلحة غير التقليدية في الحرب المقبلة مع اسرائيل، فقد أجرت اسرائيل تقويماً دقيقاً، وعلى أعلى المستويات، لقرار اطلاق «افق ـ ٢» في الموعد الذي أطلق فيه، وخصوصاً ان ذلك تزامن مع تصعيد الحملة الاميركية والبريطانية والاسرائيلية ضد العراق وليبيا، بسبب ما ينسب الى الدولتين العربيتين من امتلاكهما للاسلحة الكيميائية. وفعلاً، طرحت على القيادة الاسرائيلية خيارات عدة بشأن صحة القرار المتعلق بتوقيت الاطلاق. فقد ادّعى بعضهم بأن موعد الاطلاق كان تقرّر مسبقاً بتاريخ ٤/٤/١٩٩٠، لكن تمّ تقديم الموعد يوماً واحداً بسبب من تصريحات الرئيس صدام حسين (**معاريف**، ٤/٤/١٩٩٠). وقالت مصادر أخرى، ان رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، اعطى الأوامر باطلاق «أفق ـ ٢»، على الرغم من «الانعكاسات المحتملة لذلك في العراق، وفي أماكن أخرى في العالم... وقد تقرر تنفيذ الاطلاق، حسب ما هو مخطط» (**يديعوت احرونوت**، ٤/٤/١٩٩٠).

وكان لاعتبار الاساس، الذي دفع القيادة الاسرائيلية الى ذلك القرار هو ان تأجيل الاطلاق يحتمل ان «يفسّر بشكل خاطىء في العراق على انها اشارة ضعف وخوف. فقد تعلّمت اسرائيل من تجربة الايام التي سبقت حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، ان [الرئيس جمال] عبدالناصر فسّر الانتظار الاسرائيلي حينها على أنه دليل ضعف، وانساق خلف التصعيد» (رون بن ـ يشاي، **المصدر نفسه**).

وحول مواصفات الصاروخ، ومدى فعاليته التكتيكية، فقد تنوّعت المعلومات الاسرائيلية بشأن ذلك. فحسب الصحفي آرييه أفوزي، فان الصاروخ هو من سلسلة صواريخ «شافيت» الذي يمكن استخدامه «قاعدة لتطوير صاروخ أرض ـ أرض بعيد المدى يصل الى مسافة ٦٠٠٠ كيلومتر» (**يديعوت احرونوت**، ٤/٤/١٩٩٠).

ونقل عن مصادر اميركية في واشنطن، ان اطلاق قمر اصطناعي على غرار «افق ـ ٢» يحتاج الى صواريخ متطوّرة جداً؛ وان المقصود منصة اطلاق من نوع «شافيت ـ ٢» المخصص ليس لاطلاق أقمار اصطناعية فحسب، وانما لاطلاق صواريخ من طراز «اريحا ـ ٢»، التي يصل مداها الى نحو ٢٠٠ كيلومتر؛ أو «اريحا ـ ٣»، الذي لا يزال في مرحلة التطوير، والذي سيصل مداه الى ٦٠٠٠ كيلومتر (**المصدر نفسه**).

ورأى الصحفي افي بنيهو، ان اطلاق «افق ـ ٢» يشير الى ان اسرائيل تمتلك صواريخ قادرة على حمل قمر اصطناعي الى الفضاء، وان أي عاقل يدرك ان هذا الصاروخ يمكنه ان يحمل أشياء أخرى غير القمر. وأضاف ان دولة اسرائيل على طريقها الى تطوير القمر التجسّسي، وان العملية ما هي الّا اظهاراً للقدرة التكنولوجية والامنية؛ وقد شكّلت، حسب رأيه، «رداً حاسماً على تهديد الرئيس العراقي، على الرغم من انها لم تساهم في شيء بتهدئة الخواطر في الشرق الاوسط، الذي يسيطر عليه، اليوم، أكثر من أي وقت مضى، جنون سباق التسلّح» (**عل همشمار** ٦/٤/١٩٩٠). ونقلاً عن متحدث رسمي اسرائيلي، ذكرت صحيفة «ديلي اكسبرس» اللندنية، انه يجب على العراق ان يحذر بسبب ان القمر الاصطناعي الذي يحمل كاميرا تجسّس، يمكنه، بسهولة، ان يحمل رأساً متفجراً نووياً» (**معاريف**، ٥/٤/١٩٩٠).

استعراض للقوة

وبعيداً من الظروف المتعلقة بمختلف الجوانب العلمية والتكنولوجية تجاه اطلاق «افق ـ ٢»، فان الانطباع الذي أعطاه اطلاق القمر، وفي الظروف التي اطلق فيها، هو ان الشرق الاوسط دخل مرحلة جديدة من مراحل سباق التسلّح؛ وهذه المرة، بالسعي الى امتلاك الاسلحة غير التقليدية. وفي هذا الاطار، كتب المعلّق العسكري زئيف شيف، ان اطلاق «افق ـ ٢» كان اشارة الى العراق، والى دول أخرى كثيرة، ازاء الذراع الطويلة

التي تمتلكها اسرائيل. وهذا يدفع بالجانب الآخر، حسب شيف، الى ان «يحث الخطى حتى لا يتأخر كثيراً خلف اسرائيل. فالعرب، والعراق في مقدمهم، يبحثون عن انظمة سلاح واساليب لاحداث توازن ردعي مع اسرائيل، حتى يمتلكوا في مواجهتها الردع العربي المناسب». صحيح ان اسرائيل حقّقت بعض التقدّم على الدول العربية في مجال الصواريخ، لكن بعض الدول العربية ـ كما قال شيف ـ وخصوصاً العراق، «ليست على استعداد لأن تقف مكتوفة الايدي. ويمكن الافتراض، ان اسرائيل سوف تحافظ على هذه الفجوة لفترة طويلة. لكنها [أي اسرائيل] تخطىء اذا ما اعتقدت بأنها، بالصواريخ والاقمار الاصطناعية، يمكنها ان ترد على أية مشكلة عسكرية استراتيجية يثيرها مسار النزاع العربي ـ الاسرائيلي» (**هآرتس**، ٤/٤/١٩٩٠).

واعتبر بعضهم ان اطلاق القمر الاصطناعي يدخل تحسينات الى فترة الانذار المسبق، من اجل توفير القدرة الرادعة لاسرائيل. فكتب الصحفي رون بن ـ يشاي، انه حتى لوكان «افق ـ ٢» قمراً تجريبياً، فان اطلاقه الدقيق يتضمّن مساهمة هامّة لأمن اسرائيل. فالقمر الاصطناعي يشير، حسب بن ـ يشاي، الى «تحسين دراماتيكي في قدرة الردع [الاسرائيلي] المسبق». فالانذار المسبق يوفّر للمؤخرة الاسرائيلية الوقت اللازم للاستعداد كما يجب لأنواع الهجمات العسكرية كافة، بما فيها الهجمات بالاسلحة الكيميائية. لذلك، اذا ما حقّق «افق ـ ٢» اهدافه، فانه «يحسّن كثيراً من أمن اسرائيل. ويمنحها، أيضاً، التفوّق ازاء القدرة المحسّنة لدى الجانب الآخر» (**يديعوت احرونوت**، ٤/٤/١٩٩٠).

وكتب الصحفي عمانوئيل روزين حول المعاني الاستراتيجية التي يحملها اطلاق قمر اصطناعي اسرائيلي، وفي هذه الظروف، بالذات، ان اطلاق «افق ـ ٢» كان الجزء الثاني من الرسالة التي وجهها وزير الدفاع السابق، اسحق رابين، الى صدام حسين، والتي هدّد فيها بتوجيه ضربة أشد بأضعاف على أي هجوم عراقي. وان اسرائيل تسعى الى تطوير «افق ـ ٢» حتى يستطيع تقديم خدمات استخباراتية. وهي المرحلة التي سوف تتحقق عبر «افق ـ ٣» و«افق ـ ٤»، حيث تستطيع اسرائيل، نظرياً، حينذاك، «استخدام وسائل انذار وردع اضافيين تجاه نوايا العراقيين. وان امتلاك اسرائيل لقمر تجسّس يحلق فوق [الرئيس] صدام حسين سوف يجعل هذا الاخير اكثر حذراً، بكل تأكيد» (**المصدر نفسه**).

امّا الصحفي آفي بنيهو، فقد استخلص ثلاثة معان، أمنية وسياسية واقتصادية، يمكن تلمّسها من اطلاق اسرائيل لـ «افق ـ ٢»:

«أمنياً: لقد امتلكت اسرائيل قوة ردع اضافية في مواجهة جنون سباق التسلّح لدى كل من العراق وليبيا وسوريا، واظهار قدرة اطلاق الصواريخ، وامكانية استغلال القمر الاصطناعي، مستقبلاً، لأغراض الاستخبارات، حيث يمكن للقمر ان يوفّر قدرة عالية للانذار، والحصول على معلومات جارية ودقيقة.

«سياسياً: تنضمّ اسرائيل، بهذه الخطوة، الى نادي ' الدول الفضائية' كعضو ثامن الى جانب الولايات المتحدة الاميركية، والاتحاد السوفياتي، وفرنسا، وبريطانيا، والهند، واليابان، والصين. وهي تظهر مستوى علمياً وتكنولوجياً رفيعاً، وقدرة جيدة أكبر على الانتصار في المواجهات الاستراتيجية، على العكس من الفشل في مواجهة الحجر والزجاجة الحارقة.

«اقتصادياً: تتطلب مثل هذه الانجازات التكنولوجية موارد ضخمة، وغير محدودة. لذلك، من الضروري تطوير الاستخدام الاقتصادي ـ التجاري للاقمار الاصطناعية، لتقليل العبء المتوقع، والذي قد يصل الى مئات الملايين من الدولارات» (**عل همشمار**، ٤/٤/١٩٩٠).

محمد عبد الرحمن

تطوّرات المحيط الاستراتيجي

لقد اخذت الاوضاع والموازين الاقليمية تحتل المكانة الاولى بين الشؤون العسكرية والاستراتيجية الاسرائيلية، خلال الشهور الماضية، بدلاً من الاخبار التسليحية والصناعية وما يشابهها. وقد تجسّد ذلك، بوضوح، من خلال احياء التعاون العسكري بين اسرائيل واثيوبيا، بعد انقطاع رسمي دام عقداً ونصف العقد من الزمن تقريباً، وعبر تنامي التدخّل الاسرائيلي في منطقة القرن الافريقي، وعمقه السوداني والتشادي. وبالمقابل، اكتسبت الاوضاع الى الشرق من اسرائيل أهمية متزايدة، في الفترة عينها، بعد ظهور انباء التعاون العسكري بين العراق والاردن، وبعد تجديد التخوّف الاسرائيلي حيال القوة الصاروخية السورية.

اسرائيل واثيوبيا

كانت اسرائيل تبدي اهتماماً رئيساً بتعزيز روابطها باثيوبيا في عقد الستينات والنصف الاول من السبعينات، نظراً الى الموقع الاستراتيجي المطل على البحر الاحمر لذلك البلد الافريقي. وكادت تلك العلاقة ان تنقطع كلياً، عقب حصول الانقلاب العسكري الذي اطاح بالامبراطور هيلاسيلاسي في العام ١٩٧٤، على الرغم من استمرار بعض التعاون الطفيف السري. غير ان تنامي نجاحات الثوار الارتيريين والتيغرانيين وتراجع الدعم السوفياتي قد دفع بالقيادة الاثيوبية، مؤخراً، الى اعادة علاقاتها الدبلوماسية، والعسكرية، مع اسرائيل، سعياً الى الحصول على الدعم العسكري والتسليحي الفني، وهذا هو ما أكدته المصادر الاسرائيلية والغربية في مطلع كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٩. وقد أوضحت احدى الصحف ان صفقة قد عقدت بحيث تقوم اسرائيل بتزويد اثيوبيا بالاسلحة، وبالقيام بأعمال تجهيزية أخرى، مقابل السماح لعشرين ألف يهودي اثيوبي من الفلاشا بالهجرة الى اسرائيل (**هآرتس**، ١٠/١٢/١٩٨٩). وتضمّن الاتفاق السري، أيضاً، بناء مدرج للطائرات الحربية، ومحطة تنصّت الكتروني تابعة لاسرائيل. وكشفت المصادر الغربية، في الوقت عينه، ان ٢٠٠ خبير وفني عسكري اسرائيلي باتوا موجودين، فعلاً، في اثيوبيا، لتقديم العون من خلال التدريب وتنفيذ أعمال تصليح وصيانة المعدّات العسكرية (**صنداي تايمز**، ١٠/١٢/١٩٨٩). وأضافت ان محطة التنصّت والمراقبة الاسرائيلية موجودة على جزيرة «دحلك» الارتيرية في البحر الاحمر، وهو موقع استخدمته اسرائيل سابقاً، وكذلك سوف تستلم اثيوبيا الاسلحة والذخائر سوفياتية التصميم من التي غنمتها اسرائيل خلال الحروب مع الجيوش العربية.

مع مرور الوقت، اتضح المزيد من التفاصيل حول طبيعة، وحجم، العلاقة العسكرية الجديدة بين اسرائيل واثيوبيا. فقد تحدثت الاوساط الاميركية عن احتمال تزويد اثيوبيا بالقنابل العنقودية من قبل الدولة الصهيونية، في أوائل العام ١٩٩٠ (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٢/١/١٩٩٠). جاء ذلك اثر تصريح للرئيس الاميركي الأسبق، جيمي كارتر، أكد فيه حدوث تلك الصفقة، وهو تأكيد كرره مسؤولون في وزارتي الدفاع والخارجية لاحقاً، على الرغم من النفي الصادر عن وزير الدفاع الاسرائيلي السابق، اسحق رابين، (**نيويورك تايمز**، ٢١/١/١٩٩٠). وأضافت المصادر الغربية، ان اسرائيل قد أرسلت سفينتين محمّلتين بالأسلحة الى ميناء عصب الارتيري في أواخر السنة الفائتة ومطلع هذا العام (**ميدل ايست انترناشونال**، ٢٢/٢/١٩٩٠).

هذا، وقد أكدت مصادر عربية، وأجنبية، ان اثيوبيا طلبت من اسرائيل تزويدها بطائرات مقاتلة من طراز «كفير»، مقابل السماح بهجرة يهود الفلاشا، بحيث تطلب اثيوبيا ١٥ طائرة مقابل نقل ١٥ ألف يهودي اثيوبي (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ٢٨/١/١٩٩٠). غير انه يصعب على اسرائيل تصدير «كفير» دون ترخيص اميركي، لأنها مزوّدة بمحرك اميركي الصنع من نوع «ج ـ ٧٩»، ممّا يدفعها نحو تأجير تلك الطائرات واعارة

طيّاريها لاثيوبيا، كبديل (**ميدل ايست انترناشونال**، ٢/١/١٩٩٠).

تأتي الخطوات هذه وسط علامات أخرى واضحة، وبالغة الاهمية، حول تعميق العلاقة الاستراتيجية الاسرائيلية ـ الاثيوبية. فقد قام وفد عسكري اثيوبي بزيارة اسرائيل للبحث في المتطلبات التسليحية والفنية. ولحق ذلك قيام رئيس الاركان الاسرائيلية، دان شومرون، بزيارة اثيوبيا على رأس وفد عسكري رفيع المستوى، في كانون الثاني (يناير) ١٩٩٠ (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٨/٢/١٩٩٠). وأوضح السفير الاسرائيلي الجديد لدى اثيوبيا، مئير جوفي، رؤية حكومته، حين شدّد على ضرورة «دعم نظام منغستو هيلا مريام الاثيوبي في وجه الثوار الذين سيحوّلون البحر الاحمر الى بحر عربي»، وأكد اهمية البلد بالنسبة الى اسرائيل (**ازرائيلي فورين افيرز** ٣/١٩٩٠). الاّ ان التحليلات تضاربت داخل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية حول صحة هذه السياسة؛ اذ رأى بعض الضباط الكبار ان من الافضل التريّث وترقّب مصير حكومة منغستو قبل دعمها عسكرياً. ولعلّ شومرون والوفد المرافق له قد تبنّوا هذه النظرة بعد زيارة اثيوبيا، وربما فضلوا، أيضاً، بناء العلاقات، أيضاً، مع بعض معارضي النظام الاثيوبي (**المصدر نفسه**، ٢/١٩٩٠). ويعتقد بأن الادارة الاميركية لا تحبّذ الدور الاسرائيلي حالياً، لأنها تنتظر حدوث انقلاب ضد منغستو، بصفته الخيار الافضل لها.

غير ان الشكوك الاسرائيلية لا تدل على معارضة لتطوير الروابط الاستراتيجية مع اثيوبيا؛ اذ ان تلك العلاقة سوف تستمر، بغض النظر عن هوية، وطبيعة، الحاكمين في اديس ابابا. ويتضح ذلك، خاصة، من خلال مؤشرات تدل على تدخل اسرائيلي في اوضاع السودان والحدود التشادية ـ الليبية؛ اذ اتهم الرئيس السوداني، اللواء عمر البشير، اسرائيل بتقديم العون العسكري الى المتمردين في جنوب السودان، في شباط (فبراير) ١٩٩٠ (**جينز ديفينس ويكلي**، ٣/٣/١٩٩٠). واستند بعض التقارير الى المصادر الدبلوماسية الفرنسية، في مطلع العام أيضاً، ليفيد بأن زعيم «جيش تحرير جنوب السودان»، جون غارانغ، قد أمضى ثلاثة أيام في اسرائيل، ليناقش المقترحات السلمية التي تقدّمت بها الحكومة السودانية لانهاء الحرب الاهلية (**ازرائيلي فورين افيرز** ٢/١٩٩٠). وفي الوقت عينه، بدأ يصدر بعض الانباء حول تورّط اسرائيل، أيضاً، في محاولة تجنيد، وتجهيز، المتمردين لمحاربة الجماهيرية الليبية، انطلاقاً من على حدودها الجنوبية مع التشاد؛ وقد تزامن ذلك مع تزايد التركيز الاعلامي والسياسي الاسرائيلي، والاميركي، مجدداً، على مصنع الرابطة الكيميائي، الذي تعرّض لحريق كبير، ربما كان مدبراً، في اواسط آذار (مارس) ١٩٩٠ (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٦/٣/١٩٩٠).

التعاون العراقي ـ الاردني

في الوقت الذي وجّهت اسرائيل نظرها نحو حدودها الجنوبية بالبحر الاحمر، عادت مسألة الجبهة الشرقية العربية تلوح في الافق. فقد تمخّض اللقاء بين الرئيس العراقي، صدام حسين، والعاهل الاردني، في شباط (فبراير)، عن اتفاق عسكري تضمّن تشكيل سرب جوي مشترك بالاضافة الى جوانب أخرى من التعاون الفني. وسوف يتشكّل ذلك السرب، بداية، وهو مخصّص لاغراض التدريب، من عدد غير محدّد من الطائرات من طراز «ميراج ف ـ ١» (**الحياة**، لندن، ١٩/٢/١٩٩٠). والمعروف ان الاردن والعراق يملكان طائرات «ف ـ ١»، ممّا يسهّل الاشتراك في سرب موحّد، وان العراق سوف يزوّد سلاح الجو الاردني بـ ١٥ مقاتلة «ف ـ ١» في هذه الاثناء. ومعروف، أيضاً، ان الاردن قد قدّم طلباً رسمياً الى فرنسا لشراء ١٢ طائرة «ميراج ـ ٢٠٠٠» متعددة الغرض، بينما يجري العراق المفاوضات بهدف شراء ٥٠ مقاتلة معترضة «ميراج ـ ٢٠٠٠ ـ ٥» المخصصة للدفاع الجوي (**جينز ديفينس ويكلي**، ٣/٣/١٩٩٠). والمفترض ان يتوضع السرب، بعد اكتمال تشكيله في ربيع العام ١٩٩٠، في العراق، ممّا يوفّر على الاردن الاستثمار ببناء البنية التحتية وبتنفيذ التحليقات التدريبية.

اثارت هذه الانباء، طبعاً، القلق الاسرائيلي. فقد تخوّف بعض الخبراء من انتقال الخبرة المكتسبة لدى الاردن عبر المناورات المشتركة مع الطيّارين الاميركيين، الى سلاح الجو العراقي، بينما اعتبر رئيس استخبارات سلاح الجو الاسرائيلي السابق، عوديد ايرز، ان التعاون الجوي العراقي ـ الاردني من شأنه ان يزيد التوتر على الحدود مع الاردن (**الحياة**، ١٩/٢/١٩٩٠). ولاحظ هؤلاء ان العراق سبق له تزويد الاردن بـ ١٢٠

دبابة «تشيفتين»، وان مباحثات تجرى بين البلدين لانشاء لواء مدرّع مشترك، ممّا يبشّر بالتعاون العسكري الاوسع مستقبلاً (**جينز ديفينس ويكلي**، ٢٤/٣/١٩٩٠). كما استنتج المحلّلون الاسرائيليون ان العراق ربما يختبر بذلك «ردود فعل اسرائيل الدبلوماسية والعسكرية»، واعتبروا، كذلك، ان التحليقات الاستطلاعية التي نفّذها الطيران العراقي فوق الحدود الاردنية مع فلسطين المحتلة، في أواخر العام ١٩٨٩، خدمت الغرض ذاته (**الحياة**، ١٩/٢/١٩٩٠؛ **وجينز ديفينس ويكلي**، ٢٤/٣/١٩٩٠). الاّ ان بعض القادة الاسرائيليين قلّل من شأن هذه التطوّرات. اذ صرّح وزير الدفاع السابق، رابين، بأن انشاء السرب الجوي العراقي ـ الاردني المشترك «لا يثير القلق في هذه المرحلة»، وانه يؤدي فقط الى توضيح تعاون البلدين أكثر (**الحياة**، ٢٠/٢/١٩٩٠). وكان سبقه رئيس الاركان، شومرون، بتأكيد عدم قلقه ازاء تشكيل السرب، على أساس عدم توفّر الادلّة الاخرى على تحوّل السياسة الاردنية جذرياً. وأضاف ان الاردن يشعر بالقلق تجاه ما يعتبره تهديداً اسرائيلياً لأمنه، علماً بأنه عاد وطمأن الاردنيين بأنه لا يوجد داع للقلق من اسرائيل، ولا مبرر «لاقامة جبهة عسكرية مع سوريا وتشكيل سرب مع العراق» (**المصدر نفسه**، ١٩ و٢٢/٢/١٩٩٠).

أمّا المعلّق العسكري الاسرائيلي، زئيف شيف، فقد عبّر بدقة أكبر عن توازن القلق والاطمئنان لدى القيادة الاسرائيلية. فقد أكد اهمية التعاون العراقي ـ الاردني، نظراً الى الحجم الكبير والخبرة القتالية المتراكمة للقوات العراقية، من جهة، بينما اعتبر ان الخطر لا يتعلّق بنوع الطائرات داخل السرب المشترك، ولا باتخاذ موقف دفاعي مشترك بين العراق والاردن، من جهة أخرى (**هآرتس**، ٢١/٢/١٩٩٠). وأوضح شيف ان انتقال الاردن الى موقف هجومي يشكّل الحد الفاصل بالنسبة الى اسرائيل، وكذلك انتقال اية قوات عراقية الى داخل المملكة، ممّا لا بدّ وان يعكس نيّة هجومية. وعزّزت تلك الرؤية الانباء عن تبادل المعلومات بين العراق والاردن، وعن نقل التجارب القتالية من خلال جولة قام بها وفد من رئاسة الاركان العراقية الى المملكة، والى حدودها مع اسرائيل (**الحياة**، ٢٢/٢/١٩٩٠). واستنتج شيف ان توضيع أية قوى جوية، او معدّات للانذار المبكر والمراقبة الرادارية، الارضية والجوية، تابعة للعراق على الاراضي الاردنية سيشكل تصعيداً خطراً يتجاوز الخط الاحمر الذي تحدّده اسرائيل، ممّا يستوجب منع حدوثه اساساً (**هآرتس**، ٢١/٢/١٩٩٠).

الى ذلك، فان التريّث الاسرائيلي حيال التعاون العراقي ـ الاردني قابله قلق صريح تجاه الاوضاع مع سوريا. فقد حذّر خبراء اسرائيليون من استمرار قيام الاتحاد السوفياتي بتزويد سوريا بالصواريخ الباليستيكية قصيرة، ومتوسطة، المدى، التي يمكن تزويدها بالرؤوس المتفجّرة الكيميائية. وشدّد ضابط الاستخبارات السابق الجنرال (احتياط) اهارون ليفران على قدرة سوريا المتميّزة على «الحاق خسائر فادحة بالمناطق الداخلية» من اسرائيل (**الحياة**، ٢٣/٢/١٩٩٠). وأضاف زميل له ان عدد بطاريات الصواريخ «س.س. ـ ٢١» لدى سوريا قد ارتفع الى ١٨ مؤخراً، وان سلاح الجو السوري ربما سيتلقّى قاذفات من طراز «سوخوي ـ ٢٤» الحديثة (**المصدر نفسه**، ٢٣/٢/١٩٩٠). غير ان خبراء آخرين رأوا، على الرغم من هذه المؤشرات، ان من غير المتوقع ان تنشب الحرب بين اسرائيل وسوريا، بسبب مجموعة عوامل، داخلية وخارجية، تقيّد القرار السوري (**بمحانيه**، ٣/١/١٩٩٠)؛ علماً بأن اصحاب هذه النظرة أنفسهم يعتقدون بأن الشعور السوري بتراجع القدرة الاستراتيجية قد يدفع القيادة السورية امّا الى الاستعجال بشنّ الحرب وامّا الى التقرّب من جبهة شرقية عربية ناشئة قد تضمّ العراق والاردن.

ظهور الردع المتبادل العراقي ـ الاسرائيلي

وسط هذه التساؤلات والتطلّعات، اتخذ الميزان الاستراتيجي بين العراق واسرائيل منحى خطراً. وقد ابتدأ ذلك حين أعلنت الجمارك البريطانية عن مصادرة شحنة من الصواعق الكهربائية النووية «كرايترون» كانت متجهة الى العراق، في ٢٨ آذار (مارس)، وعددها ٤٠؛ واذ أكد العراق ان تلك الاجهزة هي، في الواقع، للاستخدامات المدنية، الاّ ان الخبراء الاستراتيجيين الغربيين لاحظوا ان حصول العراق عليها قد يشير، أيضاً، الى وشوك امتلاكه للاسلحة النووية (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٢٩/٣/١٩٩٠). وصادف ذلك ظهور

تقارير غربية تشير الى ان الصاروخ الباليستيكي العراقي الجديد ذي المدى المتوسط (٢٠٠٠ كيلومتر) من طراز «العابد»، ربما يتمتّع بدقّة أعلى في الاصابة ممّا كان مفترضاً في السابق (**التقرير**، لندن، ١ ـ ١٥/٣/١٩٩٠). وأثارت مختلف هذه التطوّرات في الاذهان احتمال ان تلجأ اسرائيل الى توجيه ضربة الى المنشآت العسكرية او المصانع العراقية، على غرار ما فعلته ضد المفاعل النووي قرب بغداد في العام ١٩٨١، لتحطيم القدرة الاستراتيجية العراقية. لذلك السبب، صرّح الرئيس العراقي صدام حسين، في الاول من نيسان (ابريل)، بأن العراق لديه القدرة على جعل «النار تلتهم نصف اسرائيل» بواسطة اسلحة كيميائية «ثنائية» تمّ تطويرها خلال السنة الاخيرة من حرب الخليج (**الحياة**، ٣/٤/١٩٩٠). وأضاف، ان العراق ليس بحاجة الى القوة الذرية العسكرية، لأنه يمتلك ترسانة كيميائية سيردّ بها على أي هجوم نووي. وبعد مرور يوم على اصدار هذا التصريح، أطلقت اسرائيل قمرها الاصطناعي الثاني «افق ـ ٢». تكمن اهمية اطلاق القمر «افق ـ ٢»، في هذا المجال، بأنه يكرس نشوء ميزان نووي ـ كيميائي ـ صاروخي بين اسرائيل والعرب، او بين اسرائيل والعراق تحديداً. وقد سبق للاتحاد السوفياتي ان عبّر عن رأيه بأن اطلاق القمر «افق ـ ١»، في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨، هو الذي اخلّ بالميزان الاقليمي اصلاً ودفع العرب الى تطوير قدرات مماثلة (**الحياة**، ٢٢/١٢/١٩٨٩). ويأتي ذلك وسط تخوّف القادة الاسرائيليين من تآكل تفوّقهم التقليدي على العرب، بفضل نمو القوات التقليدية، وغير التقليدية، لدى دول مثل العراق وسوريا (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٤/٤/١٩٩٠؛ **وجينز ديفينس ويكلي**، ٢٤/٣/١٩٩٠).

عبّر المسؤولون الاسرائيليون عن توازن الردع الناشيء في ردودهم على التحذير الذي أطلقه الرئيس العراقي في مطلع نيسان (ابريل)، حيث أكد رئيس الاركان شومرون قدرة بلاده على ردع أي هجوم كيميائي عراقي، محذراً من توجيه ضربة «كاسحة ومؤلمة» الى العراق انتقاماً (**الحياة**، ٧ ـ ٨/٤/١٩٩٠). وأوضح كذلك ان اسرائيل تعتمد على قدراتها الهجومية المتطوّرة جداً، ورادعها الاستراتيجي، ودفاعها المدني. وفي هذه الاثناء، صرّح خبراء اسرائيليون، صراحة، بضرورة تحديد «الخطوط الحمر»، بحيث يتمّ توضيح الممارسات العراقية التي سوف ترد عليها اسرائيل عسكرياً. ودعا بعض هؤلاء الى توجيه ضربة وقائية الى العراق، في حال استمراره في تطوير الاسلحة الكيميائية والنووية، والى تبنّي سياسة الردع النووي العلني المضاد (**المصدر نفسه**، ٦/٤/١٩٩٠).

وفيما ترتسم معالم سياسة الردع الاستراتيجي الجديدة، وبغض النظر عن العقيدة المحدّدة التي ستتمخّض عنها، فان العناصر المادية للميزان الاستراتيجي تستمر بالتراكم والتطوّر. فقد كشفت «وكالة الدفاع للاستخبارات» الاميركية عن قناعتها بأن اسرائيل تمتلك ٥٠ صاروخاً من طراز «اريحا ـ ١»، ومئة صاروخ من النموذج «اريحا ـ ٢»، علاوة على ٢٠٠ رأس نووي وعدد غير محدّد من الرؤوس الكيميائية (**جينز ديفينس ويكلي**، ٢٥/١١/١٩٨٩). وفي المقابل، أجمعت الاوساط الغربية على وجود حوالى ألف صاروخ باليستيكي لدى العراق، من اوزان ومسافات متفاوتة (**الحياة**، ٣/٤/١٩٩٠). أمّا التطوّر الاخير اللافت في هذا المجال، فهو احتمال ان يكون العراق قد سعى الى الحصول على مدفع جبّار قادر على اطلاق القذائف الثقيلة لمسافات تزيد على عدة مئات من الكيلومترات. فقد صادرت السلطات البريطانية، في مطلع نيسان (ابريل)، أنابيب فولاذية عدة زعمت انه يمكن تحويلها الى مدفع يبلغ طوله حوالى ٤٠ متراً. واذا صحّ ذلك، فان العراق ربّما قصد اكتساب القدرة على ضرب اسرائيل برؤوس متفجّرة قد يصل عيارها الى ألف ميليمتر، أو لعلّه أُريد للمدفع ان يعمل كمنصة اطلاق الصواريخ الباليستيكية لتحسين دقتها ومداها (**المصدر نفسه**، ١٢/٤/١٩٩٠). وممّا يزيد مصداقية هذه الاحتمالات هو مقتل الخبير الكندي جيرالد بول، في ظروف غامضة، في بروكسل، في أواخر آذار (مارس)، وهو صاحب تصميم المدفع الجبّار. وكانت الشركة التي يترأسها بول تتعامل مع العراق في مجال تطوير المدفعية، ممّا يشير الى احتمال ان يكون اغتياله تمّ بأيدٍ اسرائيلية (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٦/٤/١٩٩٠).

د. يزيد صايغ

الكيانية الفلسطينية والهاجس العروبي

Shemesh, Moshe; *The Palestinian Entity, 1959-1974; Arab Politics and the PLO*, London: Frank Cass, 1988, 402 Pages.

غالباً ما تراوحت قضية فلسطين في العالم العربي بين كونها قضية مقدّسة اولى، وبين كونها موضوعاً رهن التنافس بين المحاور العربية ـ العربية. وجرياً على تقليد اخلاقي في اللغة السياسية العربية، شاع ربط مقدّس بين قضيتي الوحدة العربية وتحرير فلسطين. واذا ما وجد تناقض ما في هذا الربط، يجرى حلّه في النطاق الايديولوجي، وانْ كان حلاً جزئياً ومؤقتاً، وعلى نحو لا يخلو من افتعال وتوليف.

وراء هذا النطاق الايديولوجي المعلن، كان يعمل المنطق الصارم لكيانية ناشئة في الدول العربية، اختبأ قدر كبير من النفعية، وربما الانتهازية، في ثوب «الربط المقدس». وفي خلال ذلك، أفهم الفلسطينيون، الذين ارتبط اهتمامهم بالعروبة بمدى مردودها الفلسطيني، بغير طريقة، ان «التحرير» متروك للسياسات العربية العليا، وما عليهم، بالتالي، سوى الاطمئنان الاستراتيجي.

وفي باطن الاشياء تطوّر فهم يخالف ما في ظاهرها؛ فما ان بدأت الايديولوجيا «الرابطة» تفقد شحنتها بتخلّي بعض القيادات العربية عن المضيّ في طريق «التحرير»، حتى بدأ الفلسطينيون، من جهتهم، يتخلّون عن الاعتماد فقط على «العروبة» التي انطفأت من دون ان يترتب عليها اي مردود تحريري، وتولوا بانفسهم صوغ الخط الكياني البديل الذي اعلن، من دون تهيب او حرج، عن انفكاك التحالف السابق، وبتصدي اصحاب المهمة المباشرين له، بعد ان امتحنت البدائل العربية التي كان بعضها يطالبهم بالانضواء في عروبة مستقيلة لا تعدّ لحرب «التحرير»، ولا تنتصر اذا فرضت عليها الحرب.

هذه السيرورة ذاتها، هي هاجس كتاب موشي شيمش «الكيانية الفلسطينية، ١٩٥٩ ـ ١٩٧٤؛ السياسة العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية»، وهي محرك الكتاب على امتداد فصوله الاربعة. ومن هنا، ايضاً، يكتسب الكتاب اهمية؛ فهو يشكّل سرداً تاريخياً موثّقاً بمتانة عن المرحلة المعنيّة بالبحث مع استعمال واسع، وذكي، للكتابات الاكاديمية والصحفية، العربية والاجنبية، عن الموضوع، وذلك كله بايجاز شديد يصعب علينا ايجازه.

اشار المؤلف، في الفصل الاول، ويحق، الى ان العام ١٩٥٩ كان عاماً حاسماً في بلورة الكيانية الفلسطينية، وربما جاز اعتباره عام فلسطين؛ لماذا؟ لأن مسألة الكيانية بدأ تجسيدها العملي في الواقع العربي. وخصّ، في هذا الصدد، مصر كولّادة للكيانية الفلسطينية، بينما لم تكن خطة الرئيس العراقي، عبدالكريم قاسم، في العام ذاته، في الدعوة الى اقامة جمهورية فلسطينية، الاّ ردّة فعل على الدور المصري في هذه العملية. واكد شيمش، انه على الرغم من محدودية غرض الخطة، فانها عملت كحافز على ادخال عناصر جديدة الى المبادرة المصرية، في هذا الشأن، خصوصاً على الصعيد العربي، لكنها ساهمت، أيضاً، في تحفيز الفلسطينيين انفسهم على الالتفات صوب كيانيتهم الخاصة بهم، ومحاولة بلورتها (ص ٨ ـ ١١).

وبالنسبة الى الاردن، كانت الكيانية الفلسطينية بمثابة تهديد لوحدة الضفتين، واعتبرت كمحاولة من الرئيس المصري، جمال عبدالناصر، للاطاحة بالعرش الهاشمي. وفوق ذلك كله، كان الاردن طامحاً، في العام ١٩٥٩، الى «اردنة» السكان الفلسطينيين. من هنا، اكد المؤلف انه من السهل فهم معارضة الملك حسين

لأي شكل من اشكال الكيانية الفلسطينية، بما تنطوي عليه من تمثيل. وقد تمّ التعبير عن هذه المعارضة، بصورة فاضحة، في تنكيل النظام بكل العناصر التي كانت طامحة الى الاطاحة بنظامه (ص ١٩ ـ ٢٨).

على الصعيد الفلسطيني، رصد المؤلف ثلاثة تطورات هامّة شهدها العام ١٩٥٩. ففي اجتماع لقادة «فتح»، عقد في تشرين الاول (اكتوبر)، جرى الاعلان عن تأسيس الحركة. وفي تشرين الثاني (نوفمبر)، أُنشىء الاتحاد العام لطلبة فلسطين. وفي السنة عينها، كذلك، ظهرت نشرة «فلسطيننا» الى الوجود، التي أخذت على عاتقها صوغ حدود هذه الكيانية. واشار المؤلف الى ان هذه التطوّرات، اذنت بأن تكون تلك السنة بداية النهاية العملية للهيئة العربية العليا (ص ٢٨ ـ ٣٠).

ومن الامور المشار اليها، بدقة، تشكُّل المنظمات الفلسطينية السرية بين العامين ١٩٦٣ و١٩٦٥، في كل من لبنان والكويت وقطاع غزة. وقد احصى المؤلف حوالى ٤٠ منظمة ظهرت الى الوجود، في تلك الفترة، تراوح عدد اعضائها بين ٢ و٤٠٠. وقد دعت جميع هذه المنظمات الى اقامة نوع من الهيئات، او الحكومة الفلسطينية، او الجبهة الوطنية، من اجل تأكيد ان الضفة الفلسطينية هي «جزء من فلسطين»، اضافة الى مناداتها باقامة الجيش الفلسطيني. ومن بين هذه المنظمات، على سبيل المثال، جبهة التحرير الفلسطينية، وجبهة ثوار فلسطين، وجبهة تحرير فلسطين، وكتائب الفدائيين، وجبهة التحرير الوطني الفلسطيني، وطلائع الفداء لتحرير فلسطين. وكان معظم هذه المنظمات لديه صلات مع سكان الضفة الفلسطينية ولديه فروع هناك، ويعمل بسرية، مخافة القبض على اعضائه من قبل السلطات الاردنية. وكان الجامع المشترك بين هذه المنظمات جميعاً تأكيدها الطابع الكياني الفلسطيني، كقضية احتلت المرتبة العليا في مهامها (ص ٣١ ـ ٣٤).

وأحسن شيمش تذكيرنا بأنه لم يلحظ، خلال متابعته، عن كثب، اي شكل من اشكال الدعوة الى اقامة كيانية فلسطينية من شأنها ان تفضي الى انبثاق حركة سياسية فلسطينية مستقلة ابّان سنوات الوحدة المصرية ـ السورية؛ بل كانت الانتلجنسيا الفلسطينية تسعى الى العمل داخل الاطار العروبي، ودعمها غير المشروط لنظام عبد الناصر تحت شعار «الوحدة طريق تحرير فلسطين»، حتى ان «فلسطيننا» ذاتها لم تبدأ بالترويج لفكرة الكيانية الفلسطينية الاّ في أواخر العام ١٩٦٠، عندما دعت الى اقامة «حكم فلسطيني وطني ثوري على اجزاء من ارض فلسطين [الضفة الفلسطينية وقطاع غزة]»، وهذا يعني ان «فتح» نفسها كانت لا تزال يهيمن عليها الطابع العروبي، وانْ بصورة اقل.

واذا ما كانت الاحداث التي سعى المؤلف الى تغطيتها تبدو ساكنة بعض الشيء، فانها ما لبثت ان تحركت بفعل القرارات التي اتخذتها القمة العربية الاولى، وتحركات احمد الشقيري التي اعقبتها. في هذا الخصوص، سعى المؤلف، في الفصل الثاني، الى تذكيرنا بمحطات تطوّر الكيانية الفلسطينية، بدءاً بعقد مؤتمر القدس وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، وانتهاءً بالقرارات التي اتخذتها القمة العربية الثانية. ولحظ المؤلف الاستقبال الذي حظي به الشقيري في جميع الاماكن التي قصدها في جولاته، خصوصاً لدى سكان الضفة الفلسطينية. وان هذا التعاطف الفلسطيني كان نابعاً، من حيث الاساس، من السعي نحو تأكيد كيانية، فرأى في تأسيس المنظمة بدايات عملية لتجسيدها على ارض الواقع (ص ٣٧ ـ ٥٣).

من النتائج التي توصّل اليها شيمش، في هذا الفصل، ما هو مثير في وضوحه. فهو رأى ان مشكلة الشقيري كانت في تلك الفجوة شديدة الاتساع ما بين اقواله وافعاله؛ وهي وانْ رُدِمَت لفترة من الوقت، فلم يكن ذلك سوى نتيجة مباشرة لدعم عبدالناصر له (ص ٥٦ ـ ٦١). واذا ما كان حتى منتصف العام ١٩٦٥ حافظ على التأييد الفلسطيني لشخصه، بل وحتى حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، فانه كان معتمداً، بالفعل، على الدعم المصري، وعلى الظروف السياسية المتغيرة التي كانت تعصف بالمنطقة العربية. وعليه، ألمح شيمش الى ان توقف الدعم المصري له، خصوصاً في اعقاب حرب العام ١٩٦٧، انهى مستقبله السياسي. وعلى الرغم من ان الشقيري عزا، في مذكراته، اخفاقه الى انه كان عائداً الى الصراعات العربية الداخلية، فان الواقع الفلسطيني لعب الدور الحاسم في ازاحته، خصوصاً ابان نشوء، وتطور، المنظمات الفدائية التي أخذت تزاحمه على موقع قيادة

المنظمة (ص ٦٢).

واشـار المؤلف، بوضوح، الى ان المنظمة، في الفترة الواقعة بين العامين ١٩٦٥ و١٩٦٧، كانت «ساحة» مفتوحة للصراعات العربية ـ العربية نتيجة الاستقطاب الحادّ الذي برز في العالم العربي. الاّ ان ذلك لم يمنع من استفـادة المنظمة نفسها من الاجواء التي عمّمتها مؤسسة القمّة العربية. وبالنسبة الى مصر، فقد اتاح نشاطها لدعم الكيانية الفلسطينية تعويضاً عن عدم قدرتها على تنفيذ الوعد الذي قطعته على نفسها، في العام ١٩٥٩، بـ «تحرير فلسطين»، والاحرى، كانت حرب العام ١٩٦٧ هروباً من ذلك الوعد وايجاد نهاية له (ص ٨٠ ـ ٨٨).

في الفترة تلك، بالذات، فقدت الكيانية الفلسطينية الارض والسكان اللتين تستطيع بهما تحقيق صيرورتها. وفي اللحظة التي بدأت المنظمة باستقطاب الولاء الفلسطيني لها، رأى الملك الاردني حسين ان ذلك الاستقطاب بداية تهديد جدّي لعرشه، وبدأ بمواجهة المنظمة ما استطاع الى ذلك سبيلاً. وكشف شيمش، في هذا السياق، عن ان وصفي التل، ابتكر، في تلك الفترة، اسلوباً لاستقطاب ولاء سكان الضفة الفلسطينية، ارتكز، اساساً، على التوجه الايجابي نحو منظمة التحرير الفلسطينية، من اجل كسب المزيد من الوقت بقصد «احتواء» هذا الولاء. الاّ ان هذا التكتيك، الذي لجأ اليه الاردن، لم يكن الاّ حلاً مؤقتاً. امّا السوريون، فكانوا، في تلك الفترة، منحوا بعضـاً من الدعم الاعـلامي لـ «فتح». وعندما استنهض الاردن ولبنان قواهما ضد المنظمة، كانت الساحة السورية القاعدة الاساسية لانطلاق عمليات «فتح» العسكرية الى اسرائيل (ص ٦٧ ـ ٧٦).

ولحـظ شيمش عملية بروز المنظمات الفدائية، باعتبارها اضافت بعداً جديداً الى القضية الفلسطينية، واستطراداً الى الكيانية. ورأى ان هذه العملية انطوت على بروز «جيل سياسي» فلسطيني جديد، مؤهل لقيادة الحركة الفلسطينية. هذا الجيل الذي نشأ في ظل صعود الحركة القومية، وعاصر خيبة الامل من «الوحدة» بعد انهيـار التجـربة المصرية ـ السورية، بدأ ينتقد القيادة الفلسطينية التقليدية التي كان الشقيري آخر معقل لرموزها. واشار الى انه، بعد ثلاثة اعوام من ظهورها، نجحت «فتح» في فرض نفسها على جميع المنظمات الفدائية الاخرى (٩٠ ـ ٩٢).

في وجه آخر لهذه العملية، رأى شيمش انه تمّ تسريع «الفلسطنة»، في هذه الفترة، في مقابل تقلّص «اردنة» الضفة الفلسطينية؛ وقد جاءت حرب العام ١٩٦٧ لتبلور هذه العملية، حيث برزت للاولى كيانيتها الخاصة بها، وتمثلت، اساساً، في تقليص الروابط مع مؤسسة القمة العربية، ومن التحرر، جزئياً، من الضغوط التي وضعها «الثقل العروبي» على حركتها واستراتيجيتها.

امّا الفصل الثالث، فانه لا يخلو من الموضوعية، وانْ لم يتميز بالابداع؛ حيث جسّد المؤلف، بدقة، التناقض الذي كان لا بد له من ان يقع بين حدود «الوطنية» الفلسطينية وشمولية «القومية» العربية، وسعى، بجهد ظاهر، الى تبيان ذلك، خصوصاً في الفترة الواقعة بين العامين ١٩٦٨ و١٩٧١. واعتبر، بحق، ان العروبة، بطبيعتها الناصرية والبعثية، مارست، بعد هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧، هروبين: هروب الى راديكالية قومية صادرت الفلسطينيين، وهروب مواز مؤداه ان الهزيمة لم تحصل، بدليل ان الانظمة لم تسقط.

ومن موقعها، اطلقت الكيانية الفلسطينية حلها الاستبدالي الكامل، خصوصاً بعد معركة الكرامة (آذار ـ مارس ١٩٦٨): هزم العرب؛ اذاً فليتولّ الفلسطينيون امرهم. ومن هنا، باتت هذه الكيانية مشكلة عربية أكثر ممّا هي مشكلة اسرائيلية (ص ١٠٦ ـ ١٢١). وهكذا، حين خاض الفلسطينيون معارك أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ مع الكيان الذي يعيش فيه اكبر عدد من فلسطينيي الشتات، كانت الدول العربية حاسمة، بدورها، في توطيد ذاتها وتلافي التورّط، مجدّداً، مع اسرائيل. فالعقلانية الناصرية، آنذاك، والتي اتبعت اسلوب التوفيق الصعب بين الملك حسين ومنظمة التحرير الفلسطينية، كانت اعلنت، في وقت سابق، موافقتها على قرار مجلس الامن الدولي الرقم ٢٤٢ ، ومن بعده مبادرة وزير الخارجية الاميركية، وليام روجرز. أمّا دمشق، فما لبثت ان امتصت الشطط اليساري الذي قادها الى التدخل لصالح المقاومة الفلسطينية (ص ١٤٠ ـ ١٤٦).

بعد ذلك، بدأ تقليد الابعاد التدريجي للبندقية الفلسطينية من على الاراضي المحاذية لاسرائيل؛ وتضافرت الجهود العربية في التفافها على ضعف مواجهتها لاسرائيل بالمواربة. وفي هذا الصدد، استشهد المؤلف بوصف لخالد الحسن لهذا التقليد، بقوله: «ان منطلق الثورة الفلسطينية منطلق قومي حقيقي؛ فهي لا تفرق بين الحدود اللبنانية والسورية والاردنية والمصرية. وهذه السياسة تتناقض مع سياسة الامن الاقليمي التي ثبت ان الدول العربية تنطلق منها، والتي ادّت الى القول، مثلاً، بحرية العمل الفدائي ضمن سيادة الدولة» (ص ١٨١).

غطى الفصل الرابع، والاخير، الفترة الواقعة بين العامين ١٩٧٢ و١٩٧٤. وأكد شيمش ان العالم العربي بدأ يتحرك، في تلك الفترة، نحو مرحلة جديدة للنزاع مع اسرائيل، من جهة، وعلى ابراز الكيانية الفلسطينية عموماً، وتمثيل هذه الكيانية بشكل خاص، من جهة أخرى. امّا منظمة التحرير الفلسطينية، فقد حققت انجازات على هذا الصعيد، جرى التعبير عنها في تأكيد تمثيلها للفلسطينيين. وكانت الدول العربية، خصوصاً مصر وسوريا، انتزعت من المحيط الدولي، والعربي، اعترافاً متزايداً بحركة المقاومة، باعتبارها حركة تحرير وطني (ص ١٨٣ ـ ١٨٥).

ولفت المؤلف الانتباه الى دور مصر في هذا الشأن، فأشار الى انه بينما وضع عبدالناصر الاسس المفهومية للكيانية الفلسطينية، فان انور السادات هو الذي وضع هذه الاسس موضع التطبيق. وكان الفهم المصري يتلخص بالتالي: ان المسألة الفلسطينية، بما هي حركة تحرر وطني، يحتاج حلها الى تقرير المصير، معبّراً عنه في شكل دولة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة (بما فيها القدس). وكانت المهمة المصرية، في هذا الاطار، تنحصر في عودة هذه الاراضي الى الفلسطينيين انفسهم، وان اي شيء سيحدث بعد ذلك، فانه يعود الى الفلسطينيين، وان المنظمة هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، وانها يجب ان تشارك كممثلة لهذا الشعب في اي مفاوضات سلام مقبلة (ص ١٩٤ ـ ٢٠١).

ورأى المؤلف انه بينما كان السادات يحاول، جاهداً، سحب المنظمة تدريجياً الى طرح خيار الحل السياسي، كانت سوريا تدعم «الكفاح المسلّح» كخيار اساس. ومن هنا كان نظام الرئيس حافظ الاسد، في تلك المرحلة، يلعب دوراً ثانوياً، انْ لم نقل هامشياً، في سياق الحركة الفلسطينية (ص ٢٠٦ ـ ٢١٠). ولحظ شيمش ان الملك حسين، الذي طرح مشروع «المملكة المتحدة» في ذلك الوقت، قد جعل المنظمة تستفيد، الى اقصى حد، في سياق تصديها للمشروع، لجهة تأكيد تمثيلها (ص ٢٢١ و ٢٢٥ ـ ٢٢٦).

وليس من شك في ان من نتائج حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ غير المعلنة، كان دفع النشاط الفدائي نحو الزاوية، خصوصاً ان سوريا ومصر لم تكونا معنيّتين، بصورة اساسية، بمثل هذا التوجه. وهذا الامر، حسب شيمش، هو الذي جعل القادة الفلسطينيين يدركون ان وجودهم العملي، وفاعليتهم السياسية، لا يمكن ان يتجسدا الاّ على «ارض فلسطينية». وقد قاد هذا الفهم الى تغيّر في الهدف الاستراتيجي، على الاقل من باب «التمرحل». وكانت الجبهة الديمقراطية السباقة في هذا السبيل (ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩). وختم شيمش كتابه باستعراض وافٍ ومفصّل لانتزاع منظمة التحرير الفلسطينية تمثيلها للكيان الفلسطيني، وجاءت مقررات قمة الرباط (تشرين الاول ـ اكتوبر ١٩٧٤) بمثابة تحصيل الحاصل لهذا التمثيل.

وعلى الرغم من امكانية الاختلاف مع عدد من العناصر الواردة في دراسة شيمش، بل على الرغم من التناقض بين بعض هذه العناصر نفسها، تبقى مفيدة، من حيث انها تشكّل جهداً جاداً في سبيل صوغ نظرية حديثة للعلاقة المتميزة بين «العروبة» و«الفلسطنة». هذا الجهد هو الذي يجعل القارىء ينسى تجاهل الكاتب، على امتداد الدراسة، ابراز العلاقة الحميمة بين مدى الولاء لكيان سياسي ما ومدى تطابق هذا الكيان مع تطلعات المجتمع، او على الاقل، مع تطلع الفئات المؤثرة، سياسياً، فيه، لشكل وحدود الكيان المقترح، خصوصاً في الحالة الفلسطينية.

هذه العلاقة ليست جديدة، وهي مكوّن اساس من مكوّنات الثقافة السياسية لمنظمة التحرير

الفلسطينية، ولكنها ليست، على اي حال، بالمسألة التاريخية الباردة. فالعديد من الكتّاب غير متفقين، تماماً، على التسوية التي تمّت، في العام ١٩٧٤، بين المنظمة والعالم العربي، والتي انتجت، في النهاية، حدود الكيانية الفلسطينية وممثليها الاصليين؛ فسوف تجد كتّاباً اعتبروا اعلان الاستقلال الذي جسّدته قرارات دورة المجلس الوطني الاخيرة، في الجزائر، بمثابة اعلان دولة بالقوة قد تصبح دولة في الواقع تجسد هذه الكيانية على نحو ساطع، فيما لم ير آخرون هذا الرأي، بتاتاً؛ اذ ما زالوا يعتبرون الكيانية الفلسطينية «اختراعاً مصرياً شبه اعتباطي». ومن ناحية اخرى، فقد تسلّم «العروبيون» المعاصرون هذه المسألة، وحاولوا تطويعها، قدر الامكان، لخدمة اهدافهم السياسية؛ فاتفق البعض على الزعم ان الكيانية الفلسطينية القائمة «هشة، وسطحية واصطناعية لا تمثل الشعب الفلسطيني وتطلعاته»، بينما اعتبرها آخرون «ثوباً واسعاً اكثر من اللازم ليلبسه المجتمع الفلسطيني».

ثمّة امر آخر. لقد سعى شيمش، بجدية يحسد عليها، الى تسليط الضوء قوياً على مسألة انتزاع منظمة التحرير الفلسطينية مسألة «التمثيل»، واخرجها من التحليل الساكن، وهذا ما كان يفتقده القارىء، حتى الآن. لكن القارىء يبقى متعطشاً لمزيد من التفصيل حول ماهية هذه المسألة، كما حول قدر حظوظها من النجاح.

د. نبيل حيدري

الاسلاميون والتنافس المستحيل

د. زياد ابو عمرو، **الحركة الاسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة**، عكا: دار الأسوار، ١٩٨٩، ١٨٣ صفحة.

اذا تجاوزنا الدراسات القليلة، المتفرقة، التي نشرت، خلال السنوات الأخيرة، وتصدّت لموضوع الحركة الاسلامية في فلسطين المحتلة، خصوصاً في الفترة التي تلت الاحتلال الاسرائيلي للضفة الفلسطينية وقطاع غزة، فان مادة الكتاب الذي بين أيدينا تشكل محاولة أولى على قدر كبير من الأهمية في كشف جوانب عدة من ماضي، وحاضر، أهم حركتين اسلاميتين، هما حركة الاخوان المسلمين وحركة الجهاد الاسلامي، اللتين أثارتا، في السنوات الثلاث الماضية تحديداً، جدلاً واسعاً حول ماهية وطبيعة العودة الجديدة الى التيارات الاسلامية في فلسطين، بعد ركود وغياب استمرا اكثر من أربعة عقود؛ وموقع الحركتين الاسلاميتين الجديدتين في اطار الحركة الوطنية للشعب الفلسطيني، ومدى قربهما، أو بعدهما، منها.

في محاولته الاجابة عن عدد كبير من الاسئلة المتعلقة بالحركة الاسلامية في فلسطين، اكتفى د. زياد أبو عمرو بتسليط الضوء، من زوايا عدة، على حركتي الاخوان المسلمين والجهاد الاسلامي خلال السنوات العشرين الماضية، دون ان يحاول التأريخ للحركة الاسلامية ككل، أو لأي من هاتين الحركتين، وانْ لم يغفل، بالطبع، العوامل التاريخية لتشكّلهما، وانْ بكثير من الايجاز. وتبعاً لهذا، قسم المؤلف كتابه الى جزءين تضمّنا ستة فصول، احتلت حركة الاخوان المسلمين ثلاثة منها، بينما احتلت حركة الجهاد الاسلامي فصلين، وترك الفصل السادس لدرس العلاقة بين الحركتين الاسلاميتين، منتهياً الى خلاصة وضع المؤلف فيها بعض استنتاجاته، تاركاً للقارىء استخلاص نتائج أخرى ممّا اوردته الدراسة بين سطورها، أو ما لم تقله صراحة.

في تمهيده لدراسته، حرص المؤلف على تجنّب الخوض في مساجلات تاريخية، أو أيديولوجية، ما بين الفكر العلماني والفكر الديني، مبتعداً، كلية، من مسرح «الاتهامات المتبادلة [التي] واكبت العلاقة بين الاسلام السياسي المؤطر في حركات، أو أحزاب، سياسية، من ناحية، والحركات والاحزاب السياسية العلمانية (الشيوعية والقومية والوطنية)، من ناحية أخرى»، قاصراً هدفه على «رصد تطور الحركة الاسلامية في الضفة [الفلسطينية] وقطاع غزة، والقاء الضوء على أطروحاتها ومواقفها المتعلقة ببعض القضايا المطروحة [على] الساحة الفلسطينية»، وهو ما التزم به المؤلف منهجاً على امتداد فصول كتابه الستة التي رصد لها طائفة غنية، ومتنوعة، من المصادر العربية، والأجنبية، بالاضافة الى المقابلات الشخصية التي أجراها المؤلف مع عدد من القادة والزعماء الروحيين والفكريين لحركتي الاخوان المسلمين والجهاد الاسلامي في الضفة والقطاع.

منذ البداية، قرر المؤلف ما اتفق عليه الدارسون من قيام حركة الاخوان المسلمين في فلسطين بتأثير الحركة الأم التي أنشئت في مصر في أواخر ثلاثينات القرن الحالي، وباشرت علاقتها بفلسطين منذ العام ١٩٣٥، عندما قدم الى فلسطين أول مبعوث مصري أوفده مرشد جماعة الاخوان المسلمين في مصر، الشيخ حسن البنا، فالتقى مفتي القدس رئيس المجلس الاسلامي الأعلى، الحاج أمين الحسيني، واضعاً بذلك الحجر الاساس لاول علاقة رسمية للاخوان بفلسطين، التي فتحت الطريق لتأسيس فروع لهم فيما بعد، كان أولها فرع القدس الذي افتتح في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥، وتتابع، من بعده، انشاء فروع لجماعة الاخوان المسلمين في عموم فلسطين، حتى بلغت، في العام ١٩٤٧، خمسة وعشرين فرعاً، تراوحت العضوية فيها بين ١٢ و٢٠ الف

عضو، عملت تحت اشراف قيادة الجماعة في القاهرة، في حين سمّي الحاج أمين الحسيني قائداً محلياً لها (ص ٢١). ثمّ قدّم المؤلف لمحة عن مشاركة الاخوان المسلمين في فلسطين والدول العربية المجاورة في حرب العام ١٩٤٨، كانت تستحق، في الواقع، عرضاً «استثنائياً» ضمن بنود هذا الفصل، نظراً الى دور الاخوان المميّز في الحرب، والذي هو موقع اهتمام خاص لدى حركة الاخوان المسلمين، وللاثر الذي تركته مشاركتهم في الحرب في اوضاع الحركة في قطاع غزة في السنوات التالية للحرب. وعلى الرغم من ذلك، فقد جاء العرض التاريخي الموجز لاوضاع حركة الاخوان المسلمين مقدّمة ضرورية لفهم تطور أوضاعهم في كل من الضفة الفلسطينية التي ضمّت الى المملكة الاردنية في مطلع الخمسينات، وقطاع غزة الذي أُخضع لسلطة الادارة العسكرية المصرية، منذ نهاية حرب العام ١٩٤٨ وحتى وقوعه تحت الاحتلال الاسرائيلي بفعل عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧، باستثناء فترة أربعة شهور أُخضع فيها للاحتلال الاسرائيلي بعد العدوان الثلاثي على مصر العام ١٩٥٦.

في رصده لعلاقة الاخوان المسلمين بالنظام في الاردن، لاحظ أبو عمرو اتجاه حركتهم نحو التآلف حيناً، والتصادم أحياناً. فعارضوا، على سبيل المثال، سياسة الاردن الموالية لبريطانيا؛ وكذلك عدم التزام الاردن مبادىء الشريعة الاسلامية، ومراعاة القيم التي نادى بها الاسلام، ممّا أدّى الى اعتقال مرشد الجماعة مرات عدة (ص ٢٣). غير ان تمتع الاخوان المسلمين بوضع قانوني ميّز تعاطي النظام معهم عن تعاطيه مع بقية الاحزاب السياسية في البلاد. وهكذا وصفت علاقة الاخوان المسلمين بالنظام في الاردن، على امتداد الفترة التي سبقت العام ١٩٦٧، بـ «المعارضة الموالية». فقد شارك الاخوان المسلمون، في تلك المرحلة، في دورات انتخابية عدة، بدأت منذ العام ١٩٥٦. وقدّرت مصادر عدد اعضاء الاخوان المسلمين بـ ٧٠٠ الى ألف عضو، انتمت غالبيتهم الى فئة التجار واصحاب الملكيات والحرفيين والعمال والفلاحين، ولم تحظ الحركة بتأييد طلابي واسع. أمّا في قطاع غزة، فقد لعب الضباط المصريون دوراً في تجنيد الشبان في صفوف حركة الاخوان المسلمين؛ مستفيدين من الدور الذي لعبه الاخوان في حرب العام ١٩٤٨ وترك لهم سمعة طيبة بين المواطنين في القطاع. فأنشئت شعب للاخوان هناك كانت على علاقة حسنة بالنظام الناصري، الى درجة اعتبار الاخوان «حزب السلطة». لكن هذه العلاقة تعرّضت لضربة شديدة، اثر محاولة الاخوان المسلمين في مصر اغتيال جمال عبدالناصر سنة ١٩٥٤، فحُلّت قيادتهم، وحظر نشاطهم، وطوردوا في كل من مصر وقطاع غزة.

بلغ عدد اعضاء حركة الاخوان المسلمين عند حلها اكثر من الف عضو، جاءت غالبيتهم من طلاب المدارس في مخيمات اللاجئين، وجاءت أقلية منهم من فئات اجتماعية أخرى. في المرحلة اللاحقة، عمل الاخوان المسلمون، في قطاع غزة، في ظروف سرية، وسجّل المؤلف لهم، في تلك الفترة، مساهمة فعّالة، الى جانب التنظيمات السياسية الأخرى، في افشال مشروع توطين اللاجئين في سيناء في العام ١٩٥٥، ومساهمتهم في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي لقطاع غزة في العام ١٩٥٦، وكذلك المساهمة في جهود افشال مشروع تدويل القطاع العام ١٩٥٧. وعلى الرغم من ذلك، ظلت علاقة الاخوان المسلمين بمصر سلبية حتى العام ١٩٦٧.

التوحّد مجدداً

لئن كانت حرب العام ١٩٤٨ قسمت الاخوان المسلمين الى حركتين تطورتا بشكل مستقل في كل من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، فان حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وحدّت الحركتين من جديد. فـ «انضوى الاخوان [المسلمون] في قطاع غزة [وفي] الضفة الغربية والاردن تحت لواء تنظيم اخواني فلسطيني ـ اردني موحّد، خضع لقيادة واحدة، اطلق عليها ' الاخوان المسلمون في الاردن وفلسطين' ». ونشأ بذلك تحول هامّ في تاريخ حركة الاخوان المسلمين قوامه انتقال علاقتهم التنظيمية في القطاع من مصر الى الاردن (ص ٢٨).

جاءت عودة الاخوان المسلمين الجديدة بمبادرة من قطاع غزة، الذي شهد نفوذاً متزايداً لهم فاق نفوذهم في الضفة. وتعتبر نشأة المجمع الاسلامي في القطاع، العام ١٩٧٣، نقطة الانطلاق في هذه العودة، حيث شهد، فيما بعد، حركة واسعة أعطت دفعة هامة للاخوان المسلمين في كل من الضفة والقطاع؛ فقد «وفّر المجمع اطاراً منظماً وقانونياً لنشاط الاخوان [المسلمين]؛ ووفّر لهم [كذلك]، آليات متعددة للاتصال بالسكان»

(ص ٣٥). ولوحظ نشاط الحركة الاسلامية الجديد اعتماداً على تحركاتها داخل المساجد والجامعات الفلسطينية التي شكّلت «ميداناً هاماً من ميادين نشاط الاخوان المسلمين، ومجالاً لكسب النفوذ لهم» (ص ٣٥). كما انعكس نشاط الاخوان المسلمين في اشكال الخدمات التي اخذت دائرة الاوقاف الاسلامية في تقديمها، وفي افتتاح المكتبات الاسلامية في مختلف مدن الضفة والقطاع، وفي تخصيص أماكن للصلاة في المدارس وغير ذلك (ص ٣٧).

في الفصل الثاني، سلّط المؤلف الضوء على موقف الاخوان المسلمين من القضية الفلسطينية، فتعرض الى منطلقاتهم النظرية، والسياسية، الاساسية التي حكمت توجهاتهم في السنوات الاولى للاحتلال الاسرائيلي؛ وحدّدت، تالياً، علاقتهم بـ م.ت.ف. وبـ «فتح» وبالفصائل الفلسطينية اليسارية. لقد حكم علاقتهم بـ م.ت.ف. منطق الشك والتناقض والاتهامات المتبادلة. وتميزت علاقة الاخوان المسلمين بـ «فتح» بالـ «حب والكراهية». أمّا مع القوى اليسارية، فكانت علاقة الاخوان علاقة «عداء مستحكم». ولاحظ المؤلف ان حركة الاخوان المسلمين حددّت علاقاتها مع القوى الأخرى انطلاقاً من اقتراب هذه القوى، او ابتعادها، من منطلقات الاخوان المسلمين وبرامجهم التي تستند الى ثلاثة محددات، هي: اعتبار فلسطين كلها أرضاً اسلامية؛ وان الاعتراف باسرائيل هو اعتراف بـ «اغتصاب ارض اسلامية»؛ والدعوة الى تحوّل كامل نحو الاسلام؛ وانبعاث الاسلام في المنطقة قبل بدء الجهاد. وتبعاً للمحددات هذه، اعترض الاخوان المسلمون على البرنامج الوطني لـ م.ت.ف. وكذلك برنامج «فتح» القائم على مقولة «التحرير أولاً، ثم الدعوات الفكرية» (ص ٤٩ و٥٠). غير ان العرض التالي لتطوّر الاحداث، كما قدمه المؤلف، اشار الى تراجع منطق الاخوان المسلمين أمام منطق الحركة الوطنية الفلسطينية عموماً، التي تعتبر جماهيرية ليس من السهل انتزاع النفوذ منها، او التغلّب عليها. كما ان الميل العام لدى المواطنين يتجه نحو تأييد السياسة الواقعية التي تنتهجها فصائل م.ت.ف. وتفضل الاغلبية، في المناطق المحتلة، تحقيق حل سياسي مرحلي ووضع حد للعذابات التي يعانون منها منذ الاحتلال الاسرائيلي العام ١٩٦٧. وفرضت هذه الحقائق، بمجموعها، على الحركة الاسلامية تقديم تنازلات لم تكن ترغب في تقديمها، ممّا أدى الى استبعاد منطقها الانتظاري، وظهور تيارات في صفوفها نادت بالتصدي المباشر للاحتلال الاسرائيلي. وقد اضطر الزعيم الروحي لحركة «حماس» المنبثقة عن حركة الاخوان المسلمين، الشيخ أحمد ياسين، الى الاقرار بأن م.ت.ف. تمثل الشعب الفلسطيني، وان الحركة الاسلامية لا تطرح نفسها بديلاً منها. وعلى الرغم من تحفظات الشيخ ياسين على برنامج م.ت.ف. لم يستبعد التفاوض مع اسرائيل، لكنه اشترط ان تعلن اسرائيل، أولاً، حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، وحقه في العودة الى ارضه (ص ٥٧ و٥٨). وهو موقف يتعارض، كلية، مع ما سبق واعلنته حركة الاخوان المسلمين من ان التفاوض من أجل دولة في الضفة والقطاع هو «خيانة للقضية» (ص ٤٩). وتطوّرت مواقف زعماء الاخوان المسلمين الى حدّ القبول بالتحالف مع «أي فئة وطنية مخلصة تعمل على تحرير البلاد وتخليصها من الاخطار الصهيونية والاستعمارية ولو كانت لا تدين بالاسلام، بشرط ألّا تشهر هذه الفئات عداءها للاسلام والاسلاميين» (ص ٦٠).

سمح التطوّر الجديد هذا بتغيير طبيعة العلاقات ما بين الحركة الاسلامية والقوى الوطنية، فانتقلت الى مرحلة تميّزت بالتعاون والتنسيق تارة، والخلاف تارة أخرى (ص ٧٧).

في الفصل الثالث، أكدّ المؤلف التحول الاكبر في موقف الاخوان المسلمين، والذي جاء نتيجة مشاركتهم في انتفاضة كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧. «فحتى اندلاع الانتفاضة، لم يكن الاخوان [المسلمون] طرفاً فاعلاً في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي». لذلك، اعتبرت مشاركتهم في الانتفاضة انتقالاً «الى مرحلة جديدة في استراتيجيتهم، تميّزت بالجهاد الفعلي». وعلى الرغم من ادعائها بأن الانتفاضة انطلقت بقرار منها، فقد بدأت حركة الاخوان المسلمين تميل الى الاعتراف بأن مشاركتها في الانتفاضة جاءت بدافع من محاولتها الحفاظ على وجودها، «لأن عدم مشاركتهم [الاخوان المسلمين] يعني افتقاد المصداقية، وتوجّه عدد من أنصار الاخوان الى اتجاهات سياسية اخرى، وخاصة [الى] حركة الجهاد الاسلامي».

الوطني، أولاً

تضمّن الجزء الثاني من الكتاب ثلاثة فصول، خصص اثنان منها لحركة الجهاد الاسلامي. ووفقاً لما جاء في الفصل الرابع (الأول من الجزء الثاني)، فقد تأسست حركة الجهاد الاسلامي، العام ١٩٨٠، على يدي الشيخين، فتحي الشقاقي وعبدالعزيز عودة، في غزة، اللذين استندا، في تأسيس الحركة الجديدة، الى نشاط أعضاء سابقين من الاخوان المسلمين سعوا الى التميّز بالممارسة عن الخط العام للاخوان المسلمين؛ من هؤلاء الشيخ يعقوب القرش الذي كان على علاقة ما بـ «فتح»، وكان «من اوائل الذين تحدثوا عن ضرورة مواجهة الاحتلال... ودعا الى الجهاد ضده» (ص ١١٢).

جاء اعضاء وقادة الجهاد الاسلامي عموماً من بين صفوف حركة الاخوان المسلمين، وجاء بعضهم من تنظيمات سياسية وفدائية سابقة، منها قوات التحرير الشعبية، التي قادها الشيخ جبر عمّار أحد قادة الجهاد الاسلامي. وكان من أوائل المؤسسين لحركات اسلامية داخل السجون الاسرائيلية منذ السبعينات.

تركّز الوجود الرئيس للجهاد الاسلامي في قطاع غزة، ولم تحظ، في الضفة الفلسطينية بأكثر من وجود ضئيل، لكنه يتزايد. على الصعيد الفكري، استمدت «الجهاد الاسلامي» فكرها الايديولوجي، والسياسي، من التراث الاسلامي بوجه عام. واحتل الشيوخ حسن البنّا وسيد قطب وعزالدين القسام مكانة جديرة بالاقتداء لدى الجهاد الاسلامي. واشار المؤلف الى أوجه شبه كثيرة بين ما قام به القسّام وأنصاره في مقاومة الانتداب البريطاني في فلسطين وما قامت به «الجهاد الاسلامي» في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي، حيث مزج القسّام الدعوة الى الجهاد في سبيل الله بالدعوة الى الجهاد في سبيل الوطن، رافعاً شعار «كتاب الله في يد، والبندقية في يد أخرى» (ص ١٢١). أي انه جمع بين الديني والوطني، وهذا ما فعلته «الجهاد الاسلامي، التي اعتقد أنصارها بدور أساسي للعمليات المسلحة التي قاموا بها قبيل انطلاقة الانتفاضة العام ١٩٨٧ في تفجير تلك الانتفاضة. وهم اعتبروا العمليات الانتحارية (الاستشهادية) اسلوباً رئيساً من اساليب عملهم (ص ١٢٤).

أهم ما ميّز حركة الجهاد الاسلامي أورده المؤلف في سياق تعرضه الى موقف «الجهاد الاسلامي» من القضية الفلسطينية (الفصل الخامس). ويمكن حصره في النقاط التالية: تعتبر حركة الجهاد الاسلامي فلسطين قضيتها المركزية، بعكس حركة الاخوان المسلمين التي ترى في انتصار الدعوة الاسلامية القضية المركزية والمقدمة الصحيحة للاقتراب من قضية فلسطين، وحلّها حلاً اسلامياً (ص ١٣١)؛ تؤمن «الجهاد الاسلامي» بالكفاح المسلح كاستراتيجية للعمل السياسي، ولا تتمسك بمبدأ تطبيق الشريعة الاسلامية على المجتمع قبل قيام الدولة الاسلامية في فلسطين. ويتعاكس هذا الموقف، تماماً، مع وجهة نظر الاخوان المسلمين الذين يعتقدون بوجوب قيام دولة اسلامية قبل تحرير فلسطين (ص ١٣٣).

اتسمت علاقة «الجهاد الاسلامي» بـ م.ت.ف. بالغموض والازدواجية. وثمة حديث عن علاقة بين «فتح» و«الجهاد الاسلامي». وتنظر «الجهاد» الى «فتح» نظرة ايجابية، بسبب الخلفية الاسلامية المميزة لمؤسسي «فتح» الاوائل. وتبعاً لهذا، نشأ بين الحركتين شكل ما من التعاون، لكن هذا التقارب والتعاون لم يؤديا الى اقامة تحالف جدّي، خصوصاً مع القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة. غير ان «الجهاد الاسلامي» حرصت، من جهة اخرى، «على عدم الاشتباك مع أية قوة فلسطينية أخرى [سواء] اسلامية كانت ام علمانية» (ص ١٤١)؛ لكنها لم تخف معارضتها لبرنامج م.ت.ف. وهي تعتبر سياسة م.ت.ف. الحالية بمثابة «انتحار سياسي» (ص ١٤٤).

انفرد الفصل الخامس، والأخير، بتسليط الضوء على الخلافات الاساسية بين حركتي الاخوان المسلمين والجهاد الاسلامي، وتتلخّص في ثلاث قضايا رئيسة، هي: اعتبار حركة الجهاد نفسها نقيضاً للاتجاه الاصلاحي الذي تمثّله حركة الاخوان المسلمين، على اعتبار ان الجهاد تمثّل تيار «المفاصلة والثورة»، بينما تمثّل حركة الاخوان تيار «المهادنة والترقيع والاصلاح»؛ والخلاف حول الفهم الصحيح للاسلام كعقيدة، وكيفية التعامل معها والاسترشاد بها في التعاطي مع القضايا الاسلامية؛ والخلاف حول الموقف من المسألة الفلسطينية والانظمة العربية والثورة الاسلامية في ايران، والموقف من ممارسة الكفاح المسلّح. وتفرّع عن هذه

الخلافات سيل من القضايا التي خلقت اتهامات متبادلة بين الحركتين وميّزت علاقتهما بـ «السلبية والتنافر»، الذي بلغ حدّ الصراع العنيف أحياناً.

خلاصات

استخلص المؤلف من عرضه لنشأة، وتطوّر، كل من حركتي «الاخوان» و«الجهاد» باقرار أفاد بفشل الحركة الاسلامية، وهي الاطول عمراً والاكبر تجربة، في ان تتحول الى القوة السياسية الأهم على الساحة الفلسطينية، على الرغم من تغيير اسمها القديم، والعمل، منذ بدايات الانتفاضة، تحت اسم حركة المقاومة الاسلامية (حماس)؛ اذ لا يزال اسم الاخوان المسلمين يرتبط بدلالات سلبية في أذهان بعض المواطنين في المناطق المحتلة. وهكذا ظلت حركة «الاخوان» جزءاً من الحركة الاسلامية العالمية، تؤثر فيها، وتتأثر بها، سلباً وايجاباً، لكنها تبقى خاضعة لعوامل ومؤثرات داخلية، وخارجية. وتأثرت مصداقية «الاخوان» بمواقفهم من القضايا الوطنية؛ وعلاقتهم بأطراف الحركة الوطنية الفلسطينية؛ وعدم تبنّي موقف صدامي مع الاحتلال يتناسب وقوتهم؛ واستمرار علاقاتهم مع بعض الانظمة العربية. ونتيجة لهذه العوامل، ضعف موقف الاخوان المسلمين ازاء م.ت.ف. اضافة الى تمتّع م.ت.ف. بسجل وطني تضمّن رصيد أكثر من ٢٥ عاماً في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي، وكونها مسؤولة عن بلورة الهوية الوطنية الفلسطينية وتثبيت الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني. وأكد المؤلف، في استخلاصاته، انه اذا لم تتبنَّ حركة الاخوان المسلمين برنامجاً وطنياً فلسطينياً محدداً يؤكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته الوطنية المستقلة، وتعتمد، صراحة، أساليب النضال كافة، بما فيها المقاومة المسلّحة، فلن يكون بمقدروها ان تضاهي م.ت.ف. (ص ١٦٨ ـ ١٦٩).

يقودنا الاستنتاج هذا الى استنتاج مكمّل لم يأت المؤلف على ذكره، وهو، الى جانب استنتاجات أخرى، يمثّل اضافات ضرورية، برأينا، للخروج بالحدّ الاقصى من الخلاصات التي وضعت الدراسة القيّمة هذه حيثياتها. واستخلاصنا المكمّل هو ان تجربة النضال الوطني الفلسطيني، منذ ثلاثينات القرن الحالي، أثبتت استحالة نمو وتطوّر الحركة الاسلامية خارج البرنامج الوطني للشعب الفلسطيني. وكانت تجربة «الاخوان» أنفسهم، خلال حرب العام ١٩٤٨، الدليل الاكبر على ذلك، كون مشاركتهم في الحرب جاءت في سياق، النضال الوطني الفلسطيني في مواجهة الحركة الصهيونية وقيام اسرائيل. كما أثبتت تجربة العمل الوطني الفلسطيني، منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية في ١٩٦٥/١/١ وحتى الآن، استحالة نجاح أية حركة سياسية بمعزل عن أطر وبرامج الحركة الوطنية ممثلة في برنامج وجسم م.ت.ف. الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني؛ وينطبق هذا الامر على الحركة الاسلامية وتياراتها المختلفة مثلما ينطبق على الشيوعيين والقوميين وأي حركات أخرى، بغض النظر عن انتماءاتها الفكرية والايديولوجية. يضاف الى ذلك، ان سرّ نجاح أية حركة سياسية عملت على ساحة العمل الوطني في استقطاب مؤيدين لها، واحتلال مكانة جماهيرية، كان، ولا يزال، مرتبطاً ببحثها عن شروط تواجدها في الهوية الفلسطينية وفي تربة العمل الوطني المحلي أولاً. ولهذا، فشلت جماعات اسلامية، مثل حزب التحرير (جماعة النبهاني) وجماعة الدعوة والتكفير والهجرة وغيرها، في احتلال موقع ملموس في أذهان الجماهير الفلسطينية، فاندثرت، أو اختفت، عملياً، من على ساحة العمل الوطني. كما لاحظت دراسات أخرى، عالجت موضوع الحركة الاسلامية في فلسطين، تباين نشاط هذه الحركة ومهماتها عن مهمات الحركات الاسلامية المماثلة في الاقطار العربية، حيث عملت الاخيرة كأحزاب معارضة، فيما تميّزت الحركة الاسلامية في فلسطين، عموماً، بتمتعها بمكوّن وطني عروبي غلب المكوّنات الاسلامية الاممية، بفعل طبيعة المواجهة المفروضة مع الاحتلال، حيث يجرى النضال من اجل استقلال وطني وليس بحثاً عن السلطة كما هو الحال في تجارب الحركات الأخرى في الوطن العربي. ودفعت هذه الاستنتاجات بعض الباحثين الى اعتبار الحركة الاسلامية في فلسطين عموماً، وحركة الجهاد الاسلامي خصوصاً، حركة قومية عملت في ظل الظروف الخاصة في الضفة والقطاع، وهذه مسألة هامّة في تمايز برامجها عن برامج الحركة الاسلامية في المنطقة عموماً.

ربعي المدهون

نشاط مركّز، عربياً ودولياً

على الرغم من بعض التفاؤل الذي برز على هامش احتمال تمكّن حزب العمل الاسرائيلي من تأليف حكومة، وامكانية البدء في الحوار الاسرائيلي ـ الفلسطيني، فقد انحسر ذلك التفاؤل، بعدما راوحت الازمة الوزارية الاسرائيلية في مكانها، وبعدما أعلن العراق، رسمياً، عن امتلاكه لأسلحة متطوّرة، وعن استعداده للردّ على أي اعتداء اسرائيلي محتمل على أراضيه.

من خلال تلك التطوّرات الهامّة، والمؤثرة، نشطت الدبلوماسية الفلسطينية في التحرّك عربياً، والدعوة الى ضرورة عقد قمّة عربية طارئة لمناقشة تلك التطوّرات، في حين تضمّنت تصريحات القيادة الفلسطينية تشاؤماً ملحوظاً، حيال امكانية البدء بالحوار الاسرائيلي ـ الفلسطيني.

في هذا السياق، رأى الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، ان ما يحدث في اسرائيل، حالياً، هو من صنع بعض الدوائر الاميركية «التي لا تريد للمسيرة السلمية ان تستمر، ولا تريد لبيريس ان يشكّل الحكومة» (وفا، تونس، ١٧/٤/١٩٩٠)؛ في حين أعلن رئيس الدائرة السياسية لـ م.ت.ف. فاروق القدومي (ابو اللطف)، ان الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي، وكل ما يتعلق به، ما هي الاّ شعارات تُرفع من اجل كسب الوقت. وهذه المشاريع تطرح لايهام الرأي العام بأن الولايات المتحدة الاميركية جادّة في مسيرة السلام، «ولا اعتقد بأنها جادّة. ولا بدّ، أولاً، من تغيير العقلية الاسرائيلية» (الحياة، لندن، ١٥/٤/١٩٩٠). ورأت أوساط صحفية فلسطينية، انه على الرغم من الحديث المكثّف عن عملية السلام، «وعن جهود السلام، وعن مفاوضات السلام، في الشرق الاوسط، الاّ ان المنطقة كلها تعيش أجواء حرب، أكثر ممّا تعيش اجواء سلام» (بلال الحسن، اليوم السابع، باريس، ١٦/٤/١٩٩٠). ذلك ان معطيات المنطقة كثيرة، وهامّة، ومتلاحقة بشكل متسارع، وثمّة «متغيّرات أكثر في محيط هذه المنطقة حدثت وتحدث. وهي تتصل بهذه المعطيات بشكل مباشر أو غير مباشر، فتؤثر فيها، وتتأثّر بها، الى الحدّ الذي يقنع الجميع بأن ثمّة مؤشرات خطر حقيقي يتهدّد هذه المنطقة، ويهدّد مستقبل السلام والأمن فيها» (فلسطين الثورة، نيقوسيا، ٢٩/٤/١٩٩٠). الى ذلك، يمكننا القول ان الايام الماضية أعادت الى الاذهان كون منطقتنا «واحدة من تلك المناطق التي ما زالت تتهدّدها الانفجارات، ولا يزال فيها السلام الحقيقي، سلام الشعوب، هدفاً لا تجمع على العمل من اجله كل الاطراف المتواجدة في المنطقة، أو المتعاطية مع شؤونها» (الحرية، نيقوسيا، ٨/٤/١٩٩٠).

التهديد العراقي

أعلن الرئيس العراقي، صدام حسين، مساء الاحد ١/٤/١٩٩٠، وفي اطار ردّه على التهديدات الاسرائيلية للعراق، ان العراق لا يمتلك، في الوقت الحاضر، أية اسلحة نووية، ولكنه يمتلك السلاح الكيميائي المزدوج، الذي يملكه الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية فقط، وان الذي يضرب العراق بالاسلحة الذرية سيضربه العراق بالسلاح الكيميائي المزدوج الذي صنعه منذ العام ١٩٨٧، ولم يستخدمه ضد ايران.

ومن الواضح، لقد «اراد الرئيس العراقي ان يؤكد لاسرائيل ولمختلف الدول التي تشاركها موقف العداء لفلسطين وللعراق وللامة العربية، ان الجنوح العربي نحو السلام، في هذه المرة، ينطلق من واقع الاقتدار وليس من مواقع الضعف» (فلسطين الثورة، ٨/٤/١٩٩٠).

ورأت أوساط سياسية فلسطينية في تصريح الرئيس العراقي انه كان تصريحاً واضحاً، «ينطلق من منطق الردع، واننا أمّة مسالمة، ولكننا

نرفض الاعتداء علينا، وسنقاوم العدوان، ولدينا السلاح لمقاومته، وان اسرائيل ما زالت تستخدم السياسة العدوانية والتوسّعية» (من مقابلة مع فاروق القدومي، **الوطن العربي**، لندن، ٣/٤/١٩٩٠).

وفي السياق عينه، علّق المحرر السياسي لوكالة الانباء الفلسطينية (وفا) بأن الخلل الاستراتيجي، في المنطقة، «أمكن ردم الهوة السحيقة فيه، وان العراق، بما يمتلك من القدرة، يؤمّن للعرب، لأول مرة، التوازن الاستراتيجي» (وفا، ٩/٤/١٩٩٠).

من جهة أخرى، رأت أوساط صحفية فلسطينية انه اذا كان العراق أعلن، على لسان رئيسه، استعداده للصمود والمواجهة، واستعداده لصدّ العدوان المنتظر، فان الاطراف العربية المدعوة الى اجتماع جامعة الدول العربية، مدعوة لا الى مساندة العراق، بل الى الدفاع عن سيادتها في وجه مخطط الهيمنة الاميركي. ذلك ان الاستقلال العربي مهدّد بأبسط مكوّنات وجوده. وفضيلة العراق انه يرفع راية الدفاع عن هذا الاستقلال؛ ولذلك، «فانه يواجه بالتهديدات من كل جانب. والمطلوب ان تكون هناك أيد عربية شجاعة تمدّ أيديها لترفع الراية مع العراق، وإلاّ فان نذر الحرب ستهدد الجميع» (**اليوم السابع**، ٩/٤/١٩٩٠).

الى ذلك، يمكن القول، ان التهديد العراقي تمكّن من خلق أجواء متفائلة، وأسهم، وبوضوح، في تصليب المواقف عموماً. وفي هذا السياق، صرّح الامين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، نايف حواتمة، بأن العراق وليبيا يتعرّضان لحملة تعبئة دعاوية معادية اميركية ـ اسرائيلية، تحضيراً لخطوات عدوانية، الأمر الذي يُذكّر بالحملات التي سبقت العدوان الجوي الاسرائيلي على المفاعل النووي العراقي، وكذلك العدوان الاميركي على الجماهيرية الليبية. وأكد حواتمة ان الجبهة الديمقراطية تقف الى جانب العراق وليبيا ضد حملات التعبئة والتحضيرات العدوانية الاسرائيلية والاميركية (**الحرية**، ١٥/٤/١٩٩٠).

من جهتها، دعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الى اقامة الجبهة الشرقية، واعادة الاعتبار الى الخيار العسكري الذي اسقطه العرب في قمة فاس. «وها هو العراق يقف عملاقاً ليرسم التصوّر للتصدي لاسرائيل، الامر الذي يتطلب خطوتين عاجلتين، هما: مصالحة عراقية ـ سورية ونبذ التناقضات الثانوية، وتصحيح العلاقات الفلسطينية ـ السورية. واذا ما تكوّنت هذه الجبهة بوحدة موقف عربي، فانها ستكون مرحلة جديدة سينشأ عنها، بالضرورة، وضع عربي جديد» (من مقابلة مع ابو علي مصطفى، **الهدف**، دمشق، ٢٢/٤/١٩٩٠).

التحرّك، عربياً

ازاء ما شهدته المنطقة من تطوّرات متسارعة، قامت قيادة م.ت.ف. بتحرّك واسع باتجاه الدول العربية، بغية تأمين الحدّ الادنى المطلوب لعقد قمة عربية طارئة. وفي هذا السياق، استقبل وزير الخارجية السورية، فاروق الشرع، بتاريخ ١٤/٤/١٩٩٠، عضو اللجنة المركزية لـ «فتح»، انتصار الوزير (أم جهاد). وفي تصريح لها، قالت «أم جهاد»: «انني حملت رسالة من [الرئيس] ياسر عرفات الى الرئيس حافظ الاسد، وبلّغت هذه الرسالة قبل ظهر اليوم [١٤/٤/١٩٩٠] الى وزير الخارجية السورية، فاروق الشرع، الذي استقبلني؛ وكانت الرسالة شفوية» (**وكالة الصحافة الفرنسية**، نيقوسيا، ١٤/٤/١٩٩٠). وعلى هامش زيارتها، التقت «أم جهاد»، في دمشق، مع قادة فصائل فلسطينية منضوية تحت لواء م.ت.ف. وآخرين (**فلسطين الثورة**، ٢٢/٤/١٩٩٠).

ولعل ابرز التحركات، عربياً، هو ما شهدته عمّان من مباحثات فلسطينية ـ اردنية. فقد قام الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، بزيارة للملكة الاردنية الهاشمية، ابتداء من ١٦/٤/١٩٩٠، حيث استقبله رئيس الوزراء الاردني، مضر بدران، على رأس عدد من كبار مسؤولي الدولة وضباط الجيش (**الرأي**، عمّان، ١٣/٤/١٩٩٠). وعلى أثر مباحثاته مع الملك حسين، صرّح عرفات: «لقد بحثنا [في] عقد القمة العربية؛ واقترحنا عقدها في بغداد، للاعراب عن دعم الامة العربية الكامل للعراق، الذي يتعرّض لهجمة صهيونية معادية، بسبب وقفة العز والكبرياء التي يقفها دفاعاً عن الامة العربية كلها» (**الدستور**، عمّان، ١٩/٤/١٩٩٠). هذا، وقد

أكدت المباحثات وجوب تفعيل عمل اللجنة الاردنية ـ الفلسطينية المشتركة كأداة تنفيذية للجهد المشترك، الاردني ـ الفلسطيني.

من جهة أخرى، أشارت المصادر الرسمية الفلسطينية الى ان م.ت.ف. تقدّمت بورقة عمل لصوغ العلاقة المستقبلية بين الشعبين، الاردني والفلسطيني، وان أبرز نقاط تلك الورقة هي قضية الجنسية، وجوازات السفر، والعلاقات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، بين الاردن وفلسطين. واذا كانت الكونفدرالية بين فلسطين والاردن هي عنوان المحادثات، فان الموقف الاردني الرسمي لا يزال عند ذلك الذي أعلن عقب فك الاردن لعلاقاته الادارية والقانونية مع الضفة الفلسطينية، وهو ان موضوع اعلان الكونفدرالية سابق لأوانه، ولا بدّ من اقامة الدولة الفلسطينية أولاً (مازن مصطفى، **الحوادث**، لندن، ٢٧/٤/١٩٩٠).

من جهة أخرى، أوضح عضو اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ياسر عبدربه، ان الوفدين، الفلسطيني والاردني، توصّلا، خلال الاجتماعات المشتركة في عمّان، بتاريخ ١٧/٤/١٩٩٠، الى اتفاق حول التنسيق المشترك في مختلف المجالات. وأوضح عبدربه ان الجوانب العملية لهذا التنسيق ستبحث في الفترة المقبلة، مشيراً الى التوجّه نحو تشكيل لجان متخصصة لتنظيم عملية التنسيق على المستوى السياسي، والاعلامي، والاقتصادي (**الحرية**، ٢٩/٤/١٩٩٠).

وعلى صعيد الاتصالات الفلسطينية ـ الاردنية للتمهيد للقمة المقترحة، زار عرفات طرابلس الغرب، بتاريخ ١٠/٤/١٩٩٠، فالتقى الرئيس الليبي، معمر القذافي، وتداولا في الامور مطولاً، ثمّ غادر عرفات بعدها الى بغداد. وفي بغداد، تباحث عرفات مع الرئيس صدام حسين بصدد التهديدات الاسرائيلية للعراق، والحملة الغربية ضده (**الثورة**، بغداد، ١٢/٤/١٩٩٠).

وفي السياق عينه، تحادث عرفات مع العاهل السعودي، فهد بن عبدالعزيز، بتاريخ ٢٣/٤/١٩٩٠، في مدينة مكة المكرّمة، التي وصلها عرفات في ٢٢/٤/١٩٩٠. وتركّز اللقاء على البحث في موضوع عقد قمة عربية طارئة بأسرع وقت، للتداول في مخاطر هجرة اليهود السوفيات الى فلسطين المحتلة والحملة الاسرائيلية والغربية على العراق (**فلسطين الثورة**، ٢٩/٤/١٩٩٠). كما أجرى عرفات، بتاريخ ٢٤/٤/١٩٩٠، جولة محادثات مع المسؤولين في الدوحة، والمنامة، في اطار جولة له على الزعماء العرب، للدعوة الى القمة الطارئة.

واذا كان عرفات أكد ضرورة عقد القمة العربية بشكل مباشر عبر تصريحاته ومحادثاته مع الرؤساء والملوك العرب، أو عبر ممثّل فلسطين لدى جامعة الدول العربية، فانه، أيضاً، حذّر الامة العربية من مغبّة النوايا العدوانية التي تختبىء وراء الممارسات الاسرائيلية، وأكد ان اعلان اسرائيل عزمها على مواصلة مشروع «اسرائيل الكبرى» والعمل على «توفير المجال الحيوي لهذا المشروع التوسّعي» هو تهديد مباشر للعرب بالحرب (**المصدر نفسه**).

الى ذلك، لقد أثمرت الجهود الفلسطينية، والعربية، الرامية الى عقد القمة؛ اذ اعلنت الامانة العامة لجامعة الدول العربية عن اكتمال النصاب القانوني لعقد القمة.

التحرّك، دولياً

أمّا على صعيد التحرك الدولي، فقد التقى عرفات الرئيس الاميركي الاسبق، جيمي كارتر، في مقرّ الاليزيه، وبحضور الرئيس الفرنسي، فرانسوا ميتران؛ الامر الذي لا يخلو من مغزى سياسي بارز.

كما وصل عرفات، بتاريخ ٥/٤/١٩٩٠، روما، قادماً من باريس، في زيارة استمرت زهاء يومين، تلبية لدعوة من الحكومة الايطالية. وقد التقى عرفات رئيس الجمهورية الايطالية، فرنشيسكو كوسيغا؛ كما اجتمع مع رئيس مجلس النواب، جوليو اندريوتي، ثمّ التقى البابا يوحنا بولس الثاني في الفاتيكان، بتاريخ ٧/٤/١٩٩٠، وأجرى معه مباحثات حول التطوّرات في الشرق الاوسط، لا سيما وضع مدينة القدس والاماكن المقدسة فيها. وعُلم ان المباحثات تناولت مطالب الفاتيكان بأن تتمتّع مدينة القدس بوضع خاص بضمان دولي (**القبس**، الكويت، ٨/٤/١٩٩٠).

والى العاصمة التشيكوسلوفاكية وصل عرفات،

تلبية لدعوة رسمية من الرئيس فاتسلاف هافل، الذي استقبل عرفات في المطار. ومن ثمّ، أجرى الرئيسان جولة من المباحثات تناولت الجهود المبذولة لحل أزمة الشرق الاوسط. واقترح الرئيس هافل ان تقوم بلاده بلعب دور الوساطة لحل أزمة الشرق الاوسط. ومن المعروف ان براغ أعادت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل بتاريخ ١٩٩٠/٢/٩، بعد انقطاع دام زهاء ٢٣ عاماً.

وعلى اثر المباحثات الفلسطينية ـ التشيكوسلوفاكية، صرّح عرفات، بتاريخ ١٩٩٠/٤/١٣، بأنه دعا الرئيس هافل الى زيارة الاراضي المحتلة، خلال زيارته لاسرائيل في الفترة من ٢٥ الى ٢٧ نيسان (ابريل) ١٩٩٠، «ليلاحظ بنفسه القمع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني». وأضاف عرفات: «لقد طلبت من الرئيس هافل التدخّل لدى السلطات الاسرائيلية، خلال زيارته للقدس، لكي تسمح باعادة فتح الجامعات العربية في الاراضي المحتلة، كخطوة ملموسة يمكن ان تقوم بها تشيكوسلوفاكيا في اطار عرضها للوساطة». وقال: «ان الرئيس هافل يمكن ان يقوم بدور ايجابي لحل المشكلة الفلسطينية ـ الاسرائيلية، لأن لديه اتصالات متوازنة مع الجانبين» (الحرية، ١٩٩٠/٤/٢٢).

سميح شبيب

فلسطين تطالب بعقد قمة طارئة

اتخذت ردود الفعل، التي اثارتها هجرة اليهود السوفيات الى فلسطين المحتلة في الاوساط الرسمية العربية، طابعاً حيوياً نسبياً، في ضوء حدثين وقعا في نهاية آذار (مارس) ١٩٩٠: الاول، قرار الكونغرس الاميركي باعتبار القدس الموحّدة عاصمة لاسرائيل، والذي اتخذ في ٢٢/٣/١٩٩٠، وممّا جاء فيه: «يقرر الكونغرس ان القدس عاصمة دولة اسرائيل، ويجب ان تظل كذلك؛ [و] يعتقد الكونغرس، اعتقاداً راسخاً، بأن القدس يجب ان تبقى موحّدة تُصان فيها حقوق جميع المجموعات العرقية، والدينية» (**الشرق الاوسط**، لندن، ٩/٤/١٩٩٠، ص ٣)؛ الثاني، الحملة الاعلامية الاسرائيلية ـ الاميركية ـ الاوروبية على العراق بعد اعدام الصحافي البريطاني، الايراني الاصل، فرزاد بازوفت، بتهمة التجسّس في العراق. هذان الحدثان ولّدا مناخاً سياسياً في المنطقة العربية وفّر للنشاط الفلسطيني امكانية التحرّك لتوفير النصاب القانوني للدعوة الى عقد قمّة عربية طارئة.

القدس عاصمة فلسطين

اعتبرت جميع الاوساط العربية قرار الكونغرس الاميركي بشأن القدس تحدياً فظّاً للشرعية الدولية. ففي تصريح لمصدر مسؤول في وزارة الخارجية المصرية، ورد: «١ ـ ان محاولة تتغيير الاوضاع القانونية لمدينة القدس الشرقية من طرف واحد يتعارض مع ابسط مبادىء القانون الدولي؛ ٢ ـ ان مدينة القدس الشرقية تمثّل جزءاً لا يتجزأ من أراضي الضفة الغربية التي احتلتها اسرائيل منذ العام ١٩٦٧، وان للفلسطينيين حقوقاً شرعية، وتاريخية، لا يمكن اغفالها؛ ٣ ـ ان الولايات المتحدة [الاميركية] أعلنت، في عدة مناسبات... معارضتها الكاملة لاجراء اسرائيل أي تغييرات في أوضاع مدينة القدس الشرقية من طرف واحد...؛ ٤ ـ ان حل مشكلة الشرق الاوسط، بما فيها وضع مدينة القدس، لن يتأتّى باصدار قرارات تدعو الى الاعتراف بأوضاع تفتقر الى الاسانيد القانونية؛ اذ ان ذلك يشكّل عقدة لا تساعد على حل المشكلة، بل ويزيد من تعقيدها» (**الاهرام**، القاهرة، ١/٤/١٩٩٠). وأرسل وزير خارجية مصر، د. عصمت عبدالمجيد، بخصوص القدس، رسالة إلى الامين العام للامم المتحدة، جاء فيها: «ان أي تغيير في الاوضاع القانونية لمدينة القدس يتعارض مع القانون الدولي، وان القدس جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية التي احتلتها اسرائيل، كما ان حل مشكلة الشرق الاوسط، بما فيها وضع مدينة القدس، لا يتمّ بقرارات منفردة» (**المصدر نفسه**، ٤/٤/١٩٩٠). كذلك أرسل الرئيس المصري، حسني مبارك، رسالة خطية الى الرئيس الاميركي، جورج بوش، تضمّنت مختلف التطوّرات الاخيرة التي تشهدها المنطقة، والتي يمكن ان تؤثر في الاوضاع فيها، بما في ذلك الموقف في مدينة القدس (**المصدر نفسه**، ٢٦/٤/١٩٩٠). وقد جاءت رسالة الرئيس مبارك في ضوء احتلال مستوطنين يهود لمبنى تعود ملكيته الى كنيسة الروم الارثوذوكس في القدس الشرقية.

بدوره، قال الملك الاردني حسين، في حضور وفد من أعضاء الكونغرس الاميركي، برئاسة زعيم الاقلية الجمهورية السيناتور روبرت دول، في عمّان: «ان القدس العربية جزء لا يتجزأ من الاراضي العربية المحتلة العام ١٩٦٧؛ وان أي قرار يصدر في شأنها ولا يؤكد هذه الحقيقة انما يُمثّل خروجاً على الشرعية الدولية» (**الحياة**، لندن، ١٣/٤/١٩٩٠). وكان وفد الكونغرس الاميركي قام بجولة على الشرق الاوسط، في أواسط نيسان (ابريل) ١٩٩٠، شملت سوريا والاردن ومصر والعراق واسرائيل.

وأعلن الرئيس العراقي، صدام حسين، في اجتماع الاتحاد البرلماني العربي، في بغداد، «ان قرار الكونغرس الاميركي اعتبار القدس عاصمة

لاسرائيل يمثّل ' نموذجاً فظّاً ومتغطرساً وصفيقاً للتدخل في الشؤون الداخلية للغير' ... [فـ] القدس ' عربية فلسطينية، وليست مدينة صهيونية، بل هي مغتصبة ولا بدّ ان تعود الى أهلها' . وأعلن الرئيس العراقي انه يشرّفه ان يكون ' جندياً في الجيش الذي يحرّر القدس الشريف' » (**المصدر نفسه**، ٢١ ـ ٢٢/٤/١٩٩٠).

وقرار الكونغرس، ايّاه، دفع ملك المغرب رئيس لجنة القدس، الحسن الثاني، الى الدعوة الى اجتماع طارىء للجنة المشكّلة بقرار من مؤتمر القمة الاسلامية. واجتمعت اللجنة، في المغرب، برئاسة الملك الحسن الثاني، وحضور الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، وشارك فيها ١٤ وزير خارجية دولة عربية واسلامية. «ودانت اللجنة، بشدة، قرار الكونغرس الاميركي باعتبار القدس عاصمة لاسرائيل؛ وأكدت ان مدينة القدس العربية هي عاصمة دولة فلسطين، وجزء لا يتجزأ من الاراضي الفلسطينية المحتلة؛ وان أي مساس بوضعها القانوني هو انتهاك للمواثيق والقرارات الدولية؛ واعتبرت جميع المستوطنات المقامة في الاراضي المحتلة ملغاة، وباطلة، ومخالفة للشرعية الدولية» (**الحوادث**، لندن، العدد ١٧٤٥، ١٣/٤/١٩٩٠، ص ١٢). وفي البيان الختامي لاجتماعاتها، التي انتهت في ٨/٤/١٩٩٠، دعت لجنة القدس «العاهل المغربي [الى] مواصلة اتصالاته مع بابا الفاتيكان لمؤازرة قضية الشعب الفلسطيني؛ وأوصت بعقد لقاء مسيحي ـ اسلامي بمشاركة الفاتيكان والكنائس الشرقية للحفاظ على هوية مدينة القدس. كما قرّرت اللجنة اجراء اتصالات مع الامين العام للامم المتحدة بغرض ايقاف الممارسات الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، ومنع عملية تهجير اليهود السوفيات... [و] طالبت مجلس الامن بتشكيل لجنة رقابة دولية للاشراف والرقابة على عدم الاستيطان في الاراضي الفلسطينية والقدس وبقية الاراضي العربية المحتلة الاخرى... ودعت اللجنة الدول الاعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي [الى] مناصرة جهاد الشعب الفلسطيني... وطالبت... بوضع المناطق الفلسطينية المحتلة تحت الاشراف الدولي المؤقت، تمهيداً لتحقيق السلام العادل» (**الشرق الاوسط**، ٩/٤/١٩٩٠). وقرّرت الدورة الطارئة للجنة القدس «تشكيل لجنة، برئاسة العاهل المغربي الملك الحسن الثاني، لزيارة الدول دائمة العضوية في مجلس الامن» (**المصدر نفسه**). وصرّح الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، «بأن زيارة الملك الحسن الثاني لواشنطن وموسكو وباريس ولندن وبكين ستتمّ [خلال] الشهر المقبل؛ وقال ان العاهل المغربي سيزور هذه الدول بوصفه رئيساً للجنة القدس المنبثقة عن المؤتمر الاسلامي، واللجنة العربية المنبثقة عن قمة الدار البيضاء حول فلسطين» (**المصدر نفسه**). وأفادت مصادر صحفية بـ «ان الرئيس عرفات، في لقائه مع الملك الحسن الثاني، على هامش اجتماعات لجنة القدس... تمنّى على العاهل المغربي القيام بتحركات عاجلة في هذا السياق، تكون مستندة الى المشروعية العربية، ممثلة في قرارات قمة الدار البيضاء، والمشروعية الاسلامية، ممثلة في توصيات لجنة القدس» (**الحياة**، ١١/٤/١٩٩٠).

تحدٍ للأمن العربي

ومن الولايات المتحدة الاميركية، أيضاً، بدأت حملة اعلامية ضد العراق، اثر اكتشاف أجهزة الامن الاميركية محاولة تهريب صواعق يمكن استخدامها في تفجيرات نووية. وقد جاءت الحملة اثر اعدام العراق لصحافي بريطاني، ايراني الاصل، بتهمة التجسّس لصالح بريطانيا واسرائيل وايران. وقال ناطق رسمي باسم وزارة الخارجية العراقية، رداً على موضوع الصواعق النووية: «ان ذلك تدبير بريطاني بالتعاون مع السلطات الاميركية، بهدف تشويه سمعة العراق، وتوفير المبررات للعدوان عليه؛ وبذلك، تُقدم خدمة مباشرة، وواضحة، لا شك فيها، [الى] المخططات الصهيونية في العدوان على العراق والأمة العربية... وليس العراق وحده هو المستهدف من ذلك، بل الأمة العربية كلها... [و] ان مخطط الاوساط الاستعمارية والصهيونية يستهدف ابقاء التفوّق الاسرائيلي على العرب جميعاً؛ والنتيجة الحتمية لذلك بقاء الاحتلال الاسرائيلي للارض العربية، وسيادة الهيمنة الغربية ـ الاسرائيلية على المنطقة، وتصفية حقوق الشعب العربي الفلسطيني وقضيته العادلة» (**المصدر نفسه**، ٣/٤/١٩٩٠). وعرض الناطق الرسمي باسم الخارجية العراقية وثائق توضح بطلان الادعاء الاميركي.

ولم ينته الامر عند هذا الحد، فقد اكتشفت، أجهزة الامن البريطانية، لاحقاً، ان أنابيب معدنية، تصنعها شركة بريطانية لصالح العراق، صالحة للاستخدام في تركيب مدفع عملاق قادر على اطلاق قذائف كيميائية وأقمار اصطناعية. وقد ربطت أجهزة الاعلام الغربية بين استعدادات العراق العسكرية ومدى تهديدها لاسرائيل. ونُقل عن وزير الدفاع الاسرائيلي السابق، اسحق رابين، قوله: «ان العراق يمتلك صواريخ أرض ـ أرض منتشرة على أراضيه، وان جيشنا استعد لهذا الاحتمال. وأعرب عن اعتقاده بأن العراق قادر على تدمير نصف اسرائيل، كما أعلن الرئيس العراقي، الذي ينبغي عدم التعامل مع تهديداته باستخفاف... [لكن] اسرائيل تستطيع الردّ على العراق عدة مرات أكثر، وانه ليس بعيداً من مجالنا» (فريد الخطيب، **الحوادث**، العدد ١٧٤٥، ١٣/٤/١٩٩٠، ص ٢٩). وكان الرئيس العراقي قال، في مهرجان أُقيم في بغداد بمناسبة «يوم الارض» الفلسطيني: «ان العرب قد لا يحتاجون الى مدافع ليحرروا فلسطين؛ اذ يكفيهم ان يتكلوا على الله ويكونوا عازمين فعلاً على تحرير فلسطين... لأن [الصهيونيين] غير قادرين على ان يواجهوا العرب، عندما يعزمون على ان يحرروا فلسطين... [فـ] فلسطين قريبة، لا تستغرق خطوتين لمن يريد ان يخطوهما، وهي تعيش في ضمائرنا... [و] كأنني أمسك بيد أبي عمّار على النصر في فلسطين» (**المصدر نفسه**). وفي مهرجان آخر، قال الرئيس العراقي انه «سيجعل النار تأكل نصف اسرائيل، اذا حاولت الاعتداء على المنشآت العسكرية الصناعية العراقية». فالعراق «يمتلك السلاح الكيميائي المزدوج» (**الاهرام**، ٤/٤/١٩٩٠).

وقد فُهم من الحملة الاعلامية الاميركية ـ الاسرائيلية على العراق وكأنها تغطية وتمهيد لاحتمال قيام اسرائيل بضربة عسكرية للمنشآت الصناعية العراقية. فقد قال وزير خارجية مصر، د. عصمت عبدالمجيد، ان تفجير الأزمة بين العراق واسرائيل سببه افتقار المنطقة الى السلام. «وفي حقيقة الامر، ان الرئيس صدام حسين لم يفعل أكثر من الرد على تهديدات صدرت على ألسنة مسؤولين اسرائيليين بامكان ضرب منشآت عسكرية عراقية، مثلما حدث العام ١٩٨١، عندما قصفت اسرائيل المفاعل النووي العراقي» (من مقابلة مع د. عصمت عبدالمجيد، **الحياة**، ٢٦ ـ ٢٧/٤/١٩٩٠). وقال الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات: «ان التهديدات الاسرائيلية المتلاحقة، والتدريبات المستمرة التي تقوم بها اسرائيل في النقب على أهداف مشابهة لبعض المنشآت العراقية تشكل تهديداً حقيقياً للأمن القومي العربي كله، وليس للعراق فحسب. وقيمة الرد، الذي جاء على لسان الاخ الرئيس صدام حسين، انه قال لهم، باسم الامة العربية، ان هناك خياراً آخر عند العرب، الى جانب مبادرة السلام الفلسطينية، والعربية، والدولية... والرد العراقي جاء قوياً، مفحماً، ليقول ان هنالك خيارات أخرى في مواجهة التهديدات الاسرائيلية، اذا لم تستمع القيادة الاسرائيلية الى صوت العقل، ومنطق التاريخ، وتستوعب التطوّرات الاخيرة» (من مقابلة مع الرئيس ياسر عرفات، **المصدر نفسه**، ١٣/٤/١٩٩٠).

وأعلنت الدول العربية، جميعها، وقوفها الى جانب العراق. فقد دعا الاردن الى اجتماع طارىء لوزراء خارجيات دول مجلس التعاون العربي، حيث العراق احد أعضائه. وصدر عن الاجتماع، في ختام مداولاته، في ٥/٤/١٩٩٠، بيان، جاء فيه: «ان الوزراء أكدوا ان الامن الوطني العراقي يشكّل جزءاً أساسياً من الامن القومي العربي، وان دول المجلس، والأمة العربية، ملتزمة بالدفاع عنه في وجه أي عدوان، أو تهديد قد يتعرّض له، مؤكدين التضامن الكامل مع العراق في تصديه الحازم للادعاءات العارية من الصحة والافتراءات... [و] ان الحملات الاعلامية... تستهدف التمهيد لشنّ عدوان آخر على العراق، كالعدوان الاسرائيلي على المنشآت النووية العراقية المكرسة للأغراض السلمية العام ١٩٨١... [و] صرف الانظار عن استمرار اسرائيل في قمعها لانتفاضة الشعب العربي الفلسطيني وتكريس احتلالها للاراضي العربية، ومواصلة اعاقة مساعي السلام العادل والشامل» (**القدس العربي**، لندن، ٦/٤/١٩٩٠). كما أعلن وزير خارجية سوريا، فاروق الشرع، في حديث الى صحيفة «النهار» البيروتية، ان سوريا «ستقف الى جانب العراق في حال تعرّضه

لهجوم اسرائيلي... [و] ان سوريا لا تزال عند موقفها المبدئي الداعي الى التضامن مع أي دولة عربية تتعرّض لعدوان اسرائيلي» (**المصدر نفسه**)؛ وقال، ان «هذا التضامن نعبّر عنه من دون التطلع الى خلافات يمكن ان تكون بيننا وبين بعض الدول العربية... لأننا نعتبر اسرائيل، التي تحتل الكثير من الاراضي العربية، العدو المشترك للعرب» (**الحياة**، ١٣/٤/١٩٩٠).

واعتبرت الاوساط الرسمية العربية ان تصريحات الرئيس العراقي حول امكانية الردّ على التهديدات الاسرائيلية ليس خلفها نوايا عدوانية من العراق. فقد قال الرئيس المصري، حسني مبارك، الذي زار العراق، بتاريخ ٧/٤/١٩٩٠، بشكل مفاجيء للاعراب عن التضامن: «ان الرئيس صدام حسين ليس لديه أية ميول عدوانية؛ وبالعكس، فانه يريد تحقيق السلام الدائم، والشامل، والعادل، بينه وبين ايران، واستقرار السلام في المنطقة كلها، مع عودة حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة» (**الاهرام**، ٧ و٨/٤/١٩٩٠). وقال الملك الاردني حسين الى اعضاء وفد الكونغرس الاميركي، ان العراق «لم يوجّه تهديداً الى احد، ولم يعلن نيّته الهجوم على احد، لكنه مارس حقه المشروع في تأكيد استعداده للدفاع عن نفسه ضد أي هجوم» (**الحياة**، ١٣/٤/١٩٩٠). وأعلن مصدر سعودي مسؤول ان المملكة العربية السعودية «تؤيد كل ما جاء على لسان الرئيس العراقي، صدام حسين، وعلى لسان الرئيس المصري، محمد حسني مبارك، في المؤتمر الصحافي الذي عقداه في بغداد، [بتاريخ ٧/٤/١٩٩٠]» (**المصدر نفسه**، ١١/٤/١٩٩٠). وكان الرئيس العراقي، نفسه، أبلغ الى وفد الكونغرس الاميركي «استعداد العراق لنزع أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها، مقابل ان توافق اسرائيل على نزع ما تمتلكه منها... [و] ان ايران يجب ان تكون طرفاً في هذا الاتفاق» (**الاهرام**، ١٤/٤/١٩٩٠).

وقد اعتبر امير دولة البحرين، الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، «ان أخطر ما يواجه الامة العربية، في هذه الآونة، التمهيد الواضح لشنّ عدوان اسرائيلي جديد ضد العراق، [و] سيكون له، ان ارتكب، آثار خطرة على مستقبل العلاقات بين الدول العربية والدول التي تؤيد، أو تتغاضى، عن سلوك اسرائيل العدواني. واننا ندعم، ونساند، العراق الشقيق في حقه، الذي لا ينازعه فيه احد، في الدفاع المشروع عن مؤسساته العلمية وسيادته على أراضيه، ونؤازر مواقفه السلمية التي تعزّز الأمن والاستقرار في المنطقة. ونحن اذا أيّدنا عقد قمّة عربية طارئة، فانما من اجل تحديد استراتيجية عربية جماعية للتصدي ومواجهة كل الاخطار التي تحدق بالامة العربية في فترة التغييرات الدولية المتلاحقة، وبناء مستقبل عربي مشرق» (من مقابلة مع الشيخ عيسى آل خليفة، **اليوم السابع**، باريس، العدد ٣١١، ٢٣/٤/١٩٩٠).

فلسطين تدعو الى قمّة طارئة

وتشكّل القمة العربية المرجع العربي الأعلى، سواء في مجال اتخاذ القرارات ذات الطابع المشترك، أو في مجال وضعها موضع التنفيذ؛ ومن حق أي دولة عربية الدعوة الى قمة طارئة، تُعقد، اذا توفّر لها النصاب القانوني، وهو موافقة ١٢ دولة على عقدها. وقد كثرت التصريحات العربية الداعية الى عقد قمّة طارئة منذ تفجّر موضوع هجرة اليهود السوفيات الى فلسطين المحتلة، مرفقة بوجوب الاعداد لها بشكل جيد. وبعد الحملة الاعلامية والدبلوماسية ضد العراق، تزايد الحاح بعض الدول العربية على وجوب الاسراع في عقد مثل هذه القمة. فقد طالب وزير خارجية العراق، طارق عزيز، مثلاً، «بعقد قمة عربية لمواجهة التهديدات التي يتعرّض لها الامن القومي العربي، خاصة العراق... [حيث] ان الموقف يتطلب اجتماع القادة العرب لاتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية كل قطر عربي من التهديدات الاسرائيلية» (**الاهرام**، ١٦/٤/١٩٩٠). كما كان موضوع القمة احدى النقاط التي تداولها الرئيس الفلسطيني، عرفات، مع الملك الاردني حسين، خلال زيارة عرفات للاردن. وأفادت مصادر صحفية بأن الجانبين اتفقا «على الدعوة الى عقد مؤتمر قمة عربي عاجل لبلورة موقف عربي موحّد في مواجهة مخاطر الاستيطان اليهودي في الاراضي العربية المحتلة، والوقوف الى جانب العراق في مواجهة الحملة الغربية التي يتعرّض لها... وان الجانب الفلسطيني ارتأى ان تُعقد [القمة] في بغداد للتعبير عن الوقوف الى جانب العراق ضد الهجمة الغربية والصهيونية التي

يتعرّض لها حالياً» (**الحياة**، ٢٠/٤/١٩٩٠).

وقد قام الرئيس الفلسطيني بجولة لاستمزاج آراء القادة العرب في امكان عقد القمة، حيث بحث في الامر مع الرئيس الجزائري، الشاذلي بن جديد، والرئيس الليبي، معمر القذافي، والرئيس العراقي، صدام حسين، ومع ملك المغرب الحسن الثاني. وقال عرفات: «ان التحديات التي تواجهها الامة العربية تستوجب اجتماعاً عربياً على مستوى القمة؛ لذلك دعوت الى قمة عربية؛ وأكدت على التوصية التي صدرت عن اجتماع وزراء [خارجيات] الدول العربية الاخير، بضرورة عقد القمة، وبحثت [في] هذا الموضوع في طرابلس... مع الاخ العقيد معمر القذافي؛ وقبل ذلك مع جلالة الملك الحسن الثاني؛ وهنا، في بغداد، طرحت الموضوع على الاخ الرئيس صدام حسين؛ وسأتابع هذا الموضوع مع بقية القادة العرب. وأرى، في هذا الوقت، ان أنسب مكان للقمة، رداً على التهديدات الاسرائيلية، هو بغداد» (من مقابلة مع ياسر عرفات، **المصدر نفسه**، ١٣/٤/١٩٩٠، ص ٤). وبعد زيارته للجزائر، قال الرئيس الفلسطيني: «ان الرئيس بن جديد موافق، من حيث المبدأ، على ضرورة عقد مؤتمر قمة عربي... في أقرب وقت ممكن، لمواجهة الهجمات الاسرائيلية على الشعب الفلسطيني» (**الحياة**، ٢٣/٤/١٩٩٠).

وفي ضوء جولة الاستمزاج، قررت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، في جلستها التي عُقدت في بغداد، في ١٩/٤/١٩٩٠، التقدم الى جامعة الدول العربية بطلب رسمي لعقد قمّة طارئة. ونُقل عن وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ان «ممثل المنظمة في تونس، حكم بلعاوي، قدّم طلباً رسمياً في هذا المسعى الى الجامعة». وقال بلعاوي: «ان المنظمة قدّمت الطلب بسبب الاخطار المحدقة بالعالم العربي، خصوصاً اثر الهجرة الكثيفة لليهود السوفيات الى اسرائيل، [و] هذه القمة ستتخذ موقفاً عربياً حازماً، وفاعلاً، لمواجهة التهديدات الاسرائيلية للعراق» (**المصدر نفسه**، ٢٤/٤/١٩٩٠). وفي المذكرة التي قدّمتها منظمة التحرير الفلسطينية الى جامعة الدول العربية، للدعوة الى عقد القمة، أشارت المنظمة الى «الاوضاع البالغة الخطورة التي تجتازها أمتنا العربية في هذه الظروف المصيرية؛ اذ تتصاعد حدة التهديدات والمخاطر التي تتعرّض لها الأمة العربية، والتي بلغت ذروتها، سواء بتدفق امواج الهجرة اليهودية، وانعكاسات هذه الهجرة على القضية الفلسطينية والوجود العربي، أو بالتهديدات الصريحة والمباشرة المتزامنة مع تعبئة اعلامية واسعة النطاق ضد العراق» (**المصدر نفسه**، ٢٦ ـ ٢٧/٤/١٩٩٠). وأشارت المذكرة الى ان «الدولة الفلسطينية طلبت من الرئيس صدام حسين استضافة هذه القمة، فتفضّل، مشكوراً، بالموافقة على ذلك» (**المصدر نفسه**).

بعد ذلك، بدأ الرئيس الفلسطيني، بجولة على عدد من الدول العربية، وذلك، كما ذكرت مصادر صحفية لتأمين النصاب لعقد القمة، من جهة، وتأمين مشاركة، جماعية من القادة العرب، من جهة أخرى (**الحياة**، ٢٥/٤/١٩٩٠). وشملت جولة عرفات السعودية والكويت والبحرين ودولة الامارات العربية المتحدة واليمن الشمالي وجيبوتي واليمن الجنوبي، للهدف ايّاه. وقد أفادت الامانة العامة لجامعة الدول العربية بـ «انه من أصل ٢٢ عضواً تتألف منهم الجامعة، فان ١٢ دولة أبلغت موافقتها رسمياً الى الجامعة، في حين ان البحرين والعراق أعربا عن تأييدهما عقد مثل هذه القمة. ويقضي التقليد، لدى اكتمال النصاب، بأن تبدأ عملية الدعوة الى القمة. ومن المقرر ان يباشر الامين العام للجامعة، الشاذلي القليبي، استشاراته مع المسؤولين العرب لتحديد مكان القمة وموعدها... [و] هذه المشاورات ستجرى في أقرب وقت ممكن، وبكل الوسائل، مع مجموع الدول العربية، فور اتفاقها على ضرورة الدعوة الى مثل هذه القمة في أقرب وقت» (**الشرق الاوسط**، ٢٧/٤/١٩٩٠).

احمد شاهين

لعبة دبلوماسية جديدة

افصحت المباحثات الاميركية ـ السوفياتية، الشهر الماضي، في اثناء زيارة وزير الخارجية السوفياتية، ادوارد شيفاردنادزه، لواشنطن، عن أسلوب في التعامل مع ازمة الشرق الاوسط يقوم على اساس تجنّب اي من اللاعبين ان يكون هو الطرف الواقع على المحك. هذا ما يمكن استشفافه، جزئياً، من مطالعة جلسات الحوار الثنائي، وإنْ كانت نتائج الحصاد النهائي لهذا الحوار تتطلب مزيداً من الوقت والتنازلات، للكشف عن ابعاد هذا الاسلوب الجديد.

في مقدّم ما يجدر الانتباه اليه، في هذا الشأن، ان واشنطن لم توصد الباب في وجه المشاركة السوفياتية في الحل، لكنها، في الوقت عينه، لم تشرعه، فسارت على الحبل المشدود، بكل عناية، كي تبقي مواقفها على حافة الغموض، فيما حمل الموقف السوفياتي معنى الدخول الغامض على خط مبادرة وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ذات النقاط الخمس، سواء أكانت حظوظ هذه المبادرة في النجاح كبيرة او ضئيلة.

لعبة سياسية؟ ربما. لكن الواضح ان ثمّة فجوة ليست بالضيّقة برزت بين مواقف واشنطن وموسكو من قضايا عدة. لقد اقترح بيكر على نظيره السوفياتي، وبناء على طلب اسرائيل، ان يبحث السوفيات في وسيلة ما لتحسين علاقاتهم مع تل ـ ابيب، وان ينظروا في مسألة ترتيب رحلات جوية مباشرة بين الجانبين لقاء ضمانات من الحكومة الاسرائيلية بأن المهاجرين اليهود السوفيات لن يجرى توطينهم في الارض المحتلة (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٧ ـ ٨/٤/١٩٩٠).

الغموض المتعمّد

الدعوة الاميركية الى ترتيب خط جوي مباشرة بين موسكو وتل ـ أبيب ليست جديدة على أي حال؛ لكن الجديد فيها، هذه المرة، ان واشنطن اوحت، نوعاً ما، بأن ضماناً اسرائيلياً بعدم توطين المهاجرين الجدد في الارض المحتلة قد يكون الثمن المناسب لاستئناف الاتحاد السوفياتي علاقاته الدبلوماسية الكاملة مع اسرائيل. الّا ان خطورة هذه الدعوة تكمن، بالضبط، في التحوّل الذي طرأ على موقف واشنطن من موضوع هجرة اليهود السوفيات. ويظهر هذا التحول عبر تصريح وزير الخارجية الاميركية، الذي اعلن فيه ان بلاده «لم تطلب من اسرائيل أي ضمانات تتعلق بهجرة اليهود السوفيات، لاننا ندعم الهجرة السوفياتية من دون أي شروط، او تحفظات، مسبقة» (**المصدر نفسه**، ٩/٤/١٩٩٠). وتبدو خطورة هذا التحوّل في الموقف الاميركي من خلال مقارنة ذلك بتعمّد الوزير بيكر، في آذار (مارس) الماضي، في شهادته الى الكونغرس، ربط موضوع تقديم المساعدات الاميركية لتوطين اليهود بالحصول على ضمانات بأن المهاجرين الجدد لن يستوطنوا الارض المحتلة (**تايم**، ٢٣/٤/١٩٩٠، ص ٢٠).

على ان المراقب لانعكاسات هذا «التأرجح» الاميركي لا بدّ ان يلحظ انتقائية مستجدة، أخذت من مبادرة وزير الخارجية الاميركية بنداً واحداً، ورمت بالنقاط الاخرى جانباً، منكرة صفة «المبادرة المتكاملة» عليها. ولا شيء يعزّز هذا التفسير سوى انتقاء بيكر الاجتماع برئيس بلدية بيت لحم، الياس فريج، موحياً بذلك ان الادارة الاميركية قد تجاوبت مع المطالب الفلسطينية في شأن استيطان اليهود السوفيات المهاجرين في الارض المحتلة، بما فيها القدس الشرقية (**نيويورك تايمز**، ٩/٤/١٩٩٠). ومن العناصر الانتقائية، التلويح باستنكار الولايات المتحدة الاميركية انشاء مستوطنات اسرائيلية جديدة. هذا، على الاقل، ما صرّحت به الناطقة الرسمية باسم وزارة الخارجية، مارغريت تتوايلر، حين أكدت «ان ممّا يثير الغضب [لدى الادارة]

ان تبدو حكومة اسرائيلية كأنها غير قادرة على التقدّم نحو عملية السلام، مستعدة للتقدّم في اتجاه انشاء مستوطنات جديدة». وذكرت ان بلادها ترى ان اقامة المستوطنات تشكّل «عائقاً في وجه عملية السلام في المنطقة». وقالت: «اننا نُسّر بالعمل مع حكومة ستؤلف [في اسرائيل] وتكون قادرة على تحقيق تقدم في عملية البحث عن السلام» (**المصدر نفسه**، ٣/٤/١٩٩٠).

واذا كان الخطاب الانتقائي للتحرك الاميركي واضح المعاني من عنوانه، ولن يأتي بجديد في دفع عملية السلام الى أمام، بل ربما يساهم في تعطيلها، فانه سيحقق للولايات المتحدة الاميركية بعض النتائج، لعل أهمها محاولة شطب قضية الشرق الاوسط من جدول القضايا الاقليمية في قمّة العملاقين المقبلة في أواخر الشهر الحالي، من جهة، وتأسيس آفاق الخارجية الاميركية للمرحلة الجديدة المقبلة، بحيث تأتي نتائج هذه المرحلة «كمحددات قدرية» لها، لن يكون من السهل التحوّل عنها، من جهة أخرى (**لوموند**، ٦/٤/١٩٩٠).

هذه الانتقائية المستجدة في الخطاب السياسي الاميركي، جعلت الرد السوفياتي يكتسب طابع العمومية، انْ لم نقل الغموض. فقد رأى شيفاردنادزه انه لا توجد هناك أي عقبة، من أي نوع، في وجه الرحلات المباشرة بين موسكو وتل ـ أبيب، «لأن ذلك، من الناحية المالية، مربح لنا وللاسرائيليين، على حدّ سواء. وكان هناك مشكلة واحدة، هي المستوطنات في الارض المحتلة، وعلى السلطات الاسرائيلية ان تعطينا الضمانات بأن المهاجرين الجدد لن يستوطنوا في الارض المحتلة». وقال الوزير السوفياتي لنظيره الاميركي، ان هذا الموقف يشمل القدس الشرقية، التي تعتبرها موسكو ارضاً محتلة (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٧ ـ ٨/٤/١٩٩٠).

ومع ان المسؤول السوفياتي لم يربط، في تصريحاته العلنية، بوضوح، بين الرحلات الجوية المباشرة واستئناف العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل، الاّ انه تحدّث، بارتياح، عن العلاقات المتنامية بين موسكو وتل ـ أبيب. وأشار الوزير السوفياتي، بشكل خاص، الى العلاقات القنصلية، و«هذه خطوة أولى، وهي خطوة هامّة في هذا السياق». ورأى ان استئناف العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين الجانبين «مرتبط بالوضع العام في منطقة الشرق الاوسط» (**المصدر نفسه**).

وبالطبع، فان الوزير شيفاردنادزه يدرك ان العلاقات السوفياتية ـ الاسرائيلية تتميّز، في هذه المرحلة بالذات، بحساسية شديدة، وعلى موسكو ان تسعى الى لعب اوراقها بعناية، والمناورة بحذر، كي تتجنّب أي خسائر محتملة في علاقاتها مع واشنطن وتل ـ أبيب، من جهة، والعرب والفلسطينيين، من جهة أخرى.

في هذا المعنى، اكتسب اختيار الكسي تشيستياكوف رئيساً جديداً للبعثة القنصلية السوفياتية لدى اسرائيل اهمية كبيرة؛ اذ أثار تعيينه في المنصب الجديد السؤال: هل يعني ذلك رفعاً لمستوى العلاقات بين الجانبين؟ ان موسكو، رسمياً، لا تعتبر ذلك حاصلاً بالضرورة، لكن اجراء مقارنة بسيطة بين الخلفية والنوعية بين المبعوثين الى اسرائيل، يظهر، بوضوح، ان العلاقات بين الطرفين انتقلت، بطريقة أو بأخرى، الى درجة اعلى (**المصدر نفسه**، ٢/٤/١٩٩٠). ذلك ان المبعوث السوفياتي الجديد كان رئيساً سابقاً لشعبة «اسرائيل ـ فلسطين والتسوية في الشرق الاوسط» في وزارة الخارجية السوفياتية؛ وهذا الامر، في حدّ ذاته، ينطوي على مدلولات سياسية ذات مغزى. كما ان المبعوث الجديد ابدى استعداداً للتعرّف على وجهات نظر الفلسطينيين في الارض المحتلة، الامر الذي يعتبر جديداً بالنسبة الى البعثة القنصلية السوفياتية في تل ـ أبيب، والتي مضى على وجودها ما يقارب الثلاث سنوات (**الحياة**، لندن، ١٧/٤/١٩٩٠).

انما على الرغم من ذلك، فقد قال شيفاردنادزه انه اقترح على نظيره الاميركي بدء المشاورات بين الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن، ودعوة الامين العام للامم المتحدة، خافيير بيريز ديكويلار، الى تعيين «مندوب خاص لمتابعة عملية التسوية في المنطقة»، ولكن مع عدم اغلاق الباب أمام الخيارات الاخرى، حسب قول الوزير السوفياتي، الذي أكد «اننا نشجع العملية التي بدأت، بما في ذلك امكان قيام اتصالات بين الفلسطينيين وممثلي اسرائيل؛ ونحن مستعدّون للترويج لهذه العملية»

(انترناشونال هيرالد تريبيون، ٧ ـ ٨/٤/١٩٩٠).

واذا كان التباطؤ الاميركي سبباً في عدم احراز تقدّم ملموس في هذه العملية، فان الهدف السوفياتي من دعمها هو إمّا دفع مبادرة بيكر ذات النقاط الخمس الى أمام، او الاسراع في تفشيلها، فيما لو اصرّت حكومة اسرائيلية جديدة على شعار «اسرائيل الكبرى» الذي سقطت حكومة اسحق شامير تحت وطأته (توماس فريدمان، **المصدر نفسه**، ٢٦/٤/١٩٩٠).

من هنا كان حديث الوزير السوفياتي عن «الضمانات» التي ينبغي على الحكومة الاسرائيلية تقديمها بشأن عدم استيطان المهاجرين اليهود السوفيات في الارض المحتلة، بما فيها القدس الشرقية. امّا عن طبيعة هذه «الضمانات»، فقد ذكر رئيس البعثة القنصلية السوفياتية في تل ـ أبيب، الكسي تشيستياكوف، انه لا يمكن تحديدها في اطار ضيّق، ولكن «أية ضمانات يجب ان تكون مكتوبة»، واعتبر ان الاشارة اليها من جانب وزير خارجيته جاءت بمعنى ان على اسرائيل ان تعيد النظر في نواياها السياسية، وان تتخلّى عنها، بما يضمن عدم توطين المهاجرين اليهود السوفيات في الارض المحتلة، أو تشجيع توطينهم فيها. وأضاف ان «أية نوايا يعبّر عنها مسؤول سياسي يجب ان تؤخذ كسياسة» (**الحياة**، ١٧/٤/١٩٩٠)، وهي اشارة واضحة الى ما كان عبّر عنه رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، في كانون الثاني (يناير) الماضي، عن حاجة الاسرائيليين الى «أرض ـ اسرائيل الكبرى لاستيعاب الهجرة الكبرى» (**لوموند**، ٨ ـ ٩/٤/١٩٩٠).

في هذا السياق، ذكّر تشيستياكوف بالموقف السوفياتي الذي تردّد، مؤخراً، على لسان غير مسؤول سوفياتي، من ان بلاده التي ترى ان أي شخص حرّ في ان ينتقل من بلد الى آخر شرط ان لا تضر هجرته بمصلحة الآخرين، تطالب بضمان عدم توطين المهاجرين اليهود السوفيات في الارض المحتلة لاعتبارات عدة، منها ان هذا الامر يخالف المواثيق الدولية التي وقّعت اسرائيل عليها، كاتفاقية جنيف الرابعة، ولأن ذلك يضرّ بمصالح السوفيات الذين يصلون اسرائيل، ولكن يجدون انفسهم في الارض المحتلة. وكذلك لأنه يعيق، بالتأكيد، عملية السلام؛ ولكن الاهم من ذلك كله انه يضرّ بمصلحة شعب بكامله لا يجد حتى الآن امكانية لتقرير مصيره على أرضه («الحياة»، **مصدر سبق ذكره**).

ماذا عن الخيارات السوفياتية الاخرى؟ أجاب تشيستياكوف بأن بالامكان اخذ العناصر الايجابية من كل ما يطرح، ولكن الهامّ هو ان تكون المقترحات التي ستؤخذ كأساس لبدء عملية السلام مقبولة لكل الاطراف التي تشارك في العملية السلمية، مع التركيز، دائماً، على مبدأ توازن المصالح بين الاطراف المتنازعة، لضمان الاستقرار في هذه التسوية». وأضاف: «ان طريقة الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي المقترحة يمكن سلوكها شرط ان تؤخذ بالاعتبار مصلحة المشاركين، لا سيما مصلحة الجانب الاول، أي منظمة التحرير الفلسطينية. واذا كان هذا الحوار آخر الخيارات التي يمكن اللجوء اليها، فان الاتحاد السوفياتي يمكن ان يشارك من باب الدعم الخارجي، أو الدولي، في مساعدة الاطراف لضمان استقرار التسوية». الّا ان تشيستياكوف اعتبر ان في امكان الاتحاد السوفياتي «ان يلعب دوراً فعّالاً في التسوية الشرق أوسطية، من خلال وجوده عضواً دائماً في مجلس الامن، لا سيما وان تجربة السنوات الاخيرة، دلّت على ان هذا الجهاز [مجلس الامن] والدول دائمة العضوية فيه ساعدت في ايجاد حل لعدد من النزاعات الاقليمية» (**المصدر نفسه**).

تقليم الاظافر

لا ريب في ان هذه الخيارات السوفياتية تختلف كثيراً عمّا هي عليه في الذهن الاميركي. في هذا الصدد، جدّد بيكر لنظيره السوفياتي استمرار المعارضة الاميركية لمثل هذه الخيارات، بما فيها خيار المؤتمر الدولي، وقال انه أوضح لشيفاردنادزه انه لا يعتقد بأن الوقت مناسب لمناقشة مثل هذه الخيارات، أو انها يمكن ان تكون بنّاءة، «لأننا في مرحلة حسّاسة بالنسبة الى امكانية الحوار بين الاسرائيليين والفلسطينيين، ولأنني لا اعتقد، الآن، بأنه يجب تحويل الاهتمام، أو الجهود، عن امكانية بدء هذا الحوار» (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٩/٤/١٩٩٠).

الّا ان الملفت للانتباه، حقاً، هو ان الموقف

السوفياتي حول «الضمانات» التي ينبغي الحصول عليها من الحكومة الاسرائيلية بشأن عدم توطين اليهود السوفيات في الارض المحتلة كان، منذ بعض الوقت، مطلباً اميركياً جرى التخلّي عنه. وتفيد المؤشرات، في هذا الصدد، بأن الادارة الاميركية باتت تنحني، اكثر فاكثر، أمام الاستراتيجية الموالية لاسرائيل، والتي تنفّذها التنظيمات اليهودية والكونغرس وبعض اركان مجلس الامن القومي. وان هؤلاء الموالين لاسرائيل يحاولون جمع نفوذهم ليس فقط لحماية اسرائيل وتنفيذ اهدافها، وانما، أيضاً، لدفع مبادرة وزير الخارجية الاميركية، الى خارج ملف الشرق الاوسط (غلين فرانكل، **المصدر نفسه**، ٣٠/٤/١٩٩٠).

لقد تبنّى بيكر، شخصياً، هذا الملف، ورفع مستوى اهتمام ادارة الرئيس جورج بوش بالشرق الاوسط، على عكس سلفه وزير الخارجية السابق، جورج شولتس، الذي أسقط مستوى اهتمام ادارة الرئيس رونالد ريغان بالشرق الاوسط الى مستوى مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الادنى، ريتشارد مورفي. ثمّ ان بيكر أفلح في افشال بعض اهداف الكتلة الموالية لاسرائيل في الكونغرس وفي مجلس الامن القومي، وبالذات عندما حاولت التملّص من مبدأ مقايضة الارض بالسلام مراعاة لمواقف شامير، والتي حاولت، أيضاً، فك الارتباط ما بين قيام الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي والتسوية النهائية، هذا الى جانب رغبتها في اعتماد فكرة القضاء على الانتفاضة الفلسطينية في الارض المحتلة، اذا ما رفض الفلسطينيون التجاوب مع المعطيات والشروط الاميركية ـ الاسرائيلية (فريدمان، **مصدر سبق ذكره**).

هذه الكتلة تريد، الآن، فصل بيكر عن ملف الشرق الاوسط؛ واستراتيجيتها هي المراهنة على الكونغرس، علماً بأن لا الرئيس بوش ولا وزير خارجيته على استعداد لتحدي الكونغرس الاميركي حول الشرق الاوسط، بينما توجد حاجة ماسّة الى التعاون بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية حول مسائل لها أولوية قصوى في حسابات الادارة (**المصدر نفسه**).

من هنا، لم يكن بالامر المستغرب ان يتعهّد الرئيس بوش مواصلة الضغط على الاتحاد السوفياتي، كي يتمكّن اليهود السوفيات من الهجرة الى اسرائيل في رحلات جوية مباشرة. كما لم يكن بالامر المستغرب ان يتعهّد ان «لا تنسى» حكومته اولئك الذين اضطروا، مرغمين، الى البقاء في الاتحاد السوفياتي. واعتبر «الهجرة المستجدة» حدثاً هامّاً لكل «المدافعين عن الحرية»، وأضاف: «لقد عملت الولايات المتحدة الاميركية كثيراً لفتح هذه الطريق للحياة» (ابراهام رابينوفيتش، **المصدر نفسه**، ١٣/٤/١٩٩٠)؛ فيما كشف، في العاصمة الاميركية، عن رسالة بعث بها بيكر الى النائب ميل ليفين عن القدس، أشار فيها الى أهمية المدينة المقدسة «للشعب اليهودي، وللناس من ديانات أخرى»، وأوضح، في رسالته، «ان في استطاعة اليهود العيش في أي مكان يريدونه، شرقاً وغرباً، ويجب أن تبقى المدينة غير مجزّأة» (**المصدر نفسه**، ٣١/٣/١٩٩٠ ـ ١/٤/١٩٩٠).

على الرغم من كل ذلك، فان هذا لا ينفي ان تكون شخصية وزير الخارجية الاميركية على المحك. فلقد تقدّم بيكر بمبادرته ذات النقاط الخمس من اجل اقامة الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي، ثمّ وقعت نقاطه رهينة المعادلات والمراهنات الاسرائيلية الداخلية، وأعقب ذلك تحدٍ واضح له عبر التنظيمات اليهودية الاميركية، ومن خلال الكونغرس الاميركي، وحتى في عقر داره وزارة الخارجية.

من ابرز هذه التحديات عندما حذا مجلس النواب الاميركي حذو مجلس الشيوخ بموافقته على قرار غير ملزم يدعو الحكومة الاميركية الى الاعتراف بـ «القدس الموحّدة عاصمة ابدية لاسرائيل». فقد وافق المجلس على القرار بأغلبية ٣٧٧ صوتاً ومعارضة ٣٤ وامتناع ستة عن التصويت؛ وهذا يعني ان المجلس وافق على القرار بما يزيد على نسبة الثلثين المطلوبة لتمريره. وتمّ طرح القرار على التصويت من قبل انصار اسرائيل في المجلس، رداً على العاصفة السياسية التي اثارها زعيم الاقلية الجمهورية في مجلس الشيوخ، السيناتور روبرت دول، عندما قال ان القرار خاطىء. وأجري تمرير القرار من دون نقاش، وذلك من خلال «تعليق الاجراءات النظامية»، الامر الذي يتمّ، في العادة، خلال التصويت على قرارات شكلية، وغير مثيرة للجدل (**السفير**، بيروت، ٢٥/٤/١٩٩٠).

هذا «التصويت» لا يشير فقط الى وجود انقسام مثير للاهتمام بين الادارة الاميركية والكونغرس، وانما، أيضاً، داخل صفوف وزارة الخارجية الاميركية نفسها. فالحملة التي شنّت ضد السيناتور روبرت دول، بسبب تصريحاته المتعلقة بتقليص حجم المساعدات الاميركية لاسرائيل، لم تلاق دفاعاً في وزارة الخارجية، بل ان عدداً من المسؤولين في الوزارة اطلقوا حملة موازية اعتبروا فيها مواقف السيناتور دول خطأ تكتيكياً، وتعمّدوا سكب الماء البارد عليها. وليس من المعروف ما اذا كان التشكيك في صدقية السيناتور دول هو عزل له عن حزبه واظهاره بأنه لا يمثل سوى نفسه، فان الامر الهامّ هو ان اللوبي اليهودي داخل الكونغرس أفشل جولة السيناتور دول الاخيرة على الشرق الاوسط، متعمّداً احراج بيكر في مسيرة «تقليم الأظافر» (رابينوفيتش، **مصدر سبق ذكره**).

أضف الى ذلك، ان دعم الرئيس بوش للهجرة اليهودية السوفياتية الى اسرائيل جاء في اليوم التالي لموافقة مجلس النواب الاميركي على معونة قيمتها ٧٥ مليون دولار لهؤلاء المهاجرين، وكذلك على منح اسرائيل ضمانات ائتمانية للاسكان قيمتها ٤٠٠ مليون دولار، لمساعدتها على استيعاب المهاجرين الجدد. ولقد شاء البعض تفسير ذلك بأنه استياء من بيكر ومحاولة لـ «قصّ جناحه»، لا سيما بعدما تبيّن ان ثمّة تضارباً في الآراء بين مستشار الرئيس لشؤون الامن القومي، برينت سكوكروفت، وبين وزارة الخارجية بشأن «المأزق» الحالي الذي تمرّ به عملية السلام في المنطقة، والدعم الضمني الذي لاقاه شمعون بيرس من قبل المسؤولين في الخارجية، الذين لم يخفوا رغبتهم في ان يتمكّن من تشكيل حكومة اسرائيلية جديدة (**المصدر نفسه**، ٢٠/٤/١٩٩٠).

السؤال الاكثر الحاحاً هو: هل سيتراجع الوزير بيكر؟ أم انه سيتحدّى؟ البعض يعتقد بأن شخصية وزير الخارجية «العملية» أو «البراغماتية» تمرّ الآن، في مرحلة امتحان حاسمة؛ وعليها تترتب ابعاد فائقة الاهمية تتعدى الشخصية لتدقّ في عصب مبادرته ذات النقاط الخمس («افتتاحية»، **الواشنطن بوست**، ٩/٤/١٩٩٠). وبينما يدرك بيكر انه لا يوجد أي استعداد اسرائيلي لصوغ موقف سياسي مشترك مع الجانب الاميركي بشأن مسيرة التسوية، فان الضغوط التي بات يتعرّض الاخير لها تجعله يلجأ، أكثر من أي وقت مضى، الى دبلوماسية «الغموض المتعمّد»، سواء في مباحثاته مع الجانب السوفياتي، أو في المداولات على الساحة الاميركية فيما بين الادارة والكونغرس وداخل الادارة ذاتها. فيما يحاول كل طرف احتواء أبعاد مواقف الطرف الآخر عليه، أو على عملية التسوية في المنطقة، والكل يسأل عمّا اذا كان في الافق لعبة دبلوماسية جديدة؟

ن. ح.

تنويع مهامّ «القوات الضاربة»

لقد اتّسمت المواجهة المستمرة بين قوات الاحتلال الاسرائيلية والانتفاضة الشعبية داخل فلسطين المحتلة بسمتين متميّزتين خلال الفترة الماضية. فمن جهة، تقلّصت حدّة العنف المباشر الذي يمارسه الجنود، لجهة القتل والجرح بالرصاص تحديداً، بموازاة التشديد على الاجراءات الاخرى، كغلق المحال التجارية والشوارع وحظر التجول ومنع السفر، الى جانب التدابير القمعية الاكثر «روتينية» كاقتلاع الاشجار. ولعلّ ما يفسّر ذلك هو تكثيف بعض الضغوط الدولية مؤخراً، وخصوصاً اثر قرار المجموعة الاوروبية تجميد التعاون العملي مع اسرائيل بسبب غلقها للجامعات الفلسطينية، وأيضاً بسبب حدوث الازمة الحكومية وسقوط وزارة شامير. امّا من الجهة الاخرى، فقد شهدت فلسطين المحتلة، في الوقت ذاته، حالة تبلور للاساليب والسياسات، التنظيمية والعسكرية، التي يمارسها الطرفان، الاسرائيلي والفلسطيني، حيث صار العدو يلجأ الى مجموعة ثابتة ومنتظمة من الاساليب، والانماط، بطريقة منهجية، تنفيذاً لسياسته العليا المختارة؛ بينما أصبح توزيع الادوار لدى القوات الضاربة الفلسطينية أوضح (قصداً أم تلقائياً)، مع تراكم المؤشرات تدريجياً الى توفير خيار عسكري ما مستقبلاً.

التوزيع الوظيفي الفلسطيني

اتضح التبلور التدريجي للتقسيم الوظيفي للمهام العسكرية، والشعبية، على أنواعها، لدى المنتفضين الفلسطينيين في الاراضي المحتلة، من خلال مسار الاحداث الواقعة بين ١٦ آذار (مارس) و١٥ نيسان (ابريل). فقد حدثت مشاركة شعبية أوسع، ومواجهات أوسع أيضاً في بعض الاحيان، بمناسبات خاصة، أبرزها «يوم الارض»، في ٣٠ آذار (مارس)، وبداية اسبوع الفصح بعد ذلك. وقد اشتدت المواجهة (السلمية نسبياً) في ١٢ نيسان (ابريل)، حين احتشد مئات المواطنين الفلسطينيين، وفي مقدمهم الشخصيات السياسية ورجال الدين، المسيحيون والمسلمون، لاسترجاع مبنى فندق مار يوحنا في القدس، الذي يعود الى الكنيسة الارثوذوكسية، والذي احتله ١٢٠ مستوطناً يهودياً بحراسة الشرطة.

في مقابل ذلك، اتخذت أعمال المقاومة الشعبية طابع عمليات حرب العصابات أكثر فأكثر، خلال الآونة الاخيرة، وهو أمر تفرضه ظروف المواجهة؛ فبات لازماً على المنتفضين ان يرتقوا، تنظيمياً وتكتيكياً، نظراً الى طبيعة الاجراءات التي تنفّذها قوات الاحتلال. وعلى سبيل المثال، لقد أُتيح للجنود الاسرائيليين، مجدداً، استخدام العيارات البلاستيكية ـ أي المعدنية والمطلية بطبقة مطاطية ـ كما بُدىء بتوزيع مئات المناظير القناصة على الجنود الحاملين لبندقية «غليلي»، بعد ان اقتصر ذلك على البنادق «م ـ ١٦» الاميركية (**الحياة**، لندن، ١٠/٤/١٩٩٠). ويدل ذلك على تصاعد المخاطر التي يتعرّض لها شبان القوات الضاربة، خاصة ان عمليات الاغتيال للناشطين قد تجدّدت، ممّا يستوجب تعديلاً في الاسلوب المضاد.

وهكذا، اكتسبت اعمال القاء القنابل مولوتوف وحرق السيارات طابع عمليات «اضرب واهرب» بكل معنى الكلمة. ومن بين تلك النشاطات القاء قنبلتي مولوتوف على سيارة مستوطن في رام الله، في ٢٣ آذار (مارس)، أعقبها حرق عربة عسكرية في القدس، في اليوم التالي. كما نشب حريق كبير داخل منشأة تدريب تابعة للجيش الاسرائيلي في منطقة بالغور، في النهار ذاته، ممّا أدى الى جرح جنديين، دون ان تتأكد الاسباب الدقيقة (**المصدر نفسه**، ٢٦/٣/١٩٩٠). وقد استمر المسلسل مع حرق مصنع للنسيج في ريشون لتسيون، في ٣١ الشهر، والقاء مولوتوف على عربة عسكرية في القدس، في الرابع من نيسان (ابريل)؛ والتهمت النيران،

أيضاً، مجلاً للقمار في القدس الشرقية، في الثامن من الشهر، وخمس سيارات في القدس كذلك، في العاشر منه. والى ذلك، يتضح مدى الضرر المتراكم لمثل تلك الاعمال الشعبية على الحكومة والمؤسسات الاسرائيلية، حين يذكر ان أكثر من ٢٠ ألف سيارة قد اصيبت باعطال، او حُطّمت، منذ بدء الانتفاضة، ممّا اضطر الحكومة الى تحمّل الكلفة المالية بسبب القانون القاضي بتعويض الاسرائيليين عن أعمال المقاومة الفلسطينية (هآرتس، ٢٥/٣/١٩٩٠). ويلاحظ، في المقابل، تراجع عمليات قتل العملاء والمتعاونين خلال الفترة الماضية، حيث تراجع عدد الاعدامات الى خمسة مشتبهين، مقابل ثمانية في الشهر السابق.

غير ان مقاومة الاحتلال الاسرائيلي تكتسب بعض السمات العسكرية ايضاً، وهذا ليس بالامر الجديد؛ اذ واكبت عمليات عسكرية «تقليدية» محدودة تطوّر الانتفاضة بصورة متقلبة منذ الشهور الاولى؛ ولكن تأتي المؤشرات الجديدة وسط الجمود السياسي العام، من جهة، وبموازاة نمو الطابع العصابي لغالبية نشاطات المقاومة الشعبية، من جهة أخرى، ممّا قد يؤدي الى تضافر النمطين وتقاطعهما. وتجدر الاشارة؛ في هذا السياق، الى حادثة الطعن التي تعرّض لها مستوطن اسرائيلي في سوق القصّابين في القدس، في السادس من نيسان (ابريل)، ممّا أدى الى اصابته في بطنه. وقد أعلنت منظمة الجهاد الاسلامي، لاحقاً، مسؤوليتها عن الهجوم، وهو الثاني منذ طعن مجنّدة في العاصمة الفلسطينية في أوائل العام (الحياة، ٧ ـ ٨ و٩/٤/١٩٩٠). هذا، وقد سبق ذلك بيوم ان صدم سائق عربي مجموعة جنود اسرائيليين بشاحنة، في مخيم عسكر، ممّا أدّى الى جرح ضابط باصابة بالغة، والى جرح الفلسطيني واعتقاله واصابة خمسة آخرين بجروح (المصدر نفسه، ٦/٤/١٩٩٠). واخيراً، لجأ شبان القوات الضاربة الى تكتيك المفاجأة؛ مثلاً في طولكرم، حيث اجتمع ٤٠ منهم ليلاً لهدم موقع مراقبة نهارية تابع للجيش في العاشر من الشهر، وقد ردّت السلطات على ذلك بفرض حظر التجول.

وفي الفترة عينها، كشفت سلطات الاحتلال عن مجموعة أمور لافتة اضافية، أولها اكتشاف نفقين يربطان قطاع غزة بسيناء عند منطقة رفح، ممّا دفع الجيش الى البحث عن أنفاق أخرى تحت الارض، وذلك في ١٩ آذار (مارس). وتلا ذلك، بعد يوم، انفجار لغم وجرح جنديين في هضبة الجولان المحتلة، دون معرفة هل كان اللغم من مخلّفات الجيش نفسه، ام من زرع حديث (المصدر نفسه، ٢٠ و٢١/٣/١٩٩٠). كما انفجر لغم آخر بآلية عند كفر روبين على الحدود الاردنية، في الاول من نيسان (ابريل)، وتمّ العثور على ألغام أخرى، كشفتها الامطار، وهي ربما من زرع الجيش أيضاً. وفي اليوم التالي، أعلنت أجهزة الامن الاسرائيلية عن كشف خلية مسلّحة تابعة لـ «فتح» في القدس، تضمّ سبعة أشخاص، ومزوّدة برشاشات من طراز «عوزي» ومسدسات وقنابل يدوية ومتفجرات (فلسطين الثورة، نيقوسيا، ٨/٤/١٩٩٠). وقد اتُهم عناصر الخلية بتنفيذ ١٥ عملية، منها وضع عبوة داخل مستوطنة كيدار قبل بضعة أسابيع، ممّا أصاب ضابط أمن بجراح، وزرع عبوة ثانية في القدس، وقتل عميل. وقد صادف الاعلان الاسرائيلي صدور الحكم بسجن امرأة يوغوسلافية ـ اسرائيلية مدة ست سنوات، منها ثلاث مع وقف التنفيذ، بتهمة التجسّس لـ «فتح». هذا، وقد توّجت الحوادث، في الفترة الاخيرة، بعملية فرار احد المواطنين الفلسطينيين عبر نهر الاردن، اثر اعتراض سيارته في الغور ومطاردته من قبل آلية عسكرية معادية، وذلك في ١١ من الشهر عينه؛ وأيضاً بانفجار عبوة ناسفة قرب موقف للباصات العسكرية عند مفترق حولون (تل ـ أبيب)، في اليوم التالي (الحياة، ١٢ و١٣/٤/١٩٩٠).

رافق ذلك توتّر حدودي. فقد انطلق صاروخا كاتيوشا من على الاراضي الاردنية، جنوب البحر الميت، ضد مناطق السيطرة الاسرائيلية دون الحاق اضرار وخسائر، في ٢٩ آذار (مارس). وقد أعلنت منظمة الجهاد الاسلامي مسؤوليتها عن ذلك، لاحقاً، من بيروت، واعتبرت العملية رداً على هجرة اليهود السوفيات (المصدر نفسه، ٣٠/٣/١٩٩٠). وعلّق مسؤول اردني على ذلك بأنه تمّ احباط حوالى عشر محاولات لاطلاق صواريخ عبر الحدود خلال الشهور الثلاثة الفائتة، وانه تمّ اعتقال خمسة اشخاص لعلاقتهم بذلك، لعلهم من افراد

منظمة الجهاد الاسلامي (**المصدر نفسه**، ٢/٤/١٩٩٠). وأكدت مصادر محلية ان الحكومة الاردنية قد اتصلت بكل من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية ـ القيادة العامة في دمشق، للحصول منها، جميعاً، على ضمانات بعدم تنفيذ عمليات عسكرية عبر الاردن. وقد سبق ذلك ان أُحبطت محاولة تسلل عبر الحدود السورية ـ الاردنية، في ٢٣ آذار (مارس)، بينما نجحت القوات الاسرائيلية باعتقال مجنّد اردني يحمل بندقية «م ـ ١٦» كان عبر نهر الاردن قبالة الكرامة ـ العوجا، في مطلع الشهر الحالي (**المصدر نفسه**، ٢٤/٣/١٩٩٠ و٢/٤/١٩٩٠).

وفي المقابل، صرّح قائد احد أجنحة الجهاد الاسلامي، الشيخ اسعد التميمي، ان منظمته قد نفّذت تسع عمليات مسلّحة في العام ١٩٨٩، ولكنها تعارض العمل عبر الحدود الاردنية (**المصدر نفسه**، ٩/٤/١٩٩٠). ولم يُعرف ما اذا كان ذلك الجناح هو الذي أعلن اطلاق صواريخ كاتيوشا على غرب الجليل انطلاقاً من الجنوب اللبناني، في السادس من الشهر. كذلك أُصدرت تصريحات غربية واسرائيلية حول دور «فتح» في النشاط المسلّح. فمن جهة، أكد تقرير لوزارة الخارجية الاميركية، أُصدر في ٢١ آذار (مارس)، التزام م.ت.ف. بعدم تنفيذ العمليات الارهابية (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٢/٣/١٩٩٠). وقد صرّح رئيس الاركان الاسرائيلية، الجنرال دان شومرون، في اليوم عينه، ان «فتح» لا تشنّ الهجمات الارهابية أو الحدودية (**فلسطين الثورة**، ١/٤/١٩٩٠)؛ غير انه لم يوضح تماماً اذا كان يستثني داخل الارض المحتلة من ذلك التصريح؛ اذ انه لم يشر الى الاعمال المسلّحة هناك، علماً بأن مكتب رئيس الوزراء، اسحق شامير، قد اتهم م.ت.ف. بالمسؤولية عن عدد من العمليات التي تمّ تنفيذها خلال العام ١٩٨٩، من اصل ١٣ حادثة القاء مولوتوف داخل ارض ١٩٤٨ و١٧ هجوماً حدودياً، حسب تأكيده (**الحياة**، ٢٢/٣/١٩٩٠).

القمع الاسرائيلي

مع سعي سلطات الاحتلال الى تقليص حجم الاصابات الفلسطينية، مؤخراً، نظراً الى العواقب الاعلامية، والسياسية، تراجعت وتيرة سقوط الشهداء داخل فلسطين المحتلة، حيث يظهر من الاحصاء اليومي استشهاد ستة عشر مواطناً، ممّا رفع المجموع العام الى ٨٥٩ منذ بدء الانتفاضة. كما تراجع معدّل سقوط الجرحى، مقارنة بالشهور القليلة السابقة، التي كانت شهدت تصاعداً حادّاً منذ الصيف الماضي، علماً بأنه أُصيب، على الرغم من ذلك، مئة فلسطيني بجروح مختلفة، في ٢١ آذار (مارس) وحده، و٣٧ في الثالث من نيسان (ابريل)، وما يزيد على العشرين في كل من الخامس والسادس من الشهر عينه. انما ينبغي الاشارة، في السياق اياه، الى الممارسات الاجرامية لبعض الافراد والاجهزة في الجيش الاسرائيلي؛ اذ ان أربعة من الشهداء الفلسطينيين، بينهم طفل، لقوا مصرعهم نتيجة دهسم من قبل السيارات العسكرية، وذلك في ١٧ (شخصيان) و١٨ و٢٣ آذار (مارس)، بينما استشهدت امرأة مسنّة، بسبب الضرب المبرح، في ٢٢ منه (**ميدل ايست انترناشونال**، ٣٠/٣/١٩٩٠).

كما تجدّدت ظاهرة «فرق الموت» الرسمية، أي الجنود أو رجال المخابرات المتنكرين بالزي المدني، حيث هاجمت مجموعة منهم بعض الشبان الناشطين في اللجان الشعبية في قصبة نابلس، في ٢٢ آذار (مارس)، وأطلقت النار عشوائياً عليهم دون انذار، ممّا أدّى الى استشهاد اثنين منهم (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٣/٣/١٩٩٠). وقد ادّعت اسرائيل بأن هؤلاء من أعضاء فرقة «الفهود السود» التابعة لـ «فتح»، علماً بأن الجنود اصابوا خمسة مواطنين آخرين ايضاً (**ميدل ايست انترناشونال**، ٣٠/٣/١٩٩٠). ثمّ حصلت عملية مشابهة في الخامس من نيسان (ابريل)، حين أقدم المتنكرون الاسرائيليون على اغتيال ناشط، من مخيم الجلزون، وسط مدينة رام الله، وذلك برصاصة واحدة في العنق، من مسافة مباشرة (**الحياة**، ٦/٤/١٩٩٠). ويذكر ان هذا هو الشهيد العشرون الذي سقط برصاص «فرق الموت» منذ بدء الانتفاضة (**فلسطين الثورة**، ٨/٤/١٩٩٠).

على الرغم من السعي الاسرائيلي الى «ضبط» العنف المسلّح للجيش وتحديد قنواته، فقد

استمرت أوجه القمع الاخرى كافة. ودفع ذلك بأحد زائري فلسطين المحتلة هو الرئيس الاميركي الأسبق، جيمي كارتر، الى الاحتجاج، علناً، في أكثر من مناسبة، على «الممارسات الوحشية ضد المواطنين الفلسطينيين» (**نيويورك تايمز**، ١/٤/١٩٩٠). وقد استنكر كارتر «النزوع السلطوي» الاسرائيلي. ونقل عن جمعية حقوق الانسان الاسرائيلية «بتسليم» ان ما مجموعه رُبع جميع الذكور الفلسطينيين البالغين قد تعرّضوا للاعتقال، منهم تسعة آلاف ما زالوا في السجون (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٢٠/٣/١٩٩٠). وفي هذه الاثناء، اصدرت مؤسسة «الدارس الفلسطيني» احصاءات القمع خلال آذار (مارس)، والتي شملت ١٦٠ حالة اعتقال اداري، وهدم ٤٠ منزلاً (بحجتي عدم الترخيص والتهم الامنية)، وقتل ٢١ مواطناً، وجرح ٢٤٦ بالرصاص، واقتلاع ١٥٨٨ شجرة و٤٠٠٠ غرسة، ومصادرة ٤٠٥ دونمات من الاراضي، علاوة على اغلاق الشوارع والمدارس والمتاجر، وفرض الغرامات، وفصل الموظفين، وحظر التجول وعزل المناطق (**فلسطين الثورة**، ٢٢/٤/١٩٩٠).

كما استمرت مثل تلك الممارسات خلال الفترة بين ١٦ آذار (مارس) و١٥ نيسان (ابريل). فقد ضمّت الفترة الاولى، فضلاً عمّا ذكر أعلاه، جرح طفلين في قرية تقوع، اثر انفجار جسم غريب عثر عليه، وذلك في ٢٤ آذار (مارس)، دون ان تتأكد طبيعة الجسم الغريب، أو هوية واضعه. ويذكر، أيضاً، قيام قوات الاحتلال بجرف ٢٥٠٠ دونم من بساتين الزيتون التابعة لقرية سيرا (رام الله) في الاسبوع عينه، عدا الاراضي المصادَرة (**الحياة**، ٢٦/٣/١٩٩٠). وتكرر اسلوب حظر التجول والعزل؛ اذ فرضه الجيش الاسرائيلي على قطاع غزة والضفة الفلسطينية في ٢٩ الشهر، تحسّباً لـ «يوم الارض»، وأيضاً في ١٥ نيسان (ابريل)، استعداداً لذكرى الشهيد خليل الوزير (ابو جهاد). ولوحظ، أيضاً، في تلك الفترة، ظهور نوع جديد من قنابل الغاز المسيل للدموع لدى قوات الاحتلال الاسرائيلية، دون تحديد طبيعته المحددة (**المصدر نفسه**، ٦/٤/١٩٩٠).

جنوب لبنان

شهد جنوب لبنان هدوءاً حذراً مقارنة بالفترة السابقة، وخصوصاً بسبب غياب الغارات الاسرائيلية والعمليات الحدودية، علماً بأن سلاح البحرية الاسرائيلي أحبط محاولة فدائية بحرية ليلة ١٢ نيسان (ابريل)، حيث قام زورقان حربيان بمطاردة قارب مطاط قبالة شاطىء صور. وقد نجح العدو باغراق القارب وقتل الفدائيين الثلاثة الذين كانوا على متنه، على الرغم من نيران الاسناد البري التي أتت من مخيم الرشيدية (**المصدر نفسه**، ١٣/٤/١٩٩٠). وقد أعلنت جبهة التحرير الفلسطينية انتماء الشهداء اليها.

إلّا ان الامر الذي لفت الانظار وأثار التساؤل كان قيام قوات تابعة لـ م.ت.ف. بتنفيذ مناورات عسكرية بجوار منطقة صيدا، في الثاني من نيسان (ابريل). فقد نفّذت وحدات تابعة لكل من «فتح» والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، كل على حدة، بمناورة واسعة في اقليم التفاح شرق صيدا، فيما شابه استعراضاً للقوة، دون تحديد أسباب ذلك، علماً بأنه ربما ارتبط بالمساعي السياسية التي تدور بين القيادتين، الفلسطينية والسورية، منذ فترة (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٣/٤/١٩٩٠). ويذكر ان المصادر الغربية تقدر حجم القوات الفلسطينية في لبنان بحوالى ١١ ألف مقاتل، علماً بأن مثل ذلك العدد، أو أكثر، ربما يحتشد في منطقة صيدا وحدها.

ي. ص.

حملة اسرائيلية ـ غربية ضد العراق

في الخامس عشر من آذار (مارس) الماضي، أعلن العراق تنفيذ حكم الاعدام ضد الصحافي الايراني الاصل، البريطاني الجنسية، فرزاد بازوفت، على الرغم من نداءات استرحام من جهات غربية عدة، وذلك بتهمة التجسّس لحساب اسرائيل وجمع المعلومات عن منشآت عراقية عسكرية حسّاسة. وبعد اسبوع من ذلك التاريخ، في ٢٢/٣/١٩٩٠، عُثر على د. جيرالد بول، أمام منزله في بروكسل، مقتولاً برصاصتين في رأسه. وفي مقابل الضجة الاعلامية الكبيرة التي رافقت اعدام بازوفت، كادت جريمة بروكسل تنقضي دون أي اهتمام يذكر، لولا ان جاءت احداث الايام اللاحقة لتعيد تركيز الاضواء على حياة د. بول، ونشاطه العلمي. فقد أعلنت سلطات الجمارك البريطانية، في ٢٨/٣/١٩٩٠، انها صادرت شحنة تضمّ ٤٠ صاعقاً من النوع المستخدم لتفجير القنبلة النووية، كانت في طريقها من الولايات المتحدة الاميركية الى العراق. وبعد اسبوعين من ذلك التاريخ، أوقفت الجمارك البريطانية، أيضاً، تصدير شحنة من الانابيب الفولاذية الضخمة كانت في طريقها الى العراق، بحجة انها تشكّل جزءاً من مدفع عملاق يعمل العراق على بنائه باشراف خبير المدفعية العالمي د. جيرالد بول. وسرعان ما ركّزت وسائل الاعلام الاجنبية، والغربية منها بشكل خاص، الاضواء على الجهود العراقية في مجال التسلّح وبناء قدرات العراق العسكرية وتزويد جيشه بأحدث الاسلحة التقليدية، وغير التقليدية. وبدا واضحاً ان هناك جهداً منسّقاً، ومكثّفاً، تبذله الجهات الاميركية والبريطانية والاسرائيلية ذات العلاقة، من اجل كشف أكبر قدر ممكن من المعلومات عن جهود التسلّح العراقي، وتسريب هذه المعلومات الى أجهزة الاعلام الدولية التي، بدورها، تولّت نشرها على أوسع نطاق. ومن فيض المعلومات التي حفلت بها الصحف الاسرائيلية، والغربية، خلال الاسابيع الاخيرة الماضية، يمكن تلخيص الجهود العراقية في مجال الاسلحة غير التقليدية على النحو التالي:

الاسلحة الجرثومية

كشفت شبكة التلفزيون الاميركية N.B.C. النقاب عن قيام العراق بتطوير اسلحة جرثومية قادرة على تهديد مدن بأكملها، مثل طهران وتل ـ أبيب. وأوضحت الشبكة، نقلاً عن مصادر الاستخبارات الاميركية، ان العراق يستخدم مصنعاً متطوّراً للغاية، مجهّزاً بأحدث المعدّات الالمانية الاتحادية لصنع اسلحة جرثومية فتّاكة. وكشف تقرير التلفزيون الاميركي النقاب عن حصول المصنع العراقي، الواقع في منطقة سلمان باك جنوب بغداد، في العام ١٩٨٥، على ثلاث شحنات من جرثومة «حمّى النيل الغربي» من مركز مراقبة الامراض الاميركي الحكومي (U.S. Center for Disease Control) الواقع في مدينة اتلانتا، في ولاية جورجيا الاميركية (جيروزاليم بوست، ١٣/٤/١٩٩٠). ويبدو ان ذلك جاء بعد ان علم العراقيون بانتشار تلك الحمّى، في الخمسينات، في قاعدتين عسكريتين اسرائيليتين. وقد علّق البروفسور نتان غولدبلوم، من دائرة علم الفيروسات في الجامعة العبرية، في القدس، وأحد الذين شاركوا في مكافحة الوباء، في اثناء عمله برتبة مقدّم في سلاح الطبابة، فقال: «انتشرت تلك الحمّى قبل حوالى ٣٥ سنة، خاصة في الكيبوتسات وبعض معسكرات الجيش، وانتشرت في مصر، أيضاً، في ذلك الحين، ويبدو انها انتقلت من طريق البعوض. وتشمل اعراض المرض ارتفاعاً شديداً في الحرارة وانتفاخ الغدد وتورّمها، وأوجاعاً في الرأس. وكانت هذه الاعراض لدى صغار السن تتلاشى خلال اسبوع، أو اسبوعين، ولكنها كانت تتطوّر لدى البالغين وكبار السن الى التهاب السحايا وهو مرض خطير للغاية». وقدّم غولدبلوم تفسيراً محتملاً بشأن اختيار

العراقيين هذا النوع بالذات من الجراثيم كسلاح بيولوجي، فقال: «من الجائز تطوير هجين من هذا الفيروس يكون أكثر خطورة، بحيث يتسبب في مرض التهاب السحايا لدى كل من يتعرّض له». وأضاف غولدبلوم موضحاً انه من الصعب تطوير مصل واق ضد نوع هجين من الفيروس لا تعرف هويته بالضبط. وفي حال تمكّن العراقيون من تطوير هجين من هذا الفيروس، فان العلماء يكونون بحاجة الى الحصول على هذا الهجين، من اجل انتاج المصل الواقي منه (**يديعوت احرونوت**، ١٣/٤/١٩٩٠). وأضافت الصحيفة، نقلاً عن خبراء اميركيين قولهم، ان العراقيين لا يعملون على تطوير فيروس «حمّى النيل» فقط، بل، أيضاً، ميكروبات الكوليرا والتيفوئيد والجمرة، وهذا الاخير من أخطر الاسلحة الجرثومية نظراً الى آثاره المدمّرة على الانسان والحيوان معاً، بالاضافة الى قدرة جراثيمه على المقاومة بشكل لا مثيل له. امّا الجهود الاسرائيلية في مجال الحرب الجرثومية، فيبدو انها تجرى في معهد سرّي يقع في مستعمرة نس ـ تسيونا ويعمل، حالياً، على تطوير مصل مضاد للاسلحة البيولوجية العراقية (**المصدر نفسه**).

الاسلحة الكيميائية

على الرغم من الاخبار العديدة المتداولة في الصحافة العالمية عن استخدام العراق اسلحة كيميائية في حربه ضد ايران، استهدفت بالتحديد القوات الايرانية التي احتلت، لفترة من الوقت، جزيرة الفاو، الّا ان الاعلان العراقي عن وجود هذه الاسلحة في حوزة الجيش، والتهديد باستخدامها، جاء على لسان الرئيس العراقي، صدام حسين، صراحة، في ٢/٤/١٩٩٠. فقد هدّد الرئيس العراقي، في حضور حشد كبير من ضباط الجيش العراقي، باحراق نصف اسرائيل بالسلاح الكيميائي المزدوج، اذا ما حاول جيشها الاعتداء على المنشآت والمواقع العسكرية والعلمية العراقية. وجاء ذلك التهديد في أعقاب الحملة الاعلامية المركّزة في الصحف الغربية التي استهدفت الكشف عن نشاط التسلّح العراقي. وسرعان ما أفاضت الصحف الاسرائيلية في الكتابة عن الاسلحة الكيميائية المتوفّرة لدى الجيوش العربية، وخاصة لدى الجيش المصري الذي استخدم هذا السلاح في الستينات، في اثناء «حرب اليمن»، ولدى الجيشين، السوري والليبي. ويتمّ انتاج هذا النوع من الاسلحة، التي تسمّى القنبلة الذرية للدول الفقيرة، نظراً لضآلة تكاليف انتاجها، محلياً، حيث انه من غير المألوف في العالم بيع الاسلحة الكيميائية. امّا تقديم المساعدة، فيتمّ من طريق المعلومات او المواد الخام. وتعمل مصانع انتاج الاسلحة الكيميائية تحت غطاء انتاج مواد مبيدة زراعية، أو أدوية، أو ما أشبه. والعراق ـ حسب مصادر اميركية ـ هو البلد الرائد في الشرق الاوسط في انتاج الاسلحة الكيميائية، وبمعدل سنوي يقدر بحوالى ١٣ الف طن (**نيوزويك**، ٩/٤/١٩٩٠). وينتج العراقيون غاز الخردل وبضعة أنواع من غاز الاعصاب، بالاضافة الى مادة السيانيد التي تؤثر في الدورة الدموية. ويشتري العراق المواد الخام لانتاج السلاح الكيميائي من شركات خاصة في ايطاليا والمانيا الاتحادية وسويسرا وهولندا وبلجيكا. امّا السلاح الكيميائي المزدوج، فيتكوّن عادة من مادتين منفصلتين، لا ضرر لأي منهما على انفراد، يؤدي اندماجهما في ظروف كيميائية وجوية معيّنة الى انتاج مواد تترك آثاراً مدمّرة على جسم الانسان. والسبيل الوحيد الى الوقاية من الحرب الكيميائية، أو الجرثومية، هو الانذار المبكر والتزوّد بملابس خاصة واقية للرأس والجسم بأكمله، وأقنعة للتنفّس (**دافار**، ٥/٤/١٩٩٠). وعلى الرغم من الاشارة الى توفّر الاسلحة الكيميائية لدى عدد من الجيوش العربية، الّا ان مصادر الجيش الاسرائيلي لاحظت ان مصر لم تستخدم السلاح الكيميائي ضد اسرائيل في حرب العام ١٩٦٧، ولا في حرب العام ١٩٧٣، عندما كان الجيش الثالث المصري محاصراً والجيش الاسرائيلي يقف على بعد ١٠١ كيلومتر من القاهرة. كما ان الجيش السوري لم يستخدم السلاح الكيميائي، ايضاً، في حرب العام ١٩٧٣، عندما وصل الجيش الاسرائيلي الى مشارف دمشق. وتعتقد الاوساط العسكرية الاسرائيلية بأن السبب يعود الى وجود الرادع النووي الاسرائيلي؛ وبالتالي، فان الجديد في تهديدات الرئيس العراقي، والخطير في الوقت عينه، هو انه يضع التهديد بالاسلحة الكيميائية على قدم المساواة، وعلناً، مع التهديد الاسرائيلي بالاسلحة النووية (افنير كوهين، **دافار**، ٦/٤/١٩٩٠).

الاسلحة النووية

ان اعلان سلطات الجمارك البريطانية في ١٩٩٠/٣/٢٨ عن مصادرتها شحنة من المعدّات الالكترونية، بالغة الحساسية، كانت في طريقها من الولايات المتحدة الاميركية الى العراق، أعاد تسليط الاضواء على النشاط النووي العراقي. فالشحنة المصادرة هي عبارة عن اربعين جهاز توقيت الكتروني، صغيرة الحجم وبالغة الدقة، تستعمل ـ بالاضافة الى استخدامات علمية أخرى ـ كصاعق لاطلاق سلسلة التفاعلات اللازمة لتفجير قنبلة نووية. وتعرف هذه الاجهزة باسم Krytrons، ولا تصنع الاّ في الولايات المتحدة الاميركية، ويخضع تصديرها لتصريح خاص من السلطات الاميركية (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٩٩٠/٣/٢٩). واعتبر المراقبون الغربيون ان الكشف عن هذه الشحنة يشكّل دليلاً جديداً ملموساً على محاولات العراق الجدية في مجال تطوير، وانتاج، اسلحة نووية، وذلك من خلال شراء المعدّات والاجهزة اللازمة لذلك من السوق العالمي، ومن كبار الشركات الغربية والدول الشرقية، على حدّ سواء، بدلاً من محاولة انتاجها داخل العراق (**المصدر نفسه**، ١٩٩٠/٤/٤). امّا اسرائيل، فلا يبدو انها فوجئت بهذا الكشف، بل أكدت المعلومات الامنية التي سرّبتها الى الصحافة المحلية ان اسرائيل تتعقب النشاط النووي العراقي منذ العام ١٩٧٩، عندما قام عملاء الموساد في فرنسا بتفجير معدّات نووية كان من المفترض شحنها الى العراق؛ وتبع ذلك مقتل عالم مصري في باريس، بتاريخ ١٩٨٠/٦/١٤، كان يعمل في مجال النشاط النووي العراقي؛ وأخيراً قصف المفاعل النووي العراقي «اوزيراك» في ١٩٨١/٦/٧، بعد جولة استطلاعية للطيران الاسرائيلي في ١٩٨٠/٩/٣٠ (**معاريف**، ١٩٩٠/٤/٦). ويبدو ان اسرائيل لم تكتف بتدمير المفاعل النووي، بل سعت، أيضاً، الى تطويق أية محاولة للتعاون بين العراق ودول المنطقة في مجال البحوث النووية. فقد ذكرت صحيفة «هآرتس» الاسرائيلية (١٩٩٠/٤/٩)، نقلاً عن «الواشنطن بوست» الاميركية (١٩٩٠/٤/٨)، ان اسرائيل والهند بحثتا، في أوائل الثمانينات، في امكانات التنسيق ضد أي تهديد نووي. وأشارت هذه الاتصالات، التي قامت بها اجهزة المخابرات لدى الطرفين، مخاوف الباكستان، التي أرسلت، بدورها، تأكيداً سرّياً الى اسرائيل بأنها لن تسخّر قدراتها النووية، اطلاقاً، بهدف انتاج «قنبلة اسلامية» يمكن ان تستخدم ضد اسرائيل، على الرغم من العروض الليبية السخية، آنذاك، لتمويل انتاج مثل هذه القنبلة. كما وافقت الباكستان، أيضاً، بهدف ازالة مخاوف اسرائيل، على اقامة علاقات دبلوماسية سرية معها. وفي تلك الاثناء، قام عدد من المسؤولين الاسرائيليين، بينهم مدير عام مكتب رئيس الحكومة آنذاك، ابراهام طمير، بزيارة كراتشي وعقدوا عدداً من الصفقات التجارية، والعسكرية، بين الجانبين. ويبدو ان العراق، وبسبب انشغاله بالحرب مع ايران، لم يحاول اعادة بناء المفاعل النووي حتى العام ١٩٨٧، عندما توجّه الى فرنسا للحصول على مساعدتها في هذا المجال. ولكن امتناع فرنسا عن تقديم هذه المساعدة جعل العراق يتوجّه الى الصين التي كانت تعمل مع الباكستان في مجال التطوير النووي، بالاضافة الى محاولات الاستفادة من الاسواق الغربية. وتستند الجهود العراقية، في المجال النووي، الى كميّة ١٢ كيلوغراماً من اليورانيوم المشبع بقيت سليمة بعد تدمير المفاعل النووي في العام ١٩٨١. ويمكن من هذه الكمية صناعة قنبلة، أو اثنتين (اهرون ليفران، **جيروزاليم بوست**، ١٩٩٠/٤/١٣). امّا اسرائيل، التي ترفض التوقيع على معاهدة الحدّ من انتشار الاسلحة النووية، أو السماح لأية هيئة دولية بمراقبة نشاطها النووي، فان التقديرات العالمية تشير الى امتلاكها عدداً من القنابل النووية يتراوح ما بين ٢٠ ـ ١٠٠ قنبلة، أو أكثر. وكانت اسرائيل وافقت، في العام ١٩٨٤، على اعادة شحنة من أجهزة التفجير Krytrons الى الولايات المتحدة الاميركية، بعد اكتشاف امرها، على الرغم من ادعائها، آنذاك، بأن تلك الاجهزة كانت لأغراض سلمية (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٩٩٠/٣/٢٩). وتعتقد اسرائيل بأن الخيار النووي غائب في الطرف العربي؛ فالجيشان، المصري والسوري، لا يملكان اسلحة نووية؛ كما ان السعودية، التي حاولت، في بداية السبعينات، الحصول على سلاح نووي، عدلت عن تلك المحاولة نتيجة ضغوط اميركية. وبالتالي، فان العراق هو البلد العربي الوحيد، حالياً، الذي يحاول «اللعب خارج

القـواعـد» المعتـرف بهـا في المنطقة، والقائمة على أساس «مبدأ بيغن» القائل بعدم السماح لأية دولة عربيـة بتطوير سلاح نووي. وهنا، بالذات، تكمن أهمية المعلومات التي كُشفت، مؤخراً، عن مساعي العراق الى تطوير قدراته النووية، والتي من شأنها، لو قدّر لها النجاح، ان تخلق توازناً جديداً في المنطقة يحـرم اسرائيـل من تفـوّقهـا العسكـري المـطلق (عمانوئيل روزن، **معاريف**، ٦/٤/١٩٩٠).

المدفع العملاق

الى جانب الجهود المتواصلة من اجل الحصول على اسلحة وذخائر غير تقليدية (جرثومية وكيميائية ونووية) تبذل الدول المعنيّة جهوداً مساوية من اجل تطوير وسائل حديثة بالغة الدقّة والسرعة والكفاءة، لايصال هذه القنابل الى اهدافها. وفي هذا المجال، تحتل الطائرات حاملة القذائف والصواريخ بعيدة المـدى والمدفعية المتطوّرة أهمية خاصة. ومن هنا، أيضاً، يمكن فهم الحساسية الخاصة التي تبديها اسرائيـل تجـاه أيـة محـاولة عربية لتحقيق تقدّم استراتيجي، أو تطوير امكاناتها الخاصة، وحرصها على احبـاط هذه المحـاولات، كما ظهر، مؤخراً، في حادثة «المدفع العملاق».

بعـد اسبـوعـين من مصـادرة الكبسـولات الالكتـرونيـة في مطار هيثـرو البـريـطاني، أعلنت سلطات الجمـارك في ميناء ميـدلزبـورو، بتـاريخ ١١/٤/١٩٩٠، انها قامت بايقاف تصدير شحنة من الانابيب الفولاذية الضـخمة (عددها ثمانية) الى العراق، بحجّة انها قد تستخدم لبناء مدفع عملاق. وصـدرت الصـحـف الاسرائـيـليـة، بتـاريـخ ١٣/٤/١٩٩٠، حافلة بمختلف التفـاصيـل عن «المـدفـع العملاق» وعلاقة د. بول، الذي قتل قبل ثلاثـة أسـابيـع في بروكسـل، بتطوير ذلك المدفع لحساب العراق. ان دور جهاز المخابرات الاسرائيلية (الموساد) لا حاجة الى تأكيده، سواء بالنسبة الى مقتل العالم الكندي الاصل، الاميركي الجنسية، او الكشف، في الوقت المناسب، عن المعدّات الالكترونية والانابيب الفولاذية المتجهة الى العراق، أو تسريب المعلومـات المنـاسبـة لأجهـزة الاعـلام العـالمية. والواضح ان عملية الكشف هذه، التي تمّت بتنسيق تام، ووثيق، مع المخـابرات الاميركية، والبريطانية، كانت تهدف، ضمن امور أخرى، الى ردع الشركات الاجنبية عن مواصلة التعاون مع العراق في جهوده العسكرية والعلمية. ويتضح من المعلومات المتوفّرة لدى الصحف الاسرائيليـة ان د. بول، المـولود في اونتاريو ـ كندا قبل ٦٢ عاماً، هو احد أكبر الخبراء في العـالم في مجـال المدفعية، وتطويرها. وكان، في الستينات، عمل مع الجيش الاميركي في مشروع Harp 1, 2 لتطوير مدفع فضائي قادر على اطلاق قذيفـة، وزنها بضعة مئات من الكيلوغرامات، الى مدار فضـائي. وتمّت تجـربـة هذا المـدفع فعلاً، وبنجـاح، في قاعـدة امـيركيـة للتجـارب في جزيرة بارباـدوس الكـاريبيـة، وفي كنـدا. الّا ان اهتمام الجيش الاميركي، آنذاك، بتطوير الصواريخ بعيدة المـدى، وعـابـرة القـارات، ادّى الى اهمـال هذا المشروع، وبـالتالي الى توجيه جهود العالم الكندي باتجاه جنوب افريقيا، التي طوّر لحسابها مدفع جي ـ ٥، والذي بيع، لاحقاً، الى العراق. وعلى اثر حرب العام ١٩٧٣، وجّهت اسرائيل دعوة الى د. بول لالقاء سلسلة من المحـاضرات لجمهـور من العسكـريين والمـدنيـين عن آخر ما توصّل اليه في مجال تطوير المـدفعيـة. واستمـر التعـاون بينـه وبين اسرائيل سنـوات عدّة، تمكّنت الاخـيرة، خلالها، من تطوير سلاح المدفعية لديها، وادخال تحسينات هامّة للغاية على مدى القذائف المدفعية التي يستخدمها الجيش الاسرائيلي، وذلك باعتراف اللواء (احتياط) ابراهام بار ـ دافيد، ضابط المدفعية الرئيس سابقاً. الّا ان خشية الشركة الكندية ـ الاميركية لبحوث الفضاء (S.R.C.) التي كان يعمل معها د. بول من خسارة عقـودهـا مع عدد من الدول العربية، كالسعودية ومصر، أدّى الى قطع العـلاقـة مع اسرائـيـل، واستمـرارها، في المقابل، مع جنوب افريقيا. وهنا، أيضاً، واجه العالم الكندي بعض المتاعب، بسبب الحـظر المفـروض من جانب الولايـات المتحـدة الامـيركيـة على التعـامـل مع دولة جنـوب افريقيا العنصرية. وواجه د. بول حكماً بالسجن لمدة عام، نفّـذ ستـة شهـور منهـا فعلياً. وبعد خروجه من السجن، انتقل الى بلجيكا ليواصل بحوثه العلمية، وجهـوده في مجال تطوير سلاح المدفعية، وتسويق منتجات شركته الى مختلف انحاء العالم. وفي العام ١٩٨٨، أصـدر د. بول، بالاشتـراك مع صديقـه القـديم تشـارلز مورفي، كتـابـاً ضمّنـه خلاصـة

دراساته وبحوثه في مجال تطوير المدفعية، ويظهر منها ان النموذج الذي صنعه في الستينات بدمج مدافع بحرية وتعديلها يعتمد، أصلاً، على نموذج ألماني كان النازيون توصّلوا اليه لقصف العاصمة البريطانية، من على الاراضي الفرنسية، في أواخر الحرب العالمية الثانية. وفي تلك الاثناء، بدأت علاقة د. بول بصورة وثيقة مع بغداد، حيث تولّى الاشراف على مشروع «بابل» العراقي لبناء المدفع العملاق (**معاريف**، ٢٢/٤/١٩٩٠)، الذي يصل طوله الى حوالى ٤٠ متراً (أي بطول الاسطوانات الفولاذية المصادرة في بريطانيا)، ويبلغ قطره حوالى ٣٢ بوصة، أي ضعف قطر سبطانة المدفع الاصلي الذي تمّت تجربته في أواخر الستينات. ويبلغ مدى هذا المدفع حوالى ١٦٠٠ كيلومتر؛ كما انه قادر على اطلاق أقمار اصطناعية الى مدارات حول الارض. وكشفت مصادر أمنية اسرائيلية عن ان الصحافي الايراني الاصل، البريطاني الجنسية، بازوفت، كان جُنّد لجمع معلومات عن مدى علاقة د. بول مع العراقيين العام ١٩٨٨ (**دافار**، ١٥/٤/١٩٩٠). وذكر بعض المصادر ان المدفع العملاق يحتاج، في اثناء عملية اطلاق القذيفة التي يصل طولها الى متر، الى سلسلة من التفجيرات الصغيرة المتواصلة دقيقة التوقيت، الامر الذي يشير الى احتمال استخدام الصواعق التي ضبطت سابقاً في مطار هيثرو لهذه الغاية. كما ذكرت شركة وولتر سومرز البريطانية ان من المحتمل ان تكون باعت العراق، في تشرين الاول (اكتوبر) الماضي، اجهزة تدخل في تصميم المدفع العملاق. والمقصود هو اجهزة ارتداد هايدروليكية تساعد في امتصاص الضغط الهائل الناجم عن انطلاق القذيفة (**جيروزاليم بوست**، ١٨/٤/١٩٩٠). امّا الغرض الحقيقي للانابيب الفولاذية الضخمة التي حصل العراق على ٤٤ قطعة، من اصل ٥٢ قطعة، صنعتها شركة فورجماسترز البريطانية وصادرت الجمارك آخر شحنة منها، فقد تردّدت ثلاث نظريات حوله:

○ نظرية رجال الجمارك البريطانية، القائلة ان الانابيب مخصصة لبناء مدفع عملاق يبلغ طول سبطانته ٤٠ متراً، وقطره حوالى المتر. ويستطيع هذا المدفع اطلاق قذائف بعيدة المدى تحمل رؤوساً كيميائية، أو نووية، او اطلاق صواريخ الى مدارات حول الارض. وأشار بعض التقارير الى حصول العراق على نموذجين أوليين لهذا المدفع.

○ النظرية الثانية تقول ان الانابيب، بأكملها، مخصصة لبناء جهازين، يضمّ كل منهما ٢٦ أنبوباً، وسينتج عن دمجها معاً مدفع عملاق يبلغ طول سبطانته ١٥٦ متراً. وعلى الرغم من ان بعض خبراء القذائف الباليستيكية أشار الى امكان وجود مدفع بهذه المواصفات، الّا ان التقنية المطلوبة لانتاجه لا تتوفّر، على الاغلب، لدى العراق.

○ النظرية الثالثة التي كان يتمسّك بها رجال وزارة الصناعة والتجارة البريطانية تقول ان الانابيب مخصّصة، بالفعل، لأغراض صناعية نفطية. وقدّم رجال الجمارك بعض التعديل على هذه النظرية بقولهم ان الشحنات الاولى من الانابيب الفولاذية، ومجموعها ٤٤ أنبوباً، كانت، بالفعل، لأغراض صناعية، واستهدف العراق استخدامها «كغطاء» للشحنة الاخيرة التي ضمّت أنابيب المدفع العملاق، والتي صادرها رجال الجمارك البريطانية (يكير تسور، **دافار**، ٢٠/٤/١٩٩٠). مصادر رفيعة المستوى في الجهاز الامني الاسرائيلي القت شكوكاً حول ما اذا كان المقصود، بالفعل، مدفعاً عراقياً. وقال العميد (احتياط) عوديد طيرا، وهو ضابط مدفعية رئيس سابقاً، ان القذيفة التي تطلق من مدفع ذي سبطانة ضخمة الى هذا الحدّ تكون بحاجة الى توجيه. والمدفع الذي يطلق قذيفة باليستيكية الى مدى ١٦٠٠ كيلومتر لا يمكنه ان يصيب اهدافاً محدّدة، بل بفارق عشرات الكيلومترات. وهذا يعني، حسب قول العميد طيرا، انه يجب اضافة جهاز توجيه الى قذيفة من هذا النوع (وهو ما حاول العراق الحصول عليه بالفعل من شركة وولتر سومرز البريطانية) الى جانب شحنة دفع اضافية، لكي تصل الى ذلك المدى البعيد؛ وبالتالي، فان المقصود هو صاروخ. وأضاف العميد طيرا ان المدفع يعاني من نواقص عديدة مقارنة بمنصّة اطلاق الصواريخ. فهو أثقل وزناً، وأكثر عرضة للاصابة بقذائف الطرف الآخر، ودقّته أقل بكثير (**دافار**، ١٣/٤/١٩٩٠).

الصواريخ الباليستيكية

أعاد خطاب الرئيس صدام حسين، بتاريخ

٢/٤/١٩٩٠، تركيز الاضواء على جهود العراق الحثيثة في مجال التزوّد بالصواريخ بعيدة المدى، والقادرة على حمل رؤوس جرثومية وكيميائية ونووية، بالاضافة الى جهود دول عربية أخرى. فقد حصلت المملكة العربية السعودية، قبل سنتين، على حوالى ٦٠ صاروخاً صينياً من طراز «سي.اس.اس ـ ٢ ايست ونـد» التي تصل الى مدى ثلاثة آلاف كيلومتر تقريباً، على الرغم من اعتبارها من جيل الصواريخ القديمة. وتحاول ليبيا الحصول على صواريخ برازيلية متوسطة المدى من طراز اس.اس ـ ٣٠٠، فيما لم تنجح سوريا، حتى الآن، في تحديث ترسانتها من الصواريخ السوفياتية من طراز سكود واس. اس ـ ٢١ (**نيوزويك**، ٩/٤/١٩٩٠). امّا العراق، فقد حقق انجازات بالغة الاهمية في مجال تطوير صواريخ متوسطة، وبعيدة، المدى، بحيث أصبح مخزون ما لديه من الصواريخ يضمّ الانواع التالية، كما أوردتها صحيفة «معاريف» (٢/٤/١٩٩٠)، التي أضافت ان اسرائيل تتابع تطوّر صناعة الصواريخ العراقية باهتمام شديد، وان الحكومة الاسرائيلية المصغّرة تتلقّى تقارير اسبوعية عن هذا الموضوع: «سكود ـ ٢»، ومداه ٣٠٠ كيلومتر، وهو سوفياتي الصنع؛ «الحسين»، ومداه ٦٥٠ كيلومتراً، وهو تطوير عراقي لصاروخ سكود ـ ١ السوفياتي؛ «بدر ٢٠٠٠»، ومداه ٧٠٠ ـ ٨٠٠ كيلومتر؛ ويعرف، أيضاً، باسم كوندور ـ ٢، وهو انتاج ارجنتيني ـ مصري ـ عراقي مشترك، تابع العراق تطويره بمعونة ألمانية اتحادية بعد انسحاب الارجنتين ومصر لضغوط مالية؛ «العباس»، ومداه ٩٠٠ كيلومتر، وهو تطوير عراقي لصاروخ سكود ـ ٢ السوفياتي؛ «البرق»، ومداه مئة كيلومتر، وهو النموذج الاصلي لصاروخ أرض ـ جو سام ـ ٣؛ «العابد»، ومداه ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ كيلومتر، ويطلق على ثلاث مراحل، وما زال قيد التجربة؛ «تموز ـ ١»، ومداه حوالى ١٨٥٠ كيلومتراً، وما زال قيد التجربة، ايضاً.

وكان العراق اعلن، في كانون الاول (ديسمبر) الماضي، عن قيامه بتجربة اطلاق صاروخ فضائي، فيما رأى الخبراء ان العراق يستكمل الاعداد لارسال أول قمر اتصالات («عابد ـ ٢») يعمل على ثلاثة مراحل، ويمكنه ان يبقى في الفضاء لأكثر من شهرين (**يديعوت احرونوت**، ١٧/٤/١٩٩٠). امّا العثور على موقع لاختبار صواريخه بعيدة المدى، فيبدو ان العراق يحاول الحصول على موافقة موريتانيا الواقعة على ساحل المحيط الاطلسي لاجراء التجارب على أرضها التي تقارب مساحتها مليون كيلومتر مربع، وتكثر فيها الصحارى الشاسعة.

الرد الاسرائيلي

الردّ الاسرائيلي على خطاب الرئيس العراقي وتهديداته ضد اسرائيل، وما رافق ذلك من حملة اعلامية مركّزة للكشف عن جهود العراق في مجال الاسلحة غير التقليدية، تلخّص في ثلاثة محاور: عملياً، باطلاق القمر الاصطناعي «افق ـ ٢»؛ واستراتيجياً، على صعيد التعاون الاسرائيلي ـ الاميركي في برنامج «حرب النجوم»؛ ولفظياً، من خلال تصريحات كبار المسؤولين السياسيين والعسكريين.

١ ـ القمر الاصطناعي «افق ـ ٢»: (انظر تقريراً خاصاً عنه في هذا العدد، ص ١٠٤ ـ ١٠٧).

٢ ـ صاروخ «حيتس» (السهم) وبرنامج «حرب النجوم»: استغلت اسرائيل تصريحات الرئيس العراقي للتركيز على دورها الفعّال والحسّاس ضمن برنامج «حرب النجوم» الاميركي؛ ذلك الدور الذي يهتم، أساساً، بتطوير الصاروخ «حيتس» المضاد للصواريخ. وفي مقالة تفصيلية نشرتها صحيفة «جيرزاليم بوست»، بتاريخ ١٣/٤/١٩٩٠، تحدث مدير برنامج السياسة الاميركية الخارجية والدفاعية في مركز يافيه للدراسات الاستراتيجية في جامعة تل ـ أبيب، د. دور غولد، عن دور اسرائيل في برنامج «حرب النجوم» الذي انضمت اليه في العام ١٩٨٥، الى جانب ١٧ دولة أخرى حليفة للولايات المتحدة الاميركية. وعلى الرغم من ان احداً لم يهتم، في البداية، بالنشاط الاسرائيلي ضمن مشروع صاروخ «السهم»، خاصة بعد التوقيع، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧، على معاهدة الحدّ من انتشار الاسلحة النووية متوسطة المدى، الّا ان تطوّر الاحداث في الشرق الاوسط سلّط الاضواء على ذلك المشروع، وأهميته. ففي شباط (فبراير) ١٩٨٨، استخدم العراق صواريخه من طراز «الحسين»

ضد المدن الايرانية؛ وحصلت السعودية، في الشهر التالي، على صواريخ سي.اس.اس ـ ٢ الصينية بعيدة المدى (٢٥٠٠ كيلومتر). وعلى الاثر، قفزت حصة اسرائيل من مجموع نفقات برنامج «حرب النجوم» على الشركاء الآخرين الى ٥٠ بالمئة، في حين لا يتجاوز نصيب كل من المانيا الاتحادية وبريطانيا نسبة ٢٠ بالمئة. وتتولّى الولايات المتحدة الاميركية، حالياً، تغطية نسبة ٨٠ بالمئة من تكاليف برنامج صاروخ «حيتس» البالغة ١٥٨ مليون دولار. الّا ان الضغوط المالية التي تواجهها الادارة الاميركية الحالية، واتجاهها نحو خفض النفقات العسكرية بشكل خاص، وضع برنامج الصاروخ الاسرائيلي في وضع دقيق للغاية، خاصة وان بعض المسؤولين العسكريين في وزارة الدفاع الاميركية يعتبرون الصاروخ جزءاً من شبكة دفاع اقليمي، لم تعد الولايات المتحدة الاميركية في حاجة اليه ضمن اجواء الانفراج الدولية (رؤوبين فدهتسور، **هآرتس**، ١١/٤/١٩٩٠). وبالتالي، اعتبرت اسرائيل ان مصير الصاروخ «حيتس» واستمرار تمويله من جانب الولايات المتحدة الاميركية، يكاد يتوقف على اقتناع وزارة الدفاع الاميركية بأن انتشار الصواريخ والاسلحة غير التقليدية في الشرق الاوسط يشكّل تهديداً مباشراً للمصالح الاميركية في المنطقة (النفط وحماية الاسطول الاميركي في البحر الابيض المتوسط والخليج)؛ وبالتالي، فان مواصلة مشروع «حيتس»، ونجاحه، هما احد الضمانات الاكيدة لمواجهة هذا الخطر المباشر. ومن هنا يتضح حرص اسرائيل على تسليط الاضواء، بكثافة، على تهديدات الرئيس العراقي، وبرامج التسلّح المتعدّدة التي يتابعها، والتأكيد ان الخطر من وراء هذه التهديدات لا ينحصر في اسرائيل وحدها، بل ويمتد ليشمل دولاً أخرى في المنطقة ذات ارتباطات اميركية مباشرة، كتركيا وايران والباكستان وغيرها. وتتوقع مصادر أمنية اسرائيلية ان تتمّ اقامة شبكة من صواريخ «حيتس» في مواقعها المحدّدة داخل اسرائيل خلال ٤ ـ ٦ سنوات (**يديعوت احرونوت**، ٨/٤/١٩٩٠).

ويبدو ان التعاون الاسرائيلي ـ الاميركي في برنامج «حرب النجوم» لا يتوقف، فقط، على تطوير الصاروخ «حيتس» المضاد للصواريخ. فقد تحدث مدير برنامج «حرب النجوم»، الجنرال جورج مونيهان، في محاضرة ألقاها في واشنطن، في اثناء اجتماع بشأن التعاون بين الصناعات العسكرية الاميركية والاسرائيلية، عن مدفع تعمل اسرائيل على تطويره بالتعاون مع الولايات المتحدة الاميركية. ويقوم علماء في مركز البحوث النووية في ناحال سوريك بتطوير هذا المدفع الذي تبلغ سرعة انطلاقه أربعة أضعاف ما هو معروف في العالم الآن. وكانت بداية تطوير هذا المدفع، الذي يطلق عليه اسم Hyper Velocity قبل حوالى ثماني سنوات. ويعمل هذا المدفع على أساس تفاعل كهربائي ـ حراري يمكن بواسطته توليد غاز مؤين (يحتوي على أيونات) تحت ضغط عالٍ وحرارة مرتفعة. ويتمّ بثّ هذا الغاز في سبطانة المدفع خلف القذيفة، بحيث يعطيها ذلك تسارعاً عالياً. وفي حال نجاح هذه التجارب يصبح بالامكان استخدام مدفع تقليدي لاطلاق قنابل عادية بسرعة تقارب ستة كيلومترات في الثانية، أي أربعة أضعاف سرعة القذائف في المدافع التقليدية حالياً (**هآرتس**، ١٥/٤/١٩٩٠).

٣ ـ تصريحات المسؤولين الاسرائيليين: على الرغم من الخطر الواضح في تهديدات الرئيس العراقي، وفي المعلومات التي تناقلتها وسائل الاعلام العالمية عن برامج التسلّح للجيش العراقي وغيره من الجيوش العربية، الّا ان تصريحات المسؤولين الاسرائيليين حرصت على انكار عامل المفاجأة، والتشديد على ضرورة ضبط النفس، وعدم التهويل، أو التخفيف، من حجم الخطر الذي يواجه اسرائيل. قال رئيس الحكومة، اسحق شامير، ان اسرائيل تعرف كيف تدافع عن نفسها في مواجهة ما أسماه «العدوانية» العراقية، كما فعلت في الماضي وأفشلت جميع المبادرات المعادية ضدها. وأضاف شامير ان تصريحات الرئيس العراقي تكشف، مجدداً، الحقيقة الاساسية في جوهر الوضع في الشرق الاوسط، وهي العداء المتطرف ضد اسرائيل والرغبة في تدميرها. وذكر انه في حين تسود في العالم رياح السلام، ويتحدث الجميع عن التعاون، تُسمع في الشرق الاوسط التهديدات الاكثر خطورة. وصدر عن وزير الخارجية، موشي ارنس، تصريحاً مشابهاً. وانضمّ اليهما الناطق بلسان وزارة الخارجية، الذي أضاف انه من المناسب ان يقوم «العالم المتحضر» بالعمل لضمان «عدم اعطاء الرئيس العراقي فرصة

لتنفيذ تهديداته» (هآرتس، ٣/٤/١٩٩٠).

وأعرب شامير، في لقاء مع اعضاء وفد برلماني من سويسرا، عن اعتقاده بأن الرد الدولي على كلمات الرئيس صدام تجاه اسرائيل لم يكن كافياً. وأضاف ان العالم تصرّف «بصورة سلبية» عندما استخدم العراقيون سلاحاً كيميائياً في حربهم ضد ايران. واعتبر شامير ان ذلك الصمت هو الذي سمح لرئيس العراق بالتهديد باستخدام سلاح كيميائي ضد اسرائيل. وأضاف مؤكداً ان اسرائيل ليست مذعورة من تلك التهديدات، وانها أثبتت، في الماضي، قدرتها على «الدفاع عن نفسها»، وانها تملك الوسائل لتحقيق ذلك (**المصدر نفسه**، ٤/٤/١٩٩٠). وأجرت صحيفة «**معاريف**» (١٣/٤/١٩٩٠) مقابلة خاصة مع رئيس الحكومة الاسرائيلية، تحدث فيها عن أوضاع الحكومة، وتطرّق الى التهديدات العراقية، مؤكداً «ان هناك مبرراً للقلق تجاه كل ما يصلنا عن العراق، حيث اننا نعرف الشخص الذي يطلق تلك الاصوات ويُدير، بصورة مطلقة، شؤون تلك الدولة؛ كما اننا نعرف، أيضاً، طاقات العراق». ورداً على سؤال بشأن الاسلحة غير التقليدية الموجودة في حوزة العراق، قال شامير، بأسلوب المتمرس بالنشاطات السرية الاستخباراتية: «انه تهديد خطر». وأضاف، ان اسرائيل تعمل باتجاه ان تكون على استعداد للتصدي أمنياً لهذا التهديد؛ كما تبذل جهوداً سياسية بهدف ان تقوم المجموعة الدولية، بأكملها، بحثّ العراق على التوقف عن السير في هذا الاتجاه، مشيراً بذلك الى اجتماعات وزير الخارجية، موشي ارنس، مع السفيرين، الاميركي والسوفياتي، لهذه الغاية.

من جهته، اعتقد وزير الدفاع الاسرائيلي السابق، اسحق رابين، بأن تشديد الرئيس العراقي على ان تهديداته تصبح واردة فقط في حال قيام اسرائيل بمهاجمة العراق، يشير الى ادراكه أن العراق لا يملك سلاحاً نووياً، ولكنه حذّر من مجرد الاعتماد على هذه الحقيقة، حيث ان العراق «يملك سلاحاً شديد الفعالية» (**هآرتس**، ٣/٤/١٩٩٠). امّا زعيم حزب العمل، شمعون بيرس، فنصح الزعيم العراقي «بالبحث عن وسائل أخرى غير عسكرية» للتعامل مع اسرائيل (**انترناشونال هيرالد تريبون**، ٤/٤/١٩٩٠).

وانتهجت المصادر الامنية الاسرائيلية، ايضاً، خطاً مماثلاً من حيث التشديد على عامل الردع الاسرائيلي، وعدم المفاجأة، والاستعداد التامّ على صعيد الدفاع المدني. ففي مقابلة خاصة مع صحيفة «يديعوت احرونوت» (٦/٤/١٩٩٠)، تحدث رئيس الاركان الاسرائيلية، الجنرال دان شومرون، باسهاب، عن التهديد العراقي، فقال: «أفضل عدم المغالاة في أهمية هذا الخطاب. فهو يتضمّن تعبيراً عن المخاوف ممّا قد نقوم به، ومحاولة ردعنا عن القيام بذلك، أكثر ممّا تضمّن تهديداً مباشراً لنا». وأضاف شومرون، ان ما يثير اهتمام اسرائيل، حالياً، هو قيام العراق ببناء قدرات ذاتية استراتيجية حقيقية ترتكز على اسلحة كيميائية، وصواريخ ارض ـ ارض بعيدة المدى، وطائرات هجومية حديثة، بالاضافة الى سعيها الى الحصول على أسلحة جرثومية أيضاً. ورأى شومرون ان العراق، الذي يرغب في احتلال مكانة قيادية في العالم العربي، يسعى الى تحقيق ذلك من خلال تقليص حرية العمل العسكرية لدول أخرى في المنطقة كايران وسوريا وتركيا، الى جانب اسرائيل، مقابل التمتّع بحرية العمل في الاردن مثلاً (تحريك الصواريخ العراقية الى نقطة H-2 المحاذية للحدود مع الاردن)، وفي لبنان أيضاً. وأضاف شومرون ان التعاون الاردني ـ العراقي، في المرحلة الحالية، جاء نتيجة شعور الاردن بالحاجة الى مظلة عسكرية عراقية على اثر النداءات التي تردّدت داخل اسرائيل مؤخراً، مطالبة باعتبار الاردن الوطن البديل للفلسطينيين. امّا عن الرد الاسرائيلي على هذه التهديدات، فاكتفى رئيس الاركان الاسرائيلية بالاشارة الى حصول اسرائيل على شبكات متطوّرة للغاية للانذار المبكر، بالاضافة الى قدرتها على توجيه ضربة هجومية بالغة الدقة، وتوفير قدرة رادعة (على المستوى الاستراتيجي) واستعداد كامل للدفاع المدني لحماية الجبهة الداخلية.

وضمن الاطار ذاته، تحدث نائب رئيس الاركان، اللواء ايهود براك، في اثناء تقديمه خطة العمل السنوية الجديدة للجيش الاسرائيلي، والتي تضمّنت تخفيض أيام خدمة الاحتياط بنسبة سبعة بالمئة. قال براك: «ان [الرئيس] صدام حسين هو اليوم زعيم محنّك، وعاقل، ويدرك حدود القوة

اكثر من أي وقت مضى... وحسب تقديرنا، فانه سيفكّر مرتين، وأكثر، قبل ان يقرّر استخدام سلاح كيميائي ضد اسرائيل، وذلك لأسباب يعرفها جيداً أكثر من معرفة مواطني اسرائيل أنفسهم» (**معاريف**، ٨/٤/١٩٩٠).

وتناول رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية سابقاً الرئيس الحالي لمركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة تل ـ أبيب، اللواء (احتياط) اهرون ياريف، الموضوع عينه، فقال: «ان من الضروري عدم النظر اطلاقاً الى تهديدات [الرئيس] صدام حسين على انها فارغة المضمون». واعتبر ياريف ان توقيت التهديدات العراقية يرتبط بما أعلنته السلطات البريطانية عن مصادرة شحنات ومعدّات الكترونية وعسكرية للعراق، وحاجته «الى استعراض العضلات»، خاصة بعد انقضاء عامين على وقف الحرب مع ايران دون التوصل الى اتفاق نهائي في هذا المجال. وأضاف ياريف: «اني اعتقد بأن اسرائيل ليست المشكلة الرئيسة لصدّام، انه يستخدمها ذريعة. ومع ذلك، فاننا لا نستطيع أبداً تجاهل حقيقة ان قدرات العراق تثير القلق بالتأكيد؛ ذلك انه يملك رؤوساً كيميائية، بالاضافة الى صواريخ بعيدة المدى من انتاج عراقي، ودون الاعتماد على أية جهة خارجية» (**هآرتس**، ٤/٤/١٩٩٠).

كما حذّر رئيس سابق آخر لشعبة الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية، هو اللواء (احتياط) عضو الكنيست **يهوشواع ساغي**، من الاستهانة «بالتحذيرات الاستراتيجية التي تصلنا عبر موجات الاثير. فهذا ما فعله [الرئيس انور] السادات عندما تحدث عن سنة الحسم قبل حرب [يوم] الغفران»، وأضاف، ان الرئيس العراقي «له حساب مفتوح مع اسرائيل، التي قصفت المفاعل الذري العراقي، ودمّرته، في العام ١٩٨١ (**المصدر نفسه**).

ودعا البروفيسور يحزقيئيل درور، من الجامعة العبرية، اسرائيل الى المبادرة الى منع أية دولة عربية من تطوير سلاح نووي، سواء أكانت تلك المبادرة بعمل اسرائيلي مباشر أم من طريق الدول العظمى (**معاريف**، ٤/٤/١٩٩٠).

وتناول نائب رئيس مركز يافيه للدراسات الاستراتيجية في جامعة تل ـ أبيب، البروفيسور يوسف البير، موضوع انتشار الاسلحة غير التقليدية في منطقة الشرق الاوسط، وذلك في مقابلة هامّة مع صحيفة «هآرتس» (١/٤/١٩٩٠)، فأكد ان جميع المعلومات التي تناولتها الصحف، مؤخراً، في هذا المجال، ليس فيها أي جديد بالنسبة الى اسرائيل. وأضاف، ان المعلومات الخاصة بالعراق «يجب ان تثير قلق سوريا وايران ودول الخليج، وليس اسرائيل وحدها». ورد على الاخبار التي ذكرت ان العراق أقام منصّات اطلاق صواريخ على حدوده مع الاردن، قائلاً: «لا شك في أن العراقيين يخشون من محاولة اسرائيلية أخرى لاستخدام القوة لمنع بلدهم من تطوير تقنية نووية. ولكن من الجائز ان ذلك الاجراء جاء، أيضاً، على خلفية مخاوف الملك حسين من نوايا اسرائيلية لتنفيذ مخطط 'الاردن هو فلسطين' ... واحتمال آخر، هو ان [الرئيس] صدام حسين... يحاول ان يرسل الينا اشارة بأن العراق عاد، مجدداً، ليكون لاعباً رئيساً في الصراع الاسرائيلي ـ العربي». واستبعد البير ان يؤدي قصف المفاعل النووي العراقي، مجدداً، الى حل المشكلة. وطالب بضرورة مراقبة الاسلحة وضبطها على المستوى الاقليمي، وذلك «بأن تبادر الدول العظمى الى وضع ترتيبات لمنع انتشار اسلحة غير تقليدية في الشرق الاوسط. كما يتوجب على اسرائيل تأييد تلك الخطوة... ولكن مرحلة كهذه تستوجب حواراً بين الدول ذات العلاقة؛ وهذا لا يمكن تحقيقه الّا اذا عملنا على حل المشكلة الفلسطينية. ان استمرار الجمود في المسار السياسي، من شأنه، بالتأكيد، ان يؤدي الى وضع يفلت فيه سباق التسلّح في الشرق الاوسط من أية سيطرة».

بالمعنى عينه، تقريباً، تحدث البروفيسور ادوارد لوتواك، من معهد الدراسات الاستراتيجية في واشنطن، والمقرّب من أوساط وزارة الدفاع الاميركية، الذي ألمح الى امكانية ان تتأثّر علاقات العراق التجارية مع الولايات المتحدة الاميركية نتيجة التهديدات الاخيرة. ويصل حجم الواردات العراقية من المنتوجات الزراعية، والصناعية، الاميركية حوالى مليار دولار سنوياً (**يديعوت احرونوت**، ٦/٤/١٩٩٠).

التهديدات العراقية وخطر انتشار الاسلحة

غير التقليدية في الشرق الاوسط كانت، أيضاً، موضوع عدد لا بأس به من التعليقات الصحافية الاسرائيلية، التي اسهبت في تناول أوضاع العراق عموماً. الّا ان المحور الرئيس لهذه التعليقات تناوله دان افيدان (**دافار**، ٣/٤/١٩٩٠)، الذي قال ان تصريحات الرئيس العراقي «تخلق وضعاً جديداً في ميزان القوى بين اسرائيل والعراق. ذلك ان قدرة حاكم العراق على ارسال صواريخ تحمل رؤوساً كيميائية باتجاه اهداف في وسط اسرائيل، تحيِّد، الى حد بعيد، حرية العمل العسكري التي كانت تملكها اسرائيل سابقاً تجاه العراق، كما اتضح ذلك في العام ١٩٨١... وسوف يضطر المسؤولون في اسرائيل الى النظر، بحذر شديد، تجاه أي عمل عسكري يبادرون اليه ضد اهداف عراقية. ويمكن، بالتالي، القول انه نشأ، ظاهرياً على الاقل، ما يشبه توازن تهديد بين اسرائيل والعراق، بحيث لا يستطيع اي طرف منهما مهاجمة الطرف الآخر دون المخاطرة برد محتمل من جانبه».

وتبنّى المعلق العسكري لصحيفة «هآرتس» (٩/٤/١٩٩٠)، زئيف شيف، هذا الاتجاه أيضاً، محذّراً، في الوقت عينه، من احتمال تدهور خطر باتجاه تصعيد عسكري تدفع اليه أنظمة، أو تنظيمات محلية أخرى، غير العراق. واعتبر شيف في مقالة أخرى (**هآرتس**، ٤/٤/١٩٩٠)، ان العراق سيشكل، في المستقبل، مشكلة دائمة على جدول أعمال الامن القومي الاسرائيلي، وذلك بسبب سباق التسلّح بالصواريخ، وانتاج اسلحة كيميائية، والسعي الى انتاج اسلحة ذرية من جانب العراق. ومع هذا، فان السبيل الوحيد الى ايقاف هذا المسار النووي المحتّم في الشرق الاوسط ـ حسب رأي شيف (**هآرتس**، ٦/٤/١٩٩٠) ـ لا يكمن في أي عمل عسكري، بل بمواصلة مسار السلام، حيث ان اتفاقاً معترفاً به بين اسرائيل والفلسطينيين هو فقط القادر على تحييد المخاطر غير التقليدية التي تلوح في افق الشرق الاوسط. وانضمّ شيف، في مقالة لاحقة (**هآرتس**، ٢٠/٤/١٩٩٠)، الى المطالبين بضرورة ان تنهج اسرائيل سبيل الردع، والانذار المبكر، وتعزيز الدفاع المدني على الجبهة الداخلية، بدلاً من السعي الى تحقيق نصر نووي سيكون ثمنه مكلفاً للغاية بالنسبة الى الجميع. وفي هذا المجال، يمكن اعتبار نشاط الاستخبارات الاسرائيلية، مؤخراً، من ضمن وسائل الردع الناجحة بالنسبة الى اسرائيل.

توازن التهديد بين العراق واسرائيل، دفع، أيضاً، أفنير كوهين (**دافار**، ٦/٤/١٩٩٠)، الى المطالبة «بالتفكير بجدية، وبأسلوب خلّاق، في كيفية التوصل الى أطر جديدة لمراقبة الاسلحة غير التقليدية تناسب الاوضاع في منطقتنا، حتى في حالة غياب سلام شامل. لقد حان الوقت للتحدث مع دول المنطقة، بما في ذلك العراق، مباشرة أو من خلال طرف ثالث، بشأن المخاطر الجسيمة الكامنة في نشوء ميزان تهديد نووي في المنطقة، من جهة، والسبل الايجابية لتقليص تلك المخاطر، من جهة أخرى». وأضاف كوهين، في مقالة لاحقة (**دافار**، ٢٠/٤/١٩٩٠): «ان الحكومة [الاسرائيلية] القادرة على التصدي لمشكلة التسلّح النووي هي فقط الحكومة التي تسعى، بجدية، الى السلام مع الفلسطينيين. ولا يمكن معالجة تلك المشكلة [النووية] المعقدة، الّا في مناخ من الحوار مع الفلسطينيين يؤدي الى التقليل من امكانات نشوب الحرب».

من جانبه، دعا عوزي بنزيمان (**هآرتس**، ٦/٤/١٩٩٠)، أيضاً، الى تنسيق دولي لنزع فتيل التصعيد الذرّي في المنطقة، حتى لا تفاجأ اسرائيل بانتفاضة نووية في المستقبل، كما فوجئت بانتفاضة المناطق المحتلة، بسبب تجاهلها مشاعر المرارة والاحباط لدى الفلسطينيين.

وفي المقابل، رأى امنون ابراموفيتش (**معاريف**، ٦/٤/١٩٩٠)، ان التصريح العراقي المشروط بأن العراق لن يستخدم اسلحته الّا اذا هاجمته اسرائيل، أطلق زفرة ارتياح في مكتب رئيس الحكومة؛ ذلك انه جاء دليلاً على هموم العراق الذاتية، وبالتالي، أتاح للمسؤولين في اسرائيل الاستمرار في رفض مقترحات بيكر، وعدم الذهاب الى مصر، أو البدء بمفاوضات مع الفلسطينيين.

وتناول رؤوبين فدهتسور البعد الدولي لسباق التسلّح في الشرق الاوسط، الذي يجب ان تلعب اسرائيل فيه دوراً هامّاً من حيث حفظ التوازن في المنطقة، وذلك في ضوء تضاؤل فرص المجابهة

بين الدولتين الاعظم (هآرتس، ٣/٤/١٩٩٠). واعتبر في ذلك مبرراً كافياً للحفاظ على التفوّق الاسرائيلي في المجال النووي، وفي تجهيزات الانذار المبكر.

اخيراً، وعلى هامش الضجّة الاعلامية الصاخبة التي رافقت التهديدات العراقية بشأن الاسلحة غير التقليدية والرد الاسرائيلي عليها، يمكن تسجيل النقاط التالية:

○ على الرغم من القلق الظاهر في الردود الاسرائيلية على التهديدات العراقية، الاّ ان اسرائيل لم تجد في تلك التهديدات، على ما يبدو، خطراً كافياً يدفعها الى الاسراع بانهاء الازمة الحكومية القائمة، أو تشكيل حكومة وحدة وطنية، أو تغيير خطة الجيش الاسرائيلي السنوية المتضمّنة تخفيض خدمة الاحتياط.

○ ان الحملة المنسّقة، والمتناغمة، التي كشفت عن مستوى التسلّح العراقي تشير الى التعاون الوثيق والكامل بين أجهزة الاستخبارات الاسرائيلية والبريطانية والاميركية؛ كما انها تشكل جزءاً من سياسة الردع الاسرائيلية، بالاضافة الى انها توجه تحذيراً علنياً الى الشركات والعلماء الاجانب من التعامل مع الدول العربية في مجالات التسلّح.

○ استغلت اسرائيل الضجة الاعلامية التي رافقت التهديدات العراقية للكشف عن القدرات العسكرية العراقية الحالية، والتي ما زالت قيد التطوير، وسرّبت، في الوقت عينه، بعض المعلومات عمّا في حوزتها من اسلحة متطوّرة متنوعة.

○ اتاحت الضجة الاعلامية عينها تحويل الرأي العام العالمي، الى حدّ بعيد، عن قرار الكونغرس الاميركي المتضمّن الاعتراف بالقدس عاصمة لاسرائيل؛ وعن تكثيف حملة الاستيطان الصهيوني في المناطق المحتلة، وتصعيد القمع الاسرائيلي ضد الجماهير الفلسطينية.

○ استخدمت اسرائيل التهديدات العراقية للرد على المطالبين، داخل الادارة الاميركية، بضرورة تخفيض النفقات العسكرية، وبالتالي تعزيز التعاون الاستراتيجي فيما بين اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية.

○ حرصت الحركة الصهيونية، ولاحقاً اسرائيل، على اظهار الصراع في المنطقة بانه صراع مع العرب، من خلال تجاهل الوجود الفلسطيني. وقد أعادت مختلف التصريحات الاسرائيلية الاخيرة، وخاصة رد رئيس الحكومة، شامير، التركيز على هذا الجانب، باعتباره جوهر الصراع في المنطقة.

○ ان تعزيز القدرات العربية وتطويرها، في مختلف المجالات، العسكرية والاقتصادية والعلمية والصناعية، يجب ان تشكّل دعماً قوياً وسنداً دائماً لنضال الشعب الفلسطيني وانتفاضته المتواصلة، في سبيل ان يبقى الصوت الفلسطيني عالياً ومستقلاً وممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني، من اجل تحقيق اهدافه العادلة.

مها بسطامي

مسار وابعاد الازمة الحكومية

بعد فوزه في معركتين سياسيتين متتاليتين في أقل من اسبوع واحد (معركة حجب الثقة عن حكومة اسحق شامير، في ١٥/٣/١٩٩٠، ومعركة الفوز بالتكليف لتشكيل الحكومة الجديدة، في ٢٠/٣/١٩٩٠)، اخفق زعيم حزب العمل ومرشحه لتشكيل الحكومة، شمعون بيرس، في معركته الثالثة والحاسمة، في تشكيل حكومة برئاسته، بعد ٣٦ يوماً من المفاوضات مع مختلف الكتل البرلمانية، تخللها العديد من المفاجآت والتقلّبات المثيرة في المواقف السياسية لبعض الكتل البرلمانية، والعديد من محاولات الاختراق المتبادلة، من جانب المعراخ والليكود، كل لصفوف الآخر، عبر اللجوء الى أساليب الرشوة السياسية حيناً، وممارسة الضغوط والتخويف وحتى العنف احياناً. وأدّت هذه التقلّبات في المواقف الى ابقاء ميزان القوى البرلماني بين الطرفين المتنازعين على تشكيل الحكومة، المعراخ والليكود، في حالة تعادل؛ اذ كلما بدا لأحد الطرفين انه تمكّن من الاخلال بحالة التعادل لصالحه، كان الطرف الآخر يفاجئه بخطوة مضادة تعيد الحال الى سابق عهده.

وبطبيعة الحال، فالتعادل لم يكن في صالح زعيم حزب العمل؛ اذ ان معناه هو عدم تمكّنه من تشكيل حكومة برئاسته تحظى بتأييد أكثرية أعضاء الكنيست. وبالفعل، أعلن بيرس، عشية اليوم الاخير من المهلة الثانية التي منحها له الرئيس الاسرائيلي، حاييم هيرتسوغ، انه اخفق في مساعيه لتشكيل حكومة برئاسته، وانه قرّر اعادة التفويض الى الرئيس. وجاء اعتراف بيرس باخفاقه، بعد ساعات طويلة من التوتر، انتظاراً للموقف الذي سيتخذه الوزير اسحق موداعي ومجموعته «الكتلة من اجل احياء الفكر الصهيوني»، التي كانت انسحبت من الليكود، قبيل سقوط حكومة شامير. وكان الوزير موداعي أعلن، على الرغم من وجود اتفاق بينه وبين الليكود، عن انه لا يزال يتخبط في حسم موقفه، وانه سوف يحدّد موقفه النهائي خلال المقابلة التي ستجرى معه في اطار البرنامج التليفزيوني «مباط». وفي تلك المقابلة، أعلن الوزير موداعي انه قرّر الانضمام الى ائتلاف برئاسة الليكود (**هآرتس**، ٢٦ و٢٧/٤/١٩٩٠).

واثر اعلان موداعي عن موقفه المؤيد لليكود، قال بيرس انه فوجيء بذلك الموقف، وانه كان «يتوقع ان يحصل غير الذي حدث». وذكرت مصادر صحفية ان بيرس كان مقتنعاً بأن موداعي قد يعلن عن انقلاب في موقفه، وانه، بمساعدته، سوف يتمكن من تشكيل الحكومة. ولكن ازاء عودة التعادل الى حاله، اثر الموقف الذي اتخذه موداعي، فانه ليس بمقدوره تشكيل الحكومة (**المصدر نفسه**، ٢٦/٤/١٩٩٠). وفي مساء اليوم الاخير من المهلة المحدّدة له، توجّه بيرس الى مقر الرئيس هيرتسوغ، للاجتماع به، ولاعادة كتاب التفويض اليه. وشكر بيرس الرئيس هيرتسوغ على الثقة التي منحه اياها، وشرح له الأسباب التي حالت دون النجاح في مهمته (**المصدر نفسه**، ٢٧/٤/١٩٩٠).

وباخفاق بيرس في مهمته لتشكيل «حكومة سلام»، على حدّ تعبيره، اسدل الستار على الفصل الاول من الازمة السياسية التي عصفت بحكومة شامير، على خلفية الموقف من الرد على اسئلة وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، بشأن كيفية تشكيل الوفد الفلسطيني الى الحوار الاسرائيلي – الفلسطيني في القاهرة، كخطوة على طريق التقدّم في عملية السلام في المنطقة، وفقاً لمبادرة النقاط الخمس التي طرحها الوزير بيكر.

وهكذا، واستناداً الى خارطة التحالفات التي برزت خلال الاقتراع على حجب الثقة، والنجاح الذي حققه زعيم حزب العمل في معركة اسقاط حكومة شامير، بدا له، وكذلك لبعض المعلّقين السياسيين، ان منطق الاشياء يحتّم فوزه في معركته

الثانية ـ معركة التكليف، وان الطريق اصبحت معبّدة لتشكيل حكومة برئاسة المعراخ تضع حدّاً لحالة الشلل السياسي الناجم عن التعادل في ميزان القوى بين المعراخ والليكود. فغداة سقوط حكومة شامير، اعلن بيرس ان نتيجة التصويت تؤكد صحة ما ذهب اليه دائماً، وصحة المسار الذي قاده: «كنت أقول، دائماً، ان هناك أكثرية في الكنيست مؤيدة لعملية السلام؛ واليوم ثبتت صحة هذا القول على رؤوس الاشهاد» (دافار، ١٦/٤/١٩٩٠). وكتبت صحيفة «هآرتس» في افتتاحيتها، بتاريخ ١٨/٣/١٩٩٠: «ان احدى القواعد غير المكتوبة في النظام الديمقراطي ـ البرلماني تفيد بأن الاكثرية التي أسقطت الحكومة عليها ان تشكل حكومة جديدة من بين صفوفها». ودعت الافتتاحية شامير والليكود الى الكفّ عن التعلّل بآمال البقاء في السلطة، من خلال اعادة ترميم حكومة الوحدة الوطنية، أو عبر الآمال باقامة حكومة ترتكز على ائتلاف مع الكتل الدينية وكتل اليمين المتطرف، والى التكيّف مع حقيقة ان كتلتي شاس وإغودات يسرائيل رفضتا التصويت لصالح حكومة شامير؛ ولذا، فان عليه الاستعداد للقيام بدور المعارضة (هآرتس، ١٨/٤/١٩٩٠).

لكن هذه التقديرات، المبنيّة على خارطة التحالفات التي أسقطت حكومة شامير، بدت متسرّعة، في ضوء المواقف التي أخذت تبرز خلال المشاورات التي بدأها الرئيس هيرتسوغ مع الكتل البرلمانية، بشأن المرشح الذي توصي به كل منها، لتشكيل الحكومة الجديدة؛ تلك المواقف التي خلطت اوراق التحالفات السياسية من جديد، وبشّرت باطالة الازمة، خلافاً لما كان متوقعاً.

بيرس فاز بالتكليف

وهكذا، فان ما بدا كأمر منطقي ومحتّم (فوز بيرس بالتكليف، ونجاحه في تشكيل حكومة برئاسته) لم يتحقق الاّ بشكل جزئي. فالمشاورات التي اجراها الرئيس الاسرائيلي، هيرتسوغ، مع ممثلي الكتل البرلمانية في الكنيست، لم تسفر، على الصعيد الحسابي، عن ترجيح كفّة بيرس على منافسه لتشكيل الحكومة، زعيم الليكود رئيس الحكومة الانتقالية شامير، حيث تعادل الاثنان في عدد الاصوات التي أيّدت كلاً منهما (**المصدر نفسه**، ٢١/٤/١٩٩٠). مع ذلك، قال الرئيس هيرتسوغ، في البيان الذي تلاه في ختام المشاورات التي قام بها، انه اتضح له، في تلك المشاورات والاستيضاحات التي اجراها، «ان عضو الكنيست، شمعون بيرس، هو الأوفر حظاً للفوز بتأييد الاكثرية في الكنيست». وعلّل هيرتسوغ قراره بتكليف بيرس بأنه لم يكن فقط جرّاء كون كتلة المعراخ (بعد هبوط عدد مقاعد كتلة الليكود في الكنيست من ٤٠ الى ٣٥ مقعداً، جرّاء انسحاب الوزير موداعي وأربعة أعضاء كنيست آخرين من الليكود، وتشكيلهم كتلة برلمانية مستقلة باسم «الكتلة من اجل احياء الفكر الصهيوني») اصبحت الكتلة الاكبر في الكنيست، بل، أيضاً، لاعتبار آخر له وزنه، هو حقيقة ان الكنيست «حجب الثقة، في الاسبوع الماضي، عن حكومة كانت تتبنّى خطاً سياسياً معيّناً؛ ولذا، فالمنطق السليم يقضي باعطاء الفرصة لخط سياسي آخر، خلاف ذلك الذي حُجبت عنه الثقة. وبناء عليه، فالحزب الذي قاد المواجهة لاسقاط الحكومة من حقه ان تتاح له الفرصة لكي يطرح طريقه السياسي على الكنيست، لكي يمنحه الثقة على أساسه» (**المصدر نفسه**).

وبعيداً من الجدل حول اعتبارات الرئيس هيرتسوغ التي سوّغ بها قراره، ومن التحفظات التي ساقها بعض قادة الليكود والمعلّقين السياسيين من تلك الاعتبارات، فان فوز بيرس في معركة التكليف، على أهميته، بسبب الوقع السايكولوجي له والزخم المحتمل ان يحدثه، لم يكن حاسماً بحيث يرغم الليكود على التسليم بالهزيمة. فقد نقل بعض المصادر الصحفية عن مقرّبين من شامير قولهم ان رئيس الحكومة، وفي ضوء التعادل الذي اسفرت عنه المنافسة على الفوز بالتكليف، مصمّم، على الرغم من قرار الرئيس هيرتسوغ، على بذل كل جهد لاحباط مهمة بيرس، مهما كان الثمن، وذلك لكي يحول دون تشكيل «حكومة قد تعرّض شعب اسرائيل وارض ـ اسرائيل للاخطار»، على حد تعبيره (**معاريف**، ٢١/٣/١٩٩٠).

وبالفعل، فاللهجة الواثقة التي تحدث بها بيرس، غداة نجاحه في اسقاط حكومة شامير، بدت، في ضوء التعادل في ميزان قوى التحالفات السياسية، الذي عكسته المشاورات الرئاسية، أقل

من ذي قبل. فقد اعترف بيرس بأن مهمته «شاقّة»، وان معركتي اسقاط الحكومة والتكليف «كانتا بداية فقط للمعركة الثالثة الحالية»، اي معركة تشكيل الحكومة. وأضاف بيرس: «انني اتوقع اياماً صعبة، وربما صعبة جداً. ولكن لدي كنوز من الطاقة لا تنضب... وكل ما يلزم، الآن، هو اظهار قدر كبير من الصبر الاستراتيجي. وهذا النوع، هو الاصعب، لكنني اتحلّى به» (اورلي ازولاي ـ كاتس، **ملحق السبت، يديعوت احرونوت**، ٢٣/٣/١٩٩٠). وكان بيرس أعلن، بعد فوزه بالتكليف، ان هناك احتمالاً بأن تشارك، في حكومته، كل الكتل الدينية: «لقد رأينا، في الاسابيع الاخيرة، بعض المفاجآت غير المتوقعة، وتقديري ان مفاجآت أخرى سوف تحصل» (**هآرتس**، ٢١/٤/١٩٩٠).

ان تفاؤل بيرس هذا، لم يكن كافياً لتبديد صورة الواقع المعقّد الذي يواجهه في مسعاه لتشكيل حكومة برئاسته، في ضوء ما بدا تراجعاً سريعاً في موقف حركة شاس، تجسّد في الموقف الذي اتخذته خلال المشاورات الرئاسية. فعلى حدّ تعبير المعلّق الصحفي، يوئيل ماركوس، «ما كان احد ليتصور ان شاس، التي اسقطت حكومة شامير لأنه احبط عملية السلام، وليس لأسباب أخرى... سوف تساعد شامير، فجأة، على تشكيل حكومة برئاسته» (**المصدر نفسه**، ٢٣/٣/١٩٩٠). وكانت التصريحات التي أدلى بها الزعيم الروحي لحركة شاس، الحاخام عوفاديا يوسف، الى التلفزة الاسرائيلية، قبيل بدء المشاورات الرئاسية مع الكتل البرلمانية، عزّزت الاعتقاد بأن المسار الذي قاده بيرس لاسقاط حكومة الوحدة الوطنية، برئاسة شامير، والذي كان لحركة شاس دور رئيس فيه، محسوب بدقة، وان مساعي بيرس للفوز بالتكليف، وتشكيل حكومة برئاسته، سوف تتكلل بالنجاح. فقد حذّر الحاخام يوسف، في حديثه الى التلفزة الاسرائيلية، من ان حكومة ضيّقة القاعدة، برئاسة الليكود، وتستند الى تأييد ومشاركة الكتل اليمينية المتطرفة التي ترفض التنازل عن أي «شبر ارض»، هي بمثابة استفزاز لأمم العالم والجوار، وانها سوف تقود اسرائيل الى الحرب. كذلك أكد الحاخام يوسف ضرورة مواصلة العمل للتقدم في عملية السلام، مُصدراً «فتوى سياسية» مفادها ان فريضة «انقاذ البشر من خطر الموت تتقدم على ما عداها من فرائض، ومنها فريضة ' ولا شبر ارض من أرض ـ اسرائيل ' » (**يديعوت احرونوت**، ٢٠/٣/١٩٩٠).

لكن هذا التوجّه، الذي شكل استمراراً لموقف حركة شاس خلال معركة اسقاط حكومة شامير، لم يصمد طويلاً، ولم يترجم الى موقف سياسي لصالح المعراخ في صراعه ضد الليكود، خلال المشاورات الرئاسية وبعدها؛ بل بالعكس، اتضح ان العامل السياسي الذي فجّر الازمة الوزارية واسقط حكومة شامير، بفعل الموقف الذي اتخذته شاس، بايعاز من الحاخام يوسف، لم يعد يحتل المكانة ذاتها في الاعتبارات الموجّهة لحركة شاس، عند تحديدها لمواقفها السياسية.

اسباب التحوّل

تعدّدت التفسيرات والاجتهادات من جانب المعلّقين الصحفيين، بالنسبة الى التحوّل الذي طرأ على موقف شاس، بعد اسقاط حكومة شامير. فقد ذكرت مصادر صحفية ان استقالة وزير الهجرة والاستيعاب، الحاخام اسحق بيرتس، من الحركة فجّرت أزمة داخلية هدّدت بشق الحركة، لولا تدخل الحاخام شاخ، الذي ذُكر انه أعرب عن استيائه الشديد من الخطوات والمواقف التي اتخذتها شاس، وتلك التي وردت في المقابلة التلفزيونية مع الحاخام يوسف. ولتسوية تلك الازمة، عقد لقاء مصالحة بين الحاخام يوسف والحاخام شاخ، في منزل الاخير، أكد فيه الحاخام شاخ ضرورة التقيّد بتوصياته وعدم اتخاذ خطوات دون استشارته. وختم شاخ حديثه الى الحاخام يوسف بالقول: «لقد قررنا السير مع الليكود؛ وعلينا ان نقول ذلك علناً، ودون تردّد» (**المصدر نفسه**).

وبالفعل، لقد رضخ الحاخام يوسف لمشيئة الحاخام شاخ، وذلك بأن أوعز مجلس حكماء التوراة، الذي يرأسه الحاخام يوسف، الى اعضاء شاس، بتأييد ترشيح شامير لتشكيل الحكومة، دون ربط ذلك بأية شروط (**المصدر نفسه**). وتباينت تحليلات المعلّقين السياسيين في تفسير خلفيات، ودوافع، موقف الحاخام شاخ الرافض للتحالف مع المعراخ، وبخاصة في ضوء المواقف السياسية المعتدلة لكل من حركتي شاس وديكل هاتوراه

اللتين تخضعان للسلطة الروحية للحاخام شاخ، وكذلك لكون الحاخام شاخ، شخصياً، أقرب، في آرائه السياسية، الى المعراخ منه الى الليكود. وفي هذا الصدد، قال المعلق السياسي، امنون ليفي، ان التفسير لهذا التناقض في موقف الحاخام شاخ، يكمن في فلسفته التي تعتبر الصهيونية حركة كافرة بحكم اقامتها لسلطتها الدنيوية، خلافاً لمشيئة الرب. وبالتالي فانه يعتبرها سلطة لا يجوز التحرّش بها، كغيرها من الامم. وبما ان شامير هو السلطة الآن، فانه رفض اتخاذ موقف معادٍ له (**حداشوت**، ٢٣/٣/١٩٩٠). اضافة الى ذلك، هناك من يعتقد من المعلّقين بأن تأييد شاخ لليكود سببه تحالف اغودات يسرائيل مع المعراخ. فالحاخام شاخ، حسب تقدير المعلّق السياسي ران كسليف، «لا يهمّه شكل الحكومة التي سوف تقام في اسرائيل. ان ما يوجّهه، ويرسم خطواته، هو كراهيته لاغودات يسرائيل. ومن هنا، فالاستنتاج بسيط جداً: فاذا ايّدت اغودات يسرائيل بيرس، فالحاخام شاخ سوف يوعز الى الحزبين الخاضعين لمشيئته بتأييد شامير. امّا الآراء السياسية، هذه او تلك، فليس لها أي صلة في تحديد الموقف» (**هآرتس**، ٢٨/٣/١٩٩٠).

وكتب الصحفي ناحوم بارنياع، ان المسار الذي قاده بيرس لحل الحكومة كان مبنياً على حركة شاس، من خلال الافتراض ان تحالفاً تاريخياً جديداً اخذ يظهر الى حيّز الوجود بين المعراخ والاحزاب الدينية، وحركة شاس تستجيب لنقطتي الضعف الاساسيتين في تحالفات المعراخ السياسية. فهي حركة دينية، وفي الوقت عينه، حركة تمثّل اليهود الشرقيين. ولكن المعراخ «ارتكب خطأ جسيماً في فهمه لوجهات نظر الحاخام شاخ، وفي تقديره لحجم النفوذ الذي يتمتّع به في أوساط شاس؛ حيث كان هناك افتراض بأن الحاخام شاخ، اذا مارس نفوذه على حركة شاس، فانه سوف يحرّكها نحو الاعتدال والحل السياسي الوسط. ولم يخمّن أي كان ان الحاخام شاخ سيضع نفسه في خدمة الليكود بمثل هذه القوة. فالحاخام شاخ لم يفرض مشيئته على شاس وديكل هاتوراه فحسب، بل اتصل، هاتفياً، أكثر من ثلاث مرات، بالوزير اسحق موداعي، ملحّاً عليه ألّا يتحالف مع المعراخ» (**ملحق السبت، يديعوت احرونوت**، ١٣/٤/١٩٩٠).

وأخذ التحوّل في موقف شاس بعداً آخر، زاد في مصاعب بيرس، في أعقاب القرار الذي اتخذه الحاخامان، شاخ ويوسف، بحظر الدخول في مفاوضات رسمية مع حزب العمل بشأن امكانات الانضمام الى ائتلاف، برئاسة بيرس (**معاريف**، ٢٢/٣/١٩٩٠). وقالت مصادر في حزب العمل، انه، ازاء هذا التطوّر، تمّ التخلّي، كلياً، عن فكرة تشكيل حكومة اقلية، على أساس التفاهم مع حركتي شاس وديكل هاتوراه، أو مع احداهما فقط على الاقل، لناحية ضمان الدعم السلبي لمثل تلك الحكومة، امّا بالتغيّب عن جلسة الثقة، وامّا بالامتناع عن التصويت (**هآرتس**، ٢٥/٣/١٩٩٠).

وعلى الرغم من كل هذه المؤشرات السلبية، الّا ان بيرس وطاقم مفاوضات حزب العمل واصلا المراهنة على احتمال حصول تغيّر في موقف الحاخام شاخ، أو، على الاقل، حثّ الحاخام يوسف على التحرر من وصاية الحاخام شاخ. لكن هذه المحاولات كان نصيبها الاخفاق التامّ، حيث اعلن الحاخام يوسف، في خطابه في المؤتمر الاول لحركة ديكل هاتوراه، انه لن يتخذ موقفاً مخالفاً لمشيئة الحاخام شاخ، وان شاس وديكل هاتوراه سوف تسيران، معاً، ويداً بيد، وراء الحاخام شاخ (**معاريف**، ٢٧/٣/١٩٩٠). وقالت مصادر صحفية ان احتمالات تأييد كل من شاس وديكل هاتوراه حكومة، برئاسة بيرس، قد هبطت الى الصفر، في أعقاب الخطاب الذي ألقاه الحاخام شاخ في المؤتمر الاول لحركة ديكل هاتوراه (**هآرتس**، ٢٨/٣/١٩٩٠). وعلى الرغم من تأكيد مصادر مقرّبة من الحاخام شاخ، بأنه لن يتطرّق، في خطابه في المؤتمر، الى شؤون الساعة السياسية، الّا انه ضمّن خطابه نقداً شديداً للمعراخ، ولنمط الحياة السائد في الكيبوتسات، حيث وصفه بأنه فصل نفسه عن التراث اليهودي والتوراة (**دافار**، ٢٧/٣/١٩٩٠).

واستقبل خطاب الحاخام شاخ بارتياح شديد في أوساط الليكود، حيث أعربت اوساط في مكتب شامير عن اعتقادها بأن أقوال الحاخام شاخ سوف تفتح الطريق أمام رئيس الحكومة لكي يشكّل حكومة برئاسته في المستقبل. وقال المتحدث باسم الليكود انهم يرون في الخطاب توجّهاً واضحاً

بالالتزام بالسير مع الليكود، ونسفاً لأي أساس لاحتمال التحالف مع المعراخ واليسار، بحكم ماضيهما المعادي للدين وللتراث اليهودي. وقال شامير انه، بعد استماعه للخطاب، ادرك سرّ النفوذ الذي يتمتّع بع الحاخام شاخ، وأضاف، انه «تأثر بشخصيته وأقواله وبالعزة اليهودية التي يمثّلها» (يديعوت احرونوت، ٢٧/٣/١٩٩٠).

اخفاق، ومهلة جديدة

بعد خطاب الحاخام شاخ، ساد الاعتقاد في أوساط قيادة حزب العمل بأن فرص بيرس في احداث تحوّل يقود الى تشكيل حكومة برئاسته، اعتماداً على الاحزاب الدينية (شاس وديكل هاتوراه)، اصبحت شبه معدومة. وبناء عليه، تزايدت الاصوات الداعية الى تركيز الجهود على تقديم موعد الانتخابات، ولو على حدّ قول البعض، كتكتيك يمكن ان يقنع الاحزاب الاصولية، الرافضة لهذا الاقتراح، بالعدول عن موقفها الرافض للتحالف مع المعراخ، خشية اضطرارها الى خوض معركة انتخابات جديدة (هآرتس، ٢٨/٣/١٩٩٠).

لكن الاتجاه الذي ساد في ختام مناقشات مستفيضة للوضع واحتمالاته قضى بتركيز الجهود، اولاً، على محاولة اقناع عضو كنيست واحد، او اثنين، من معسكر الليكود بتأييد حكومة برئاسة بيرس. واذا لم تحقق الجهود، في هذا المجال، نتائج ايجابية، فعندها يصار الى تقديم موعد الانتخابات (المصدر نفسه).

ومنذ أواخر آذار (مارس)، وعلى امتداد الايام الاولى من نيسان (ابريل)، كانت الشبكة السياسية الاسرائيلية مسرحاً لمحاولات اختراق متبادلة من جانب معسكري المعراخ والليكود، لكسر حالة التعادل في ميزان القوى. الى ذلك، ذكر بعض المصادر الصحفية، ان الوزير موداعي وكتلته، أبديا استعداداً لاجراء مفاوضات مع المعراخ، في أعقاب وصول المحادثات التي اجراها الوزير موداعي مع الليكود الى طريق مسدود. ووصف احد اعضاء كتلة موداعي المحادثات مع شامير بأنها كانت باردة جداً، وان شامير حاول «تسويق أكاذيبه»، مرة اخرى، لدى الوزير موداعي (دافار، ٢٩/٣/١٩٩٠).

وعلى الرغم من ادراكهم في المعراخ ان اعلان موداعي ومجموعته فتح المفاوضات مع حزب العمل ليس سوى مناورة تهدف، فقط، «الى رفع ثمنهم لدى الليكود»، الّا انه تمّ الترحيب بذلك واعتباره «امراً ايجابياً»، على حدّ قول الوزير السابق اسحق رابين، شرط عدم الاخلال بمبدأين اساسيين، هما: استمرار التقدم في عملية السلام على أساس مبادرة الحكومة السابقة، واعطاء رد ايجابي على اسئلة وزير الخارجية الاميركية، بيكر (المصدر نفسه).

في هذه الاثناء، بدأت تُردد شائعات عن نجاح حزب العمل في اختراق صفوف الليكود، وبالتالي كسر معادلة التعادل لصالحه. فقد ذكرت مصادر صحفية، نقلاً عن أوساط في قيادة حزب العمل، ان اتفاقاً تمّ مع احد اعضاء الكنيست المحسوبين على معسكر الليكود (هآرتس، ١/٤/١٩٩٠). وتعزّزت هذه الشائعات اثر ابلاغ بيرس الى الرئيس هيرتسوغ انه نجح في مهمته، واثر الطلب الذي تقدّم به رئيس كتلة المعراخ في الكنيست الى رئيس الكنيست لعقد جلسة طارئة للكنيست في أسرع وقت ممكن، لمنح الثقة للحكومة الجديدة. واثر ذلك، كشف النقاب عن ان حزب العمل توصّل الى اتفاق مع عضو الكنيست، ابراهام شارير، احد اعضاء كتلة موداعي التي انسحبت من الليكود، بشأن انضمامه الى المعراخ، في مقابل تعيينه وزيراً للمواصلات في الحكومة الجديدة (عل همشمار، ٥/٤/١٩٩٠). وأكد عضو الكنيست شارير صحة الاتفاق الذي تمّ التوصل اليه مع حزب العمل، في بيان هاجم فيه شامير، بشدة (هآرتس، ٨/٤/١٩٩٠). واثار انضمام شارير الى الائتلاف، برئاسة حزب العمل، ردود فعل اتسمت، على العموم، بابداء التحفّظ من تلك الخطوة، من جانب شركاء حزب العمل الآخرين، كتل راتس ومبام وشينوي. وبذل بيرس جهوداً جبارة لتلافي التفاعلات السلبية لتلك التحفظات، اثمرت، في نهاية المطاف، اعلان تلك الكتل عن انها سوف تمنح حكومة بيرس الثقة، لكنها لن تشارك فيها في هذه المرحلة (دافار، ١١/٤/١٩٩٠). وأعلن رئيس الكنيست عن انه قرّر، بعد التشاور مع رئيس الحكومة، دعوة الكنيست الى الانعقاد يوم الاربعاء، الواقع في ١١/٤/١٩٩٠، للاستماع الى البيان السياسي للحكومة الجديدة، واجراء المناقشة، ثمّ التصويت

على الثقة بالحكومة الجديدة (معاريف، ٦/٤/١٩٩٠).

في هذه الاثناء، كان رئيس الحكومة المكلف وطاقم مفاوضات المعراخ وقّعا على الاتفاقيات الائتلافية مع الكتل التي سيتشكّل منها الائتلاف، والاتفاق على الخطوط الاساسية للحكومة مع الكتل التي ستؤيد الحكومة دون المشاركة، في الوقت الراهن، في الائتلاف (هآرتس، ٤/٤/١٩٩٠؛ ودافار، ١١/٤/١٩٩٠). وعقد مركز حزب العمل، عشية جلسة الثقة، جلسة، طرح بيرس فيها الخطوط الاساسية للحكومة، مستعرضاً المراحل التي مرّت بها عملية التشكيل، مؤكداً ان الحكومة الجديدة تتمتع بتأييد ٦١ عضو كنيست، وقّعوا، جميعهم، على اتفاقيات مع حزب العمل. وأضاف: «وأنا مقتنع بأنهم سوف يفون بتعهّداتهم، تماماً مثلنا» (دافار، ١١/٤/١٩٩٠). وأعلن بيرس، في جلسة مركز الحزب، انه سيبقي الوضع الوزاري، بالنسبة الى وزراء حزب العمل، على حاله، كما كان في الحكومة السابقة، مشيراً الى ان حصة حزب العمل في الوزارة الجديدة، قد تصل الى ١٥ أو ١٦ حقيبة، ممّا يعني ضمّ وزراء جدد الى الحكومة. وأضاف بيرس، انه، في المرحلة الحالية، لن يعلن اسماء الوزراء الجدد، بل سيرجىء ذلك الى حين استكمال المفاوضات مع الاحزاب الاخرى بشأن حصصها في التشكيلة الوزارية. وفي ختام المناقشة، التي أُجريت في المركز، حول الخطوط الاساسية للحكومة الجديدة، تمّت المصادقة على تلك الخطوط، بأكثرية كبيرة جداً. وختم بيرس المناقشة بقوله: «تنتظرنا قرارات حاسمة، وعظيمة، وكذلك آلام كبيرة... وكنّا سنخون المهمة الملقاة على عاتقنا لو اننا دفعنا عملية السلام الى وراء، وخرجنا الى الشوارع للتظاهر، كسباً للمديح». وحذّر بيرس من الاوهام المعلّقة على تغيير طريقة الانتخابات، ورفض تقديسها، والنظر اليها كأنها «المسيح المخلّص». وأضاف بيرس: «يجب ان نحدث التغيير؛ ويجب ان نحسّن الاوضاع؛ ولكن يجب، أيضاً، ان ننظر الى الامور وفق حجمها الفعلي. ومن ناحيتي، فانني لا اقترح ان تؤجل عملية السلام الى حين ان نتمكن من تغيير طريقة الانتخابات، لأنني لا اعرف متى سنتمكن من ذلك» (المصدر نفسه).

وتضمّنت الخطوط الاساسية للحكومة، في مجالي الخارجية والامن، التأكيد ان سياسة الحكومة سترتكز على مواصلة التقدّم في عملية السلام، على أساس مبادرة السلام التي اقرّتها الحكومة السابقة، وكذلك على اعطاء رد ايجابي على اسئلة بيكر. وجاء، أيضاً، ان الحكومة ستعمل على تنمية علاقات ودّية، وروابط متبادلة، مع كل دولة في العالم تنشد السلام. وسوف تحرص على تعميق علاقات الصداقة الخاصة القائمة بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل. وستعمل، أيضاً، لاستئناف العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي، واقامة علاقات دبلوماسية مع الصين ودول أخرى، ليس لاسرائيل علاقات دبلوماسية معها حتى الآن. وجاء، أيضاً، في الخطوط الاساسية للحكومة، انها سوف تواصل اعتبار مصر شريكاً هامّاً في الجهد الهادف الى اقامة السلام في المنطقة.

وعلى الصعيدين، الامني والدفاعي، فالحكومة ستحرص على الحفاظ على قوة الجيش الاسرائيلي، وعلى قدرته الرادعة، وعلى امكانات صموده في وجه أي تهديد عسكري. وستعمل الحكومة، بحزم، ضد أي نوع من الارهاب. كذلك سيواصل الجيش وقوات الامن العمل، بشكل حثيث، لمنع العنف وكبح أعمال الشغب والعصيان لاعادة النظام الى نصابه، وذلك من خلال الحرص على تنفيذ القانون والمحافظة على حقوق الانسان. وبالنسبة الى موضوع القدس، أكدت الخطوط الاساسية للحكومة ان القدس الكاملة، عاصمة اسرائيل الابدية، ستبقى مدينة واحدة وموحّدة تحت السيادة الاسرائيلية، ولن تقسم ثانية. وكل مشروع للحكم الذاتي لن يطبّق على القدس.

وفي مجال الاستيطان، جاء ان الحكومة تعتبر الاستيطان، بكل اشكاله، مشروعاً ذا قيمة حيوية، يتوجب تعزيزه وترسيخه. وسوف تتخذ الحكومة سياسة زراعية، واقتصادية، تعيدان الى الاستيطان والمستوطنات القدرة على مواجهة المشاكل الخاصة التي تواجهها. وترى الحكومة ان عليها واجباً خاصاً للعمل من اجل ترسيخ، وتعزيز، المستوطنات على طول خطوط المواجهة، من خلال ترتيبات ملائمة. وستحرص الحكومة على أمن المستوطنات في «يهودا والسامرة [الضفة الفلسطينية] وقطاع غزة» (هآرتس، ١١/٤/١٩٩٠).

ولكن، اذا كان بيرس تمكّن من تجاوز «فيتو» الحاخام شاخ، من خلال اختراق معسكر الليكود بشخص عضو الكنيست شارير، فانه ووجه، صباح يوم جلسة الثقة، بـ «فيتو» آخر من بعيد من الرابي من لوفافيتش، مناحيم شنيؤرسون، المقيم في بروكلين، في نيويورك، تجسّد في عملية اختراق مضادة لصفوف معسكر المعراخ. ففي الصباح الباكر من يوم جلسة الثقة، اعلن عضو الكنيست الحاخام ابراهام فيرديغر، ممثل بوعالي اغودات يسرائيل في كتلة اغودات يسرائيل البرلمانية، انه قرّر الاستقالة من الكنيست، وانه لن يحضر جلسة الثقة، لأنه مصمّم على عدم تأييد حكومة تستند الى اصوات اعضاء كنيست عرب وموالين لمنظمة التحرير الفلسطينية. وحذا حذو فيرديغر، عضو كنيست آخر من كتلة اغودات يسرائيل، هو الحاخام اليعيزر مزراحي، الذي أعلن انسحابه من كتلة اغودات يسرائيل، دون ان يستقيل من الكنيست. وأكد مزراحي انه سيصوّت ضد منح الثقة لحكومة بيرس (**معاريف**، ١١/٤/١٩٩٠).

وبرّر كل من فيرديغر ومزراحي رفضهما الالتزام بتوصيات مجلس كبار علماء التوراة وبالاتفاق الذي وقّعت عليه كتلتهما مع المعراخ بأنهما ينفّذان تعليمات الرابي شنيؤرسون، المرجع الديني الاعلى لـ «جماعة الحسيديم» في اطار التيار الديني الاصولي. وكان الرابي شنيؤرسون اصدر بياناً أكد فيه ان «أرض ـ اسرائيل هي ارض الله تبارك وتعالى المقدسة التي منحت لشعب اسرائيل الى الابد... وانه حاشى لله ان يفكر البعض، أو بالاحرى ان يتحدث عن امكان اعادة تلك الارض الى الاغيار، ولو حتى مجرّد شبر واحد منها» (**يديعوت احرونوت**، ١٢/٤/١٩٩٠).

وقالت مصادر صحفية انه عندما اتضح ان مجلس كبار علماء التوراة، المرجع الاعلى لحزب اغودات يسرائيل، لم يفسّر بيان الرابي كما ينبغي، وعلى انه رفض للتحالف مع المعراخ، كان هناك من حرص على استصدار تصريح آخر من الرابي شنيؤرسون أكثر وضوحاً، حيث نقل عنه قوله ان شامير هو الوحيد الذي يستطيع الحفاظ على «ارض ـ اسرائيل الكاملة». وذكرت معلومات صحفية اخرى ان يد الليكود كانت في المفاجأة التي اعدت لبيرس بتكتّم شديد. وعلم ان عضو الكنيست اريئيل شارون، الذي تربطه بالسكرتير الشخصي للرابي شنيؤرسون، علاقات صداقة قديمة ومتينة، كان وراء الانقلاب الاخير في موقف الحاخامين فيرديغر ومزراحي (**المصدر نفسه**).

وازاء هذه التطورات الجديدة، لم يعد بامكان بيرس المجازفة بطرح الثقة بحكومته؛ اذ، في أحسن الاحوال، سوف تحصل على تأييد ٥٩ عضو كنيست، بمن فيهم عضو الكنيست شارير؛ بينما هناك احتمال ان يصوّت ضد الحكومة ٥٩ عضو كنيست، وربما ٦٠، اذا قرر الحاخام مزراحي التصويت ضد الحكومة، ولم يكتف بالتغيّب عن الجلسة. وفي الحالتين، فالنتيجة تعني سقوط الحكومة وعدم حصولها على الثقة (**معاريف**، ١١/٤/١٩٩٠).

واثر فشل الجهود التي بذلها حزب اغودات يسرائيل لحمل كل من فيرديغر ومزراحي على تغيير موقفيهما، والالتزام بقرار الكتلة ومجلس كبار علماء التوراة، طلب بيرس، في رسالة حملها عضو الكنيست موشي شاحل، من رئيس الكنيست تأجيل الجلسة، على الرغم من افتتاحها، الى موعد لاحق، ريثما تتمّ تسوية الازمة في حزب اغودات يسرائيل. وقرّر رئيس الكنيست الاستجابة للطلب، لأنه لم يعد هناك مبرر لمواصلة الجلسة، طالما لن تمثل الحكومة أمام الكنيست لطلب الثقة (**يديعوت احرونوت**، ١٢/٤/١٩٩٠). وفي هذه الاثناء، توجّه بيرس الى مقر رئيس الدولة، حيث اطلعه على التطورات التي حالت دون المثول أمام الكنيست. وطلب بيرس من الرئيس هيرتسوغ منحه مهلة ١٥ يوماً أخرى لمواصلة جهوده لتشكيل الحكومة، فوافق الرئيس على طلبه (**المصدر نفسه**).

بدء العد العكسي

لم يكن الموقف الذي اتخذه عضوا الكنيست فيرديغر ومزراحي، والذي حال دون نجاح بيرس في مهمّته، التطور السلبي الوحيد الذي ضيّق هامش المناورة لدى زعيم حزب العمل. فصباح جلسة الثقة، تمّ التوقيع، أيضاً، على اتفاق بين كتلة الوزير موداعي والليكود، استجاب فيه الليكود، اخيراً، لكل المطالب والشروط التي وضعها الوزير موداعي،

والتي كانت موضع أخذ ورد بين الطرفين، منذ نشوب الازمة الوزارية (**معاريف**، ١٢/٤/١٩٩٠). وتضمّن الاتفاق بنوداً عديدة، اهمها التعهّد باسناد حقيبة المالية للوزير موداعي، وضمان اماكن على لائحة الليكود للانتخابات المقبلة لاعضاء الكتلة الاربعة، وضرورة المصادقة على الاتفاق من جانب مؤتمر الليكود، او المركز اذا تعذّر عقد المؤتمر، وغيره من الامور. وبرزت معارضة شديدة للاتفاق في صفوف الليكود، على الرغم من توقيع كل الوزراء عليه. وأعلن عضو الكنيست بنحاس غولدشتاين انه اذا لم يصادق مركز الليكود على الاتفاق، فانه سيعتبر لاغياً، وغير ملزم لكتلته (**المصدر نفسه**). الى ذلك، واصل الليكود جهوده لتضييق الخناق على بيرس، من خلال حثّ عضو الكنيست فيرديغر على سحب استقالته، والاصرار على رفض تأييد المعراخ (**يديعوت احرونوت**، ١٢/٤/١٩٩٠). كذلك تواصلت جهود الليكود لاقناع عضو الكنيست شارير بالعودة الى الليكود (**المصدر نفسه**، ١٣/٤/١٩٩٠).

في المقابل، ركّز طاقم مفاوضات المعراخ جهوده لحثّ اغودات يسرائيل على وضع حد للازمة في صفوفها، من خلال الضغط على عضوي الكنيست فيرديغر ومزراحي، لتغيير موقفيهما، أو حملهما على الاستقالة من الكنيست، لكي يحل مكانهما عضوان آخران مؤيدان للتحالف مع المعراخ (**المصدر نفسه**، ١٢/٤/١٩٩٠). في هذه الاثناء، بدأ طاقم مفاوضات المعراخ يجري اتصالات غير رسمية بكتلة موداعي، في محاولة يائسة لاقناع موداعي بدعم المعراخ، في ضوء تزايد المعارضة داخل الليكود للاتفاق معه (**المصدر نفسه**، ١٣/٤/١٩٩٠).

وزاد الاحساس بالضائقة في أوساط المعراخ اثر تراجع الحاخام فيرديغر عن استقالته، واعلانه انه لا يزال مخلصاً لمبدأ «ارض ـ اسرائيل الكاملة»، الامر الذي يعني استمرار رفضه لتأييد حكومة بيرس. كذلك، واصل الحاخام مزراحي تمسّكه بموقفه، وأعلن انه يجري مفاوضات مع الليكود، للتوصل الى اتفاق بشأن التحاقه بمعسكره (**معاريف**، ١٥/٤/١٩٩٠).

وازاء عدم احراز أي تقدّم على جبهة اغودات يسرائيل، استأنف بيرس الاتصالات مع حركة شاس، لحملها على تغيير موقفها. وقالت أوساط، في المعراخ، انه اتضح لها من عمليات جسّ النبض التي أُجريت لترتيب عقد لقاء بين الحاخام عوفاديا يوسف وزعيم حزب العمل، ان الحاخام يوسف يؤيد دعم المعراخ، لكنه يخشى ان يترتّب على ذلك شرخ في العلاقات بينه وبين الحاخام شاخ، الامر الذي يقود الى انشقاق في صفوف الحركة. وقالت مصادر أخرى، ان الحاخام يوسف كان يكرر، خلال عمليات الاتصال معه، ان «يديه وقدميه مكبلة»، وهذا يعني انه لن يؤيد تشكيل حكومة ضيّقة القاعدة برئاسة المعراخ (**دافار**، ١٨/٤/١٩٩٠).

في هذا الوقت، بلغ التوتّر ذروته في الليكود مع اقتراب موعد انعقاد مركزه. وألقى شامير وبقية وزراء الليكود بكامل ثقلهم السياسي لضمان المصادقة على الاتفاق مع موداعي. وأوضحت أوساط مقرّبة من شامير، في سياق دفاعها عن الاتفاق، ان «ليس هناك من هو سعيد بالاتفاق الذي تمّ التوقيع عليه؛ ولكن يجب المصادقة عليه اذا كنّا نريد البقاء في الحكم» (**هآرتس**، ١٧/٤/١٩٩٠). وتمّت المصادقة على الاتفاق بأكثرية ٧٠,٤٩ بالمئة من الاصوات، مقابل ٢٨,٦ بالمئة. وتباينت الاجتهادات داخل الليكود بالنسبة الى مدلول النتيجة، وذلك في ضوء الشرط الذي وضعه المستشار القانوني لليكود ومحكمة الحركة بوجوب حصول الاتفاق على أكثرية خاصة، فسّرها البعض بأنها ٧٥ بالمئة من الاصوات. وأعلن شارون، الذي ترأس جلسة المركز، انه يعتبر النتيجة مصادقة على الاتفاق، كونه حصل على أكثر من الثلثين (**يديعوت احرونوت**، ٢٠/٤/١٩٩٠).

من ناحية أخرى، وبينما كان مركز الليكود منعقداً، أعلن الحاخام فيرديغر انه توصّل الى اتفاق مع كل من بيرس ورابين، يمكّنه من الالتزام بقرار مجلس كبار علماء التوراة وكتلة اغودات يسرائيل، بتأييد الحكومة التي يسعى بيرس الى تشكيلها. وتضمّن الاتفاق مع فيرديغر تعهّد المعراخ، في حال بروز ضرورة لاتخاذ قرار يتضمّن تنازلاً عن مناطق في «ارض ـ اسرائيل»، بطرح المسألة على الشعب للحسم فيها، من طريق اللجوء الى الانتخابات. كذلك، تضمّن الاتفاق بنداً يتيح لاغودات يسرائيل، أو أي عضو في كتلتهما البرلمانية، اعادة النظر

في موضوع المشاركة في الائتلاف، اذا بقيت اغودات يسرائيل، بعد مضي ثلاثة شهور على تشكيل الحكومة، الحزب الديني الوحيد المشارك فيها (دافار، ٢٠/٤/١٩٩٠).

وأثار اعلان الاتفاق مع فيرديغر المخاوف في اوساط قيادة الليكود، وتحديداً لناحية امكان تأثيره في نتائج التصويت في المركز. وغادر معظم وزراء الليكود المنصّة، بمن فيهم رئيس الحكومة، للتحقق ممّا اذا كان الحاخام مزراحي سيغيّر موقفه أيضاً، ممّا يعني تمكّن بيرس من تشكيل حكومة برئاسته. واسفرت الاتصالات التي أُجريت عن اعادة الطمأنينة الى قلوب قادة الليكود، حيث أكد الحاخام مزراحي انه لا يزال على موقفه، وانه لن يؤيد حكومة برئاسة بيرس (**معاريف**، ٢٢/٤/١٩٩٠).

بهذا، عاد ميزان القوى بين الليكود والمعراخ، مرة أخرى، الى التعادل، الامر الذي يعني فشل بيرس في مهمته. وسبق هذا التطوّر، فشل المحاولة الاخيرة التي قام بها بيرس ورابين لاحداث تغيير في موقف حركة شاس. فقد ذكرت المعلومات الصحفية ان مجلس حكماء التوراة، برئاسة الحاخام يوسف، رفض الاستجابة لمحاولات الاقناع التي بذلها كل من بيرس ورابين، واعلن المجلس ان حركة شاس وعدت ناخبيها بدعم الليكود؛ وبناء عليه، «فلا مجال لتغيير هذا الموقف» (**المصدر نفسه**).

ومع اقتراب انتهاء المهلة الثانية التي منحها الرئيس هيرتسوغ لبيرس، بدأت أوساط في المعراخ تحثّ بيرس على اعادة التفويض الى الرئيس، حيث لم يعد هناك جدوى من الانتظار حتى نهاية المهلة. لكن بيرس رفض ذلك، مصرّاً على استكمال المهلة حتى آخر يوم. واتضح، لاحقاً، ان ما بدا من تردّد لدى الوزير موداعي، خشية عدم احترام الليكود للاتفاق، كان في صلب اصرار بيرس على الانتظار؛ وانتهت الدراما التي كان بيرس «بطلها» اثر اعلان الوزير موداعي انه قرّر التحالف مع الليكود (**يديعوت احرونوت**، ٢٦/٤/١٩٩٠).

الابعاد السياسية للازمة

على امتداد أيام المرحلة الاولى من الازمة الحكومية (تكليف بيرس بتشكيل الحكومة)، غرقت وسائط الاعلام الاسرائيلية في متابعة تطوّرات الازمة التي حفلت بالعديد من المفاجآت، والتقلّبات في المواقف السياسية. مع ذلك، لم يخل الامر من محاولة بعض المعلّقين السياسيين التطرّق الى الابعاد السياسية للازمة، سواء أكان ذلك على صعيد الشبكة السياسية الداخلية، او على صعيد أزمة المنطقة. فعلى صعيد الابعاد السياسية للازمة، وانعكاساتها على الشبكة السياسية في اسرائيل، نوّه المعلّق الصحفي يوئيل ماركوس، بما سمّاه «احتضار التعادل» الذي شلّ القرار السياسي الاسرائيلي منذ تشكيل حكومة الوحدة الوطنية في العام ١٩٨٤. كتب ماركوس: «بينما انصرفت انظار الجميع، بشيء من الذهول والخجل، الى عمليات شراء الخيول المقرفة التي رافقت عملية اسقاط حكومة الوحدة الوطنية وعملية تشكيل الحكومة الجديدة، غاب عن الانظار الحدث الاكثر اثارة، وربما التاريخي، الذي حصل: فالتعادل القومي احتضر. وربما لم يعرف احد بذلك، لكنه احتضر فعلاً، سواء أكان ذلك على المستوى الحزبي، أو على مستوى الوعي الشعبي. فقد يئس السياسيون من نظام حكم يقوم على التعادل؛ واعتقد بأن الجمهور، أيضاً، يئس من ذلك؛ وهنا البشرى السارة». وذكر ماركوس ان احتضار التعادل يجد تعبيراً ملموساً عنه في امور عدة منها:

«اولاً: بادىء ذي بدء، في حقيقة سقوط حكومة الوحدة الوطنية. فهذا الاطار الذي جُرّب لمدة خمس سنوات، وتمسّك به الجميع، خدم، في النهاية، سياسة الليكود. فبيرس اشفى الاقتصاد الذي دمّر عندما حكم الليكود بمفرده؛ ورابين أخرجهم من ورطة لبنان، التي كانوا منظّريها ومنفّذيها. ومنذ ذلك الحين، حال التعادل دون وضع الحلول اللازمة لقضايا الدولة. وحصاد التعادل هو الانتفاضة، والشرخ مع العالم العربي، والتوتر الخطير في العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية، وسقوط الحكومة هو المسمار الاول في نعش التعادل.

«ثانياً: انها المرة الاولى في تاريخ الازمات الحكومية في اسرائيل التي تسقط فيها حكومة ليس بسبب خلاف ثانوي، او موضوع ديني، بل بسبب خلاف حول موضوع راهن يحتل مركز الصدارة في سلّم الاولويات القومي: أي هل، وكيف، يجب البدء بالتحدث مع جيراننا الفلسطينيين من اجل

السلام؟ ونظراً الى انه يوجد للحزبين الكبيرين، اللذين اخترعا نمط العيش في ظل التعادل، فلسفتان متناقضتان ازاء هذا الموضوع، فانهما ادركا، اخيراً، انه يجب على كل منهما السير على طريقه بمفرده.

«والآن، بعد ان تعمّق الخلاف، واصبح واضحاً ان مفهوم ' ولا شبر ارض ' ليس بامكانه التعايش تحت سقف واحد مع مفهوم ' اعادة مناطق مقابل السلام ' ، فالاستنتاج الذي فرض نفسه هو ان اطار حكومة الوحدة، ذات الرأسين والرأيين، لن تقوم له قائمة بعد. ففي هذه المرة، امّا ان يحكم الليكود، وامّا ان يحكم المعراخ. امّا هذا الطريق او ذاك. والجمهور بامكانه ان يختار، عندما تحين الفرصة، احد هذين الطريقين» (**هآرتس**، ٢٣/٣/١٩٩٠).

وتناول المعلّق الصحفي، فولص، بعداً آخر للازمة، في ضوء المطالبة بتغيير طريقة الانتخابات كعلاج لأزمة الحكم. كتب: «ان المشكلة ليست في طريقة الانتخابات؛ فجمهور الناخبين العلماني رفض الحسم مرتين بين الليكود والمعراخ... ان تعادل القوى بين المعراخ والليكود ليس نتاج طريقة الانتخابات القطرية ـ النسبية، بل هو نتاج عدم الرغبة من جانب ٨٥ بالمئة من جمهور الناخبين في منح احد الحزبين الكبيرين تفوّقاً ملموساً على الآخر». وعزا فولص استمرار التعادل «الى عدم الرغبة في، والتهرّب من، الحسم السياسي الواضح؛ هل يجب الاحتفاظ بالمناطق التي احتلت في حرب الايام الستة بكاملها، وبكل ثمن، او يجب السعي نحو حل قضية الفلسطينيين، حتى لو كان الثمن التنازل عن معظم المناطق المحتفظ بها؟» (**المصدر نفسه**، ١٣/٤/١٩٩٠).

ودعا فولص، استناداً الى هذين النهجين، الى وجوب تعميق الفوارق والتمايز بينهما، حتى لو كان هناك «اساس للاعتقاد بأن ابراز التناقضات بين المعراخ والليكود سوف يمنح الاخير الهيمنة بالذات، حيث ان معركة انتخابات هدفها الغاء التعادل قد تنتهي بانتصار واضح لليكود. وفي مثل هذا الحال، سوف تتشكّل حكومة يمينية صرفة، لن يرغب حتى رابين في الانضمام اليها؛ والمعراخ سيضطر الى الجلوس على مقاعد المعارضة، لمدة أربع سنوات» (**المصدر نفسه**).

وأعرب فولص عن اعتقاده بأن حكومة يمين تبقى أفضل من حكومة وحدة وطنية، لأن «حكومة لا ريب في لونها اليميني قد تبدي القدر ذاته من الليونة الذي عارضه الليكود بكل شدة في اطار حكومة وحدة وطنية»، لأنه «اذا أُلقيت الضغوط الاميركية والاوروبية والمصرية والفلسطينية، بكامل ثقلها على حكومة تحالف الليكود ـ هتحياه ـ تسوميت... فمن يدري اذا كان شامير سيواصل التمسّك، بكل قوة، بفلسفة ' ارض ـ اسرائيل الكاملة ' ، ولم يؤقلم نفسه مع ضرورة قيادة الدولة نحو حلول وسط مع الطرف العربي» (**المصدر نفسه**).

امّا المعلّق الصحفي عكيفا ايلدار، فرأى «ان ارتباط الازمة الحكومية بموضوع الرد على اسئلة بيكر قد حقق امرين: فقد دحض النظرية القائلة ان الليكود، فقط، هو القادر على تحريك الامور، وأثار من جديد الايمان بالتزام المعراخ بالتوصّل الى حل سياسي، حتى لو كان الثمن فقدان السلطة. وعلى افتراض ان شامير سوف ينجح في احباط مساعي بيرس، وتمكّنه من تشكيل حكومة يمينية ـ دينية ـ اصولية، فهناك مؤشرات كافية الى ان يد الرئيس الاميركي، جورج بوش، التي ارتفعت لاداء التحية لشامير لكنها توقفت في منتصف الطريق، سوف تصفع شامير قبل ان يتمكّن من تقديم المستوطنة الاولى [كعربون وفاء] الى حليفته غيئولاه كوهين» (**المصدر نفسه**، ٢٧/٤/١٩٩٠).

هاني العبدالله

لاهوت فلسطيني ضد التهويد

تعرّضت الاماكن المقدسة في القدس المحتلة لمحاولة استيطان استهدفت حي النصارى في المنطقة الشرقية من المدينة، حين أقدم مئة وخمسون يهودياً متطرفاً، بتاريخ ١١ نيسان (ابريل) ١٩٩٠، على احتلال بيت الضيافة التابع للبطريركية اليونانية، والمعروف بفندق مار يوحنا، ممّا أثار غضباً شعبياً في القدس، وفي مختلف المناطق الفلسطينية المحتلة. وقد أدّى احتلال الفندق الى وقوع صدامات ومواجهات بين المقدسيين، وبضمنهم رجال الدين المسيحي من مختلف الطوائف، من جهة، والمستوطنين اليهود والشرطة وحرس الحدود الاسرائيليين، من جهة أخرى. وسرعان ما تحوّلت المواجهة الى تضامن مختلف الطوائف المسيحية في القدس حول قضية الدفاع عن الاماكن المسيحية المقدسة فيها، تعزّز بظهور تضامن اسلامي معها ضد الغزوة اليهودية الاستيطانية الجديدة، التي كشفت عن نوايا خطرة لمتابعة عمليات الاستيطان والتهويد في القدس العربية، انطلاقاً من السيطرة على الوسط المسيحي فيها، هذه المرة، وخلق نواة استيطانية للتمدّد مستقبلاً. غير ان تطوّر المواجهات المستمر، والمتواصل، منذ احتلال المبنى في ١١ نيسان (ابريل)، أدّى الى ظهور تغيّرات في موقف الكنيسة، ورجال الدين المسيحي عموماً، من الصراع الجاري في البلاد بين المواطنين الفلسطينيين فيها وسلطات الاحتلال الاسرائيلية، تمثّل في انتقال الكنيسة المسيحية الى موقف صدامي فاعل، ومؤثر، في سياق النضال الوطني العام المناهض للاحتلال في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. لكن، على الرغم من النتائج الايجابية هذه، ممّا تكشفت عنه معركة الصراع حول بيت الضيافة، الاّ انها حملت، في الوقت عينه، مخاطر تواصل عمليات التهويد في الوسطين، الاسلامي والمسيحي، وما ينذر به من مساعٍ وخطط لتهويد كامل المدينة المقدسة.

خطة مسبقة

لم تأت محاولة الاستيطان في الحي المسيحي، في القدس، مصادفة، أو بفعل عمل افرادي من قبل جماعات هامشية، بل يعود الامر الى تخطيط مسبق أُعدّ له بشكل دقيق، واشترك فيه بعض الاطراف الاسرائيلية الرسمية ذات العلاقة بعمليات تهويد الاماكن المقدسة، فيما ترك أمر توفير الغطاء العلني المباشر للعملية لمنظمتي «عطيرت كوهنيم» و«عطيرت ليوشنا»، اللتين تعتبران كل بيت فلسطيني نقطة اضافية في برنامج الصراع على القدس وبقية «اراضي اسرائيل»، وتدعوان الى شراء أكبر ما يمكن من مناطق القدس، وتجنيد ما يمكن تجنيده لهذه الاغراض. كما تعتبران منطقة الحرم المقدسي الشريف «منطقة يهودية، وليست ذكرى من أعماق الماضي» (اياد عبدالخالق، «التهويد الزاحف»، **فلسطين الثورة**، نيقوسيا، العدد ٩٧٤، ٢٩/٤/١٩٩٠). وكشفت مصادر اسرائيلية عن ان المجموعة التي احتلت بيت الضيافة خططت لاحتلال المبنى قبل ستة شهور؛ وانها أجرت مفاوضات حول شرائه خلال الفترة عينها، انتهت قبل اسبوع فقط من الاستيلاء عليه (**جيروزاليم بوست**، ١٨/٤/١٩٩٠). كما جاء احتلال المبنى في سياق الدعم المتواصل الذي تقدّمه الحكومة الاسرائيلية، برئاسة اسحق شامير، للمستوطنين، والذي كشف شامير نفسه، عن بعض جوانبه خلال الاسابيع الماضية. فقد ذكرت التلفزة الاسرائيلية، في نشرة مساء ٢١ نيسان (ابريل)، ان شامير أوكل الى مستشاره لشؤون الاستيطان، ميخائيل ديكل، القيام بالاجراءات اللازمة لتنفيذ برنامج استيطاني تضمّن ثلاث نقاط، هي: تثبيت المبنى الاستيطاني في النبي يوسف في نابلس؛ وتثبيت المباني الاستيطانية في تل الرميضة في الخليل؛ واقامة أربع مستوطنات جديدة في انحاء مختلفة من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة (**اليوم السابع**، باريس، العدد ٣١٢،

٣٠/٤/١٩٩٠). وأشار كتيّب اصدرته عطيرت كوهنيم الى الاهداف المباشرة للاستيلاء على بيت الضيافة، جاء فيه ان العملية هي «اثبات للتواجد اليهودي في القدس، والعمل على توسيع هذا التواجد داخل الاسوار [في المدينة]»، وتعتبر «شهادة حيّة على ان اليهود الذين انتُزعوا من هذه المدينة قبل مئة سنة قد عادوا اليها، وسيبقون فيها الى أبد الآبدين»، وان التواجد اليهودي هذا يهدف الى «اظهار الصلة العضوية بين القدس وابنائها اليهود» (**القدس العربي**، لندن، ١٤ ـ ١٥/٤/١٩٩٠).

مُلْك كنسي قديم

يقع بيت الضيافة، الذي تعرّض للاحتلال على أيدي مجموعة من المتطرفين اليهود، في سوق الدباغة، على بعد أمتار من كنيسة القيامة في القدس، ويضمّ ٧٢ غرفة، وتحيط به عشرات الكنائس التي ترفع الصلبان وشارات الطوائف على سطوحها (**الحياة**، لندن، ٤/٥/١٩٩٠).

يعود تاريخ بيت الضيافة الى العام ١٨٥٠، حيث اشتراه الأب افتيموس اليوناني من مواطنين عرب، وخصّصه لاستقبال الحجاج الروس، وغيرهم. وقد تحوّل الطابق الاول منه الى حوانيت. واستمرت البطريركية اليونانية في ادارته حتى الثلاثينات من القرن الحالي، حيث تمّ تأجير المبنى لرجل أعمال أرمني يدعى مارتوروس ماتوسيان. وخلال حرب العام ١٩٤٨، أهمل الفندق، بعد انخفاض عدد الحجاج المسيحيين، وتزايدت الحاجة الى ترميمه. وفي العام ١٩٨٢، طلبت الكنيسة اليونانية من ماتوسيان اخلاءه، تمهيداً لترميمه، ليصبح صالحاً لاستقبال الحجاج فيه. وقد رفض ماتوسيان اخلاء المبنى، وأصرّ على الحصول، مسبقاً، على مليوني دولار، ممّا دفع الكنيسة، في حينه، الى اللجوء الى المحاكم، فيما بدأ ماتوسيان مفاوضات مع اسرائيليين ابدوا رغبة في شراء المبنى. وأُبرمت بين الجانبين صفقة خفيّة تمّت على نار هادئة. وحسب عقد الايجار بين ماتوسيان والكنيسة، تبيّن انه لا يحق لماتوسيان تأجير أكثر من سبع عشرة غرفة من غرف بيت الضيافة؛ كما اشترط العقد موافقة الكنيسة على صفقة البيع وحصولها على ثلث ثمن المبيع. وذكرت مصادر اسرائيلية ان شركة بنامية دفعت مبلغ ١,٥ مليون دولار لماتوسيان الذي أبرم صفقة بيع بمبلغ خمسة ملايين دولار (**المصدر نفسه**). غير ان مصادر أخرى أوردت ان المبنى بيع بـ ٣,٦ ملايين دولار. الى ذلك، كشف عضو الكنيست الاسرائيلي، يوسي ساريد (راتس)، عن ان وزارة الاسكان الاسرائيلية هي التي قامت بتسديد ثمن المبنى، بواسطة شركة «هيمنوتا» الاسرائيلية المتخصصة في شراء الاراضي. وقد تولّت الشركة الوساطة خلال عمليات البيع والشراء، ونقلت الاموال الى الشركة البنامية التي تولّت دفعها الى ماتوسيان (عبدالخالق، **مصدر سبق ذكره**). وعزّز ساريد اتهاماته لوزارة الاسكان الاسرائيلية بوقائع هامّة، منها ان مبلغ الشراء دفع من خلال تحويلين مصرفيين، أولهما بقيمة ١,٤ مليون دولار، دفع بتاريخ ١١/١١/١٩٨٩، والثاني بقيمة ٢,٢ مليون دولار، دفع بتاريخ ٩/٤/١٩٩٠، أي قبل احتلال المبنى من قبل المستوطنين بيومين فقط. وأكد ساريد ان المبالغ هذه دفعت دون إذن مسبق من وزارة المالية الاسرائيلية. وقدّم ساريد الى المستشار القانوني للحكومة الاسرائيلية أدلّة على ما ذكره، وطالبه بفتح تحقيق حول الموضوع لمعرفة امكان اتخاذ اجراءات جنائية ضد وزارة الاسكان (**فلسطين الثورة**، العدد ٩٧٤، ٢٩/٤/١٩٩٠). بعد وقت قصير على اعلان الاتهامات هذه، خرجت وزارة الاسكان الاسرائيلية عن صمتها، وأكدت، بتاريخ ٢٢ نيسان (ابريل)، ما ذكره ساريد، وأشارت الى انها انفقت ١,٨ مليون دولار قالت انها تمثّل اربعين بالمئة من نفقات اقامة أول مستوطنة يهودية في حي النصارى في القدس. امّا ساريد، فقد طالب، بعد اعتراف الوزارة، كلاً من المدعي العام الاسرائيلي ومراقب حسابات الحكومة الاسرائيلية، بالعمل على اعادة الاموال التي دفعتها الوزارة الى خزينة الدولة في أقرب وقت ممكن (**الحياة**، ٢٤/٤/١٩٩٠).

استيطان ومجابهة

ظُهْر ١١ نيسان (ابريل)، اجتاح يهود، كانوا يغنون ويرقصون، بيت الضيافة وسط حي النصارى في القدس، وقاموا بافراغه من أثاثه، حيث القوا به الى الشارع وأتوا بأسرّة جديدة بدلاً منه. وفي اليوم التالي للحادث، تجمّع مئات المسيحيين

تحت نوافذ المبنى، وانضمّ اليهم، فيما بعد، بطريرك الطائفة الارثوذكسية، ديوذوروس (**القدس العربي**، ١٣/٤/١٩٩٠)، الذي وصل المكان على رأس مئتي راهب مسيحي من البطريركية الارثوذوكسية (**القبس**، الكويت، ١٣/٤/١٩٩٠)، وكذلك ممثلون عن الطوائف المسيحية الاخرى في القدس، ومفتي القدس، سعدالدين العلمي، ورئيس جمعية الدراسات العربية في القدس، فيصل الحسيني، ود. سري نسيبة.

وبدأت الصدامات بين الجانبين، العربي المسيحي والمستوطنين اليهود، عندما نزع راهب ارثوذكسي نجمة داود كانت معلّقة على باب بيت الضيافة، فأطلقت الشرطة الاسرائيلية قنابل الغاز المسيلة للدموع، وهاجمت المتظاهرين بالهراوات فأصابت البطريرك ذيوذوروس، الذي تعثر («القدس العربي»، **مصدر سبق ذكره**). ووصفت وكالة اسوشيتد برس اصابة البطريرك بأنها طفيفة، وأكدت سقوطه على الارض، وتمزّق ثيابه، وتكسّر أيقونات وصلبان ذهبية كان يرتديها حول عنقه. وأكد البطريرك ذيوذوروس، من جانبه، ان الشرطة الاسرائيلية دفعته، وتسببت في سقوطه، وقال: «اشعر بالسخط والغضب لأن اليهود دنّسوا أقدس الاسابيع عندنا»، مشيراً الى احتفالات عيد الفصح («القبس»، **مصدر سبق ذكره**). بعد ذلك، جمع البطريرك المتظاهرين في ساحة كنيسة القيامة، على بعد عشرات الامتار من بيت الضيافة؛ غير ان الشرطة الاسرائيلية تابعت اطلاق قنابل الغاز، ممّا أحدث هلعاً بين الحجاج والسيّاح الذين تجمّعوا عند كنيسة القيامة، التي أصيب حرّاسها بالذهول، فأوصدوا أبوابها، تاركين في ساحتها حشداً من المواطنين اصابه الذعر وعانى من الاختناق بسبب الغاز («القدس العربي»، **مصدر سبق ذكره**).

بعد أيام على الحادث، قام المستوطنون الذين احتلوا بيت الضيافة بتعزيز تواجدهم فيه. فاستبدلوا نوافذه بزجاج واق، وركّبوا قطعاً يهودية تسمّى مازورة على مدخل الفندق، ورفعوا العلم الاسرائيلي عليه. كما تمّ تعزيز تواجد قوات الشرطة وحرس الحدود المرابطة امام الفندق وحوله. ووصل المكان، الذي اطلق عليه مستوطنة «نواة دافيد»، مئات الاسرائيليين المتدينين وعائلاتهم، تعبيراً عن الرغبة في تهويد المدينة المقدسة (**المصدر نفسه**، ١٧/٤/١٩٩٠).

قرارات دون جدوى

بانتقال المشكلة الناجمة عن استيطان اليهود لمبنى بيت الضيافة الى المحاكم، بدأت مرحلة جديدة من صراع تميّز بالاخذ والردّ والمماطلة. فقد أصدرت قاضية محكمة القدس، روث أور، قراراً نص على ضرورة اخلاء المستوطنين لبيت الضيافة. وطلب محامي المستوطنين، آفي اسحق، مهلة ٧٢ ساعة لتنفيذ القرار. امّا المستوطنون، فقد اعربوا عن عزمهم متابعة استئنافهم لقرار اجلائهم عن المكان (**جيروزاليم بوست**، ١٨/٤/١٩٩٠). بعد ذلك، تقدّمت الشركة البنامية بالتماس الى محكمة العدل العليا، التي اصدرت بموجبه قراراً يمنع الشرطة الاسرائيلية من طرد المستوطنين. وتجاهلت، بذلك، قراراً سبق وأصدره المستشار القانوني للحكومة الاسرائيلية، قبل ذلك بيومين، طلب من الشرطة ابعاد المستوطنين من المبنى. وقرّر قضاة محكمة العدل العليا الثلاثة تعليق الموضوع، على ان تجرى متابعته في وقت لاحق؛ كما قرروا عدم زيادة عدد اليهود المقيمين في بيت الضيافة (**الحياة**، ٢١ ـ ٢٢/٤/١٩٩٠). وفي جلسة لاحقة عقدتها المحكمة، أصدر قرار يأمر المستوطنين بمغادرة المبنى. وحدّدت المحكمة موعداً لذلك اقصاه ظهر الاول من أيار (مايو). وردّت على التماس الشركة البنامية التي سبق وقدّمته الى المحكمة، بأن بامكان الشركة ابقاء عشرين من عمّال الصيانة والحراس داخل بيت الضيافة الى حين تسوية الوضع القانوني النهائي للمبنى (**المصدر نفسه**، ٢٧/٤/١٩٩٠). ورفض المستوطنون اليهود تنفيذ قرار المحكمة باخلاء المبنى. وادّعى ناطق باسمهم بأنه لم يبق فيه، من أصل مئة وخمسين يهودياً انتقلوا اليه منذ ١١ نيسان (ابريل)، سوى عشرين شخصاً انتدبتهم الشركة البنامية. كما رفض الناطق السماح لممثلي بطريركية الروم الارثوذكس بالدخول الى المبنى برفقة محاميهم للتأكد من صحة ادعاءات المستوطنين. وقال كبير الاساقفة المطران غريغوريوس: «جئنا كي نرى بأنفسنا تنفيذ قرار المحكمة. وطلبنا اذناً بدخول مطران، أو اثنين، [برفقة] المحامي، كي [نتأكد] من عدد الذين بقوا، وماذا فعلوا في

الداخل؟ الا انهم [المستوطنون] يرفضون السماح [لنا] بممارسة حقنا. حتى الشرطة رفضت [ذلك] ايضاً. وما زلنا نرى النساء والاولاد في الداخل، ولا نستطيع ان نجزم بما اذا كان عددهم عشرين، أو خمسين، أو مئة» (**الحياة**، ٢/٥/١٩٩٠).

ردّ الكنيسة

في ظل التطوّرات هذه، أعلن الرئيس الديني للطائفة الارثوذكسية، البطريرك ذيوذوروس الاول، عن رفع العلم الاسود على كنيسة القيامة، ابتداء من ١٧ نيسان (ابريل)، وقرع أجراس الكنائس، واطلاق الانغام الحزينة، على الرغم من عيد الفصح الذي يمثّل عيد فرح بقيامة المسيح. وهدّد البطريرك بغلق الاماكن المسيحية المقدسة وتسليم مفاتيحها للامم المتحدة. وقد صرّح البطريرك بذلك في اثناء استقباله وفداً ضمّ عدداً من الشخصيات الفلسطينية التي حضرت للاعراب عن تضامنها مع الكنيسة واستنكارها للاعتداء الاسرائيلي على املاكها. وضمّ الوفد رئيس رابطة الصحافيين، رضوان ابو عياش، والمدرّس في جامعة النجاح، د. صائب عريقات، ود. احمد الطيبي (**القدس العربي**، ١٧/٤/١٩٩٠). من جهة أخرى، أصدر مجلس كنائس الشرق الاوسط بياناً، أعلنه الامين العام للطائفة الارثوذكسية، جبريل حبيب، المقيم في قبرص، دان «بأقصى شدة» الاعتداء على البطريرك ذيوذوروس، وطالب باجلاء فوري للمستوطنين عن بيت الضيافة الذي احتلوه. وعبّر حبيب، في بيانه، عن ابتهاجه برؤية كنائس القدس موحّدة وتعبّر «بصوت واحد عن رفضها الظلم القائم في الاراضي المقدسة»، وعن «التقدير الكبير للتضامن المسيحي ـ الاسلامي» الذي تجلّى في استنكار القيادات الاسلامية للاعتداء على الاماكن المسيحية، وفي مشاركتها مسيحيي القدس محنتهم. وناشد البيان كنائس العالم «بذل ما تستطيعه، من اجل ان تغدو القدس، مدينة الحوار بين مؤمني الاديان الثلاثة، نموذجاً للعيش باخاء قائم على العدل والاحترام المتبادل، ومدخلاً الى السلام لكل أبناء الاراضي المقدسة» (**المصدر نفسه**). وبتاريخ ٢٣ نيسان (ابريل)، صعّدت الطوائف المسيحية في القدس موقفها، حيث اتخذ الرؤساء الروحيون للطوائف المسيحية، وهي الروم الارثوذكس واللاتين والارمن والاقباط والسريان والاثيوبيون والانغليكان والروم الكاثوليك واللوثريون، بعد ثلاثة أيام من المداولات التي أُجريت في مقر بطريركية الروم الارثوذكس، مالكة المبنى الذي يحتله المستوطنون اليهود، قراراً لا سابق له، يقضي بغلق جميع الاماكن المسيحية المقدسة في الاراضي المحتلة، وبضمنها كنيسة القيامة، في الثامن والعشرين من نيسان (ابريل). وقد اصدر الاساقفة المجتمعون في مقر بطريركية الروم الاثوذكس بياناً بذلك، تضمّن، أيضاً، اتهاماً للحكومة الاسرائيلية بتمويل عملية الاستيلاء على بيت الضيافة في حي النصارى، وإنْ جزئياً على الاقل، وتشجيعها المستوطنين على البقاء فيه، والحؤول دون تنفيذ أمر الطرد الذي اصدرته محكمة القدس. واعتبر البيان ان ما قام به المستوطنون «يهدّد الوصول الى كنيسة القيامة... وينتهك الوضع القائم منذ قرون عدة، ويعرّض الوحدة الثقافية والدينية للاحياء المسيحية والارمنية والاسلامية في القدس للخطر» (**الحياة**، ٢٤/٤/١٩٩٠). وبالفعل، أُغلقت ابواب الكنائس في الموعد المحدّد لمدة زادت على أربع وعشرين ساعة، ثمّ عادت وفتحت ابوابها. وكان ذلك أول غلق لابواب الكنائس يتمّ منذ ثمانمئة عام (**جيروزاليم بوست**، ٢٩/٤/١٩٩٠).

لاهوت فلسطيني

وهكذا شهدت القدس، وللمرة الاولى منذ العام ١٩٦٧، موقفاً موحّداً، شمل جميع الطوائف المسيحية، بالاضافة الى تضامن اسلامي ـ مسيحي، ظهر داخل المدينة المقدسة ضد الاستيطان اليهودي في أي من أماكنها المقدسة، سواء مسيحية كانت أم اسلامية. وكان انشاء مستوطنة «نواة دافيد» في حي النصارى المسيحي سبباً في توحيد الطوائف المسيحية، «التي حاولت السلطات الاسرائيلية [في فترات سابقة] تحييدها في الصراع السياسي بين الفلسطينيين والاسرائيليين، حيث قدّمت تسهيلات حكومية واعفاءات جمركية ولوحات سيارات دبلوماسية الى رجال الدين المسيحي، لابعادهم عن المعترك السياسي في البلاد». في هذا الصدد، قال المحامي جوناثان كتّاب: «ان الموقف المحايد للكنائس قد تهاوى بعد اندلاع الانتفاضة؛ ونفضت الكنيسة عن رأسها الرمال

التي غمرته» (**الحياة**، ٤/٥/١٩٩٠). الى ذلك، تجاوزت تصريحات رجال الدين المسيحي المواقف التقليدية الى التعبير عن جوانب هامّة في الصراع الجاري في المناطق المحتلة. وقد حذّر جورج هنتليان، سكرتير البطريرك الارمني توركوم مانغويان، من خطر التهويد الذي يعصف بالمدينة المقدسة. وأعرب عن خشيته من ان يلجأ المحتلون الاسرائيليون الى استخدام القوة لتهويد المدينة، بعد ان فشلوا في تحقيق اهدافهم من خلال تقديم اغراءات مالية الى بعض العرب مقابل اخلاء بيوتهم (**المصدر نفسه**). وتحدث بطريرك الكنيسة الانغليكية، سمير قفعيتي، عن ظهور «لاهوت فلسطيني» في القدس «يناهض الظلم لأنه لا يحدث في فراغ، بل يتحرك في حياة الانسان». وذكر قفعيتي ان اللاهوت الفلسطيني بات «يحدّد علاقة الانسان بالله من خلال الانتفاضة التي ترفض الاحتلال». وقال: «ان الكنيسة هي جزء لا يتجزأ من الشعب، تتألم بألمه وتتأثر بكل ما يحدث له» (**المصدر نفسه**). على صعيد آخر، تابعت القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة الفلسطينية مجمل التطوّرات على صعيد احتلال المستوطنين اليهود لبيت الضيافة، وأصدرت بياناً أعلن قراراً باعدام مارتوروس ماتوسيان الذي باع مبنى فندق مار يوحنا (بيت الضيافة) التابع لبطريركية الروم الارثوذكس لليهود. وذكر البيان ان حكماً بالاعدام طاول آخرين ايضاً؛ وأشار الى احتمال اعلان اسمائهم لاحقاً، مع طلب تعليق تنفيذ قرار الاعدام بحق ماتوسيان الى وقت لاحق. وكانت القيادة الموحّدة حدّدت ٢٣ نيسان (ابريل) «يوماً للقدس»؛ ودعت الى اضراب عام لاظهار التضامن الاسلامي ـ المسيحي في «عاصمة دولة فلسطين، وضد الغزاة» (**جيروزاليم بوست**، ٢٠/٤/١٩٩٠).

ن. م.

موجز الوقائع الفلسطينية
من ١٦/٣/١٩٩٠ الى ١٥/٤/١٩٩٠

١٦/٣/١٩٩٠

• ذكرت مصادر فلسطينية ان رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، تلقّى رسالة من الحكومة السويدية تتعلق بجهود السلام في الشرق الاوسط، سلمّها له سفير السويد لدى تونس، فوكس مانيوس (**الحياة**، لندن، ١٧/٣/١٩٩٠).

• تواصلت الاشتباكات والصدامات في العديد من المناطق في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، فاستشهد المواطن محمد ناجي ابو عرة (٥٥ عاماً) من عقابا، قرب جنين، جراء تعرضه للتعذيب على يد مستوطنين؛ واسفرت الاشتباكات، أيضاً، عن اصابة أربعة جنود اسرائيليين في قرية صوريف، واصابة جندي خامس على طريق جنين ـ نابلس، ومستوطن، جراء تعرض سيارته للرشق بالحجارة؛ كما اصيب عشرة مستوطنين آخرين بجروح وحروق، نتيجة القاء زجاجات حارقة على سياراتهم (**الدستور**، عمّان، ١٧/٣/١٩٩٠).

• اعلن وزير الدولة المصرية للشؤون الخارجية، د. بطرس غالي، أن مصر ستعمل مع أية حكومة اسرائيلية جديدة، من أجل احراز تقدم تجاه أول محادثات سلام فلسطينية ـ اسرائيلية. واضاف غالي، في تصريح أدلى به الى الاذاعة الاسرائيلية، ان السلام هو الجامع الاكبر، في حال استمرار الازمة السياسية في اسرائيل (**الاهرام**، القاهرة، ١٧/٣/١٩٩٠).

• ذكرت مصادر رسمية امريكية، ان ادارة الرئيس، جورج بوش، لن ترغم اسرائيل على قبول مبدأ «مقايضة الارض بالسلام» قبل بدء جلسات الحوار في القاهرة، وحذّرت الفلسطينيين من الاصرار على ذلك المبدأ. وادعت المصادر بأن توقّع الفلسطينيين قبول تل ـ ابيب بهذا المبدأ هو «غير عملي». واشارت الى ان هذه المسألة كانت موضع نقاش بين تيارين: الاول، يدعو الى ارغام اسرائيل على قبول المبدأ قبل بدء الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي؛ والثاني يدعو الى تأجيله الى ما بعد الحوار، بأمل اقناع اسرائيل به لاحقاً (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ١٧ ـ ١٨/٣/١٩٩٠).

١٧/٣/١٩٩٠

• استشهد، الليلة الماضية، المواطن محمد طه ابو سمن (٥٠ عاماً)، من مخيم نور شمس، بعد ان صدمته سيارة عسكرية اسرائيلية؛ كما أصيب سبعون آخرون، واعتقل عدد آخر، خلال مواجهات عنيفة وقعت في المناطق المحتلة، فيما فرضت سلطات الاحتلال الاسرائيلية حظر التجول على العديد من المناطق الفلسطينية، واغلقت مدارس عدة، وقامت باقتلاع عشرات الاشجار من بيارات ومزارع فلسطينية. من جهة أخرى، تمكّن شبان الانتفاضة من تحطيم خمس عشرة سيارة عسكرية واحراق سيارة أخرى لمستوطن، في أثناء توقفها في منطقة الحسبة الجديدة، في جنين (**الدستور**، ١٨/٣/١٩٩٠).

• استشهد ثلاثة فدائيين تابعين للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين عندما اصطدموا بقوة اسرائيلية، في اثناء توجههم الى تنفيذ عملية عسكرية في احدى مدن الجليل. وبذلك زاد عدد الفدائيين الذين استشهدوا في اشتباكات مع الجيش الاسرائيلي وجيش جنوب لبنان، منذ بداية العام ١٩٩٠، على ثلاثين مقاتلاً (**عل همشمار**، ١٨/٣/١٩٩٠).

• اكد عضو اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. جمال الصوراني، ان العلاقات الفلسطينية ـ المصرية جيدة، وانه «اذا وقعت خلافات في وجهات النظر [فانها تقع ضمن] العائلة الواحدة». وكان نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية المصرية، د. عصمت عبدالمجيد، عقد اجتماعاً مع الصوراني وسفير دولة فلسطين في القاهرة وممثل «فتح» فيها (**الاهرام**، ١٨/٣/١٩٩٠).

• قوّمت الناطقة باسم وزارة الخارجية الامريكية، مارغريت تتوايلر، وضع عملية السلام، بعد انهيار

الحكومة الاسرائيلية، بقولها: «بالطبع، هناك توقف» في دفع العملية الى امام، وان التصويت على حجب الثقة عن الحكومة في الكنيست «يعكس، بوضوح، التركيز على عملية السلام، واهمية دفعها الى امام». واعترفت بأن الازمة السياسية في اسرائيل ستعقد المفاوضات، «لكن ذلك ليس نهاية الطريق» (**نيويورك تايمز**، ١٧ ـ ١٨/٣/١٩٩٠).

١٨/٣/١٩٩٠

• اجتمع رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، مع الرئيس الليبي، معمر القذافي، وتبادل الطرفان وجهات النظر في الاوضاع عامة، واستعرض الرئيس عرفات أوضاع الانتفاضة داخل الارض المحتلة، واستمرارها، وتأثيرها في الاوضاع الحكومية في اسرائيل الى حد اسقاط حكومتها، وموضوع الهجرة اليهودية الى اسرائيل (**وفا، تونس**، ١٨/٣/١٩٩٠).

• استشهد المواطن سليم يعقوب ريحان (٥٠ عاماً)، من مخيم الامعري، في اثناء مواجهات مع قوات الاحتلال الاسرائيلية وقعت في المخيم. كما اصيب اكثر من ٦٥ فلسطينياً بجروح مختلفة في اشتباكات متفرقة في مناطق عدة من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، في وقت ساد في الضفة اضراب شامل، وفرض العدو حظر التجول والحصار العسكري على بيت فوريك، منذ العاشر من آذار (مارس) الجاري، وعلى مخيم نور شمس، قبل يومين (**الدستور**، ١٩/٣/١٩٩٠).

• وصل الرئيس الاميركي الاسبق، جيمي كارتر، اسرائيل في زيارة خاصة لها، التقى، في بدايتها، رئيس بلدية القدس الغربية، تيدي كوليك، واقترح عليه ان يترأس وفد اسرائيل الى مفاوضات السلام. كما التقى كارتر رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، وابلغ اليه انه ما زال يؤيد اقتراح ضمّ فلسطينيين من القدس الشرقية الى المفاوضات (**هآرتس**، ١٩/٣/١٩٩٠). وعلم ان كارتر اكد، خلال مباحثاته الاولية في اسرائيل، صحة التقارير الصادرة عن دمشق والتي تحدثت عن استعداد سوريا للتوصل الى تسوية تتمّ بموجبها اعادة الجولان الى سوريا، بعد نزعها السلاح ومنع تواجد قوات عسكرية فيها؛ وكذلك استعداد الرئيس السوري، حافظ الاسد، للدخول في مفاوضات مع اسرائيل، برعاية دولية. وقال كارتر ان الرئيس السوري فوّضه بطرح اقتراح اجراء محادثات بين سوريا واسرائيل، في اطار مؤتمر دولي لحل النزاع العربي ـ الاسرائيلي (**المصدر نفسه**).

١٩/٣/١٩٩٠

• انضم الى قافلة شهداء الانتفاضة نائل رفيق زقّوت (١٨ عاماً)، من مخيم جباليا. وكان زقوت فارق الحياة متأثراً بجروح اصيب بها أمس. من جهة أخرى، عمّ اضراب شامل منطقتي رام الله والبيرة، حداداً على شهيد مخيم الامعري، سليم ريحان؛ واغلقت قوات الاحتلال الاسرائيلية مسجداً في قرية الزوايدة؛ كذلك اعلنت منطقة قلقيلية الاضراب تضامناً مع سكان بيت فوريك الذين وجهوا نداءً الى الهيئات، والمؤسسات، وقوى السلام والعدل والحرية، والى بابا الفاتيكان، وزعماء الدول العربية والاسلامية كافة، ناشدوهم التدخل لايقاف سياسة القمع والابتزاز التي يمارسها جنود الاحتلال الاسرائيلي ورجال الضريبة داخل القرية المحاصرة، منذ العاشر من آذار (مارس) الجاري (**الدستور**، ٢٠/٣/١٩٩٠).

• ندّد الرئيس الاميركي الاسبق، جيمي كارتر، بالسياسة الإسرائيلية في المناطق المحتلة، والتي تلحق الضرر بسكانها، وانتقد كارتر تزايد الاعتقالات الادارية في صفوف الفلسطينيين واطلاق النار بشكل مبالغ فيه والحاق الضرر بالاطفال الفلسطينيين (**عل همشمار**، ٢٠/٣/١٩٩٠).

• جرح جنديان اسرائيليان جراء اصطدامهما بلغم أرضي قديم، في اثناء قيامهما بعملية تمشيط بالقرب من الحدود السورية، في هضبة الجولان (**عل همشمار**، ٢٠/٣/١٩٩٠).

• اعلن وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، عن ان الخطوة التالية في عملية السلام يجب ان تتخذها اسرائيل. وقال ان الكنيست الاسرائيلي ركّز على السؤال الحقيقي والمتمثل بالتحرك نحو السلام. واضاف: «كلّي امل في ان تبرز حكومة جديدة في اسرائيل تريد ان تخطو نحو السلام» (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٠/٣/١٩٩٠).

٢٠/٣/١٩٩٠

• استقبل الرئيس التونسي، زين العابدين بن علي الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في حضور وزير الخارجية التونسية، اسماعيل خليل، ورئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف. فاروق القدومي (أبو اللطف). وصرح الرئيس عرفات، بعد اللقاء، بأنه جاء

لتهنئة الرئيس زين العابدين بمناسبة عيد استقلال تونس، واطلعه على «تطورات القضية الفلسطينية، والنصر الكبير الذي حققته الانتفاضة، ومبادرة السلام الفلسطينية، بأحداث صدع، للمرة الأولى، في حكومة اسرائيل، نتيجة الموقف من الانتفاضة ومن مبادرة السلام». وذكرت مصادر فلسطينية ان اجتماع عرفات – زين العابدين تناول، أيضاً، أعمال الدورة الأخيرة لمجلس الجامعة العربية، وقرار نقلها الى القاهرة (**الحياة**، ٢١/٣/١٩٩٠).

• استشهد المواطن ياسر عواد الحارثي (٣٧ عاماً)، من سلفيت، بعد ان دفعه أحد المستوطنين من على الطابق الثالث في بناء كان يعمل به في مستوطنة أريئيل؛ كما استشهد اسامة فهمي هاشم (٢٥ عاماً)، من حي الشيخ رضوان، في غزة، اثر اصابته برصاصة؛ واصيب حوالى سبعين فلسطينياً بجروح مختلفة، واعتقل خمسون آخرون، في اثناء مواجهات عنيفة وقعت في مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. وكان اضراب شامل عمّ المناطق المحتلة كافة، تلبية لنداء وجهته القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة (**الدستور**، ٢١/٣/١٩٩٠).

• اتهم الرئيس المصري، حسني مبارك، رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، باللامبالاة تجاه عملية السلام. وقال مبارك، في مؤتمر صحافي عقده في ناميبيا: «لا أشعر بأنه [شامير] ينظر بجدية الى مسار السلام؛ لكنني آمل في ان يغير نهجه في المستقبل». واستبعد مبارك حصول تقدم في اتجاه قيام حوار اسرائيلي – فلسطيني، «طالما لم تشكل حكومة جديدة في اسرائيل» (**هآرتس**، ٢١/٣/١٩٩٠).

• حوّل صندوق الجباية الموحّدة اليهودي، من حملة تبرعات طارئة قام بها، عشرين مليون دولار نقداً الى اسرائيل لتوظيفها في عمليات استيعاب يهود الاتحاد السوفياتي في اسرائيل، ومن المتوقع ان يحوّل الصندوق عشرين مليوناً اخرى حتى موعد عيد الفصح. وكان قرار بهذا الخصوص اتخذ في رئاسة صندوق الجباية الموحّدة (**هآرتس**، ٢١/٣/١٩٩٠).

• قررت حكومة سيري لانكا قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل وغلق ممثليتها في كولومبو. واوضح بيان اصدره مكتب الرئاسة في كولومبو، ان سري لانكا لن تعترف باسرائيل الاّ اذا اعترفت الأخيرة بـ م.ت.ف. ممثلاً شرعياً للفلسطينيين، وانسحبت من على المناطق المحتلة، ووافقت على المشاركة في مؤتمر دولي للسلام (**هآرتس**، ٢١/٣/١٩٩٠).

٢١/٣/١٩٩٠

• استشهد، أمس، شكري حسني ناجي (عشرة أعوام) من قرية ذنّابة، في منطقة طولكرم، متأثراً بجروح اصيب بها قبل يومين. كما استشهدت زينب داود احمد العطار (٧٥ عاماً)، من مخيم النصيرات، اثر اصابتها بجروح. وكشف محمد العطار عن تعرض والدته للضرب على ايدي الجنود الاسرائيليين، لمحاولتها حماية صبي كان هارباً منهم. كما استشهد فياض اياد الجعبري، من الخليل، وعمره خمسة شهور، اختناقاً بالغاز الذي اطلقه جنود اسرائيليون وسط الخليل، في الثالث عشر من آذار (مارس) الجاري. من جهة أخرى، أقام شبان الانتفاضة عروضاً شبه عسكرية، ومهرجانات خطابية، لمناسبة ذكرى معركة الكرامة (**الدستور**، ٢٢/٣/١٩٩٠).

• تجرى، حالياً، اتصالات بين قيادة م.ت.ف. وشخصيات اسرائيلية لعقد حلقة جديدة من الحوار الذي تتبناه المنظمة في اطار لجنة الحوار الفلسطيني – الاسرائيلي التي انشئت العام ١٩٨٦. ويتولى الاتصالات، من الجانب الاسرائيلي، لطيف دوري، الذي ترأس الوفد الاسرائيلي في حوارين سابقين، ترأس فيهما الوفد الفلسطيني عضوا اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. محمود عباس (ابو مازن) وعبدالرزاق اليحيى. وتستهدف الاتصالات الجديدة عقد حوار بناء على طلب عدد من اعضاء لجنة الحوار، يكون مكانه القاهرة، أو وارسو، حيث ابدت حكومة بولندا استعداداً لاستضافته (**الحياة**، ٢٢/٣/١٩٩٠).

• قررت شركة الطيران المجرية (ماليف) التوقف عن نقل اليهود السوفيات الى اسرائيل بعد تلقيها تهديدات من منظمة اكدت أنها تكافح من أجل تحرير فلسطين. واوضحت الشركة انها لا تريد المخاطرة بأمن الركاب والطائرات (**الحياة**، ٢٢/٣/١٩٩٠).

• بعثت وزارة الخارجية الاميركية الى الكونغرس بتقرير عن مدى التزام م.ت.ف. بتعهّدها «نبذ الارهاب»، قال مسؤولون عنه انه لا يحتوي على «أية مفاجأة»، ويتطابق مع ما اعلنه وزير الخارجية، جيمس بيكر، من ان بلاده مرتاحة لالتزام المنظمة بـ «نبذ الارهاب» (**نيويورك تايمز**، ٢٢/٣/١٩٩٠).

• أكد نائب وزير الخارجية الاميركية، لورانس

ايغلبرغر، ان حكومة بلاده ستؤيد تقديم الضمانات لقروض الاسكان الى اسرائيل، «مع افتراض انه يمكننا الحصول على تأكيدات كافية في شأن استخدام هذه الاموال» (**الواشنطن بوست**، ٢٢/٣/١٩٩٠).

١٩٩٠/٣/٢٢

• وصل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، الى الرباط. وذكرت مصادر فلسطينية ان زيارته هي مناسبة ليبحث مع المسؤولين المغاربة في الاجتماع المقبل للجنة القدس، التي يرأسها ملك المغرب، الحسن الثاني (**الحياة**، ٢٣/٣/١٩٩٠).

• استشهد المواطنان، ناصر القنعير وعمار حريص ابو غضيب، في اثناء اشتباك مسلح قامت به مجموعة تدعى قوة «الاشتباك المباشر» هاجمت نقطة عسكرية اسرائيلية اقيمت على سينما العاصي في شارع حطين، في نابلس، وتمكّنت من جرح جنديين. كما أصيب اكثر من ٨٥ مواطناً بجروح مختلفة، واعتقل اكثر من عشرين آخرين، خلال صدامات وقعت في مناطق عدة من الضفة والقطاع. من جهة اخرى، تمكّن شبان الانتفاضة من اصابة اكثر من عشرة جنود اسرائيليين بجروح، وتحطيم زجاج اكثر من عشرين سيارة عسكرية وأخرى لمستوطنين، بعد رشقها بالحجارة والقاء زجاجات فارغة (**الدستور**، ٢٣/٣/١٩٩٠).

• ذكر مزارعون فلسطينيون ان اسرائيل بدأت تفرض قيوداً على مبيعاتهم من الخضروات الى الضفة الفلسطينية. وقال الرئيس السابق لجمعية تسويق الخضروات في قطاع غزة، سالم ابو سالم، ان الحكومة الاسرائيلية رفضت اصدار تصاريح لارسال المنتجات العربية الى الضفة الفلسطينية، لان المزارعين يبيعون انتاجهم بدلاً من ذلك في اسرائيل. واضاف ابو سالم «ان الاسرائيليين يحاولون فرض ضغوط اقتصادية على الفلسطينيين» (**الحياة**، ٢٣/٣/١٩٩٠).

• اتهم عضو الكنيست، اريئيل شارون، زعيم حزب العمل، شمعون بيرس، بالسعي الى تشكيل حكومة تعتمد على مؤيدين علنيين لـ م.ت.ف. وعلى الشيوعيين الذين هم حزب عربي متطرف (**هآرتس**، ٢٣/٣/١٩٩٠).

• في خطوة تصعيدية، تقدّم السيناتور دانيال باتريك موينيهان، وعدد من اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي، بمشروع قرار يدعو الكونغرس الى الاعتراف بالقدس عاصمة لاسرائيل، وضرورة بقائها موّحدة. وجاء في نص مشروع القرار، ان اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب يعترفون بأن «القدس هي عاصمة دولة اسرائيل، ويجب ان تبقى كذلك» (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٣/٣/١٩٩٠).

١٩٩٠/٣/٢٣

• صرّح الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات بأن الولايات المتحدة الأميركية قامت بلفتة في غاية الأهمية عندما عارضت الاستيطان الاسرائيلي في الاراضي المحتلة. واضاف الرئيس عرفات، في ندوة للتلفزة المغربية، ان حكومة الرئيس الاميركي، جورج بوش هي اول حكومة اميركية تطلب انهاء الاحتلال الاسرائيلي، وان بوش عارض الاستيطان في القدس الشرقية لانها ارض محتلة. ووصف عرفات المعارضة هذه بأنها تطور جديد في غاية الأهمية (**القدس العربي**، لندن، ٢٤ ـ ٢٥/٣/١٩٩٠).

• تواصلت المواجهات والصدامات العنيفة في المناطق المحتلة بين المواطنين، من جهة، وقوات الاحتلال الاسرائيلية من جهة أخرى، واعلن الاضراب العام في بعض المناطق الفلسطينية حداداً على شهداء نابلس، الذين استشهدوا، أمس، خلال معركة بطولية مع جنود الاحتلال. من جهة أخرى، صدمت سيارة جيب عسكرية اسرائيلية وفاء نبيل عبدالرزاق، وهي في الخامسة من العمر من مخيم البريج، مما أدى الى استشهادها، فيما تمكّنت المجموعات الضاربة الفلسطينية من احراق سيارة للمستوطنين في القدس المحتلة؛ كما أصيب جندي اسرائيلي بجروح في قرية بلعين، وتعرضت اكثر من ٣٥ سيارة اسرائيلية عسكرية واخرى لمستوطنين لرشقات بالحجارة والزجاج الفارغ (**الدستور**، ٢٤/٣/١٩٩٠).

١٩٩٠/٣/٢٤

• صرح الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، بأن تشكيل حكومة اسرائيلية جديدة برئاسة زعيم حزب العمل الاسرائيلي، شمعون بيرس، يعني ان الاسرائيليين قد اختاروا طريق السلام. واضاف الرئيس عرفات، في حديث متلفز أدلى به في تونس، انه لا يعرف ما اذا كان الاسرائيليون سوف يتبنّون منطق التاريخ الذي حتّم انهيار سور برلين واستقلال

ناميبيا، أم لا؟ (**الاهرام**، ٢٥/٣/١٩٩٠).

• اصيب حوالى ستين فلسطينياً بجروح مختلفة خلال المصادمات التي تواصلت اليوم في المناطق المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية. وكان بين الجرحى صبيان اصيبا في قرية تقوع، جراء انفجار جسم مجهول؛ كما اصيب صبي آخر، في العاشرة من العمر، في بيت لحم، بجروح، جراء رصاصة اصابته في ساقه. من جهة أخرى، شن ملثمون غارات على متاجر في بيت لحم، وأمروا اصحابها بعدم بيع منتجات اسرائيلية؛ وأغلقت قوات الاحتلال الاسرائيلية مدرسة يَعْبَد الثانوية، والقت قنابل غاز داخل مدرسة في جنين (**الدستور**، ٢٥/٣/١٩٩٠).

• قدم سفير اسرائيل الجديد في اثيوبيا، مئير بوفيه، اوراق اعتماده الى الرئيس الاثيوبي، منغستو هيلا مريام. واعلنت مصادر دبلوماسية، في اديس ابابا، عن ان اثيوبيا تعتزم افتتاح سفارة في اسرائيل خلال العام الحالي. واوضحت انه منذ استئناف العلاقات بين الجانبين، بعثت اسرائيل بمستشارين عسكريين واسلحة، لمساعدة حكومة اثيوبيا في حربها ضد الثوار الارتيريين في شمال البلاد (**هآرتس**، ٢٥/٣/١٩٩٠).

١٩٩٠/٣/٢٥

• شهدت مدينة نابلس ومخيماتها اضراباً تجارياً، حداداً على استشهاد المواطنين ناصر القنعير وعمار ابو غضيب، فيما تواصلت حملات التنكيل والاستفزاز التي قامت بها قوات الاحتلال الاسرائيلية في عدد من المناطق الفلسطينية المحتلة، وفرضت نظام حظر التجول على بيت فوريك ودهمت عدداً من منازلها. واقتحم جنود اسرائيليون مخيم الدهيشة، واجبروا سكانه على ازالة المظاهر الوطنية. ويذكر ان المخيم يخضع، منذ ستة شهور ونصف الشهر لنظام حظر تجوّل ليلي (**الاتحاد**، حيفا، ٢٦/٣/١٩٩٠).

• أكد ضباط كبار في هيئة الاركان الاسرائيلية تأثير الازمة السياسية في اسرائيل الناجمة عن اسقاط الحكومة في الاوضاع في المناطق الفلسطينية المحتلة، من حيث تعاظم النشاطات وتزايد الحوادث المعادية للاحتلال (**هآرتس**، ٢٦/٣/١٩٩٠).

• ناقشت الحكومة الاسرائيلية، في جلستها الاسبوعية، موضوع استيعاب المهاجرين الجدد والمشاكل التي ظهرت في اعقاب تعليق الرحلات الخاصة بشركة الطيران الهنغارية (ماليف). واعلن وزير الاستيعاب الاسرائيلي، اسحق بيرتس، ان ٢٦ بالمئة فقط من مهاجري الاتحاد السوفياتي، في العام الماضي، حصلوا على عمل؛ وحذّر من وقوع ازمة، في حال عدم مبادرة الحكومة الى اتخاذ التدابير اللازمة لايجاد فرص عمل (**دافار**، ٢٦/٣/١٩٩٠).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في الجلسة الاسبوعية للحكومة، ان اسرائيل تنظر بقلق كبير الى النشاط العربي المعادي للهجرة اليهودية الى اسرائيل، والذي يمثّل تآمراً على وجود دولة اسرائيل واضاف: «سوف نبذل كل جهد لمكافحة هذا النشاط العربي» (**يديعوت احرونوت**، ٢٦/٣/١٩٩٠).

• انتخب اليعازر غرانوت رئيساً لحزب مبام، وفاز بـ ٥٧ بالمئة من اصوات اعضاء مركز الحزب؛ بينما حصل منافسه، ايمري رون، على ٤٣ بالمئة من الاصوات (**عل همشمار**، ٢٦/٣/١٩٩٠).

١٩٩٠/٣/٢٦

• اجتمع رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، مع نائب رئيس جمهورية الهند، حيث استعرض الطرفان آخر تطورات الوضع في الشرق الاوسط، والجهود المبذولة لاحلال السلام في المنطقة، ومخاطر الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي والبلدان الاوروبية الاخرى على عملية السلام. واكد نائب الرئيس الهندي للرئيس عرفات تأييد الهند الثابت لنضال الشعب الفلسطيني، واعرب عن تمنيات الشعب الهندي للرئيس عرفات، الذي منح جائزة نهرو للتفاهم الدولي (**وفا**، ٢٦/٣/١٩٩٠).

• تواصلت الاشتباكات والصدامات في مختلف المناطق المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فاسفرت عن اصابة اكثر من خمسين مواطناً بجروح واعتقال عدد آخر؛ فيما هاجم شبان الانتفاضة عدداً من السيارات العسكرية الاسرائيلية، وحطموا زجاج بعضها، واصابوا جنوداً بجروح (**الدستور**، ٢٧/٣/١٩٩٠).

• ذكرت وكالة الصحافة الفرنسية ان «فتح» قامت بأول مناورات لها في جنوب لبنان منذ ثمانية اعوام على الاقل. وقد أجريت المناورات على تلال

شرق صيدا حيث تتمتع م.ت.ف. بوجود عسكري مستقل، وشارك فيها مئتا مقاتل مجهزون بمدفعية خفيفة (**القدس العربي**، ٢٧/٣/١٩٩٠).

• قال الناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية، ريتشارد باوتشر، في معرض تعليقه على قرار مجلس الشيوخ اعتبار القدس عاصمة موحدة لاسرائيل: «ان موقف الادارة معروف من مدينة القدس، وليس ثمة تبدّل في هذه السياسة» (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٧/٣/١٩٩٠).

• ذكرت مصادر صحفية اميركية ان الضغط الاميركي على اسرائيل استهدف، من حيث الاساس، انتزاع موقف اسرائيلي «يقايض» هجرة اليهود السوفيات بعدم توطينهم في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، و«يقايض» فك الاستنفار في المنطقة بافتتاح المفاوضات الفلسطينية ـ الاسرائيلية في القاهرة (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٧/٣/١٩٩٠).

١٩٩٠/٣/٢٧

• بدأت الانتفاضة تصعيداً في هجماتها منذ الثلاثين من آذار (مارس) الحالي، الذي وافق «يوم الارض». وذكرت القيادة الموحدة للانتفاضة ان «يوم الارض» يجب ان يكون يوماً خاصاً للاشتباكات يلقّن الشعب وابطال القوات الضاربة الفلسطينية، خلاله، درساً آخر من دروس الانتفاضة للمستعمرين الصهيونيين». واعلنت «حماس»، في منشور وزعته، ان رمضان «هو شهر الجهاد ضد الاحتلال الاسرائيلي». في هذه الاثناء، اندلعت اشتباكات، منذ الصباح، بين المواطنين وقوات الاحتلال، والقى شبان ملثمون قنبلتين حارقتين على سيارتين اسرائيليتين كانتا في طريقهما من مستوطنة معال الى القدس. واشعل فلسطينيون اطارات السيارات في شارع صلاح الدين، في القدس، والقوا الحجارة على سيارات اسرائيلية (**الدستور**، ٢٨/٣/١٩٩٠).

• وجهت م.ت.ف. مذكرة الى الادارة الاميركية رفضت فيها قرار مجلس الشيوخ الأميركي الأخير الذي اعتبر القدس «عاصمة اسرائيل، وستبقى». ووصفت المنظمة القرار هذا بأنه «يتناقض مع الشرعية الدولية» وموقف ادارة الرئيس بوش، ويدعم «السياسة الاسرائيلية التوسعية». وقام السفير الفلسطيني لدى تونس، حكم بلعاوي، بتسليم مذكرة المنظمة الى السفير الاميركي في تونس، روبرت بيلّترو، خلال لقائهما، امس (**الحياة**، ٢٨/٣/١٩٩٠).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، ان الليكود يفضل تشكيل حكومة برئاسته على خوض انتخابات جديدة. وعبّر عن اعتقاده بوجود فرص لدى الليكود لتشكيل حكومة جديدة افضل ممّا لدى المعراخ (**عل همشمار**، ٢٨/٣/١٩٩٠).

• أيّد رئيس كتلة المعراخ في الكنيست الاسرائيلي، حاييم رامون، اجراء انتخابات مبكرة، في حال استمرار حالة التعادل البرلماني؛ بينما توقع الوزير روني ميلو (**الليكود**) نجاح شامير في تشكيل حكومة جديدة (**هآرتس**، ٢٨/٣/١٩٩٠).

• قال رئيس الاركان الاسرائيلية، الجنرال دان شومرون، في حديث مع تلاميذ الصف الثاني عشر في القدس: «ان الجيش الاسرائيلي مستعد للحرب المقبلة، ولاستخدام اسلحة كيميائية فيها». واضاف، ان سوريا، أيضاً، تدرك التفوق التكنولوجي للجيش الاسرائيلي، الذي يتطور خلال الانتفاضة، ويحافظ على تفوقه التكنولوجي (**معاريف**، ٢٨/٣/١٩٩٠).

١٩٩٠/٣/٢٨

• شهد قصر المؤتمرات في العاصمة الهندية نيودلهي احتفالاً كبيراً، تسلم رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، خلاله، جائزة جواهر لال نهرو للتفاهم الدولي. وقام بتسليم الجائزة الى الرئيس عرفات رئيس جمهورية الهند، فانكاتا رامان، في حضور رئيس وزراء الهند وكبار المسؤولين في الحكومة والبرلمان الهنديين، من بينهم رئيس الوزراء السابق رئيس حزب المؤتمر زعيم المعارضة البرلمانية، راجيف غاندي (**وفا**، ٢٨/٣/١٩٩٠). من جهة اخرى، اجتمع الرئيس عرفات مع الام تيريزا، خلال زيارة قام بها الى مدينة كلكتا. وخاطب عرفات تيريزا، الحائزة على جائزة نوبل، بقوله: «يمكن التغلب على الخلافات التي تقوم بين بعض الامم المتحاربة على هذا الكوكب برسالة الحب التي تقومين بنشرها طوال حياتك» (**القدس العربي**، ٢٩/٣/١٩٩٠).

• تواصلت الاشتباكات بين المواطنين في المناطق المحتلة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فاسفرت عن اصابة حوالى ستين مواطناً بجروح، واعتقال ثلاثين آخرين. وقتل فلسطينيون ملثمون مدير مكتب «اونروا» في مخيم نور شمس، لتعاونه مع سلطات الاحتلال،

بعد ان وجهت اليه انذاراً بمغادرة المخيم. من جهة اخرى، قررت سلطات الاحتلال فرض حظر تجول على قطاع غزة، تحسباً من قيام تظاهرات في «يوم الارض» غداً. وقال متحدث عسكري اسرائيلي، ان القطاع سيعتبر منطقة عسكرية مغلقة، فيما اعلنت مصادر فلسطينية عن اصابة ثمانية مواطنين بجروح خطرة خلال اشتباكات مع قوات الاحتلال في مخيمي الشاطىء وجباليا. امّا في الضفة، فعثر على جندي اسرائيلي مقتولاً في سيارته، في العيزرية، على طريق مستوطنة معاليه ادوميم (**الدستور**، ٢٩/٣/١٩٩٠).

• قرر الكنيست الاسرائيلي، مجدداً، «ان القدس الموحدة والكاملة وذات السيادة هي عاصمة دولة اسرائيل، وان ممثليه لن يشتركوا في اية مفاوضات حول سلامتها وسيادة اسرائيل عليها». وعارضت القرار كلّ من كتلة حداش والحزب الديمقراطي العربي (**هآرتس**، ٢٩/٣/١٩٩٠).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في حضور وفد من زعماء الجباية اليهودية الموحدة من الولايات المتحدة الاميركية، ان اسرائيل سوف تبذل قصارى جهدها لمنع «الارهاب» العربي من الحاق الضرر بالهجرة اليهودية الى اسرائيل. وقال ان اجهزة الامن الاسرائيلية سوف تفعل كل ما هو مطلوب من أجل تأمين سلامة المهاجرين (**معاريف**، ٢٩/٣/١٩٩٠).

٢٩/٣/١٩٩٠

• اقامت اللجنة الوطنية العراقية لمساندة الانتفاضة الفلسطينية مهرجاناً خطابياً كبيراً على مدرّج جامعة المستنصرية بمناسبة «يوم الارض»، حضره الرئيسان، الفلسطيني ياسر عرفات والعراقي صدام حسين، وعدد من اعضاء مجلس قيادة الثورة العراقية والوزراء واعضاء في اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. والسفراء العرب المعتمدون في بغداد (**وفا**، ٢٩/٣/١٩٩٠).

• اعلنت سلطات الاحتلال الاسرائيلية الضفة الفلسطينية وقطاع غزة منطقتين عسكريتين مغلقتين، وفرضت حظر التجول على القطاع، واقامت الحواجز على الطريق بين المدن والقرى الفلسطينية، وعززت تواجدها العسكري، تحسباً لاندلاع تظاهرات في ذكرى «يوم الارض». واعلن، اليوم، عن استشهاد احمد رمضان العمريتي (تسعة اعوام)، متأثراً بجروح اصيب بها في الحادي عشر من آذار (مارس). وذكرت تقارير ان مصادمات واشتباكات واسعة وقعت، اليوم، في معظم المناطق المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، اصيب، خلالها، عدد من المواطنين الفلسطينيين بجروح، واعتقل عدد آخر (**الدستور**، ٣٠/٣/١٩٩٠).

• قال رئيس شعبة القوى البشرية في هيئة الاركان الاسرائيلية، دان غورن، في مقابلة مع مجلة «بمحانيه»: «ان خدمة الاحتياط تشكل العبء الأكبر للمجتمع الاسرائيلي؛ وهو عبء يستمر منذ سنوات طويلة، ويؤدي الى نزوح من اسرائيل». وتحدث عن وجود متاعب في صفوف قوات الاحتياط، جراء الخدمة في المناطق المحتلة. واعتبر غورن تقليص الخدمة الاحتياطية في مقدّم الاهداف التي ينبغي السعي اليها (**معاريف**، ٣٠/٣/١٩٩٠).

• صادق الكنيست الاسرائيلي على ميزانية الدولة للعام ١٩٩٠/١٩٩١، بمبلغ ٦٧ مليار شيكل جديد، وكذلك على تحويل ٢٢٢ مليون شيكل جديد للمؤسسات التابعة للاحزاب الدينية المتشددة، وعلى زيادة ميزانية الاسكان بمقدار ٢٠٠ مليون شيكل جديد، وزيادة ميزانية تمويل الاحزاب بمقدار خمسة ملايين شيكل، وزيادة ميزانية وزارة الرفاه الاجتماعي بمقدار ٣٥ مليون شيكل (**دافار**، ٣٠/٣/١٩٩٠).

٣٠/٣/١٩٩٠

• دعا رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في مهرجان اقيم في العاصمة التونسية، الى عقد مؤتمر قمة عربي طارىء للبحث «في التحديات التي تواجه العراق وليبيا والامة العربية جمعاء» (**الحياة**، ٣١/٣/١٩٩٠ ـ ١/٤/١٩٩٠).

• استشهد فلسطيني خلال عمليات تمشيط قامت بها القوات الاسرائيلية عشية ذكرى «يوم الارض». واسفرت صدامات وقعت بين متظاهرين فلسطينيين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، في المناطق المحتلة العام ١٩٤٨، عن طعن شرطي اسرائيلي بسكين وجرح ستة آخرين، اثر رشقهم بالحجارة. فقد اطلق الجيش الاسرائيلي النار على محمد عبدالرحمن سلامة (١٧ عاماً)، في كفر مالك، خلال اشتباكات وقعت في القرية، بعد اقتحام الجيش الاسرائيلي لها، ومحاولته ازالة حواجز حجرية اقيمت عند مداخلها عشية ذكرى «يوم الارض». وقد فارق سلامة الحياة خلال نقله

الى المستشفى، فيما بدت الضفة الفلسطينية معزولة تماماً، واعلنت مدنها الرئيسة مناطق مغلقة، ونصبت حواجز عسكرية عند مداخلها وسيّرت دوريات عسكرية راجلة ومحمولة في شوارعها، في الوقت الذي نفّذ المواطنون اضراباً شاملاً دعت اليه القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة. وكانت سلطات الاحتلال اغلقت الكليات والمدارس ورياض الاطفال لمدة ثلاثة أيام، وحشدت الفين من رجال الشرطة في القدس والمنطقة المحيطة بالمسجد الاقصى، وتمكّن بضعة آلاف من المصلين من الوصول الى المسجد الاقصى واداء صلاة الجمعة فيه، والتي صادفت أول جمعة من شهر رمضان المبارك (**الحياة**، ٣١/٣/١٩٩٠ - ١/٤/١٩٩٠).

• خاطب عضو الكنيست ابراهام بورغ (معراخ)، المستشار القانوني للحكومة الاسرائيلية، يوسف حاريش، ومراقب الدولة، مريم بن - بوارت، قائلاً: «ان رئيس الحكومة، اسحق شامير، يعتزم نسف مسيرة السلام من طريق تكثيف الاستيطان في المناطق [المحتلة]»؛ وطالبهما بالتدقيق في معلومات وصلته تفيد بأن شامير يعتزم استغلال الوضع الحالي للسيطرة على اكبر مساحة من الاراضي لصالح الاستيطان في المناطق المحتلة (**هآرتس**، ١/٤/١٩٩٠).

٣١/٣/١٩٩٠

• واصلت سلطات الاحتلال الاسرائيلية فرض حظر التجول على قطاع غزة، لليوم الثالث على التوالي. وذكرت وكالة الصحافة الفرنسية ان اكثر من الف شاب فلسطيني انطلقوا في مسيرة في بيت ساحور مردّدين شعارات وطنية، وخاضوا مواجهات عنيفة مع جنود الاحتلال، واغلق مواطنون، في الضفة الفلسطينية، غالبية الطرق بالحواجز والاطارات المشتعلة، وأجريت عروض عسكرية في مناطق مختلفة. واقدمت سيارة جيب عسكرية على دهس طفل عمره عامان في بيت ساحور؛ كما اقتحمت مجموعة من المستوطنين المسجد الابراهيمي في الخليل (**الدستور**، ١/٤/١٩٩٠).

١/٤/١٩٩٠

• اكد رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في حديث أدلى به لصحيفة «اسبرسو» الاسبوعية الايطالية، «ان الحرب المقبلة في الشرق الاوسط لن تكون نزهة، أو حرباً خاطفة». واكد عرفات ان م. ت.ف. «تحتاج الى السلام بقدر ما تحتاج اسرائيل اليه. فهناك حرب جديدة وشيكة الوقوع في الشرق الاوسط». واضاف، ان «اسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر انتهت مع حصار بيروت الذي استمر ٨٨ يوماً». ورداً على سؤال حول ما اذا كان الحديث صراحة عن الحرب ينطوي على المخاطرة، قال الرئيس عرفات ان هذا الافتراض «لا يدعو الى الدهشة؛ ففي العالم أجمع هناك سباق الى نزع السلاح، في حين ان هناك العكس في الشرق الاوسط، حيث نرى تجميعاً هائلاً للاسلحة التقليدية والكيميائية، بل والنووية» (**الحياة**، ٢/٤/١٩٩٠).

• أُصيب حوالى ٨٥ فلسطينياً في مصادمات وقعت بين المواطنين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة وقوات الاحتلال الاسرائيلية. وتمكّنت القوات الضاربة الفلسطينية من اصابة جندي بحجر كبير في رأسه، في اثناء اشتباكات وقعت في بيت امّر؛ كما أُلقيت زجاجة حارقة على دورية عسكرية؛ فيما فرضت سلطات الاحتلال حظر التجول الليلي، لليوم الثالث على التوالي، على قرى بديا ومسحة والزاوية، في منطقة نابلس، واغلقت شارع نابلس في مدينة القدس، ومنطقة المنارة والسوق التجاري ودوار الساعة في رام الله والبيرة، واقتحم الجنود الاسرائيليون مناطق عدة، منها حوسان التي ظلت مغلقة بأمر عسكري (**الدستور**، ٢/٤/١٩٩٠).

• ذكرت مجلة «الايكونوميست» البريطانية ان مصر سلّمت اسرائيل، خلال هذا الشهر، عشرة فلسطينيين هربوا من الاراضي الفلسطينية المحتلة الى مصر بعد ان قتلوا عدداً من الفلسطينيين العملاء لسلطات الاحتلال الاسرائيلية. ونسبت المجلة معلوماتها هذه الى خبير استخباراتي غربي قال ان الرئيس المصري، حسني مبارك، قرّر، شخصياً، تسليم الفلسطينيين الى اسرائيل، في اعقاب الهجوم الذي تعرّضت له حافلة اسرائيلية قرب الاسماعيلية مؤخراً. ولم تصدر الحكومة المصرية ما يؤكد، او ينفي، هذه الاخبار (**القدس العربي**، ٢/٤/١٩٩٠).

• قال عضو الكنيست سكرتير عام حزب العمل الاسرائيلي، ميخا حاريش، ان احتمالات تشكيل حكومة جديدة برئاسة المعراخ تزايدت في الاونة الاخيرة؛ وتكمن المشكلة، حالياً، في تجاوز صيغة التعادل القائمة، من طريق دفع احد اعضاء الكنيست

المؤيدين لليكود الى تأييد حكومة برئاسة المعراخ. وقال حاريش ان مثل هذا الاحتمال لا يزال قائماً (هآرتس، ٢/٤/١٩٩٠).

• استأنفت شركة الطيران الهنغارية (ماليف) رحلاتها الجوية من موسكو، عبر بودابست، الى اسرائيل، ووصلت مجموعة صغيرة من المهاجرين اليهود السوفيات في الساعات الاول من هذا الصباح (عل همشمار، ٢/٤/١٩٩٠).

• قال الرئيس الاميركي الاسبق، جيمس كارتر، انه على يقين تام من ان الرئيس جورج بوش، ووزير خارجيته جيمس بيكر، ملتزمان، تماماً، العمل على تحقيق السلام العادل في منطقة الشرق الاوسط، والمساعدة في ضمان أمن اسرائيل، «مهما جلب ذلك من استياء في اسرائيل وغضب الموالين لها في الولايات المتحدة الاميركية» (نيويورك تايمز، ٣/٣١ ـ ١/٤/١٩٩٠).

٢/٤/١٩٩٠

• استقبل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، المدير العام لوكالة الغوث الدولية (اونروا)، جاكو ميللي، وتداول معه في عمل «اونروا» والوضع في الاراضي المحتلة وفي المخيمات الفلسطينية في البلدان العربية، والمساعدات التي تقدم اليهم (وفا، ٢/٤/١٩٩٠).

• أُصيب خمسون فلسطينياً بجروح مختلفة في مواجهات وقعت في المناطق المحتلة بين مواطنيها وقوات الاحتلال الاسرائيلية. وتمكّن شبان الانتفاضة من تحطيم ٣٢ سيارة اسرائيلية، في الوقت الذي شنّت قوات الاحتلال حملة اعتقالات شملت قرى المغيّر وقطنة وابو فلاح وجبع ومخيم البريج، اسفرت عن اعتقال ١٤ مواطناً من المغيّر وحدها (الدستور، ٣/٤/١٩٩٠).

• كشفت اجهزة الامن الاسرائيلية، مؤخراً، عن وجود خلية سرّية تابعة لـ «فتح»، اتهم اعضاؤها بتنفيذ خمسة عشر هجوماً على اهداف اسرائيلية، منذ اواخر العام ١٩٨٨، منها وضع شحنات ناسفة، ومهاجمة متعاونين مع سلطات الاحتلال الاسرائيلية في منطقة القدس (هآرتس، ٣/٤/١٩٩٠).

• اوضحت تحقيقات أولية، اجرتها اسرائيل مع جندي اردني القت القبض عليه، بعد مطاردة قرب قرية العوجا، شمال اريحا، انه كان يعتزم القيام بمهاجمة دورية تابعة للجيش الاسرائيلي، أو مستوطنة مدنية قريبة (هآرتس، ٣/٤/١٩٩٠).

• صرّح مصدر اردني، في القاهرة، بأن «الاردن طرف اساسي في عملية التسوية السلمية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي». واوضح «ان موافقة الاردن، صراحة، على خطة وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ترتبط بمسألتين: الأولى، مدى التقدم الاسرائيلي نحو السلام، واحراز خطوات حقيقية نحو اقرار حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني؛ والثانية، وهي الاهم، اعلان الولايات المتحدة الاميركية ربط خطة بيكر بعملية السلام الشامل والنهائي في الشرق الاوسط». واوضح المصدر «ان الاردن يرى ان خطة بيكر عبارة عن خطوات اجرائية فقط؛ [فهي] لا تمثّل خطوطاً عامة للتسوية، ولا تتبنّى حتى المبادىء الاساسية الاربعة المعلنة كأساس للتسوية» (الحياة، ٣/٤/١٩٩٠).

• صرحت الناطقة باسم وزارة الخارجية الاميركية، مارغريت تتوايلر، بأن «ممّا يثير الغضب ان تبدو حكومة اسرائيلية كانت غير قادرة على التقدم نحو السلام، مستعدة للتقدم في اتجاه انشاء مستوطنات جديدة». وذكّرت بأن الولايات المتحدة الاميركية ترى ان اقامة المستوطنات تشكّل «عائقاً في وجه السلام»، وقالت: «اننا نسرّ بالعمل مع حكومة جديدة ستؤلف [في اسرائيل] تكون قادرة على تحقيق تقدّم في عملية البحث عن السلام» (نيويورك تايمز، ٣/٤/١٩٩٠).

٣/٤/١٩٩٠

• صرح الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في مقابلة مع التلفزة الايطالية بأن «الاسرائيليين يريدون حرباً جديدة؛ ولهذا جاءوا بهذه الاعداد من المهاجرين السوفيات لتحقيق حلمهم في اسرائيل كبرى». واضاف الرئيس عرفات، الذي قام بزيارة رسمية لايطاليا، بتاريخ الخامس والسادس من نيسان (ابريل): «اذا كان علينا ألّا نعتمد الّا على الاسرائيليين، فلن نحصل، ابداً، على السلام... فهم رفضوا كل مبادرات السلام، واحدة بعد الاخرى، بما فيها خطة بيكر، لأنهم، فعلاً، لا يريدون السلام» (الحياة، ٤/٤/١٩٩٠).

• شهدت المناطق الفلسطينية المحتلة اشتباكات عنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، اسفرت عن جرح خمسين مواطناً واعتقال ثلاثين آخرين. وفرضت قوات الاحتلال حظر التجول على مناطق عدة، ودهمت مناطق اخرى. وتمكّن شبان

الانتفاضة من مهاجمة عدد من السيارات العسكرية الاسرائيلية، واخرى تابعة لمستوطنين يهود، وحطمت بعضها بعد رشقها بالزجاجات الحارقة والحجارة؛ كما هاجموا مقر الحاكم العسكري الاسرائيلي في طولكرم بالزجاجات الحارقة، ممّا أدى الى اصابة عدد من الجنود الاسرائيليين بجروح، والحاق اضرار بالمقر (**الدستور**، ٤/٤/١٩٩٠).

• وقعّت اسرائيل وبلغاريا، في صوفيا، بالاحرف الاولى، على اتفاقية لاستئناف العلاقات الدبلوماسية فيما بينهما. فعن الجانب الاسرائيلي وقّع نائب وزير الخارجية الاسرائيلية، بنيامين نتنياهو، وعن الجانب البلغاري وقّع وزير الخارجية البلغارية (**هآرتس**، ٤/٤/١٩٩٠).

• قال وزير الاستيعاب الاسرائيلي، اسحق بيرتس، الذي استقال من حركة شاس، انه اذا لم يتم بناء وحدات سكنية بوتيرة سريعة، فسوف تكون هناك مخاوف من عدم توفير وحدات سكنية للمهاجرين الجدد في غضون ستة شهور. واضاف انه اتضح من البحث الذي اجرته وزارته وجود حوالى اربعة عشر الف شقة للبيع والايجار، بما في ذلك شقق عامة تملكها شركتا عميدار وعميغور (**هآرتس**، ٤/٤/١٩٩٠).

• قال الرئيس الليبي، معمر القذافي، ان بامكان اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفياتي التوجه الى الاسكا، اذا رغبوا في ذلك، ولكن ليس الى اسرائيل. واضاف، في رسالة وجهها الى الاتحاد البرلماني الدولي، الذي عقد مؤتمراً في قبرص: «لقد قلنا ان حل مشكلة اليهود يكون ببقائهم في بلدانهم. ولا يمكن ان تقوم دول على اساس ديني، والاّ فاننا نقترح لهم وطناً بديلاً في جمهوريات البلطيق، او الاسكا، او الالزاس، او على نهر الفولغا» (**القدس العربي**، ٤/٤/١٩٩٠).

٤/٤/١٩٩٠

• بدأت، في باريس، محادثات بين الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، والرئيس الاميركي الاسبق، جيمي كارتر، بلقاء ثلاثي رعاه الرئيس الفرنسي، فرانسوا ميتران، في قصر الاليزيه. وافادت مصادر سياسية بأن الادارة الاميركية طلبت من كارتر ان يبعث اليها بتقرير سريع عن نتائج محادثاته مع الرئيس الفلسطيني، واوضحت ان كارتر طرح على عرفات موضوع الميثاق الوطني الفلسطيني، مشيراً الى «ان الميثاق يتعهد بتدمير اسرائيل»؛ فذكّر عرفات كارتر بما سبق واعلنه في باريس، عندما زارها العام الماضي، من ان الميثاق «تقادم عليه الزمن» (**الحياة**، ٥/٤/١٩٩٠). وصرح كارتر، في اعقاب اللقاء، قائلاً: «اعتقد بأن السلام ضروري وحتمي، ويجب تحريك عملية السلام لدى المجموعة الاقتصادية الاوروبية والولايات المتحدة الاميركية وبين جميع الاطراف المعنيين». واوضح ان اللقاء تناول الطريقة التي «يمكن بها دفع عملية السلام، واعادة بعثها» (**القدس العربي**، ٥/٤/١٩٩٠).

• شهدت مختلف مدن وقرى ومخيمات الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، خلال الليلة الماضية ونهار اليوم، صدامات عنيفة، رشق خلالها متظاهرون السيارات الاسرائيلية بالحجارة والزجاجات الحارقة، واقاموا الحواجز والمتاريس على الشوارع. واستخدم جنود الاحتلال، في مواجهتهم للمواطنين، الاعيرة النارية الحيّة والمطاطية وقنابل الغاز، ممّا اسفر عن اصابة عدد من المواطنين بجروح. من جهة اخرى، تمكّن شبان الانتفاضة من اشعال النار بسبع سيارات اسرائيلية في القدس، والحقوا اضراراً بسيارات اخرى، والقت القوات الضاربة الفلسطينية زجاجتين حارقتين على دورية اسرائيلية في منطقة رام الله، واخرى على ضابط التنظيم الاسرائيلي في بني نعيم، فيما اقتحم جنود اسرائيليون مدرسة عمرو بن العاص الاعدادية، في نابلس (**الدستور**، ٥/٤/١٩٩٠).

• قصفت طائرات سلاح الجو الاسرائيلي مواقع فلسطينية في مخيم الرشيدية، قرب صور، في جنوب لبنان. واعلنت مصادر فلسطينية عن اصابة خمسة أطفال (**هآرتس**، ٥/٤/١٩٩٠).

• اغلق الجيش الاسرائيلي كل الممرات المؤدية من قطاع غزة الى مصر، في اعقاب هرب سجين فلسطيني من المحكمة العسكرية في غزة. وقد عيّن قائد قوات الجيش الاسرائيلي في القطاع ضابطاً برتبة عقيد للبحث في ظروف الهرب؛ كما عنّف قائد السجن في غزة، وهو برتبة مقدم، ونائبه، اللذين لم يتخذا التدابير اللازمة للحؤول دون هرب السجين (**هآرتس**، ٥/٤/١٩٩٠).

• ابلغ زعيم حزب العمل شمعون بيرس، الى الرئيس الاسرائيلي، حاييم هرتسوغ، هاتفياً، انه نجح في تشكيل حكومة؛ وذلك طبقاً للمادة السادسة من القانون الاساسي للحكومة. كذلك اخبر بيرس الرئيس بأنه طلب من رئيس الكنيست، دوف شيلا نسكي،

عقد جلسة للكنيست للحصول على ثقة اعضائه (**دافار**، ٥/٤/١٩٩٠).

• قال وزير الاستيعاب الاسرائيلي، اسحق بيرتس، ان آلاف المهاجرين اليهود وصلوا اسرائيل خلال الشهور الثلاثة الاولى من هذا العام، غالبيتهم من الاتحاد السوفياتي، وان المئات منهم وصلوا امس، وامس الاول، فقط (**هآرتس**، ٥/٤/١٩٩٠).

١٩٩٠/٤/٥

• استشهد المواطن مصطفى علي الجرو (١٦ عاماً)، من مخيم الجلزون، متأثراً بجروح أصيب بها في اشتباكات مع قوات الاحتلال الاسرائيلية وقعت في رام الله؛ كما استشهد نواف صالح الاعرج (٢٠ عاماً)، اثر اصابته برصاصة في قلبه، في مواجهات وقعت في رفح؛ كذلك اصيب حوالى ستين فلسطينياً، واعتقل خمسون آخرون، خلال اشتباكات متفرقة مع قوات الاحتلال، وقعت في مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة (**الدستور**، ٦/٤/١٩٩٠).

• اكد مصدر فلسطيني في القاهرة ان م.ت.ف. تلقّت موافقة عدد من الدول العربية على اجراء انتخابات بين الجاليات الفلسطينية المقيمة فيها، لاختيار ممثلين عنهم في المجلس الوطني. جاء ذلك بناء على اتصالات اجرتها قيادة المنظمة مع مختلف الدول العربية، لاستطلاع آرائها في امكان الموافقة على ان يتم اختيار اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني في دورته المقبلة بالانتخاب، وذلك من خلال انتخابات تجرى في مكاتب المنظمة وسفاراتها في الدول العربية ودول العالم، تختار فيها الجاليات الفلسطينية ممثليها الى المجلس الوطني الفلسطيني من بين المرشحين (**الحياة**، ٦/٤/١٩٩٠).

• قال رئيس شعبة القوى البشرية في هيئة الاركان الاسرائيلية، اللواء ران غورين، ان الهوّة بين الجيش الاسرائيلي والجيوش العربية آخذة في التقلص من الناحية النوعية والمعدات. واضاف انه توجد لدى الجيوش العربية، الآن، صواريخ ارض ـ ارض بعيدة المدى. ويمتلك بعضها طائرات ميغ ـ ٢٧، التي توازي، من حيث الجودة، طائرات اف ـ ١٦ الموجودة في حوزة الجيش الاسرائيلي. ومع هذا، فان باستطاعة الجيش الاسرائيلي تحقيق مفاجآت على ساحة القتال، استناداً الى التقدم الكبير في المعدات والتكنولوجيا، وبفضل تطوير وسائل قتال جديدة ومتطورة جداً (**هآرتس**، ٦/٤/١٩٩٠).

• دعا وزير الخارجية الاسرائيلية، موشي ارنس، الى تعديل نظام الانتخابات بحيث يتم انتخاب رئيس الحكومة مباشرة. وقال ارنس، في مؤتمر المنظمة العالمية لليهود المهاجرين من الدول العربية، عقد في هرتسليا، ان تحسين الوضع السياسي غير ممكن، ما لم يتمّ تغيير نظام الانتخاب الحالي (**هآرتس**، ٦/٤/١٩٩٠).

• اعلن الناطق باسم البيت الابيض الاميركي، مارلن فيتزووتر، ان الرئيس الاميركي، جورج بوش، لم يبعث برسائل خاصة الى زعماء المنطقة التي زارها وفد مجلس الشيوخ الاميركي، خصوصاً ان «هناك امكاناً لقيام حكومة اسرائيلية جديدة». واوضح ان الرسالة الهامة التي حملها الشيوخ هي «ان الولايات المتحدة الاميركية راغبة في متابعة عملية السلام، واننا نأمل في ان تتمكن اي حكومة [اسرائيلية] جديدة من التحرك معنا» في هذه العملية (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٦/٤/١٩٩٠).

١٩٩٠/٤/٦

• صرح رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، بأنه طلب من النوّاب العرب الاعضاء في الكنيست الاسرائيلي مساندة زعيم حزب العمل، شمعون بيرس، في تشكيل حكومة جديدة. وقال عرفات انها المرة الاولى التي يوجّه فيها نداء من هذا القبيل، وحذّر من ان حكومة بيرس المقبلة لن تكون قوية بدرجة تجعلها قادرة على بدء حوار مع م.ت.ف. (**الاهرام**، ٧/٤/١٩٩٠).

• انضم الى قافلة شهداء الانتفاضة المواطن علي سليمان ربيع (١٧ عاماً)، الذي اصيب برصاصة عندما اطلق جنود اسرائيليون النار على مجموعة من الشبان كانت تحاول فتح مسجد اغلقته قوات الاحتلال الاسرائيلية قبل ثلاثة أيام في خان يونس؛ كذلك، أُصيب في الحادث ذاته، عشرة آخرون بعيارات بلاستيكية، واصيب ثلاثة آخرون في اشتباكات وقعت في مخيم جباليا، وقرى مجاورة في قطاع غزة (**الدستور**، ٧/٤/١٩٩٠).

• كشف مسؤولون اميركيون عن ان وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، طرح، بناء على طلب اسرائيل، على نظيره السوفياتي، ادوارد شيفاردنادزه، فكرة فتح اتصال مباشر بين موسكو وتل ـ ابيب، بهدف الحصول على ضمانات اسرائيلية تتعلق بعدم

توطين اليهود السوفيات في الارض المحتلة، وذلك من اجل تأمين فتح خط طيران مباشر لتأمين انتقال اليهود السوفيات الى اسرائيل (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٧ ـ ٨/٤/١٩٩٠).

١٩٩٠/٤/٧

• قال الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، ان اسرائيل تمتلك ما يتراوح بين مئتين ومئتين وخمسين رأساً نووياً، وانها تغتصب مزيداً من الاراضي من أجل المهاجرين اليهود الجدد. واضاف الرئيس عرفات، في الجلسة الافتتاحية للجنة القدس التابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامي، ان الموقف يزداد خطورة، وانه يمكن ضرب كل عاصمة عربية بعشرة رؤوس نووية اسرائيلية (**الدستور**، ٨/٤/١٩٩٠). من جهة اخرى، كشف عرفات عن اتصالات سرية أجريت بينه وبين قادة اسرائيليين، بينهم رئيس الحكومة، اسحق شامير، وقال، في تصريح للتلفزة الايطالية، ان الاتصالات تناولت الانتفاضة الفلسطينية، وجوانب من عملية السلام (**الاهرام**، ٨/٤/١٩٩٠).

• أُصيب اكثر من مئة فلسطيني بجروح مختلفة، واعتقل اكثر من اربعين آخرين، في اشتباكات متفرقة وقعت في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، واستطاع شبان الانتفاضة تحطيم عدد من السيارات العسكرية الاسرائيلية، واصابة ثلاثة جنود اسرائيليين بجروح (**الدستور**، ٨/٤/١٩٩٠).

• عقب نائب رئيس اركان الجيش الاسرائيلي، اللواء ايهود باراك، على احتمال قيام ائتلاف عربي على الجبهة الشرقية لاسرائيل، بأن مثل هذا الائتلاف يمكن ان يتكون خلال بضع سنوات. وقال باراك، في مؤتمر صحافي عقده بمناسبة تقديم خطة الجيش الاسرائيلي طويلة الامد، ان الائتلاف هذا يعتمد، اساساً على كل من سوريا والاردن، مع احتمال مشاركة قوات عراقية ضخمة فيه. واضاف، ان الدول العربية سوف تواصل تنمية قدراتها الاستراتيجية على صعيد سلاح الجو وصواريخ ارض ـ ارض والحرب الكيميائية. وأكد ان الجيش الاسرائيلي يتعامل بجدية مع هذه التقديرات (**هآرتس**، ٨/٤/١٩٩٠).

١٩٩٠/٤/٨

• أُصيب حوالى ثمانين مواطناً بجروح خلال اشتباكات وقعت في المناطق المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية؛ كما اعتقل اكثر من اربعين آخرين. وهدم الجنود الاسرائيليون عدداً من المدارس، واعتدوا على طلابها، بحجة قيام الطلاب برشق الجنود الاسرائيليين بالحجارة والزجاجات الفارغة. من جهة اخرى، أُضرمت النار بسيارة اسرائيلية في شعفاط، فيما واصلت قوات الاحتلال فرض حظر التجول على عين يبرود، ومنعت المواطنين من الدخول الى مخيم الجلزون، واستمرت في غلق ٣٣ محلاً تجارياً في البيرة (**الدستور**، ٩/٤/١٩٩٠).

• وصل حوالى ألف مهاجر يهودي من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل قادمين من اوروبا الشرقية على متن طائرات اسرائيلية، واخرى رومانية وهنغارية. واعلنت الرقابة العسكرية الاسرائيلية انها رفعت، مؤقتاً، الرقابة عن تغطية اخبار هجرة اليهود، وتوقع مسؤولون في مطار بن ـ غوريون، في اللد، وصول خمسمئة يهودي آخرين، قبل بدء اعياد الفصح (**القدس العربي**، ٩/٤/١٩٩٠).

• بيّن استطلاع للرأي، اجراه معهد «داحف»، ان غالبية كبيرة من الاسرائيليين تؤيّد تغيير نظام الانتخابات المعمول به حالياً في اسرائيل. واعلن ثمانون بالمئة، ممن شملهم الاستطلاع، انهم يؤيدون هذا الاجراء في حين رفضه تسعة بالمئة، وامتنع ١١ بالمئة عن الادلاء برأيهم في الموضوع (**يديعوت احرونوت**، ٩/٤/١٩٩٠).

• تمّ التوصل، خلال اجتماع عقد بين عضو الكنيست الاسرائيلي، يوسي ساريد، ووزير الدفاع الاسرائيلي السابق، اسحق رابين، الى صياغة نهائية لاتفاق ائتلافي بين حزب العمل وكتل اليسار (**هآرتس**، ٩/٤/١٩٩٠).

• اعلن وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ان حكومته لم تطلب من اسرائيل تقديم اي ضمانات تتعلق بهجرة اليهود السوفيات اليها، «لأننا نؤيد الهجرة اليهودية السوفياتية من دون اي تحفظات، او شروط؛ وبالتالي، فنحن لم نطلب اي ضمانات» تتعلق باستيطان اليهود السوفيات في الارض المحتلة (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٩/٤/١٩٩٠).

١٩٩٠/٤/٩

• شهدت مدن وقرى ومخيمات الضفة

الفلسطينية وقطاع غزة مصادمات واشتباكات عنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وعمّ الاضراب الشامل جميع المناطق المحتلة، استجابة لنداء للقيادة الموحدة، بمناسبة دخول الانتفاضة شهرها التاسع والعشرين. والقت القوات الضاربة الفلسطينية زجاجة حارقة على دورية عسكرية اسرائيلية في الخليل، فاشعلت بها النيران؛ كما اضرمت النيران بثلاث سيارات اسرائيلية اخرى في القدس، وتدهورت سيارة رابعة تابعة لمستوطن، فاصيب سائقها بجروح، فيما بلغت حصيلة اشتباكات اليوم مع قوات الاحتلال الاسرائيلية سبعين جريحاً (**الدستور**، ١٠/٤/١٩٩٠).

• بدأت، اليوم، مباحثات بين مصر وفلسطين حول آخر تطورات الموقف والجهود التي تبذل لاقرار السلام في الشرق الاوسط، وهجرة اليهود السوفيات الى الاراضي العربية المحتلة، والتطورات الحالية في أوروبا الشرقية. وصرح مدير مكتب الرئيس المصري للشؤون السياسية، د. اسامة الباز، عقب الاجتماع، بأن على جميع الاطراف، على المستوى الدولي، والعربي، وكذلك اسرائيل، الالتزام بأن يتمّ في الشرق الاوسط ما تمّ في المناطق الاخرى من تخفيف حدة التوتر، والاقلال من سباق التسلّح، وتوجيه الموارد الى البناء السلمي، وليس الى العنف والتطرف. وقال، ان مصر تسعى الى بلورة موقف عربي موحّد لمواجهة الاطراف الاخرى. وأكد ان الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي سيكون بداية لعملية شاملة. وصرح عضو اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. محمود عباس (ابو مازن) بأن المباحثات تناولت مسيرة السلام، وتوقعات المستقبل بعد تشكيل الحكومة الاسرائيلية، وقال انه يفترض ان يعقب الاجتماع الثلاثي المقترح حوار فلسطيني ـ اسرائيلي، يتمّ فيه الاتفاق على التفاصيل (**الاهرام**، ١٠/٤/١٩٩٠).

١٠/٤/١٩٩٠

• اصيب اكثر من ستين مواطناً بجروح مختلفة، واعتقل ثلاثون آخرون، في اثناء مواجهات واشتباكات عنيفة وقعت، اليوم، بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية. وذكرت التقارير، بهذا الصدد، ان النيران أُضرمت بثلاث سيارات اسرائيلية في مستوطنة بسغات زئيف، غرب قرية حزما، واشعلت النار بشاحنة اسرائيلية في اثناء توقفها في شعفاط؛ كما تمّ تحطيم ثلاث سيارات اسرائيلية أخرى في القدس. واوضحت التقارير اياها ان مجموع ما تحطم، وأحرق، ودمّر، من السيارات الاسرائيلية، خلال الاربع والعشرين ساعة الماضية، بلغ ٣٦ سيارة، منها ١٧ سيارة للجيش الاسرائيلي والمخابرات (**الدستور**، ١١/٤/١٩٩٠).

• اعرب رئيس بلدية بيت لحم، الياس فريج، عن ارتياحه للاجتماع الذي عقده بتاريخ التاسع من نيسان (ابريل) مع وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ومساعده لشؤون الشرق الاوسط، جون كيلي. وتوقع فريج، الذي يقوم بزيارة خاصة للولايات المتحدة الاميركية، أن يبدأ الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي في القاهرة قريباً، وبعد تشكيل الحكومة الاسرائيلية الجديدة. واضاف، انه بحث مع بيكر في الاوضاع في الاراضي المحتلة، وفي هجرة اليهود السوفيات. وقال انه ابلغ الى بيكر انه اذا رغب اليهود السوفيات في الهجرة الى اسرائيل، فهذا شأن اسرائيل، «لكن لا يجب ان يستوطن المهاجرون السوفيات في المستوطنات اليهودية في الاراضي المحتلة» (**الحياة**، ١١/٤/١٩٩٠).

• قرر مركز حزب مبام بأغلبية الاصوات، منح الثقة لحكومة اسرائيلية يرأسها زعيم حزب العمل، شمعون بيرس. وقد وافق المركز على اقتراح ادارة الحزب بتأييد الحكومة، مع عدم الانضمام اليها حالياً. وسوف تستمر المفاوضات بين الحزب والمعراخ (**يديعوت احرونوت**، ١١/٤/١٩٩٠).

١١/٤/١٩٩٠

• التقى رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في طرابلس الغرب، الرئيس الليبي، معمر القذافي، وأُجريت محادثات بين الطرفين لم يكشف عن مضمونها. وكان الرئيس عرفات اعرب، في تونس، عن امله في عقد قمة عربية طارئة قبل لقاء القمة بين الرئيسين، الاميركي والسوفياتي، المتوقع عقده في الولايات المتحدة الاميركية، في نهاية ايار (مايو) المقبل (**الحياة**، ١٢/٤/١٩٩٠). من جهة اخرى، بعث عرفات برسالة الى رئيس الكنيسة الارثوذكسية في اليونان، البطريرك سيرافيم، حملها اليه عضو اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. محمد ملحم، الذي وصل اثينا، امس، في زيارة رسمية لليونان (**المصدر نفسه**).

• استشهد المواطن عامر عبدالنبي عمرو (١٦ عاماً) برصاص اطلقه احد عملاء الاحتلال الاسرائيلي في بلدة دورا، واصيب ثمانون مواطناً بجروح

مختلفة في اشتباكات مع قوات الاحتلال الاسرائيلية، وقعت في مناطق متفرقة من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. وتمكّن شبان الانتفاضة من مهاجمة عدد من السيارات الاسرائيلية، واصابوا جنديين اسرائيليين بجروح، احدهما في الخضر والآخر في نابلس. من جهة اخرى، اقدم مستوطنون على اشعال النار بخربة سكة، قرب دورا، فأصابوا خمسة عشر منزلاً باضرار (**الدستور**، ١٢/٤/١٩٩٠).

• ادّت استقالة عضويين في الكنيست، استقال احدهما من الكنيست والآخر من كتلة اغودات يسرائيل، الى خلط الاوراق السياسية وافتقاد زعيم حزب العمل، شمعون بيرس، الفرصة في الحصول على أغلبية لحكومته. فقد اعلن عضو الكنيست ابراهام فيرديغر، من اغودات يسرائيل، عن استقالته من الكنيست؛ كما اعلن عضو الكنيست، اليعازر مزراحي، من الكتلة ذاتها، عن استقالته من اغودات يسرائيل، وقال انه يعتزم التصويت ضد حكومة بيرس اذا شكّلت (**هآرتس**، ١٢/٤/١٩٩٠).

• حذّر وزير الداخلية الاسرائيلية، ارييه درعي، الحاخام عوفاديا يوسف من ان ناخبي حركة شاس قد يتخلون عنها، اذا لم يقرر مجلس حاخامات التوراة مواصلة تأييده لليكود. وقال درعي: «اذا لم نقرر لصالح الليكود، فسوف نبقى بلا جنود» (**معاريف**، ١٢/٤/١٩٩٠).

• شهد الكنيست الاسرائيلي ضجة صاخبة بين أعضائه العرب واعضائه من اليمين الاسرائيلي، في اعقاب الكلمة التي القاها في الكنيست عوفاديا علي (ليكود)، والتي اشار فيها الى ان تراجع عضوي الكنيست من حركة اغودات يسرائيل عن الدخول في حكومة مع بيرس ينبع من اعتبارات عقائدية، لانهما يرفضان مثل هذه الحكومة، التي تعتمد على مؤيدين لـ م.ت.ف. وقد اعتبر كل من محمد ميعاري وحسين فارس كلام عوفاديا «وقاحة وافتراء». وقال عضو الكنيست توفيق طوبي (حداش): «هذا تصريح عنصري، وخزي وعار للكنيست». واعلن عضو الكنيست عبدالوهاب درواشة: «اننا نمثل الجمهور العربي؛ وقد انتخبنا بأصوات يهودية أيضاً، ونؤيد المفاوضات مع م.ت.ف. من اجل التوصل الى حل عادل. واليهود أيضاً يفعلون ذلك» (**هآرتس**، ١٢/٤/١٩٩٠).

١٢/٣/١٩٩٠

• وصل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، الى براغ، قادماً من بغداد، في زيارة رسمية لتشيكوسلوفاكيا، يلتقي، خلالها، رئيسها فاسلاف هافل، الذي استقبل الرئيس عرفات لدى وصوله الى المطار. وزيارة عرفات هذه هي التاسعة التي يقوم بها لتشيكوسلوفاكيا منذ العام ١٩٧٥، غير ان الرئيس عرفات هو أول زعيم عربي يزور دولة اوروبية شرقية بعد التغيرات السياسية التي شهدتها. من جانبها، تأمل تشيكوسلوفاكيا في الابقاء على «علاقات ودية» مع الشعب الفلسطيني. وذكر الرئيس هافل ان بلاده مستعدة للعب «دور وساطة» في مفاوضات السلام في الشرق الاوسط؛ ورحّب الزعيم الفلسطيني بالاقتراح (**القدس العربي**، ١٣/٤/١٩٩٠).

• استخدمت قوات الاحتلال الاسرائيلية قنابل الغاز المسيل للدموع في تفريق تظاهرة فلسطينية في القدس القديمة، كان في مقدمها بطريرك الروم الارثوذوكس، ذيوذوروس الاول، الذي طرحه رجال الشرطة أرضاً عشية الاحتفال بالجمعة العظيمة. وكان مئات المواطنين تظاهروا احتجاجاً على اسكان عائلات يهودية في بناية بالقرب من كنيسة القيامة تعود ملكيتها الى الكنيسة الارثوذكسية. وشهد قطاع غزة مواجهات عنيفة اسفرت عن اصابة عشرة مواطنين. ودعت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة الى اضراب شامل في بيت لحم غداً. من جهة أخرى، ذكرت الاذاعة الاسرائيلية ان قنبلة صغيرة انفجرت عند مفترق طريق حولون في ضواحي تل ـ ابيب، ولم تقع اصابات أو اضرار. وذكرت مصادر فلسطينية ان سلطات الاحتلال اعلنت قرية نحالين منطقة عسكرية مغلقة، بعد مواجهات وقعت فيها عشية الذكرى السنوية للاحداث التي شهدتها في الوقت عينه من العام الماضي (**الحياة**، ١٣/٤/١٩٩٠).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في مقابلة مع صحيفة «يديعوت احرونوت»: «انني من انصار مبدأ الوحدة الوطنية؛ واعتقد بأن الوحدة الوطنية هي مصلحة حيوية لاسرائيل، وان التعبير عن هذه الوحدة يتمثل، احياناً، في حكومة وحدة وطنية». واعرب شامير عن موافقته المبدئية على التناوب، بشروط معينة (**يديعوت احرونوت**، ١٢/٤/١٩٩٠).

• قال عضو الكنيست زعيم حزب العمل، شمعون بيرس، في مقابلة مع صحيفة «يديعوت احرونوت»:

«ان المشكلة الاساسية تكمن في تقديم رد على مبادرة وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر. ومن الممكن تشكيل حكومة وحدة وطنية اخرى، اذا التزمت مثل هذه الحكومة مسيرة السلام» (**يديعوت احرونوت**، ١٣/٤/١٩٩٠).

١٣/٤/١٩٩٠

• اختتم الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، زيارته الرسمية لتشكيوسلوفاكيا، التي استغرقت ثلاثين ساعة، وجه، خلالها، الدعوة الى الرئيس التشيكوسلوفاكي، فاسلاف هافل، لزيارة الاراضي المحتلة، في اثناء زيارته المقررة لاسرائيل، في النصف الثاني من نيسان (ابريل). واوضح عرفات للصحفيين، ان على هافل ان يزور الاراضي المحتلة، كي يطلع، بنفسه، على الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان. يذكر ان براغ اعادت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل، مؤخراً (**القدس العربي**، ١٤/٤/١٩٩٠).

• انضمّت المواطنة ساره حسن لافي (٣٨ عاماً)، من مخيم العرّوب، الى قافلة شهداء الانتفاضة. وكانت ساره تنتظر سيارة تقلّها الى الخليل عندما صدمتها سيارة يقودها مستوطن يهودي، ممّا ادى الى استشهادها. من جهة أخرى، نفذ المواطنون في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة اضراباً لمناسبة الذكرى الأولى لمذبحة نحالين؛ فيما تواصلت الاشتباكات والمواجهات مع قوات الاحتلال في مختلف المناطق المحتلة، واسفرت عن اصابة ٦٥ فلسطينياً واعتقال ستين آخرين. وتركزت حملة الاعتقالات على بيت لحم ونابلس ورفح ومخيم الفارعة، حيث اعتقل عشرون طفلاً فيه (**الدستور**، ١٤/٣/١٩٩٠).

١٤/٤/١٩٩٠

• تواصلت الاشتباكات بين المواطنين في المناطق المحتلة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وتمكّن شبان الانتفاضة من اصابة ثلاثة جنود اسرائيليين في قطاع غزة بجروح مختلفة، وحطّموا عدداً من السيارات الاسرائيلية، واصيب عدد من المواطنين بجروح، عندما اطلقت قوات الاحتلال النار لتفريق المسيرات، واعتقل عدد آخر، خلال عمليات دهم قامت بها القوات الاسرائيلية (**الدستور**، ١٥/٤/١٩٩٠).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في حضور وفد من مجلس الشيوخ الاميركي زار اسرائيل: «ان اسرائيل مستعدة للبحث مع كل دولة في المنطقة حول نزع السلاح غير التقليدي في الشرق الاوسط». واضاف، «ان اسرائيل تحبّذ السلام؛ أمّا الزعماء العرب، فيتحدثون عنه مع ضيوفهم، وليس مع اسرائيل» (**عل همشمار**، ١٥/٤/١٩٩٠).

• ندد رئيس لجنة رؤساء المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة الاميركية، سايمور رايخ، باستيطان ١٥٠ يهودياً داخل القدس الشرقية. وجاء في تصريحه، ان قيام المستوطنين برسم شعار نجمة داود على البّوابة الرئيسة للمبنى، «تعتبر عملية غير مسؤولة، وهي حتى تدنيس للمقدسات. لقد كان هذا العمل بمثابة استفزاز متعمّد. ونعتقد بأن الاشخاص المسؤولين عن هذا الفعل قد تصرّفوا بشكل سيىء جداً» (**عل همشمار**، ١٥/٤/١٩٩٠).

١٥/٤/١٩٩٠

• كثّفت قوات الاحتلال الاسرائيلية تواجدها العسكري في جميع المناطق الفلسطينية المحتلة عشية الذكرى السنوية الثانية لاستشهاد القائد الفلسطيني، خليل الوزير (ابو جهاد)؛ كما قامت بغلق عدد من المناطق، اعتبرتها مناطق عسكرية، وفرضت حظر التجول على مناطق اخرى، تحسّباً من المواجهات المحتملة في ذكرى استشهاد الوزير. وقد عمّت المسيرات الجماهيرية الحاشدة المناطق المحتلة، وتحوّلت الى اشتباكات ومصادمات عنيفة في مناطق عدة، اصيب، خلالها، جنديان اسرائيليان بجروح، وتمّ تحطيم عدد من السيارات العسكرية الاسرائيلية؛ كما اصيب، جراءها، تسعون فلسطينياً، واعتقل ثلاثون آخرون (**الدستور**، ١٦/٤/١٩٩٠).

• طالب وزير الخارجية العراقية، طارق عزيز، بعقد قمة عربية لمواجهة التهديدات التي يتعرض لها الأمن القومي العربي، خصوصاً العراق. وقال عزيز، في مقابلة متلفزة، ان الموقف يتطلب اجتماع القادة العرب، لاتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية كل قطر عربي من التهديدات الاسرائيلية (**الاهرام**، ١٦/٤/١٩٩٠).

بيبليوغرافيا

القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي

(قائمة مختارة)

اسرائيل

○ الاجتماع

١ ابو صبيح، عمران؛ «الهجرة والهجرة المعاكسة في فلسطين، ١٩٤٨ ـ ١٩٨٩ [ملف]»، **الحرية** (نيقوسيا)، العدد ٣٥٣، ٢٥/٣/١٩٩٠، ص ٣٤ ـ ٤٠.

٢ الدجاني، هشام؛ «هجرة اليهود السوفيات؛ الخلفيات والوقائع والتطوّرات»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٨٤ ـ ٩٠.

٣ درور، يحزقيئيل؛ «[الأقليات في اسرائيل؛ هوية وطنية وولاء سياسي]»، **فلسطين الثورة** (نيقوسيا)، السنة ١٨، العدد ٧٨٩، ١٨/٣/١٩٩٠، ص ١٥ ـ ١٩؛ نقلاً عن **الملف** (نيقوسيا)، المجلد ٦، العدد ١٠/٧١، كانون الثاني (يناير) ١٩٩٠، ص ٨٦٩ ـ ٨٧٥.

٤ السائح، عبدالحميد؛ «مخاطر فتح باب الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي الى فلسطين المحتلة»، **القدس الشريف** (عمّان)، السنة ٤، العدد ٥٧، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٩، ص ٦ ـ ١١.

٥ قاسم، محمود؛ «هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي؛ الدين، الثقافة، الايديولوجيا»، **المجلة العسكرية الفلسطينية** (نيقوسيا)، السنة ٧، العدد ٢، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٨٣ ـ ٨٥.

٦ الملتقى الثقافي العربي لمكافحة الصهيونية ـ دمشق، «نص بيان الملتقى بشأن هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل]»، **الى الامام** (دمشق)، السنة ١٨، العدد ٢٠٣٣، ٢٣/٣/١٩٩٠، ص ٦.

٧ «هجرة اليهود السوفيات الى فلسطين؛ جريمة تتنكر بثوب مبادىء حقوق الانسان»، **بلسم** (نيقوسيا)، السنة ١٦، العدد ١٧٨، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٧٥ ـ ٧٩.

٨ Kuttab, Jonathan; "Why the Immigration of Soviet Jews Must be Opposed", *Middle East International*, No. 372, 30/3/1990, pp. 16 - 17.

٩ Ro'i, Yaacov; "The Historical Link Betweeen Soviet Domestic Developments and Jewish Emigration", *The Jerusalem Quarterly*, No. 53, Winter 1990, pp. 137 - 144.

(انظر، أيضاً، ٢٠، ١٠٦)

○ الاحزاب والتكتلات

١٠ بركات، نظام؛ «جماعات المصالح في اسرائيل»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٧٠ ـ ٧٣.

١١ الحسيني، مصطفى محمد؛ «بعد سقوط حكومة شامير، هل تتحرّك عجلة السلام؟ [تقرير]»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ١/٧٣، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١١ ـ ٢٠.

١٢ شاهين، مي؛ «الاحزاب الدينية ودورها في الازمة الحكومية [تقرير]»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ١/٧٣، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٢١ ـ ٢٨.

١٣ المدهون، ربعي؛ «المناطق المحتلة؛ موقفان حول سقوط حكومة شامير [تقرير]»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١٥٣ ـ ١٥٦.

١٤ ناصر، عبلة؛ «الطلاق الصعب بين الليكود والعمل»، **الحرية**، العدد ٣٥٢، ١٨/٣/١٩٩٠، ص ١٢ ـ ١٤.

١٥ Ginat, Joseph; "The Elections in the Arab Sector; Voting Patterns and Political Behavior", *The Jerusalem Quarterly*, No. 53, Winter 1990, pp. 27 - 55.

١٦ Kidron, Peretz; "Shamir's Pre-emptive Strike Ends the Coalition", *Middle East International*, No. 371, 16/3/1990, pp. 3 - 4.

١٧ Paz, Reuven; "The Islamic Movement in Israel and the Municipal Elections of 1989", *The Jerusalem Quarterly*, No. 53, Winter 1990, pp. 3 - 26.

○ الاقتصاد

١٨ ابو شكر، عبد الفتاح؛ «آثار الانتفاضة الفلسطينية على الاقتصاد الاسرائيلي»، **الكاتب** (القدس)، العدد ١١٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٩٠، ص ١٨ ـ ٢٢.

١٩ اريان، عوفر؛ «تفاقم العجز [في الميزانية الاسرائيلية]»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ١/٧٣، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٦٦ ـ ٦٨؛ نقلاً عن **دافار**، ١٩٩٠/٣/٣٠.

٢٠ الصواف، محمد؛ «الاقتصاد الاسرائيلي بين خط الفقر واستيعاب الهجرة [تقرير]»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ١/٧٣، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٣٦ ـ ٥١.

٢١ متولي، سامي؛ «التكنولوجيا والتصنيع الحربي في اسرائيل [تقرير]»، **المجلة العسكرية الفلسطينية**، السنة ٧، العدد ٢، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٨٨ ـ ٩٢.

٢٢ مظلوم، جمال؛ «الاقتصاد الاسرائيلي: الانفاق العسكري»، **المجلة العسكرية الفلسطينية**، السنة ٧، العدد ٢، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٦١ ـ ٧٠.

٢٣ Goldschmidt, Amnon; "A Review of the Israeli Banking System", *The Israel Economist*, February 1990, pp. 17 - 20.

٢٤ Greilsammer, Ilan; "Economic Sanctions against Israel; Are They Credible?", *The Jerusalem Quarterly*, No. 53, Winter 1990, pp. 67 - 83.

٢٥ "Industrial R & D in Israel", *The Israel Economist*, February 1990, pp. 4 - 7.

٢٦ "Trading Long - term Stability for Short-term Gains", *The Israel Economist*, February 1990, pp. 21 - 27.

٢٧ "What's New on the Trade Front?", *The Israel Economist*, January 1990, pp. 7 - 8.

○ الشؤون العسكرية

٢٨ العاجن، صائب؛ «نظرية الامن الاسرائيلي وأثر ذلك على الامن القومي العربي؛ القسم الثالث؛ ثغرات في نظرية الامن الاسرائيلي»، **وطني** (سيراجيفو)، السنة ٧، العدد ١٠٣، ١٥/٤/١٩٩٠، ص ٣٢ ـ ٣٦.

٢٩ Brilliant, Joshua; "Ofek - 2 Functions Optimally", *The Jerusalem Post International*, 14/4/1990, pp. 1 - 2.

(انظر، أيضاً، ٢١ ـ ٢٢، ٩٣، ٩٦ ـ ٩٨، ١٠١)

○ العلاقات الخارجية

٣٠ باتير، دان؛ «احد عشر عاماً على السلام المصري ـ الاسرائيلي»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ١/٧٣، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٥٤ ـ ٥٨؛ نقلاً عن **دافار**، ١٩٩٠/٣/٣٠.

٣١ حجازي، حسين؛ «اوروبا الشرقية تخلّت عن العزل السياسي لاسرائيل؛ سياسة العلاقات السالكة مع الجميع»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٨٩، ١٨/٣/١٩٩٠، ص ٣٣ ـ ٣٥.

٣٢ «سيري لانكا قطعت علاقاتها باسرائيل»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٩٠، ٢٥/٣/١٩٩٠، ص ٧.

٣٣ Aruri, Naseer H.; "Israel and South Africa; Divergent Twins", *Middle East International*, No. 371, 16/3/1990, pp. 15 - 17.

٣٤ Azoulay, Katya Gibel; "Israel - South Africa; Reflections and Lessons", *New Outlook*, Vol. 33, No. 4 (302), April 1990, pp. 35 - 37.

٣٥ Freedman, Robert O.; "Moscow and Jerusalem; The Relationship Deepens", *Middle East International*, No. 373, 13/4/1990, pp. 16 - 17.

٣٦ Leon, Dan; "Israel - South Africa; Stranger than Fiction", *New Outlook*, Vol. 33, No. 4 (302), April 1990, pp. 32 - 34.

العالم العربي

٣٧ رابينوفيتش، إيتمار؛ «التهديد العراقي؛ أكثر من وجهة واحدة»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ١/٧٣، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٦٣ ـ ٦٤.

٣٨ قدهتسور، رؤوبين؛ «اصبع عراقية على الزناد»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ١/٧٣، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٦١ ـ ٧٣؛ نقلاً عن **هآرتس**، ٣/٤/١٩٩٠.

٣٩ عبدالرحمن، محمد؛ «التسلّح العراقي غير التقليدي وقواعد المعادلة في الشرق الاوسط [تقرير]»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ١/٧٣، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٢٨ ـ ٣٦.

٤٠ عنباري، بنحاس؛ «الجولان ليس على جدول الاعمال»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ١/٧٣، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٥٩ ـ ٦١؛ نقلاً عن **عل همشمار**، ٢٠/٣/١٩٩٠.

٤١ Gold, Dore; "Iraq's Challenge; The Strategic Implications", *The Jerusalem Post International*, 14/4/1990, pp. 1, 4.

٤٢ Sayigh, Yazid; "The Realities and Dangers of Nuclear Lopsidedness; Iraq Versus Israel", *Middle East International*, No. 373, 13/4/1990, pp. 15 - 16.

(انظر، أيضاً، ٥٤)

فلسطين

○ الاجتماع

٤٣ ساره، فايز؛ «ظاهرة تشغيل الاطفال الفلسطينيين في الارض المحتلة»، **بلسم**، السنة ١٦، العدد ١٧٨، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٤٤ ـ ٤٧.

٤٤ السيد، يونس؛ «الانتهاكات الاسرائيلية للاوضاع الصحية في الاراضي المحتلة»، **بلسم**، السنة ١٦، العدد ١٧٨، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٥٦ ـ ٦٣.

٤٥ شبيب، سميح؛ «الحركة الشعبية الفلسطينية في عهد الانتداب البريطاني»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١٩ ـ ٣٩.

٤٦ شنان، عبدالباقي؛ «تأثير الانتفاضة على المجتمع الفلسطيني»، **بلسم**، السنة ١٦، العدد ١٧٨، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٦٤ ـ ٦٩.

٤٧ عبدالقادر، نضال؛ «المرأة الفلسطينية في الانتفاضة؛ عطاء لا ينضب»، **طريق الانتصار** (نيقوسيا)، السنة ١٣، العدد ٢١٧، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٣٢ ـ ٣٥.

٤٨ «مستشفى المقاصد المقدسي؛ مواجهة دائمة مع خطرين: الاحتلال والعجز المالي»، **صوت البلاد** (بلغراد)، السنة ٥، العدد ١٩٠، ١/٤/١٩٩٠، ص ٢ ـ ٤.

٤٩ مناصرة، نجاح؛ «المرأة في الاسرة الفلسطينية»، **الكاتب**، العدد ١١٩، آذار (مارس) ١٩٩٠، ص ٢٠ ـ ٢٩.

○ الاحزاب والتكتلات

٥٠ عاروري، تيسير؛ «قراءة في مشروع برنامج الحزب الشيوعي الفلسطيني ونظامه الداخلي»، **صوت الوطن** (نيقوسيا)، السنة ١، العدد ٨، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٢٣ ـ ٢٧.

٥١ عبدالرحمن، اسعد؛ «الشيوعيون الفلسطينيون وحزب الصدق السياسي؛ نجمة تشق الظلام العربي الدامس»، **صوت الوطن**، السنة ١، العدد ٨، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٢١ ـ ٢٢.

٥٢ Greenberg, Joel; "Marxism and Islam Pitted against Fatah in the Territories", *The Jerusalem Post International*, 14/4/1990, p. 2.

(انظر، أيضاً، ١٧، ٤٥)

○ الاقتصاد

٥٣ ابو شكر، عبدالفتاح؛ «اوضاع الصناعة في الارض الفلسطينية المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة)»، **الكاتب**، العدد ١١٧، كانون الثاني (يناير) ١٩٩٠، ص ١٣ ـ ٢٦.

٥٤ احمد، رفعت سيد؛ «مخاطر حول الانتفاضة: سرقة الماء العربي في فلسطين وخارجها»،

المجلة العسكرية الفلسطينية، السنة ٧، العدد ٢، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٢٤ ـ ٣١.

٥٥ قايتس، ديتر؛ «التطور الصناعي الفلسطيني؛ نظرة مجردة»، **الكاتب**، العدد ١٢٠، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٧ ـ ١٤.

○ تراجم

٥٦ بركات، جميل؛ «في ذكرى احمد الشقيري»، **القدس الشريف**، السنة ٤، العدد ٥٧، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٩، ص ١٢ ـ ١٨.

٥٧ عبدالشكور، موفق؛ «الحاج أمين الحسيني؛ ما له وما عليه»، **المجلة العسكرية الفلسطينية**، السنة ٧، العدد ٢، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٥٠ ـ ٥٦.

٥٨ «في خضم النضال الفلسطيني؛ بهجت ابو غربية يروي مذكراته؛ الحلقة ٢٥»، **القدس الشريف**، السنة ٤، العدد ٥٧، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٩، ص ١٩ ـ ٢٨.

٥٩ Be'er, Yizhar; "Suliman Shakur; Arab Communicator", *New Outlook*, Vol. 33, No. 4 (302), April 1990, pp. 43 - 45.

٦٠ Nir, Ori; "The Dual Struggle of Zuhaira Kamal", *New Outlook*, Vol. 33, No. 4 (302), April 1990, pp. 40 - 42.

○ الثقافة

٦١ البحر، وفا؛ «المسرح الفلسطيني من المفاجأة الى المخاض والحسم؛ الحلقة الاولى»، **البيادر السياسي** (القدس)، السنة ٩، العدد ٣٩٢، ٢٤/٣/١٩٩٠، ص ٣٤ ـ ٣٦.

٦٢ «الحركة المسرحية في الارض المحتلة والانتفاضة»، **صوت البلاد**، السنة ٥، العدد ١٩٠، ١/٤/١٩٩٠، ص ٤٨ ـ ٥٠.

٦٣ درّاج، فيصل؛ «المسرح الفلسطيني من الوطن الى المنفى»، **الفكر الديمقراطي** (نيقوسيا)، العدد ١١، ١٩٨٩، ص ٢٤٣ ـ ٢٦١.

٦٤ شحادة، محمد؛ «من الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة؛ (١)»، **الكاتب**، العدد ١١٩، آذار (مارس) ١٩٩٠، ص ٤٥ ـ ٦٠.

٦٥ ـــ ، ـــ ؛ «من الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة؛ (٢)»، **الكاتب**، العدد ١٢٠، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٦٥ ـ ٧٦.

٦٦ طه، المتوكل؛ «عن أدب السجون؛ الرواية وانتظار الحلم»، **وطني**، السنة ٧، العدد ١٠٢، ١٥/٣/١٩٩٠، ص ٤٦ ـ ٤٩.

٦٧ قرقطي، فيصل؛ «نشأة وتطوّر الملصق الفلسطيني [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٩١ ـ ١٠٩.

٦٨ قشطة، هشام؛ «أيام فلسطين الثقافية والفنية؛ القاهرة من ١٠ ـ ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٠»، **الفكر الديمقراطي**، العدد ١١، ١٩٨٩، ص ٢٦٢ ـ ٢٧٣.

الفلسطينيون

○ الاضرابات والتظاهرات

٦٩ الازعر، محمد خالد؛ «رؤيا مستقبلية؛ الانتفاضة وقضايا المقاومة»، **المجلة العسكرية الفلسطينية**، السنة ٧، العدد ٢، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٦ ـ ١٤.

٧٠ «٣٤ الف اصابة في غزة خلال عامين»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٩٠، ٢٥/٣/١٩٩٠، ص ٢٢ ـ ٢٣.

٧١ شيف، زئيف؛ «الانتفاضة تتعقد»، **البيادر السياسي**، السنة ٩، العدد ٣٩٢، ٢٤/٣/١٩٩٠، ص ٣٩.

٧٢ حطاب، يونس؛ «الانتفاضة في شهرها الثامن والعشرين؛ ٢٠ شهيداً و٢٧٦٢ جريحاً»، **الحرية**، العدد ٣٥٦، ١٥/٤/١٩٩٠، ص ١٤ ـ ١٥.

٧٣ حمدان، عبدالمجيد؛ «كيف تؤدي جماهير الخارج دورها في الانتفاضة»، **صوت الوطن**، السنة ١، العدد ٨، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٤ ـ ٦.

٧٤ الخطيب، سمير؛ «الانتفاضة تقاتل العدو على عدة جبهات»، **صوت فلسطين** (دمشق)، العدد ٢٦٧، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٣٢ ـ ٣٥.

٧٥ خليل، سمير سلامة؛ «الانتفاضة الفلسطينية في عامها الاول؛ دراسة تحليلية احصائية عن الشهداء والمصابين؛ الحلقة السادسة»، **القدس الشريف**، السنة ٤، العدد ٥٧، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٩، ص ٢٩ ـ ٤٣.

٧٦ «الدهيشة مخيم خلف الاسلاك»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٩١، ١/٤/١٩٩٠، ص ٢١ ـ ٢٣.

٧٧ «الذكرى الثانية للانتفاضة في الصحافة البريطانية»، **فلسطين المسلمة** (لندن)، السنة ٨، العدد ١، آذار (مارس) ١٩٩٠، ص ١٦ ـ ١٧.

٧٨ شيفتين، دان؛ «الانتفاضة كفصل من فصول النزاع العربي ـ الاسرائيلي»، **الملف**، المجلد ٧، العدد ١/٧٣، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٤ ـ ١٠.

٧٩ صايغ، يزيد؛ «المقاومة الفلسطينية ـ عسكرياً؛ تناقض ميداني اسرائيلي [في مواجهة الانتفاضة؛ تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١٤٢ ـ ١٤٦.

٨٠ عبدالرحمن، محمد؛ «اسرائيليات؛ التكتيك الفلسطيني ناجح [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١٤٧ ـ ١٥٢.

٨١ «الفلسطينيون يغرسون دولتهم في أعماق الارض في الذكرى الرابعة عشرة ليوم الارض»، **الهدف** (دمشق)، السنة ٢١، العدد ١٠٠٢، ٧/٤/١٩٩٠، ص ١٤ ـ ١٥.

٨٢ «في قرية بيت ريم؛ مجزرة رهيبة لتغطية هزيمة جيش الاحتلال»، **الحرية**، العدد ٣٥٦، ١٥/٤/١٩٩٠، ص ٧ ـ ٩.

٨٣ «قائمة بأسماء شهداء الشهر الرابع والعشرين للانتفاضة»، **الكاتب**، العدد ١١٦، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٩، ص ١٦ ـ ١٧.

٨٤ «قائمة بأسماء شهداء الشهر الخامس والعشرين للانتفاضة»، **الكاتب**، العدد ١١٧، كانون الثاني (يناير) ١٩٩٠، ص ١٠ ـ ١٢.

٨٥ «قائمة بأسماء شهداء الشهر السابع والعشرين للانتفاضة»، **الكاتب**، العدد ١١٩، آذار (نيسان) ١٩٩٠، ص ١٨ ـ ١٩.

٨٦ «قائمة بأسماء شهداء الشهر الثامن والعشرين للانتفاضة»، **الكاتب**، العدد ١٢٠، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٣٦ ـ ٣٧.

٨٧ «[مدينة] الخليل في مرآة التهويد والمقاومة»، **الهدف**، السنة ٢١، العدد ١٠٠١، ١/٤/١٩٩٠، ص ١٣.

٨٨ الملتقى الثقافي العربي لمكافحة الصهيونية ـ دمشق؛ «[نص بيان الملتقى بشأن الممارسات الصهيونية في فلسطين]»، **الى الامام**، السنة ١٨، العدد ٢٠٣٣، ٢٣/٣/١٩٩٠، ص ٧.

٨٩ مناصرة، محمد موسى؛ «عن بعض المظاهر السلبية في الانتفاضة»، **صوت الوطن**، السنة ١، العدد ٨، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٧ ـ ١٢.

٩٠ «'وجهة نظر صهيونية' : الانتفاضة والجيش في قطاع غزة»، **وطني**، السنة ٧، العدد ١٠٣، ١٥/٤/١٩٩٠، ص ٢٦ ـ ٢٧.

٩١ Beckerman, Cheryl; "No Taxation without Representation; Nonviolent Resistance in Beit Sahur", *New Outlook*, Vol. 32, No. 9 - 10 (295 - 296), pp. 23 - 25.

٩٢ Bennis, Phyllis; "Shabura Camp, February 1990", *Democratic Palestine*, No. 37, February 1990, p. 5.

٩٣ Creveld, Martin Van; "IDF and the Intifadah; 'Something Rotten in the State of Denmark'", *New Outlook*, Vol. 33, No. 4 (302), April 1990, pp. 11 - 12.

٩٤ Hawi, Geogre; "The Arab Stiuation and the Intifadah", *Democratic Palestine*, No. 37, February 1990, pp. 23 - 26.

٩٥ "Israel *vs* the PLO; Who's Serious about Peace?", *Democratic Palestine*, No. 37, February 1990, pp. 2 - 4.

٩٦ Kadmon, Simha; "IDF and the Intifadah; Don't Tell Us It's a War for Peace", *New Outlook*, Vol. 33, No. 4 (302), April 1990, pp. 13 - 15.

٩٧ Pa'il Meir; "IDF and the Intifadah; Intifadah Frustrations", *New Outlook*, Vol. 33, No. 4 (302), April 1990, pp. 18 - 20.

٩٨ Peri, Yoram; "Getting the Territories Out of the IDF", *New Outlook*, Vol. 33, No. 4 (302), April 1990, pp. 8 - 10.

٩٩ Sherman, Steve; "Gazans and the Intifadah; United and Steadfast", *Middle East International*, No. 373, 13/4/1990, pp. 17 - 19.

١٠٠ "Theoretical Questions Raised by the Intifadah", *Democratic Palestine*, No. 37, February 1990, pp. 6 - 9.

١٠١ "The Uprising's Impact on Israeli Security", *Democratic Palestine*, No. 37, February 1990, pp. 12 - 17.

(انظر، أيضاً، ١٨، ٤٦ ـ ٤٧، ٥٤، ١٠٦)

○ بيانات وتصريحات وخطب

١٠٢ الاتحاد العام لنقابات العمّال في الضفة الغربية؛ «[نص بيانه التوحيدي، بتاريخ ١/٣/١٩٩٠]»، **فلسطيننا** (تونس)، العدد ٣٤، آذار (مارس) ١٩٩٠، ص ٢٣.

١٠٣ ـــــ ؛ «[نص مذكرة الاتحاد الى منظمة العمل الدولية بشأن تقرير الامين العام للمنظمة حول دولة فلسطين وأوضاع الطبقة العاملة الفلسطينية]»، **الحرية**، العدد ٣٥٦، ١٥/٤/١٩٩٠، ص ١١ ـ ١٣.

١٠٤ حزب العمّال الشيوعي الفلسطيني؛ «[نص بيان سياسي بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لـ ' يوم الارض ']»، **طريق الانتصار**، السنة ١٣، العدد ٢١٧، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٢١.

١٠٥ القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة؛ «[نص النداء الرقم ٥٤؛ نداء الشهادة، بتاريخ ٢٦/٣/١٩٩٠]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٩١، ١/٤/١٩٩٠، ص ٦ ـ ٧.

١٠٦ لجنة المحامين الفلسطينيين في الضفة الغربية؛ «[نص نداء اللجنة بشأن توطين المهاجرين السوفيات في الارض الفلسطينية المحتلة]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٩٢، ٨/٤/١٩٩٠، ص ١٨.

١٠٧ «[نص بيان الاسرى والمعتقلين الفلسطينيين في معتقل مجدّو الى جماهير الشعب الفلسطيني]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٩٢، ٨/٤/١٩٩٠، ص ١٤.

١٠٨ «[نص] بيان صادر عن ' الاتجاه الاسلامي المجاهد ' في فلسطين...»، **السبيل** (اوسلو)، العدد ١٤، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١١.

١٠٩ «[نص نداء قوات الشهيد عمر القاسم في بلدة يعبد، بعنوان: ' مواجهة ومقاطعة العملاء أحمد الناطور وأولاد النجار ']»، **الحرية**، العدد ٣٥٤، ١/٤/١٩٩٠، ص ١٤.

١١٠ «[نص نداء من أهالي بلدة قباطية بشأن حملات الدهم والاعتقالات الاسرائيلية بحق المواطنين الفلسطينيين في البلدة]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٩٢، ٨/٤/١٩٩٠، ص ١٥.

القضية الفلسطينية

١١١ حيدري، نبيل؛ «المقاومة الفلسطينية ـ دولياً؛ المراوحة [تقرير بشأن اثر انهيار الحكومة الائتلافية في اسرائيل في مستقبل عملية السلام وموقف الادارة الاميركية]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١٣٤ ـ ١٤١.

١١٢ شاهين، احمد؛ «المقاومة الفلسطينية ـ عربياً؛ تحديات بلا استراتيجية [تقرير بشأن هجرة اليهود السوفيات؛ ونقل مقر الجامعة العربية الى القاهرة؛ وموقف سوريا من التسوية بعد زيارة كارتر لدمشق]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١٢٨ ـ ١٣٣.

١١٣ الحلكيم، حسين؛ «الصهيونية وفلسطين»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٥٧ ـ ٦٩.

١١٤ عمر، محجوب؛ «مسيرة الاستقلال الفلسطيني»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٣ ـ ١٨.

١١٥ «[مقتطفات من بيان المجلس التنفيذي للكونفدرالية العامة الايطالية للعمل بشأن القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي]»، **فلسطيننا**، العدد ٣٤، آذار (مارس) ١٩٩٠، ص ١١.

١١٦ «ندوة آفاق القضية الفلسطينية بعد عامين من الانتفاضة»، **المستقبل العربي** (بيروت)، السنة ١٢، العدد ١٣٤، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١٣٠ ـ ١٣٤.

١١٧ هرملاني، عماد؛ «'الدولة المستقلة' وتحوّلات الصراع»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٤٠ ـ ٥٦.

١١٨ Laipson, Ellen; "Europe's Role in the Middle East; Enduring Ties, Emerging Opportunities", *The Middle East Journal*, Vol. 44, No. 1, Winter 1990, pp. 7 - 17.

١١٩ Nashif, Taysir; "The Return of Palestinian Refugees", *New Outlook*, Vol. 33, No. 4 (302), April 1990, pp. 38 - 39.

١٢٠ Neff, Donald; "The Jerusalem Issue; The History of American Ambiguity", *Middle East International*, No. 371, 16/3/1990, pp. 5 - 6.

١٢١ Teveth, Shabtai; "The Palestinian Refugee Problem and Its Origins (Review Article)", *Middle Eastern Studies*, Vol. 26, No. 2, April 1990, pp. 214 - 249.

منظمة التحرير الفلسطينية

١٢٢ س. ش.؛ «المقاومة الفلسطينية ـ سياسياً؛ تطورات سياسية وتنظيمية [تقرير]»، **فلسطينية شؤون**، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١٢٤ ـ ١٢٧.

١٢٣ «[نص بيان الاتحاد الدولي لنقابات العمّال العرب بمناسبة اليوبيل الفضي لانطلاقة الثورة الفلسطينية]»، **فلسطيننا**، العدد ٣٤، آذار (مارس) ١٩٩٠، ص ٨.

○ بيانات وتصريحات وخطب

▷ الاتحاد العام لعمّال فلسطين

١٢٤ «[نص البيان السياسي الصادر عن دورة اجتماعات اللجنة التنفيذية للاتحاد، في القاهرة، في الفترة ما بين ٥ ـ ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٠]»، **فلسطيننا**، العدد ٣٤، آذار (مارس) ١٩٩٠، ص ٢١ ـ ٢٢.

▷ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

١٢٥ «بلاغ صادر عن أعمال اللجنة المركزية للجبهة [اثر دورة عمل كاملة خلال النصف الثاني من شباط ـ فبراير ١٩٩٠]»، **الحرية**، العدد ٣٥٢، ١٨/٣/١٩٩٠، ص ٦ ـ ٩.

١٢٦ «حواتمة: لا تباينات سياسية راهنة في صفوف الجبهة الديمقراطية، والمراجعة [النقدية لسياسة الجبهة] تركزت حول فترة زمنية محددة في الماضي»، **الحرية**، العدد ٣٥٤، ١/٤/١٩٩٠، ص ٥؛ نقلاً عن **رويتر**، ٢٦/٣/١٩٩٠.

١٢٧ «[نص] قرار اللجنة المركزية حول المراجعة السياسية النقدية»، **الحرية**، العدد ٣٥٢، ١٨/٣/١٩٩٠، ص ٩ ـ ١٠.

▷ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

١٢٨ «[مقتطفات من كلمة جورج حبش السياسية بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لـ 'يوم الارض']»، **الهدف**، السنة ٢١، العدد ١٠٠٢، ٧/٤/١٩٩٠، ص ١٢ ـ ١٣.

١٢٩ «[نص] بيان صادر عن المكتب السياسي للجبهة بمناسبة 'يوم الارض'»، **الهدف**، السنة ٢١، العدد ١٠٠١، ١/٤/١٩٩٠، ص ٣٥.

▷ حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)

١٣٠ «[نص بيان المجلس الثوري للحركة، اثر دورة اجتماعه في تونس، في الفترة ما بين ١٥ ـ ١٨ آذار (مارس) ١٩٩٠]»، **صوت البلاد**، السنة ٥، العدد ١٩٠، ١/٤/١٩٩٠، ص ١٠.

▷ عرفات، ياسر (ابو عمار)

١٣١ «[نص رسالته الى جماهير الشعب الفلسطيني، بمناسبة دخول الانتفاضة شهرها الثامن والعشرين»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٨٩، ١٨/٣/١٩٩٠، ص ٨ ـ ١٠.

○ العلاقات الخارجية

١٣٢ ابو رومي، عطا؛ «المنظمات غير الحكومية لدول الشمال عقدت مؤتمرها في كوبنهاغن؛ [لقاء فلسطيني ـ دنماركي]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٩٢، ٨/٤/١٩٩٠، ص ٢٣ ـ ٢٤.

١٣٣ ابو عمرو، زياد؛ «نحو علاقة اردنية ـ فلسطينية من نوع جديد»، **الفكر الديمقراطي**، العدد ١١، ١٩٨٩، ص ٥٦ ـ ٦٧.

١٣٤ الزين، ابراهيم؛ «وفد فلسطين حضر تنصيب دي ميلو رئيساً [لجمهورية البرازيل]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٩٢، ٨/٤/١٩٩٠، ص ٢٤ ـ ٢٥.

١٣٥ مراد، قيس؛ «رابطة الصداقة [الفلسطينية ـ السوفياتية] عقدت مؤتمرها الثالث»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٩٢، ٨/٤/١٩٩٠، ص ٣٣.

١٣٦ مصطفى، مازن؛ «لقاء عرفات مع كارتر وميتران ومحادثاته في روما والفاتيكان»، **الحوادث** (لندن)، العدد ١٧٤٥، ١٣/٤/١٩٩٠، ص ٢٤ ـ ٢٥.

١٣٧ «الوساطة الفلسطينية تخترق الحواجز السورية الى بيروت الشرقية»، **الوطن العربي** (باريس)، السنة ١٤، العدد ٦٨٣، ١٦/٣/١٩٩٠، ص ١٨ ـ ١٩.

المقابلات

١٣٨ ابو مدين، فريح (نقيب المحامين في قطاع غزة)؛ «لا لقاء اسرائيلي ـ فلسطيني بدون المنظمة»، **صوت البلاد**، السنة ٥، العدد ١٩٠، ١/٤/١٩٩٠، ص ١٤ ـ ١٥.

١٣٩ ـــ ، ـــ ؛ «الموقف الاميركي منحاز الى اسرائيل»، **البيادر السياسي**، السنة ١٩، العدد ٤٩١، ١٧/٣/١٩٩٠، ص ٢٣.

١٤٠ بكري، محمد؛ «كل فلسطيني [هاملت]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٩٢، ٨/٤/١٩٩٠، ص ٣٨ ـ ٤٠.

١٤١ بوتو، نصرت (والدة رئيسة وزراء باكستان)؛ «[نحن قلقون من الهجرة اليهودية الى فلسطين]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٨٩، ١٨/٣/١٩٩٠، ص ٢٢ ـ ٢٣.

١٤٢ جيلاني، عبدالقادر (رئيس جبهة التحرير الارتيرية)؛ «الفلاشا يعودون الى اثيوبيا كخبراء عسكريين اسرائيليين»، **الوطن العربي**، السنة ١٤، العدد ٦٨٧، ١٣/٤/١٩٩٠، ص ٢٩ ـ ٣٠.

١٤٣ الجيوسي، سلمى الخضراء؛ «يجب أن يعرف العالم ثقافتنا»، **الافق** (نيقوسيا)، السنة ٩، العدد ٢٨٤، ٢٩/٣/١٩٩٠، ص ٣٨ ـ ٣٩.

١٤٤ الحسيني، فيصل؛ «وزيران عربيان في حكومة بيرس الجديدة»، **الوطن العربي**، السنة ١٤، العدد ٦٨٤، ٢٣/٣/١٩٩٠، ص ٢٢ ـ ٢٣.

١٤٥ الخضراء، محمد طارق (عميد ركن)؛ «سوريا الاسد العمق الاستراتيجي لفلسطين وقاعدة النضال العربي»، **صوت فلسطين**، العدد ٢٦٧، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٢٦ ـ ٢٩.

١٤٦ روبنشتاين، أمنون؛ «غالبية الشعب الاسرائيلي ترغب في المفاوضات مع م.ت.ف.»، **البيادر السياسي**، السنة ٩، العدد ٣٩٢، ٢٤/٣/١٩٩٠، ص ٣٨.

١٤٧ شاندرا، راميش (رئيس مجلس السلم العالمي)؛ «استمرار الوضع الراهن في الشرق الاوسط ينذر بانفجارات واسعة»، **صوت البلاد**، السنة ٥، العدد ١٩٠، ١/٤/١٩٩٠، ص ٣٢ ـ ٣٣.

١٤٨ شوحط، ابراهام (عضو الكنيست عن حزب العمل)؛ «لا يمكن استمرار سيطرتنا بالقوة على شعب آخر؛ أوافق على اقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح»، **البيادر السياسي**، السنة ٩، العدد ٣٩١، ١٧/٣/١٩٩٠، ص ٣٧.

١٤٩ شيلوني، بن عامي (رئيس معهد هاري ترومان لتقدم السلام)؛ «الانتفاضة تركت انطباعاً سيئاً عن اسرائيل لدى العالم»، **البيادر السياسي**، السنة ٩، العدد ٣٩٢، ٢٤/٣/١٩٩٠، ص ٤٣ ـ ٤٤.

١٥٠ شينتسل، ديتر (نائب الماني في البرلمان الاوروبي)؛ «الاوروبيون تركوا للاميركيين ممارسة الضغط على اسرائيل»، **المجلة** (لندن)، العدد ٥٢٨، ٢٧/٣/١٩٩٠، ص ٣٧.

١٥١ عرار، سليمان (رئيس مجلس النواب الاردني)؛ «مواجهة خطر الهجرة السوفياتية تتحقق باحياء الجبهة الشرقية»، **الحوادث**، العدد ١٧٤٤، ٦/٤/١٩٩٠، ص ٣١ ـ ٣٣.

١٥٢ عريقات، صائب؛ «هجرة يهودية أم تجارة دولية باليهود؟»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٩٢، ٨/٤/١٩٩٠، ص ١٩ ـ ٢٢.

١٥٣ الفاهوم، ليلى (مديرة جمعية الهلال الاحمر في جنين)؛ «[الجمعية] تفتح العديد من الفروع في القرى رغم الاحتلال»، **بلسم**، السنة ١٦، العدد ١٧٨، ص ٨٤ ـ ٨٧.

١٥٤ القدومي، فاروق (ابو اللطف)؛ «اسرائيل تلعب بدمها والردع العراقي جاهز»، **الوطن العربي**، السنة ١٤، العدد ٦٨٧، ١٣/٤/١٩٩٠، ص ٢٠ ـ ٢١.

١٥٥ كاتشيا، انطونيا (مخرجة بريطانية)؛ «فيلم أصوات من غزة اخترق الدعاية الصهيونية»، **صوت البلاد**، السنة ٥، العدد ١٩٠، ١/٤/١٩٩٠، ص ٥١ ـ ٥٣.

١٥٦ ماير، لورنس (رئيس تحرير واشنطن بوست)؛ «صور الانتفاضة في التلفزيون الاميركي ورقة ضغط هامّة»، **المجلة**، العدد ٥٢٨، ٢٧/٣/١٩٩٠، ص ٨.

١٥٧ منصور، خيري؛ «[الانتفاضة فعل قادم من المستقبل، من الوطن، وليس من ذكرياته]»، **صوت البلاد**، السنة ٥، العدد ١٩٠، ١/٤/١٩٩٠، ص ٥٤ ـ ٥٧.

١٥٨ Armali, Shawki; "We Expect More from Europe", *The Middle East*, No. 186, April 1990, p. 36.

الكتب ـ عروض ومراجعات

١٥٩ الخليلي، علي؛ التراث الفلسطيني والطبقات، **وطني**، السنة ٧، العدد ١٠٣، ١٥/٤/١٩٩٠، ص ٤٦ ـ ٤٧ (مراجعة ماجد الزبيدي).

١٦٠ الشامي، رشاد عبدالله؛ الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية، **المستقبل العربي**، السنة ١٢، العدد ١٣٤، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١٣٥ ـ ١٤٠.

١٦١ شحادة، راضي؛ الجراد يحب البطيخ؛ تغريبة فلسطينية، **فلسطين الثورة**، السنة ١٨، العدد ٧٨٩، ١٨/٣/١٩٩٠، ص ٤٠ ـ ٤١ (مراجعة فيصل قرقطي).

١٦٢ شحادة، رجا؛ قانون المحتل؛ اسرائيل والضفة الغربية، **نضال الشعب** (نيقوسيا)، العدد ٥٤٣، ٢٤/٣/١٩٩٠، ص ٣٨ ـ ٣٩ (مراجعة خالد ابو خالد).

١٦٣ عرّاف، شكري؛ القرية العربية الفلسطينية؛ مبنى واستعمالات الارض، **الفكر الديمقراطي**، العدد ١١، ١٩٨٩، ص ٢٨٤ ـ ٢٩٠ (مراجعة شوقي شحث).

١٦٤ العزوني، نبيل عارف؛ عارف العزوني رائد من روّاد الادب الفلسطيني، **الى الامام**، السنة ١٨، العدد ٢٠٣٣، ٢٣/٣/١٩٩٠، ص ٤٢ ـ ٤٤.

١٦٥ محمود، عبد حميد؛ دور المؤسسة العسكرية في القرار السياسي الاسرائيلي، **المجلة العسكرية الفلسطينية**، السنة ٧، العدد ٢، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ٧٥ ـ ٧٨ (مراجعة محمود قاسم).

١٦٦ هارون، شحاتة؛ يهودي في القاهرة، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١١٦ ـ ١١٩ (مراجعة فايز ساره).

١٦٧ هلال، علي الدين؛ اميركا والوحدة العربية، ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢، **المستقبل العربي**، السنة ١٢، العدد ١٣٤، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١٣٠ ـ ١٣٤ (مراجعة جهاد عودة).

١٦٨ Aronaff, Myron J.; *Israel Visions and Divisions; Cultural Change and Political Conflict*, ***The Middle East Journal***, Vol. 44, No. 1, Winter 1990, p. 133 (Reviewed by Ian S. Lustick).

١٦٩ Berberoglu, Berch; *Power and Stability in the Middle East*, ***Middle East International***, No. 373, 13/4/1990, pp. 21 - 22 (Reviewed by John King).

١٧٠ Bondy, Ruth; *The Elder of the Jews*, ***The Jerusalem Post International***, 24/3/1990, p. 16 (Reviewed by Netanel Lorch).

١٧١ Coffey, Joseph I. and Gianni Bonvicini; *The Atlantic Alliance and the Middle East*, ***The Middle East Journal***, Vol. 44, No. 1, Winter 1990, pp. 139 - 140 (Reviewed by Keith Kyle).

١٧٢ Friedman, Thomas L.; *Fault Lines; From Beirut to Jerusalem*, ***Middle East***

International, No. 372, 30/3/1990, p. 21 (Reviewed by Michael Jansen).

١٧٣ Kramer, Gudrun; *The Jews in Modern Egypt, 1941 - 1952* ، **المجلة**، العدد ٥٢٧، ٢٠/٣/١٩٩٠، ص ٣٩ (مراجعة انتوني بارسون).

١٧٤ Kupferschmidt, Uri M.; *The Supreme Muslim Council; Islam under the British Mandate for Palestine,* ***The Middle East Journal,*** Vol. 44, No. 1, Winter 1990, pp. 138 - 139 (Reviewed by Neil Caplan).

١٧٥ Lesch, Ann and Mark Tessler; *Israel, Egypt, and the Palestinians; From Camp David to Intifadah,* ***The Middle East Journal,*** Vol. 44, No. 1, Winter 1990, pp. 145 - 146 (Reviewed by Helena Cobban).

١٧٦ Luckacs, Yehuda and Abdulla M. Battah; *The Arab - Israeli Conflict; Two Decades of Change,* ***The Middle East Journal,*** Vol. 44, No. 1, Winter 1990, pp. 141 - 142 (Reviewed by William Mark Habeeb).

١٧٧ Melman, Yossi and Dan Raviv; *Behind the Uprising; Israelis, Jordanians and Palestinians,* ***The Jerusalem Post International,*** 14/4/1990, p. 16 (Reviewed by Wolf Blitzer).

١٧٨ Mendelsohn, Everett; *A Compassionate Peace; A Future for Israel, Palestine, and the Middle East,* ***Middle East International,*** No. 373, 13/4/1990, p. 21 (Reviewed by John Law).

١٧٩ —, — ; "*A Compassionate Peace; A Future for Israel, Palestine, and the Middle East,* ***The Middle East Journal,*** Vol. 44, No. 1, Winter 1990, pp. 142 - 143 (Reviewed by Howard A. Reed).

١٨٠ Morris, Benny; *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947 - 1949,* ***Middle East Studies,*** Vol. 26, No. 2, April 1990, pp. 214 - 249 (Reviewed by Shabtai Teveth).

١٨١ Segal, Jerome M.; *Creating the Palestinian State; A Strategy for Peace,* ***The Middle East Journal,*** Vol. 44, No. 1 Winter 1990, pp. 143 - 144 (Reviewed by Sharif S. Elmusa).

١٨٢ Springborg, Robert; *Mubarak's Egypt; Fragmentation of the Political Order,* ***The Middle East Journal,*** Vol. 44, No. 1, Winter 1990, pp. 140 - 141 (Reviewed by Robert Bianchi).

١٨٣ Taras, David and David H. Goldberg; *The Domestic Battle - Ground; Canada and the Arab - Israeli Conflict,* ***The Jerusalem Post International,*** 14/4/1990, p. 16 (Reviewed by Sheldon Teitelbaum).

١٨٤ Yael, Yishai; *Land or Peace-Whither Israel?* ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢٠٥، نيسان (ابريل) ١٩٩٠، ص ١١٠ ـ ١١٥ (مراجعة مها بسطامي).

الكتب

١٨٥ ابو دية، سعد: **عملية اتخاذ القرار في سياسة الاردن الخارجية**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (سلسلة اطروحات الدكتوراة ـ ١٤)، ١٩٩٠، ٢٥٩ صفحة.

١٨٦ **١٩٨٩ عام اطلالة الفتح المبين**، نيقوسيا: مؤسسة بيسان للصحافة والنشر، ١٩٨٩، ٥٠٢ صفحة.

١٨٧ **انتفاضة الشعب الفلسطيني**، الكويت: وكالة الانباء الكويتية ـ ادارة المعلومات والابحاث، ١٩٩٠.

١٨٨ بنتو، جاك: **يوميات يهودا** (بالفرنسية)، باريس: سوي، ١٩٨٩.

١٨٩ الخطيب، عبدالكبير: **تناقضات الصهيونية**، الرباط: دار الكلام، ١٩٩٠.

١٩٠ دايه، جان: **غسان جديد: المسألة الفلسطينية**، لندن: دار سوراقيا للنشر، ١٩٩٠.

١٩١ الدجاني، احمد صدقي: **الانتفاضة الفلسطينية والصحوة العربية**، القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٨، ١٩٥ صفحة.

١٩٢ ربيع، محمد عبدالعزيز: **المعونات الاميركية لاسرائيل**، بيروت: مركز دراسات الوحدة

العربية، ١٩٩٠، ٢٧٩ صفحة.

١٩٣ العاجن، صائب مصباح: **نظرية الامن الاسرائيلي واثر ذلك على الامن القومي العربي**، عمّان: مؤسسة النيروز للخدمات الفنية، ١٩٨٩، ١٧١ صفحة.

١٩٤ عيراني، جورج اميل: **البابوية والشرق الاوسط: دور الكرسي الرسولي في الصراع العربي ـ الاسرائيلي، ١٩٦٢ ـ ١٩٨٤** (ترجمة الهام متري حمارنة)، عمّان: مركز الكتب الاردني، ١٩٩٠، ١٧٠ صفحة.

١٩٥ عيسى، عبدالله: **المصيدة: الحروب السرية الفلسطينية ـ الاسرائيلية**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠، ١٢٨ صفحة.

١٩٦ العيسوي، ابراهيم: **قياس التبعية في الوطن العربي**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠.

١٩٧ **مبارك والعالم العربي**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠، ٣٣٨ صفحة.

١٩٨ محمود، عبد حميد: **دور المؤسسة العسكرية في القرار السياسي الاسرائيلي**، بغداد: «آفاق عربية»، ١٩٨٩.

١٩٩ الناشف، تيسير: **الاسلحة النووية في اسرائيل**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠.

٢٠٠ نجم، رائف يوسف: **القدس الشريف خلال فترة الاحتلال الاسرائيلي، ١٩٦٧ ـ ١٩٨٧**، عمّان: المركز الثقافي الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية، ١٩٨٨، ١٣٩ صفحة.

٢٠١ يوسف، باسيل: **العرب ونشاط الامم المتحدة في مجال حقوق الانسان**، بغداد: مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية، ١٩٨٩، ٣٧٤ صفحة.

٢٠٢ Aronoff, Myron J.; *Israeli Visions and Divisions; Cultural Change and Political Conflict,* New Brunswick, N.J.: Transaction Publishers, 1989, 178 Pages.

٢٠٣ Brenchley, Frank; *Britain and the Middle East; An Economic History, 1945-1987,* London: Lester Crook Academic Publishing, 1989.

٢٠٤ Coffey, Joseph I. and Gianni Bonvicini; *The Atlantic Alliance and the Middle East,* Pittsburgh, P.A.: University of Pittsburgh Press, 1989, 316 Pages.

٢٠٥ *The Cost of Freedom; Palestinian Human Rights under Israeli Occupation; 1988 A Special Report,* London: Intifadah House, 1990.

٢٠٦ *Israel Government Yearbook 1989,* Jerusalem: Ministry of Education and Culture - Information Center Publications Service, 1990, 360 Pages.

٢٠٧ Kupferschmidt, Uri M.; *The Supreme Muslim Council; Islam under the British Mandate for Palestine,* Leiden: E.J. Brill, 1987, 297 Pages.

٢٠٨ Mendelsohn, Everett; *A Compassionate Peace; A Future for Israel, Palestine, and the Middle East,* New York: The Moonday Press, 1989.

٢٠٩ Springborg, Robert; *Mubarak's Egypt; Fragmentation of the Political Order,* Boulder: Westview Press, 1989, 307 Pages.

اعداد: ماجد الزبيدي

شؤون فلسطينية

ترحّب مجلة شؤون فلسطينية بالمواد التي تصلها للنشر من الباحثين والكتاب، سواء الدراسات أو المقالات أو مراجعات الكتب أو التقارير عن الندوات واللقاءات الفكرية والمجالات المختلفة الاخرى، على ان يكون لموضوعاتها صلة باهتمامات المجلة بالقضية الفلسطينية، بابعادها المختلفة خاصة والصراع العربي ـ الصهيوني عامة.

وترجو شؤون فلسطينية من الراغبين في المساهمة في موضوعاتها ملاحظة ان المجلة لا تعيد نشر أي مادة سبق نشرها بأي طريقة من طرق النشر، ولا تنشر مواد مترجمة. كما ترجو مراعاة ما يلي:

١ ـ يفضّل ان ترسل المادة مطبوعة على الآلة الكاتبة، على وجه واحد من الورقة مع فراغ مضاعف بين السطور.

٢ ـ في الكتابة اليدوية، ينبغي ترك سطر فراغ بين كل سطرين مكتوبين، مع توخي كتابة الاسماء والارقام، وكذلك الكلمات المدرجة بلغات أجنبية، بشكل واضح لا التباس فيه، وان تكون الكتابة على وجه واحد من الورقة أيضاً.

٣ ـ عند اقتباس نصوص أو معلومات من مصدر ما، ينبغي الاشارة إلى المصدر وفق قواعد الاقتباس المتعارف عليها أكاديمياً. ونشير، فيما يلي، إلى أكثرها شيوعاً:

- بالنسبة إلى الكتب، يذكر اسم المؤلف (واسم المترجم اذا اقتضى الأمر)، والعنوان الكامل للكتاب مع ذكر رقم الجزء أو المجلّد أو الطبعة ان وجدت، واسم المدينة التي صدر فيها، واسم الناشر، وتاريخ النشر، ثم رقم الصفحة أو الصفحات المقتبس منها. واذا غابت عن الكتاب أي من هذه المعلومات، ينبغي الاشارة إلى ذلك، كأن يكتب: بلا ناشر، بلا تاريخ نشر، الخ.
- بالنسبة إلى الصحف اليومية، يذكر اسم الصحيفة، والمدينة التي تصدر فيها، وتاريخ صدورها. اما اذا تمّ الاقتباس من مقالة أو دراسة منشورة في صحيفة يومية، فلا بدّ من ذكر عنوانها واسم كاتبها.
- بالنسبة إلى المجلات الاسبوعية والشهرية والدورية، تذكر اسماؤها، والمدن التي تصدر فيها، وتواريخها، وأرقام الاعداد أو المجلدات، وكذلك اسماء كُتّاب الموضوعات المقتبس منها، وعناوينها، وارقام الصفحات.
- عند الاقتباس من مصدر باحدى اللغتين، الانجليزية أو الفرنسية، تكتب المعلومات عنه بلغته هذه. اما الكتب باللغات الأخرى، فتترجم المعلومات بشأنها إلى اللغة العربية.
- في الدراسات والمقالات، تذكر المصادر في حواش تحمل أرقاماً متسلسلة وتوضع في نهاية الدراسة أو المقالة.
- في التقارير والمراجعات وما شابه توضع المصادر في مكانها، في سياق المتن.

ISSN 0258 - 4026

SHU'UN FILASTINIYAH

(Palestine Affairs)

No. 206 , May 1990

Published monthly in Arabic, for the P.L.O. Research Center, by

Al - Abhath Publishing Co. Ltd

16 Artemidos Street, Strovolos

P.O.Box 5614, Nicosia, Cyprus

Tel 429396, Fax 312104, Telex 4706 PALCU CY, Cables: PLOCS

Annual Subscription

Surface Mail: Arab countries & Europe - Individuals: $40, Institutions: $50 (add $30 for airmail postage); Other countries - Individuals: $50, Institutions: $60 (add $50 for airmail postage)

الثمن دينار في الاردن والكويت ■ ١,٥ جنيه في مصر والسودان ■ ١,٥ دينار في العراق ■ ١٥ درهماً في دولة الامارات العربية المتحدة ■ دينار في تونس ■ ١٠ دراهم في المغرب ■ ١٠ دنانير في الجزائر ■ دولاران في الاقطار العربية الاخرى